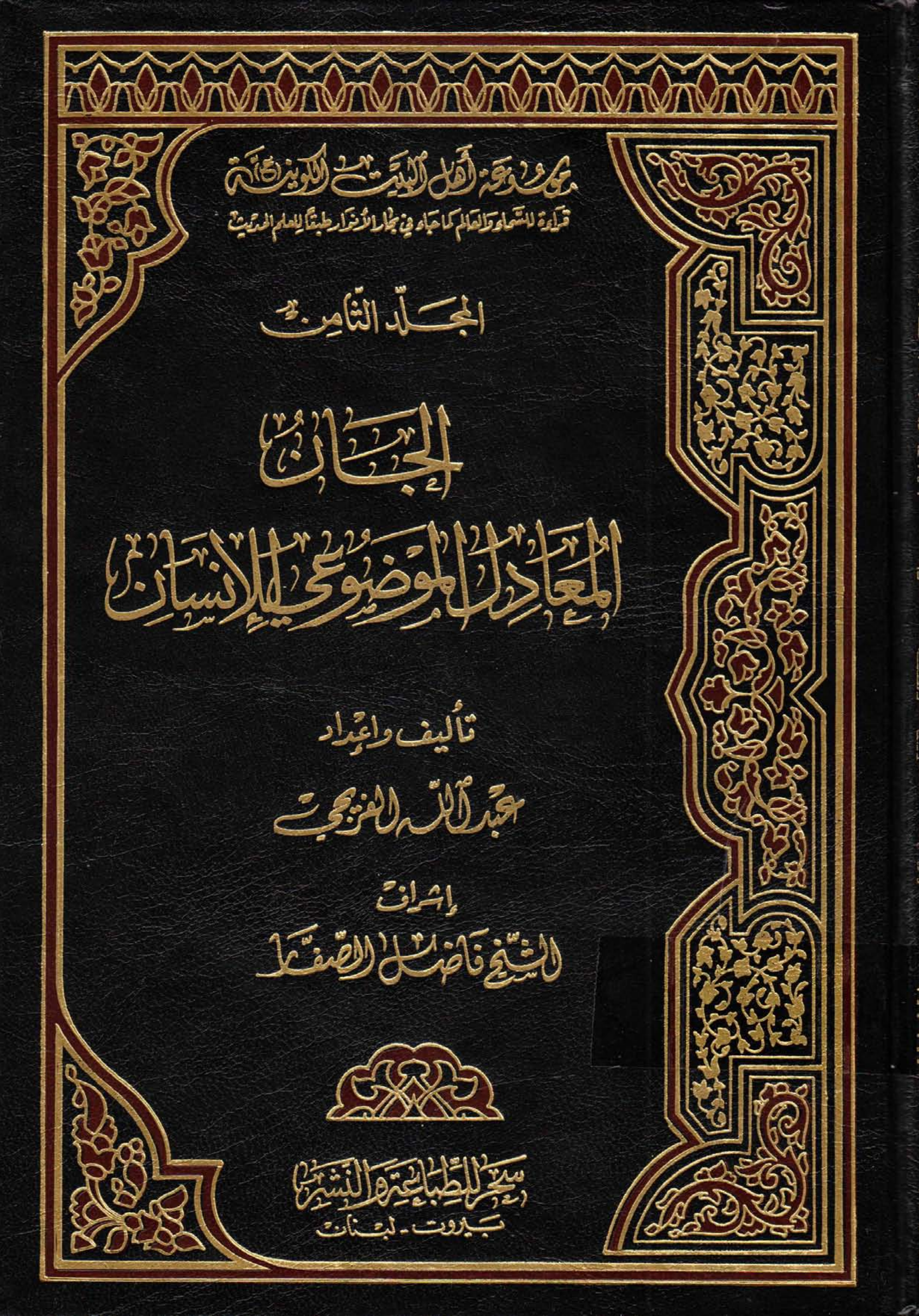

موسوعة أهل البيت (ع) الكونية
قراءة للسماء والعالم كما جاء في بحار الأنوار طبقاً للعلم الحديث
المجلد الثامن
الجان
المعادل الموضوعي للإنسان
تأليف وإعداد
عبد الله الفريجي
إشراف
الشيخ فاضل الصفار
سحر للطباعة والنشر
بيروت - لبنان




# موسوعة أهل البيت (ع) الكونية

قراءة للسماء والعالم كما جاء في بحار الأنوار طبقاً للعلم الحديث

المجلد الثامن

## الجان

## المعادل الموضوعي للإنسان

الطبعة الأولى
١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

**مراكز التوزيع**

لبنان : مؤسسة الفكر الإسلامي
ص ب ٥٩٥٣ / ١٣ بيروت ــ لبنان
هاتف ٢٢٣٦٨٣ ٣ ٩٦١ ٠٠ ــ ٦٤٨٢٧٠ ٣ ٩٦١ ٠٠
Email:Alfikr@ayna.com

سوريا : مكتبة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم
هاتف ٦٤١٧٩١٨ ١١ ٩٦٣ ٠٠ مقسم ١٠٩

إيران : مكتبة أهل البيت عليهم السلام
قم المقدسة ــ هاتف ٧٧٤٤٦٦٨

موسوعة أهل البيت (ع) الكونية
قراءة للسماء والعالم كما جاء في بحار الأنوار طبقاً للعلم الحديث

المجلد الثامن

# الجان
# المعادل الموضوعي للإنسان

تأليف وإعداد

عبد الله الفريجي

إشراف

الشيخ فاضل الصفار

سحر للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدّمة

إنّ من أهم ما أنجزه العلم الحديث كشفه عن حدود قدرة الإبصار، وتأكيده على وجود عالم من الأحياء وراء هذه الحدود، عندما استطاع العلم اكتشاف عالم الجراثيم والفايروسات مقدماً بذلك الدليل المادي على وجود هذا العالم غير المرئي الذي يضم عدداً هائلاً من الكائنات الحيّة التي تعيش في الهواء والتربة والماء.

وهكذا وضع يده بصورة مادية وتجريبية على أحد الأجناس غير المرئية التي تصيب الإنسان بالضرر أحياناً وبالفائدة أحياناً أخرى، وصدق بكشفه هذا اعتقاداً ظل يرافق الإنسانية حول وجود كائنات غير مرئية آمن بوجودها بناءً على نوعين من الأدلة هما:

١ ـ الاخبارات الواردة في الديانات.

٢ ـ الآثار التي كان يلمسها الانسان ويتعامل معها بصورة يومية وهي غالباً أمراض أوأضرار.

غير أنّ هذا الإنسان الذي لم يتمكن وخلال تأريخه الطويل من اعتماد أساليب وطرق تنفذ إلى هذا الغير مرئي، وظلّ يكوّن تصورات غير دقيقة

ومشوشة عن هذا العالم، ففي أحيان كان يعمد إنكاره برمته وأحياناً كان يؤمن به ويتوسع في إيمانه.

وهكذا ظل هذا الإيمان متأرجحاً ومرتبطاً بالكثير من عوامل الحركة الاجتماعية والإيديولوجية، ذلك أن الإنسان بالإضافة إلى عدم تمكنه من الرؤية في بناء رؤية موضوعية متزنة، بل إنّه غالباً لا يسمح له بهذه الرؤية إلاّ بالمقدار الذي تسمح به الصراعات الفكرية والاعتقادية على مرور التأريخ. وهكذا فإن التصور حول العالم غير المرئي يتأثر تبعاً لها سلباً أو إيجاباً.

وإذا أردنا أن نضرب مثلاً، فإن العصر الحاضر سيكون هو المثل الأقرب، إذ أن الإيمان بالعلم أدى إلى الشطب على الكثير من المسلّمات التي كانت سائدة في العصور السابقة، وما كان لأحد أن يجرؤ على الحديث عن عالم غير مرئي قبل اكتشاف الميكروسكوب غير أن هذه الثغرة لم تؤدي إلى عودة الحديث عن كائنات أخرى غير مرئية، كالجن أو الملائكة. إذ أن هذه الكائنات ظلت تنتمي إلى عالم ما وراء الطبيعة وهو عالم قد تم الشطب عليه وإلى غير رجعة.

وهنا من الجدير الإشارة إلى أن أجيال الإنسانية وفي ظل ظروف خاصة تتعامل مع العالم والطبيعة من خلال عقد الصراعات. ففي ظروف معينة يتم تجاهل الأسباب والعلل ويصار إلى نسبة المآسي والأضرار التي تصيب الإنسان إلى كائنات غير مرئية، وفي عالم الإنهزام هذا يهرب الإنسان إلى عالم ينسجه بنفسه من شيء قليل من الحقيقة، وكثير من الأوهام. وفي ظروف أخرى يعمد البشر إلى إنكار كل شيء.

لكن التعامل الموضوعي ووضع الأشياء في مواضعها يحتاج إلى دقة عالية لم يتعرف عليها الإنسان إلاّ في ظروف خاصة.

ويمكن التدليل على هذه الحقيقة من قراءة التقلبات في فكر الإنسان، حول الاعتقاد بوجود الكائنات غير المرئية. فالقرآن الكريم نقل لنا صوراً حول الانحراف في الاعتقاد، فبعضٍ جعل الجن أبناء الله، ويمكن للمتأمل في الديانات الوثنية أن يرى تصورات مضطربة لا يمكن تفسيرها إلاّ بأنها في صورها الفعلية عبارة عن أديان سماوية تعرضت للتحريف وللإضافة، ثم تفرعت إلى مذاهب متفرقة تضاعفت فيها عمليات التحريف ومع كل تحريف تتغير التصورات عن عالم الجن. فهذه الديانات «الافريقية التقليدية ليست أبداً ديانات «بدائية» ذلك لأنها تجر ورائها آلاف السنين من التطور شأنها في ذلك شأن غيرها، وقد احتفظت بفعل واقع العزلة التأريخية بملامح قديمة تقربها من ديانات ما قبل المسيحية، ولكنها تطوّرت هي الأخرى عبر القرون، وهي بعيدة عن أن تكون نسيجاً من السخافات، لأنّها ثمرة تفكير استمر آلاف السنين، ونتاج تجارب أناس واجهوا قوى الطبيعة وجهاً لوجه»[1].

فهي «تظهر تشابهاً حقيقياً مع الديانات القديمة في حوض المتوسط والشرق الأدنى، وقد قدمت في أغلب الأحيان ملاحظات عن أن المجتمع الأفريقي قريب جداً من البيئة الإجتماعية التي وصفتها التوراة، ففيها نجد مثلاً وحدانية تحتية مرتكزة على مفهوم تحالف بين الناس والإله، وزمراً اجتماعية يمتزج فيها المتدين مع العلماني امتزاجاً وثيقاً»[2].

ومن هنا فإن هذه التطورات التي مرّت بها هذه الديانات التي تعطي للجان موقعاً خاصاً تعبر عن مجمل الظروف الفكرية والاجتماعيّة التي قادت إلى تفاعل المعتقدات وتغيرها، لذا يمكن أن نجد تأثيرات ونقل عن ديانات أخرى ربما وثنية وتوحيدية.

(١) ديانات الأرواح الوثنية في أفريقيا السوداء:٢٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٥

ففي هذه الديانات القديمة نلاحظ وجود ركائز صحيحة تشبه ما هو مجمع عليه في الديانات السماوية المعروفة، ولكن تعاني هذه الركائز من اختلاط قاد إلى تحولها إلى صور أخرى مغايرة مثل كل الديانات الوثنية التي أصبحت كذلك بعد احداث اضافات فيها. ففي هذه الديانات تتداخل فكرة الإله الواحد مع النبوة، إذ يصار إلى تأليه الأنبياء والمصلحين وعبادتهم على أنّهم أبناء الله، كما تختلط عندهم الملائكة مع الجن وأرواح الأجداد ومثال ذلك مايلي:

«نرى أنّه يوجد إله أكبر خالق يمكن أن يكون: كونياً، ثابتاً، بعيداً، بعيد المنال، انسحب إلى عليائه بعد أن خلق العالم متعالياً، لا شخصياً، متداخلاً في حياة الناس، متقبلاً للدعاء.

ومن تحته نجد غالباً بطلاً ممدّناً مرشداً يعيد النظام إلى العالم ويمكن أن يكون:

١ـ ابناً للإله الأكبر السماوي وللآلهة الأرض، موزعاً للحياة و الضياء والحرارة.

٢ـ و أحياناً واحداً من خلائق الله، الرجل الأول الذي خلق بدوره الناس الذين أصبح لهم أباً»[1].

وبالنسبة للجان:

ـ جن كبار أسياد للحياة والأرض (كما هو الحال عند الشعوب الغولتاوية مثلاً).

ـ جن أرضيون يسكنون بعض الأشجار أو بعض الصخور، أسياد للأدغال (كما هو الحال عند الباليونيفريتيك، على سبيل المثال).

---

(١) ديانات الأرواح الوثنية في أفريقيا السوداء: ١٠٨.

ـ جن مشخصون ومتخصصون يمارسون حياة موازية لحياتنا ويعبرون عنه أفكارهم بواسطة أفواه راقصين محسوسين (كما هو الحال عند السونغهاي والحوصة على سبيل المثال)[١].

فهنا نلاحظ الاختلاط بوضوح لكن بالنسبة للجن الكبار والجن الصغار يعود في جزء منه لاستخدام لفظة موحدة لهما معاً، كما أن المترجم ترجمها أيضاً باستخدام لفظ جني أي بمعنى غائب عن النظر، كما يشير إلى ذلك هو في معرض استعراضه لهذه الديانات وأسلوب طريقته في ترجمة المصطلحات.

«وأما ديانات خليج غينية فتؤثر في الشعوب ذات الحضارة النيغرو ـ أفريقية النقية العالية، وتتوضح في المنطقة الغابية ما بين ليبريا والكاميرون، وقد عرفت تطوراً روحانياً وطقسياً كبيراً في بينان وبلاد اليوربا وداهومي ولدى أكان غانا، فمن نموذج خاص جداً تكشّفت بكل سهولة عن مؤثرات (شرق أوسطية) قديمة، منها على سبيل المثال: الأسبوع ذو الأيام السبعة التي يحكم كلاً منها أحد الكواكب.

وأخيراً فإن الديانات ذات النموذج النيجري إنّما نشأت بشكل أساسي على عدة طبقات متتالية تميزها عبادة الجن مع رقصات مس جنوني، فبعد عبادة زي خلفتها عبادة الهولي، واليوم عبادة الهاوكا التي تكاد تنتشر في كل مكان»[٢].

«وطالما أن علم الأجناس لم يسجل كل المعاني وكل المفاهيم وكل الرموز التي تغطيها كلمة «لوال» مثلاً [LUWAL] أو [LUWAA] من لغة الكونكومبا، فإنّه لن يفهم ماذا يعني لوال بالنسبة لهذا الشعب؟ وقد ترجمناها

---

(١) ديانات الأرواح الوثنية في أفريقيا السوداء: ١٠٩.

(٢) المصدر نفسه: ٩.

نحن (بكلمة جني) ولكنها تعني في الواقع كائنات فوق الطبيعة في معناها العام، كائنات غير مرئية لكنها حية، فاعلة ومريدة»[١].

ويقابل هذا الموقف، موقف آخر وهو موقف الإنكار، وهو أيضاً موجود منذ أمد ليس بالقصير ولعلّه اتّسع مع القفزات العلمية التي كشفت عن أسباب وعلل الأمراض التي كانت تنسب إلى الأرواح أو الجن والأسباب الغيبية. ويمكن لنا أن نورد مثالاً على هذا الأسلوب من التفكير الذي لا يؤمن بوجود شيء خارج الأسباب المادية وخصوصاً بالنسبة للجن والذي يرى أنها معتقدات خاصة بالبشر المقهورين، فيقول عن الجن والعفاريت والشيطان: «كلّها كائنات خفية لعبت دوراً بارزاً في السيطرة على خيال الجماهير المقهورة، وتعليلها للأحداث التي تفلت من سيطرتها والتي يستعصي عليها تفسيرها، كما أنّها قد استخدمت، وما زالت بكثرة لتبرير ما يود الإنسان التستر عليه من فضيحة أو عيب أو تقصير بزعم الوقوع تحت تأثير الجن، مما يساعده على الحفاظ على سمعته»[٢].

وإلى هذا الحد فالأمر لا خلاف عليه لأن الإنسان قد يلجأ إلى التبرير من خلال الاستفادة من عقيدة الجن أو عقائد أخرى، لكن الذهاب بعيداً إلى إنكار أصل الاعتقاد فهو ناتج أيضاً عن عقدة أخرى تقابل العقدة التي تسبب هذا النوع من التبرير.

ولهذا فإن الإسلام تقدم للإنسانية بموقف صحيح قد حدد النقطة التي يحاول الناس من خلالها التبرير، أي أن ما يقوم به الإنسان من أعمال هي من أغواء الشيطان وبالتالي فهو لا حساب عليه، فالإسلام ضرب هذا الأساس لأنه بيّن أن الإنسان مختار وأنّه محاسب لأنّه اختار القبول بالغواية، ثم بيّن

---

(١) ديانات الأرواح الوثنية في أفريقيا السوداء: ٢٣.

(٢) سيكولوجية الإنسان المقهور: ١٥٢.

أن الجن لهم علاقة بالإنسان، وبيّن أنّها علاقة ذات آفاق متعددة، كما سيأتي في متون الكتاب. وأهم شيء أن الشيطان لا يملك سلطة على الإنسان قبل أن يقرر الإنسان بحرية أن يتبع الشيطان، وهذا لا علاقة له بالعقائد المنتشرة في الثقافات التي تقوم على المبالغة أو على اساس الاستعارة من الثقافات الوثنية القديمة.

فيقول المنكر: «هذه الكائنات الخفية تسقط عليها صور إنسانية، وتقوم مجموعة من الخرافات حول علاقتها ببني الإنسان، فهي تسكن الأرض السفلى نهاراً لتخرج منها ليلاً، فتعيث فساداً وغواية، وقد تصاحب بعض الناس أو تقوم بينها وبينه علاقات عاطفية»[١].

وخلاصة الفكرة أن الإنسان المقهور يلجأ إلى القول بأن: «السيطرة الخرافية على الواقع، والتحكم السحري بالمصير، هما آخر ما يتوسلهما عندما يعجز عن التصدي والمجابهة»[٢].

وهكذا فإن الموقف الصحيح يقوم على إنكار التبرير ونفي الإستسلام، أو القول بوجود قوى تسيطر على المصير، وهو موقف الإسلام لكنها لا يتطرف فيذهب إلى انكار نفس الجن. وهذا الموقف سنمر عليه تفصيلياً في الصفحات اللاحقة.

المهم أن الإنسان حينما كان لا يستطيع رؤية الكائنات الغيبية، وكان يرى آثارها وهي آثار تتعدى الأضرار الجسمية أحياناً فقد تكون نفسية، فإنّه لجأ إلى بناء تصورات عن هذه الكائنات طبقاً للآثار التي كان يشاهدها، أو طبقاً للعلاجات المتبعة لإزالة آثارها فكانت هذه الصور استنتاجية.

---

(١) سيكولوجية الإنسان المقهور: ١٥٢.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٥.

ومن هنا فإن الإنسانية وقبل ظهور الإسلام لم تستطع أن تكون تصورات دقيقة، لكنها بعد ظهور الإسلام وضعت أقدامها على الطريق الصحيح من خلال خطوات هي:

١ ـ تقديم تصور دقيق عن هذه الكائنات ودورها في حياتها الخاصة وعلاقتها بالإنسان وبيّن أنها لا تستطيع أن تتصرف بأي شيء من حياته ما لم يسمح لها هو بذلك، وأن أثرها الكبير ليس في احداث المرض أو المس أو الجنون بل أن أثرها في إصابة الإنسان بأمراض أكثر خطورة، وهو تخريب العلاقات الفردية والجماعية وبالتالي سيادة العلاقات المرضية التي بدورها تقود إلى الإمعان في هذا الانحراف والدمار.

٢ ـ بيّن الإسلام ضعف هذه الكائنات وعجزها بدون تدخل الإنسان لمساعدتها في ضرره.

٣ ـ لفت الإسلام الأنظار إلى الأسباب المادية والعلل، فبعض الأمراض تعالج من خلال الأدوية أو تناول الأطعمة، وقبل ذلك أسس نظام الوقاية قبل العلاج وهو عمل بهذا النظام في الجانب الأخلاقي والنفسي فضلاً عن الجانب الجسمي والفيزلوجي، ويمكن أن نرى كل ذلك في أحاديث الأئمة عليهم السلام والقرآن، فالقرآن خاطب أيوب عليه السلام بضرورة الاغتسال بماء خاص للشفاء من مرضه؛ وهذا يعني أنّه هداه إلى دواء موجود في الطبيعة كأن يكون من المياه المعدنية؛ وأشار القرآن إلى دور الغذاء من خلال الإشارة إلى العسل ودوره في شفاء الأمراض.

ومع كل ذلك فإن الفترة الإسلامية لم تخلو من وجود منكرين رغم اجماع الأمة على الإيمان بوجود الجن، وعن ذلك جاء في بحار الأنوار مايلي:

قال الرازي في مفتتح تفسيره في تحقيق الإستعاذة من الشّيطان وفي بيان المستعاذ منه قال: وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اختلف الناس في وجود الجنّ والشّياطين، فمن الناس من ينكر الجنّ والشياطين، واعلم أنّه لا بدّ من البحث أوّلاً عن ماهيّة الجنّ والشياطين، فنقول: أطبق الكلّ على أنّه ليس الجنّ والشّياطين عبارة عن أشخاص جسمانيّة كثيفة تجيئ وتذهب مثل النّاس والبهائم، بل القول المحصّل فيه قولان:

الأوّل: أنّها أجسام هوائية قادرة على التشكّل بأشكال مختلفة ولها عقول وأفهام وقدرة على أعمال صعبة شاقّة.

والقول الثاني: أن كثيراً من الناس أثبتوا أنّها موجودات غير متحيّزة ولا حالّة في المتحيّز، وزعموا أنّها موجودات مجرّدة عن الجسميّة، ثمّ إنّ هذه الموجودات قد تكون عالية مقدّسة عن تدبير الأجسام بالكليّة، وهي الملائكة المقرّبون كما قال تعالى: ﴿ *ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون* ﴾[(١)] وتليها مرتبة الأرواح المتعلّقة بتدبير الأجسام، وأشرفها حملة العرش كما قال تعالى: ﴿ *ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية* ﴾[(٢)].

والمرتبة الثانية: الحافّون حول العرش كما قال تعالى: ﴿ *وترى الملائكة حافّين من حول العرش...* ﴾[(٣)].

والمرتبة الثالثة: ملائكة الكرسيّ.

والمرتبة الرابعة: ملائكة السّماوات طبقة فطبقة.

والمرتبة الخامسة: ملائكة كرة الأثير.

---

(١) سورة الأنبياء: ١٩.

(٢) سورة الحاقة: ١٧.

(٣) سورة الزمر: ٣٩.

والمرتبة السادسة: ملائكة كرة الهواء الذي هو في طبع النسيم.

والمرتبة السابعة: ملائكة كرة الزمهرير.

والمرتبة الثامنة: مرتبة الأرواح المتعلّقة بالبحار.

والمرتبة التاسعة: مرتبة الأرواح المتعلّقة بالجبال.

والمرتبة العاشرة: مرتبة الأرواح السفليّة المتصرّفة في هذه الأجسام النباتيّة والحيوانيّة الموجودة في هذا العالم.

واعلم أنّه على كلا القولين فهذه الأرواح قد تكون مشرقة إلهيّة خيّرة سعيدة وهي المسمّاة بالصالحين من الجنّ، وقد تكون كدرة سفليّة شريرة شقيّة وهي المسماة بالشّياطين.

واحتجّ المنكرون لوجود الجنّ والشياطين بوجوه:

الحجّة الأولى: أنّ الشيطان لو كان موجوداً لكان إمّا أن يكون جسماً لطيفاً أو كثيفاً، والقسمان باطلان فيبطل القول بوجوده، وإنّما قلنا: إنّه يمتنع أن يكون كثيفاً لأنّه لو كان كذلك لوجب أن يراه كلّ من كان سليم الحسّ، إذ لو جاز أن يكون بحضرتنا أجسام كثيفة ونحن لا نراها لجاز أن تكون بحضرتنا جبال عالية وشموس مضيئة ورعود وبروق، مع أنّا لا نشاهد شيئاً منها، ومن جوّز ذلك كان خارجاً عن العقل.

وإنّما قلنا: إنّه لا يجوز كونها أجساماً لطيفة لأنّه لو كان كذلك لوجب أن يتمزّق ويتفرق عند هبوب الرياح العاصفة القويّة، وأيضاً يلزم أن لا يكون لها قدرة وقوّة على الأعمال الشاقّة ومثبتوا الجن ينسبون إليها الأعمال الشاقة، ولمّا بطل القسمان ثبت فساد القول بالجنّ.

والحجّة الثانية: أنّ هذه الأشخاص المسمّاة بالجنّ إذا كانوا حاضرين في هذا العالم ومخالطين للبشر فالظاهر الغالب أن يحصل لهم بسبب طول

المخالطة والمصاحبة إمّا صداقة وإمّا عداوة، فإن حصلت الصّداقة وجب ظهور المنافع بسبب تلك الصّداقة وإن حصلت العداوة وجب ظهور المضارّ بسبب تلك العداوة، إلاّ أنّا لا نرى أثراً لامن تلك الصداقة ولا من تلك العداوة، وهؤلاء الذين يمارسون صنعة التعزيم إذا تابوا من الأكاذيب يعترفون بأنّهم قطّ ما شاهدوا أثراً من هذا الجنّ، وذلك ممّا يغلب على الظنّ عدم هذه الأشياء، وسمعت ممّن تاب عن هذه الصنعة، قال: إنّي واظبت على العزيمة الفلانية كذا من الأيّام وما تركت دقيقة من الدقائق إلاّ أتيت بها، ثمّ إنّي ما شاهدت من تلك الأحوال المذكورة أثراً ولا خبراً.

الحجّة الثالثة: أنّ الطريق إلى معرفة هذه الأشياء إمّا الحس وإمّا الخبر وإمّا الدليل، أمّا الحسّ فلم يدل دليل على وجود هذه الأشياء، فإذا كنا لا نرى صورة ولا سمعنا صوتاً فكيف يمكننا أن ندّعي الإحساس بها، والذين يقولون: إنّا أبصرناها أو سمعنا أصواتها فهم طائفتان: المجانين الذين يتخيّلون أشياء بسبب خلل أمزجتهم فيظنّون أنّهم رأوها، والكاذبون المنحرفون.

وأمّا إثبات هذه الأشياء بواسطة إخبار الأنبياء والرّسل عليهم السلام فباطل لأنّ هذه الأشياء لو ثبتت لبطلت نبوّة الأنبياء، فإنّ على تقدير ثبوتها يجوز أن يقال: إنّ كل ما تأتي به الأنبياء من المعجزات إنّما حصل بإعانة الجنّ والشياطين، وكلّ فرع أدّى إلى إبطال الأصل كان باطلاً مثاله إذا جوّزنا نفوذ الجن في بواطن الإنسان فلم لا يجوز أن يقال: إنّ حنين الجذع إنّما كان لأجل أن الشيطان نفذ في ذلك الجذع ثم أظهر الحنين؟ ولم لا يجوز أن يقال: إن الناقة إنّما تكلّمت مع الرسول صلى الله عليه وآله لأجل أنّ الشيطان دخل في بطنها وتكلم؟ ولم لا يجوز أن يقال: إنّ الشجرة إنّما انقلعت من أصلها لأنّ الشيطان اقتلعها، فثبت أنّ القول بإثبات الجنّ والشّياطين يوجب القول ببطلان نبوّة

الأنبياء عليهم السلام، وأمّا إثبات هذه الأشياء بواسطة الدليل والنظر فهو متعذّر لأنّا لا نعرف دليلاً عقلياً يدل على وجود الجنّ والشياطين فثبت أنّه لا سبيل لنا إلى العلم بوجود هذه الأشياء، فوجب أن يكون القول بوجود هذه الأشياء باطلاً، فهذا جملة شبهة منكري الجنّ والشياطين.

والجواب عن الأوّل بأنا نقول: إنّ الشبهة التي ذكرتم تدلّ على أنّه يمتنع كون الجنّ جسماً فلم لايجوز أن يقال: إنّه جوهر مجرّد عن الجسميّة؟.

واعلم أنّ القائلين بهذا القول فرق: الأولى: الذين قالوا: النفوس النّاطقة البشريّة المفارقة للأبدان قد تكون خيّرة، وقد تكون شريرة، فإن كانت خيّرة فهي الملائكة الأرضيّة، وإن كانت شريرة فهي الشّياطين الأرضيّة، ثمّ إذا حدث بدن شديد المشابهة ببدن تلك النفس المفارقة وتعلّق بذلك البدن نفس شديدة المشابهة لتلك النفس المفارقة فحينئذ يحدث لتلك النفس المفارقة ضرب تعلّق بهذا البدن الحادث وتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلّقة بهذا البدن على الأعمال اللائقة بها فإن كانت النفسان من النفوس الطّاهرة المشرقة الخيّرة كانت تلك المعاونة والمعاضدة إلهاماً، وإن كانتا من النفوس الخبيثة الشريرة كانت تلك المعاونة والمناصرة وسوسة فهذا هو الكلام في الإلهام والوسوسة على قول هؤلاء.

الفريق الثاني: الذين قالوا: الجنّ والشياطين جواهر مجرّدة عن الجسميّة وعلائقها، وجنسها مخالف لجنس النفوس الناطقة البشريّة، ثمّ إنّ ذلك الجنس يندرج فيه أنواع أيضاً، فإن كانت طاهرة نورانيّة فهي الملائكة الأرضيّة وهم المسمون بصالحي الجنّ، وإن كانت خبيثة شريرة فهي الشياطين المؤذية، إذا عرفت هذا فنقول: الجنسية علّة الضم، فالنفوس البشريّة الطّاهرة النورانيّة تنضمّ إليها تلك الأرواح النورانيّة الطّاهرة، وتعينها على أعمالها التي هي من أبواب الخير والبرّ والتقوى والنفوس البشرية الخبيثة الكدرة تنضم إليها تلك

الأرواح الخبيثة الشريرة وتعينها على أعمالها التي هي من باب الشرّ والإثم والعدوان.

الفريق الثالث: وهم الذين ينكرون وجود الأرواح السفليّة، ولكنّهم أثبتوا الأرواح المجرّدة الفلكية، وزعموا أنّ تلك الأرواح أرواح عالية قاهرة قويّة وهي مختلفة بجواهرها وماهيّاتها، فكما أن لكلّ روح من الأرواح البشريّة بدناً معيناً فكذلك لكلّ روح من الأرواح الفلكية بدن معين، وهو ذلك الفلك المعيّن، وكما أنّ الروح البشريّ يتعلّق أولا بالقلب ثم بواسطته يتعدى أثر ذلك الروح إلى كلّ البدن فكذلك الروح الفلكي يتعلّق أولاً بالكواكب ثمّ بواسطة ذلك التعلق يتعدى أثر ذلك الروح إلى كليّة ذلك الفلك وإلى كليّة ذلك العالم، وكما أنّه يتولد في القلب والدماغ أرواح لطيفة وتلك الأرواح تتأدى في الشرايين والأعصاب إلى أجزاء البدن وتصل بهذا الطريق قوّة الحياة والحسّ والحركة إلى كلّ جزء من أجزاء الأعضاء فكذلك ينبعث من جرم الكواكب خطوطاً شعاعيّة تتّصل بجوانب العالم وتتأدّى قوة ذلك الكواكب بواسطة تلك الخطوط الشعاعيّة إلى أجزاء هذا العالم، وكما أنّ بواسطة الأرواح الفائضة من القلب والدماغ إلى أجزاء البدن يحصل في كلّ جزء من أجزاء ذلك البدن قوى مختلفة وهي المغذية والنامية والمولّدة والحسّاسة فتكون هذه القوى كالنتائج والأولاد لجوهر النفس المدبّرة لكليّة البدن، فكذلك بواسطة الخطوط الشعاعية المنبثّة من الكواكب المواصلة إلى أجزاء هذا العالم تحدث في تلك الأجزاء نفوس مخصوصة، مثل نفس زيد ونفس عمرو، وهذه النفوس كالأولاد لتلك النفوس الفلكيّة ولّما كانت النفوس الفلكيّة مختلفة في جواهرها وماهيّاتها فكذلك النفوس المتولّدة من نفس فلك زحل مثلاً طائفة، والنفوس المتولّدة من نفس فلك المشتري طائفة أخرى، فتكون النفوس المنتسبة إلى روح زحل متجانسة متشاركة، ويحصل

بينها مودّة ومحبة، وتكون النفوس المتسبة إلى روح زحل مخالفة بالطبع والماهيّة للنفوس المتسبة إلى روح المشتري، وإذا عرفت هذا فنقول: قالوا: إنّ العلّة تكون أقوى من المعلول، فلكل طائفة من النفوس البشريّة طبيعة خاصّة وهي تكون معلولة لروح من تلك الأرواح الفلكيّة، وتلك الطبيعة تكون في الروح الفلكيّ أقوى وأعلى بكثير منها في هذه الأرواح البشريّة، وتلك الروح الفلكيّة بالنسبة إلى تلك الطائفة من الأرواح البشريّة كالأب المشفق والسلطان الرحيم، فلهذا السبب تلك الأرواح الفلكيّة تعين أولادها على صلاحها، وتهديها تارة في النوم على سبيل الرؤيا والأخرى في اليقظة على سبيل الإلهام.

ثمّ إذا اتّفق لبعض هذه النفوس البشريّة قوّة قويّة من جنس تلك الخاصيّة وقوى اتّصاله بالروح الفلكيّ الذي هو أصله ومعدنه ظهرت عليه أفعال عجيبة وأعمال خارقة للعادات، فهذا تفصيل مذاهب من يثبت الجنّ والشياطين، ويزعم أنّها موجودات ليست أجساماً.

واعلم أنّ قوماً من الفلاسفة طعنوا في هذا المذهب وزعموا أنّ المجرّد يمتنع عليه ادراك الجزئيات، والمجرّدات يمتنع كونها فاعلة للأفعال الجزئيّة.

واعلم أنّ هذا باطل لوجهين:

الأوّل: أنّه يمكننا أن نحكم على هذا الشخص المعيّن بأنّه إنسان وليس بفرس، والقاضي على الشيئين لا بدّ وأن يحضره المقضي عليهما، فهاهنا شيء واحد هو مدرك للكليّ وهو النفس، فيلزم أن يكون المدرك للجزئي هو النفس.

الثاني: هب أنّ النفس المجرّدة لا تقوى على إدراك الجزئيّات ابتداء، لكن لا نزاع أنّه يمكنها أن تدرك الجزئيات بواسطة الآلات الجسمانيّة، فلم لا يجوز أن يقال: إنّ تلك الجواهر المجرّدة المسماة بالجنّ والشياطين لها آلات جسمانيّة

من كرة الأثير أو من كرة الزمهرير ثمّ إنّها بواسطة تلك الآلات الجسمانيّة تقوى على إدراك الجزئيات وعلى التصرف في هذه الأبدان، فهذا تمام الكلام في شرح هذا المذهب.

وأمّا الذين زعموا أنّ الجنّ أجسام هوائية أو نارية فقالوا: الأجسام متساوية في الحجميّة والمقدار، وهذان المعنيان أعراض فالأجسام متساوية في قبول هذه الأعراض والأشياء المختلفة في الماهيّة لا يمتنع اشتراكها في بعض اللوازم، فلِمَ لا يجوز أن يقال: إنّ الأجسام مختلفة بحسب ذواتها المخصوصة وماهياتها المعينة، وإن كانت مشتركة في قبول الحجميّة والمقدار. وإذا ثبت هذا فنقول: لم لا يجوز أن يقال: أحد أنواع الأجسام أجسام لطيفة نفّاذة حيّة لذواتها عاقلة لذواتها قادرة على الأعمال الشاقّة لذواتها، وهي غير قابلة للتفرّق والتمزّق؟ وإذا كان الأمر كذلك فتلك الأجسام تكون قادرة على تشكيل أنفسها بأشكال مختلفة، ثمّ إنّ الرياح العاصفة لا تمزقها والأجسام الكثيفة لا تفرّقها، أليس أن الفلاسفة قالوا: إنّ النار التي تنفصل عن الصواعق تنفذ في اللحظة اللطيفة في بواطن الأحجار والحديد وتخرج من الجانب الآخر؟ فلم لا يعقل مثله في هذه الصّورة؟ وعلى هذا التقدير فإنّ الجنّ تكون قادرة على النفوذ في بواطن النّاس، وعلى التصرّف فيها، وإنّها تبقى حيّة فعالة مصونة عن الفساد إلى الأجل المعيّن والوقت المعلوم، فكلّ هذه الأحوال احتمالات ظاهرة، والدليل لم يقم على إبطالها، فلم يجز المصير إلى القول بإبطالها.

والجواب عن الشبهة الثانية أنّه لا يجب حصول تلك الصّداقة والعداوة مع كلّ واحد، وكلّ واحد لا يعرف إلاّ حال نفسه، أمّا حال غيره فإنّه لا يعلمها، فبقي هذا الأمر في حيزّ الاحتمال.

فأمّا الجواب عن الشبهة الثالثة فهو أنّا نقول: لا نسلّم أنّ القول بوجود الجنّ والملائكة يوجب الطعن في نبوّة الأنبياء ﷺ وسيظهر الجواب عن الشبهة التي ذكرتموها فيما بعد ذلك، فهذا آخر الكلام في الجواب عن هذه الشبهات[١].

المسألة الثانية: اعلم أنّ القرآن والأخبار يدلاّن على وجود الجنّ والشياطين أما القرآن فآيات: الآية الأولى قوله تعالى: ﴿ ***وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلمّا حضروه قالوا انصتوا فلمّا قضي ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم*** ﴾[٢]. وهذا نصّ على وجودهم وعلى أنّهم سمعوا القرآن وعلى أنّهم أنذروا قومهم.

والآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ ***واتّبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان*** ﴾[٣].

والآية الثالثة: قوله تعالى في قصّة سليمان: ﴿ ***يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات*** ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ ***والشياطين كلّ بناء وغوّاص * وآخرين مقرّنين في الأصفاد*** ﴾[٥].

وقال تعالى: ﴿ ***ولسليمان الريح*** ﴾ ***إلى قوله تعالى:*** ﴿ ***ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربّه*** ﴾[٦].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/٣٢٠-٣٢٥.

(٢) سورة الإحقاف: ٢٩ و٣٠.

(٣) سورة البقرة: ١٠٢.

(٤) سورة سبأ: ١٣.

(٥) سورة ص: ٣٧ و٣٨.

(٦) سورة سبأ: ١٢.

والآية الرابعة: قوله تعالى: ﴿ *يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض* ﴾[١].

والآية الخامسة: قوله تعالى: ﴿ *إنّا زيّنّا السماء الدنيا بزينة الكواكب ۞ وحفظاً من كلّ شيطان مارد* ﴾[٢].

وأمّا الأخبار فكثيرة: الخبر الأوّل: روي مالك في الموطّأ عن صيفي بن أفلح عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنّه دخل على أبي سعيد الخدري قال: فوجدته يصلي، فجلست أنتظره حتّى يقضي صلاته، قال: فسمعت تحريكاً تحت سريره في بيته فإذا هي حيّة نفرت فهممت أن أقتلها، فأشار أبو سعيد: أن أجلس، فجلست أنتظره حتّى يقضي صلاته، فلمّا انصرف من صلاته أشار إلى بيت في الدار، فقال: ترى هذا البيت؟ قلت: نعم، قال: إنّه كان فيه فتى من الأنصار حديث عهد بعرس ـ وساق الحديث إلى أن قال: ـ فرأى امرأته واقفة بين البابين فهيأ الرُمح ليطعنها بسبب الغيرة، فقالت امرأته: ادخل بيتك لترى، فدخل بيته فإذا هو بحيّة على فراشها فركز فيها رمحه فاضطربت الحيّة في رأس الرمح وخرّ الفتى فما يدري أيّهما كان أسرع موتاً الفتى أم الحيّة، فسألنا رسول الله ﷺ فقال: إنّ بالمدينة جنياً قد أسلموا فمن بدا لكم منهم فأذنّوا ثلاثة أيّام فإن عاد فاقتلوه فإنّه شيطان.

والخبر الثاني: روى مالك في الموطأ، عن يحيى بن سعيد، قال: لمّا أسري بالنبي ﷺ رأى عفريتاً من الجنّ يطلبه بشعلة من النار كلّما التفت رآه فقال جبرئيل عليه السلام: ألاّ أعلمك كلمات إذا قلتهن طفيت شعلته وصرفته؟ قل: أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التّامات التي لايجاوزهن برّ ولا فاجر من شرّ

---

(١) سورة الرحمن: ٣٣.

(٢) سور الصافات: ٦و٧.

ما ينزل من السّماء، ومن شرّ ما يعرج فيها، ومن شرّ ما ينزل إلى الأرض ومن شرّ ما يخرج منها ومن شرّ فتن الليل والنّهار ومن شرّ طوارق الليل والنّهار إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن.

والخبر الثالث: روي أيضاً مالك في الموطّأ أن كعب الأحبار كان يقول: أعوذ بوجه الله العظيم الذي ليس شيء أعظم منه وبكلماته التّامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر وبأسمائه كلها ما قد علمت منها وما لم أعلم، من شرّ ما خلق وذرأ وبرأ.

والخبر الرابع: روى أيضاً مالك أنّ خالد بن الوليد قال: يا رسول الله إنّي أروّع في منامي فقال له رسول الله ﷺ: قل: أعوذ بكلمات الله التّامات من غضبه وعقابه وشرّ عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون.

والخبر الخامس: ما اشتهر وبلغ مبلغ التواتر من خروج النبيّ ﷺ ليلة الجنّ وقراءته عليهم ودعوته إيّاهم إلى الإسلام.

والخبر السّادس: روى القاضي أبو بكر في الهداية أنّ عيسى عليه السلام دعا ربّه أن يريه موضع الشّيطان من بني آدم فأراه ذلك فإذا رأسه مثل رأس الحيّة واضع رأسه على قلبه، فإذا ذكر الله تعالى خنس، وإذا لم يذكره وضع رأسه على حبّة قلبه.

والخبر السّابع: قوله عليه السلام: إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم وقال: ما منكم من أحد إلاّ وله شيطان، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلاّ أن الله تعالى أعانني عليه فأسلم.

والأحاديث في ذلك كثيرة والقدر الذي ذكرناه كاف[1].

وروى مسلم عن ابن مسعود أنّ النبي ﷺ قال: ما منكم من أحد إلاّ وقد وكّل به قرينه من الجنّ، قالوا: وإيّاك يا رسول الله؟ قال: وإياي، إلاّ أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلاّ بخير[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/ ٣٢٠ - ٣٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠/ ٢٩٨.

وروي: فأسلم بفتح الميم وضمها وصحح الخطابي الرفع، ورجح القاضي عياض والنووي الفتح، وأجمعت الأمة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان، وإنما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، وأعلمنا أنه معنا لنتحرز منه بحسب الإمكان، والأحاديث في وجود الجن والشياطين لا تحصى، وكذلك أشعار العرب وأخبارها، فالنزاع في ذلك مكابرة فيما هو معلوم بالتواتر، ثم إنه أمر لا يحيله العقل ولا يكذبه الحس، ولذلك جرت التكاليف عليهم، ومما اشتهر أن سعد بن عبادة لما لم يبايعه الناس وبايعوا أبا بكر سار إلى الشام فنزل حوران وأقام بها إلى أن مات في سنة خمس عشرة، ولم يختلفوا في أنه وجد ميتاً في مغتسله بحوران وأنهم لم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلاً يقول:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ... فرميناه بسهمين ولم نخط فؤاده

فحفظوا ذلك اليوم فوجدوه اليوم الذي مات فيه ووقع في صحيح مسلم أنه شهد بدراً[1].

وروي عن حجاج بن علاط السلمي أنه قدم مكة في ركب فأجنهم الليل بواد مخوف موحش فقال له أهل الركب: قم فخذ لنفسك أماناً ولأصحابك، فجعل لا ينام بل يطوف بالركب ويقول:

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي ... من كل جني بهذا النقب
حتى أعود سالماً وركبي

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/ ٢٩٨.

فسمع قائلاً يقول: ﴿**يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السّماوات والأرض**﴾ (١)، فلمّا قدم مكّة أخبر كفّار قريش بما سمع، فقالوا: صبأت يا أبا كلاب، إنّ هذا يزعم أنّه أنزل على محمد، فقال: والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معي ثمّ أسلم وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة وابتني بها مسجداً يعرف به(٢).

وقال محمّد بن الحسن الإبرسيّ: قال الربيع: سمعت الشافعيّ يقول: من زعم من أهل العدالة أنّه يرى الجنّ أبطلنا شهادته لقوله تعالى: ﴿**إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم**﴾ (٣) إلاّ أن يكون الزاعم نبيّاً.

وعدّ ابن سعد والطبرانيّ والحافظ وأبو موسى وغيّرهم عمرو بن جابر الجني في الصحابة، فرووا بأسانيدهم عن صفوان بن المعطل السلميّ، أنّه قال: خرجنا حجّاجا فلمّا كنا بالعرج إذا نحن بحيّة تضطرب، فلم نلبث أن ماتت فأخرج لها رجل منّا خرقة فلفّها فيها ثم حفر لها في الأرض ثمّ قدمنا مكّة فأتينا المسجد الحرام فوقف علينا رجل فقال: أيّكم صاحب عمرو بن جابر؟ قلنا: ما نعرفه، قال: أيّكم صاحب الجان؟ قالوا: هذا، قال: جزاك الله خيراً أما إنه كان آخر التسعة الجن الذين سمعوا القرآن من النبيّ ﷺ موتاً، وكذا رواه الحاكم في المستدرك(٤).

غير أنّ المنكرين فإنّهم آحاد في الأمة وبالتالي ونتيجة للخطوات المذكورة فإن الإنسانية وجدت طريقها نحو فهم أكثر دقة للطبيعة بصورة عامّة ولعلاقتها بالكائنات الغيبية، ومن ثم جاءت الثورة العلمية لتفتح الآفاق واسعة أمام

---

(١) سورة الرحمن: ٣٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠/٢٩٩.

(٣) سورة الأعراف: ٢٧.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠/ ٣٠٠.

الإنسان وقدرته على التحكم بالطبيعة، لكنّها حملت معها موقفاً متطرفاً حول حقيقة الكائنات الغيبية، ساعد كثيراً في إزالة الخرافات والأوهام التي كانت سائدة في الثقافات القديمة التي كانت ترى أنها آلهة أو أبناء الله أو كائنات ذات قدرات هائلة تستطيع التحكم بمصير الإنسان ونزل بها إلى كائنات شبيهة بالإنسان وتشاركه في العيش مع الأرض.

وقد صار الموقف من هذه الكائنات يتغير تدريجياً مع تقدم العلم، وصار الإيمان بهذه الكائنات يعود ولكن ببطء شديد، وعادت بعض الأفكار القديمة للظهور ولكن من خلال البيئة العلمية المعاصرة.

إن فكرة استيلاء الجن على الإنسان وتأثيره عليه بالمرض والأذى شائعة من مبدأ الخليقة، فقد كان الناس عموماً ينسبون الأمراض، أياً كانت إلى الأرواح الشريرة، وكان لهم في ذلك طرائق عجيبة وأعمال غريبة لم تزل الآن منتشرة في كل البلاد المتوحشة، وقد كانت هذه الفكرة آخذة في التناقص شيئاً فشيئاً حتى كادت أن تنتهي إلى الصفر خصوصاً في العالم العلمي، ولكنها قد حييت الآن حياةً قوية، وصار يستطيع المنتصر لها أن يقيم على صدق قوله ألف دليل محسوس، وسبحان مغير الشؤون روت مجلة ميل أندا أكسبرس أن الأستاذين الشهيرين ريشار هودسن، وجيمس هيزلوب، اللذين درسا الاسبرتزم بواسطة مدام بيير مدة ١٢ سنة، قد نشرا نتيجة أبحاثهما في كتاب جاء فيه هذه العبارة: «إنّ عدداً من المجانين الذين يحبسون في البيمارستانات[1] ليسوا بمصابين بأمراض عقلية بل مملوكين لأرواح قد استولت عليهم واستخدمتهم».

هذا ما ينادي به أستاذان عظيمان بعد أن عدت هذه من دلائل التوحش والهمجية، وفي أوربا ألوف من العلماء لا يداخلهم الشك في هذه النظرية،

---

(١) البيمارستانات: المشافي أو المصحات.

فلننظر كيف حصل لهم البرهان عليها فنقول: إن حل مسألة استيلاء الجن على جسم الإنسان تتبع حل مسألتين وهما: هل في الطبيعة قوة عاقلة مجردة عن المادة؟ وهل لهذه القوة سلطان على المادة وعلى الجسم الإنساني؟ أما المسألة الأولى فمحلولة ومثبتة بأدلة حسية لا تدخل تحت حصر، فإن كل تجارب الروحيين تثبتها ـ وقد وقف الأستاذ الشهير وليم كروكس أمام مئتين من أعضاء الجمعية الملوكية الإنجليزية، حيث فوض إليه رئاستها في سنة ١٨٩٧ وفاه بخطبة مهمة جاء فيها هذه الجملة: «وليس في تاريخي العلمي ما هو أشهر من اشتغالي في المباحث النفسية، فإني نشرت منذ ثلاثين سنة وصف تجارب جربتها من مقتضاها أنّ وراء ما ندركه علمياً قوة يتولاها عقل غير عقل الإنسان العادي».

بقي علينا أن نسأل هل لهذه القوة تأثير على المادة وعلى الجسم الإنساني؟ أما تأثيرها على جسم الإنسان مما لا يصح التردد فيه، لأن حالة الوسطاء الذين يستعملهم علماء الروح في الاستحضار يثبت ذلك إثباتاً محسوساً، فإنا نرى الواسطة يدخل في دور تشنج هائل وربما لطم صدغه وخمش وجهه، ثم تتخشّب أعضاؤه ويصير في حالة مؤلمة، فتارة تستولي الروح على يده فيكتب ما لا يراه ولا يعلمه، وتارة تستولي على لسانه فيتكلم في شؤون لم تمر على مخيلته، لا شك ان كل هذا يكفي للدلالة على سلطة تلك القوة على جسم الإنسان في بعض الأحوال، ولدينا أدلة محسوسة على هذه القضية نستنتجها مما تحدثه الأرواح عند تجسمها ـ عذراً على هذا التعبير ـ من الآثار السيئة على جسم الواسطة»[1].

ولكلِ ما سبق تمضي الرؤية الإسلامية بخصوصيّة تجعلها أساساً وحيداً في بناء تصوّر موضوعي عن الكائنات الغيبية ولهذا فإنها رؤية فريدة وفرادتها لا تحتاج إلى بيان.

---

(١) الإسلام في عصر العلم: ٣٦٥ ـ ٣٦٦.

## فرادة الرؤية الإسلامية

من المعلوم أن المدارس الفكرية والمذاهب والأديان تتفاوت من جهة المواقف التي تقفها ازاء الوجود وبالتالي طبيعة الرؤية التي تحددها إزاء معالمه المختلفة وعلى هذا الأساس، فإن الإسلام يختلف في موقفه عن بقية الأديان والمذاهب بالنسبة للكائنات غير المرئية عموماً والجن خصوصاً حتى لو بدا متحداً مع البعض في الجوانب الكليّة من قبيل الإيمان بوجود الجن، لكننا نلاحظ أنّه لا يقر بالكثير من التصورات التي وردت في بعض الأديان السماويّة أو الأرضيّة وأديان الشرك.

فالإسلام بدءاً يطرح سبباً وجيهاً للحديث عن هذه الكائنات ذلك أن الله سبحانه وتعالى يقول عن علم البشر سواء الذي أوحى به الله لهم أو الذي هم قاموا باستنتاجه وتركيبه ﴿ ***وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً*** ﴾[١]. بينما يشير إلى المجهول وهو الكثير طبعاً من خلال بعض المعالم المذهلة فامتلاك بعض أنواع العلم يتيح نقل عرش بلقيس مسافات هائلة بدون وسائط وفي أقل من ثانية ﴿ ***قال الذي عنده علم من الكتاب*** ﴾[٢]. فهناك علوم جمّة تفسح المجال لهذا النوع من الانتقال أو كما قال الله: ﴿ ***يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان*** ﴾[٣]. وبذلك يشير إلى أماكن لا تزال حتى هذه اللحظة حلم من أحلام الإنسانية التي تتمنى الوصول إليها في يوم ما.

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) سورة النمل: ٤٠.

(٣) سورة الرحمن: ٣٣.

وهكذا نعلم أن المجهول الكثير لم يتحدث عنه القرآن، لكنه تحدث عن بعض معالم الغيب، كالملائكة، والجن والجنّة والنار، والحساب لأسباب هامة تتعلّق بحياة الإنسان، ولولا وجود هذه العلاقة لترك الإسلام والقرآن هذه القضايا مجهولة وغائبة عن ذهن الإنسان، وعلى ذلك فإنّه لم يتحدث إلاّ عن الأشياء الضرورية، والتي ترتبط بوجود الإنسان ارتباطاً مصيرياً، وبغير ذلك فإن القرآن لم يكن كتاب غرائب وعجائب أو اثارات بل إن كل ما ورد فيه موزون بميزان غاية في الدقة.

وإذا كان الحديث عن الجنّ يرتبط بمصير الإنسان وبالتالي فإن معرفة هذا الكائن الحاضر حضوراً فعّالاً في وجود الإنسان والغائب عن بصره غياباً يكاد ينسيه وجوده يشكّل نواة لتصوّر الإسلام للوجود والحياة، وهو تصور دقيق يقترب من بعض ما أراده القرآن حتى لو افترضنا أن بعض الروايات تأثرت بأسلوب رواتها من حيث عدم دقة النقل أو اكتسائه لثياب اللغة التي تغيرت منذ عصر الوحي وحتى عصرنا الحاضر ولم تعد أساليب التغيير كما هي.

إن أهم ما يلاحظ هو أن القرآن اتّخذ طريقين لطرح مفاهيمه.

الأول: هو طريق طرح بعض المعالم والإشارة إليها.

والثاني: هو نقد الإعتقادات والتصورات الباطلة كما في الآية التالية التي ورد في تفسيرها مايلي:

قوله تعالى: ﴿ ***وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عمّا يصفون*** ﴾[1].

تفسير: ﴿ ***وجعلوا لله شركاء الجنّ*** ﴾ قال الرازي في تفسيره: إنّ الذين أثبتوا الشريك لله فرق وطوائف:

---

(١) سورة الأنعام: ١٠٠.

فالأولى: عبدة الأصنام فهم يقولون: الأصنام شركاء لله في المعبوديَة ولكنَهم يعترفون بأنَ هذه الأصنام لا قدرة لها على الخلق والإيجاد والتكوين.

والثانية: الذين يقولون مدبَر هذا العالم هو الكواكب، وهؤلاء فريقان منهم من يقول: إنَها واجبة الوجود لذواتها، ومنهم من يقول: إنَها ممكنة الوجود محدثة وخالقها هو الله تعالى، إلاَ أنَه سبحانه فوَض تدبير هذا العالم الأسفل إليها وهم الذين ناظرهم الخليل.

والثالثة من المشركين الذين قالوا: لجملة هذا العالم بما فيه من السَماوات والأرض إلهان: أحدهما فاعل الخير، وثانيهما فاعل الشرَ، والمقصود من هذه الآية حكاية مذهب هؤلاء. فرويَ عن ابن عبَاس أنَه قال: قوله تعالى: ﴿ ***وجعلوا لله شركاء الجن*** ﴾ نزلت في الزنادقة الذين قالوا إنَ الله وإبليس أخوان، فالله تعالى خالق النَار والدواب والأنعام والخيرات، وإبليس خالق السباع والحيَات والعقارب والشرور.

واعلم أنَ هذا القول الذي ذكره ابن عبَاس أحسن الوجوه المذكورة في هذه الآية لأنَ بهذا الوجه يحصل لهذه الآية مزيد فائدة مغايرة لما سبق ذكره في الآيات المتقدَمة قال ابن عبَاس: والذي يقوَي هذا الوجه قوله تعالى: ﴿ ***وجعلوا بينه وبين الجنّة نسبا*** ﴾[1] وإنَما وصف بكونه من الجنَ لأنَ لفظ الجنَ مشتقَ من الإستتار، والملائكة والرَوحانيون لا يرون بالعيون، فصارت كأنَها مستترة من العيون فبهذا أطلق لفظ الجنَ عليها:

وأقول: هذا مذهب المجوس وإنَما قال ابن عبَاس: هذا قول الزنادقة، لأنَ المجوس يلقَبون بالزنادقة لأنَ الكتاب الذي زعم زردشت أنَه نزل عليه من عند الله مسمَى «بالزند» والمنسوب إليه يسمى بالزندي ثمَ عرَب فقيل: زنديق، ثمَ جمع فقيل: زنادقة.

---

(١) سورة الصافات: ١٥٨.

واعلم أنَّ المجوس قالوا: كلّ ما في هذا العالم من الخيرات فهو من يزدان وكلّ ما فيه من الشرور من أهرمن، وهو المسمّى بإبليس في شرعنا، ثمّ اختلفوا فالأكثرون منهم على أنّ أهرمن محدث، ولهم في كيفية حدوثه أقوال عجيبة، والأقلّون منهم قالوا: إنّه قديم أزليّ، وعلى القولين فقد اتّفقوا على أنّه شريك لله في تدبير العالم فخيرات هذا العالم من الله وشروره من إبليس.

فإن قيل: فعلى هذا التقدير القوم أثبتوا لله شريكاً واحداً وهو إبليس، فكيف حكى الله عنهم أنّهم أثبتوا لله شركاء؟ والجواب أنّهم يقولون عسكر الله هم الملائكة وعسكر إبليس هم الشياطين، والملائكة فيهم كثرة عظيمة، وهم أرواح طاهرة مقدّسة وهي تلهم الأرواح البشرية بالخيرات والطاعات، والشياطين أيضاً فيهم كثرة عظيمة وهي تلقي الوساوس الخبيثة إلى الأرواح البشرية، والله مع عسكره من الملائكة يحاربون إبليس مع عسكره من الشياطين، فلهذا السبب حكى الله عنهم أنّهم أثبتوا لله شركاء من الجنّ.

فإذا عرفت هذا فقوله: «وخلقهم» إشارة إلى الدليل القاطع الدالّ على فساد كون إبليس شريكاً لله في ملكه، وتقريره من وجهين:

الأوّل: أنّا نقلنا عن المجوس أنّ الأكثرين منهم معترفون بأنّ إبليس ليس بقديم بل هو محدث وكلّ محدث فله خالق وما ذاك إلاّ الله سبحانه، فيلزمهم القطع بأنّ خالق إبليس هو الله تعالى، ولمّا كان إبليس أصلاً لجميع الشرور والقبائح فيلزمهم أنّ إله العالم هو الخالق لما هو أصل الشرور والمفاسد، وإذا كان كذلك امتنع عليهم أن يقولوا: لابدّ من إلهين يكون أحدهما فاعل الخيرات، والثاني فاعلاً للشرور وبهذا الطريق ثبت أنّ إله الخير هو بعينه الخالق لهذا الذي هو الشرّ الأعظم.

والثاني: ما بيّنا في كتبنا أنّ ما سوى الواحد ممكن لذاته، وكلُّ ممكن لذاته فهو محدث، ينتج انّ ما سوى الواحد الأحد الحقّ فهو محدث، فيلزم القطع

بأنَّ إبليس وجميع جنوده موصوفون بالحدوث، وحصول الوجود بعد العدم، فيعود الالزام المذكور على ما قرّرنا.

وقيل: المراد بالآية أنّ الكفار كانوا يقولون: الملائكة بنات الله وأطلق الجنّ عليهم لكونهم مستترين عن الأعين، وقال الحسن وطائفة: إنّ المراد أنّ الجنّ دعوا الكفّار إلى عبادة الأصنام، وإلى القول بالشرك فقبلوا من الجنّ هذا القول، وأطاعوهم فصاروا من هذا الوجه قائلين بكون الجنّ شركاء لله، والحقّ هو القول الأول.

﴿وخرقوا له بنين﴾ قال الفرّاء: معنى خرقوا: افتعلوا وافتروا، فأمّا الذين أثبتوا البنين فهم النصارى، وقوم من اليهود، وأمّا الذين أثبتوا البنات فهم العرب، قالوا الملائكة بنات الله، وقوله: ﴿بغير علم﴾ كالتنبيه على ما هو الدليل القاطع على فساد هذا القول، لأنّ الولد يشعر بكونه متولّداً عن جزء من أجزاء الوالد، وذلك إنّما يعقل في حقّ من يكون مركباً ويمكن انفصال بعض أجزائه عنه، وذلك في حقّ الأحد الفرد محال.

فحاصل الكلام أنّ من علم أنّ الإله ما حقيقته، استحال أن يقول: له ولد، فقوله: «بغير علم» إشارة إلى هذه الدقيقة، و«سبحانه» تنزيه لله عن كلّ ما لا يليق به «وتعالى» أي هو متعالى عن كلّ اعتقاد باطل، وقول فاسد[1].

فهذه التصورات الشائعة في الثقافة الموروثة والتي غالباً ما تكون خليطاً بين الحقائق التي جاءت من الديّانات السماوية السابقة وما أضيف إليها من أساطير وأقوال وتوهّمات وتفاسير سيئة لبعض النصوص.

ومن هنا فإن التصوّر الإسلامي ليس مطلوباً منه أن يتطابق مع أي تصور آخر ذلك أنّه تصور له حدوده ومعالمه، وقد يلتقي أحياناً مع التصورات

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/ ٤٤ ـ ٤٨.

الأخرى أو يتقاطع ويتناقص، ولا يقدح ذلك في قوته أنه وحي الله الذي لا تشوبه شائبة شك، وبالتالي فإنّ ما أثبته الوحي لا جدال في صحته وضرورة قبوله وما لم يرد فإنه لابدَّ أن ينسجم مع الوحي ولا يتناقض معه فإنّه مع ذلك سوف يعبر عن فهم الناس الذين تعاملوا مع الوحي بما لديهم من علوم ومعارف تناسب مستوى تطورهم العلمي وبالتالي فإنّه مجرد فهم.

ولذلك لابدَّ من أن يميز القارئ بين الفهم والذي يستفاد من النص وبين النص ذاته، وقبل الدخول في تفاصيل التصوّر الإسلامي للجن وعلاقتهم بالإنسان، فإننا لا بدّ أن نحاول على المبادئ العامّة للحياة والوجود التي تحكم هذا الوجود والتي من خلالها نفهم الكثير مما ورد من التصوّر الإسلامي للجن باعتبارهم يحلّون ويتفاعلون من خلال تلك المبادئ العامة.

وهنا لابدّ من أن نعيد التذكر بأن ما نمارسه هنا هو مجرد محاولة فهم للنص وأن هذا الفهم لا علاقة له بمعنى النص الواقعي الذي رمى إليه المعصوم، لأنّه ربما بدى النص غير متطابق مع معقولاتنا وهذا لا يقدح به لأن معقولات الإنسان تتغير وإنها في تغيرها هذا تقترب من الصورة الواقعية فقد تدركها أو لا تدركها، وبالتالي فإن المستقبل قد يقرب لنا الكثير مما لا نراه قريباً في هذا الزمان وهو نفسه الذي حصل مع أسلافنا حيث تحيروا في الكثير من أبعاد الوجود التي حملتها النصوص، ثم جاء العلم ليكشف لنا عن الأسرار ويجعل منها سهلة الفهم والإدراك، ولهذا فإن فهم الإنسان للنص يبقى حالة مرتبطة بإدراك الإنسان للعالم وللنص ولا يؤثر على النص نفسه ويبقى متأثراً به.

وفي هذا البحث فإننا أيضاً نحاول اعتماد بحار الأنوار كمادة أساسية ثم الاستعانة بالمتاح من معطيات العلم الحديث في خلق تصورات لا تتقاطع أو

تتخالف لا مع العلم ولا مع النص، وهي مساحة موجودة تفيد أن أئمتنا ﷺ سبقوا العلم الحديث بل إنّهم هم الذين وضعوا أسسه ومهّدوا له لبيلغ ما بلغه في هذا العصر.

وفي النهاية هذه محاولة قد تكون ناجحة أو فاشلة وهذا الحكم هو الذي يصدره القراء عليها على أننا نرى أنها حتى لو فشلت فإنها قد تكون فاتحة لمحاولات أكثر دقة وأكثر كمالاً لعملية التواصل بين النص وبين العلم الحديث فتتحقق المقولة التي تفيد أن الوحي الحقيقي لا يتقاطع مع العلم اليقيني والله ولي التوفيق.

# الفصل الأول

## الجن في ضوء المبادئ العامة للحياة في التصور الإسلامي

- الجن ومبادئ الحياة في التصور الإسلامي
- إبليس كان خازن السماء الخامسة
- مراحل وأدلة خلق الجان
- الأدلة على وجود التطور
- التوازن في القوى

## الجن ومبادئ الحياة في التصور الإسلامي

يطرح الإسلام مفهوماً واسعاً للوجود تترابط فيه المخلوقات جوامد وأحياء وينشأ بعضها عن بعض، فقد ذكر القرآن أن الماء الذي هو مادة جامدة هو أصل الحياة ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾[1]. وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿ والله خلقكم من تراب ﴾[2] والتراب أيضاً من المواد الجامدة، كما أنه أشار إلى خلق الجان من نار وخلق الملائكة من نور.

وهكذا فإن الحياة تضم مجموعة مخلوقات بعضها مرئي ومشهود ومنها ما هو غائب عن الحس والشهود، وهي أيضاً اجناس يضم كل جنس أنواع تختلف في صفاتها وأشكالها ومعالم حياتها الأخرى. وذكر القرآن أن أبرز الأجناس الغائبة هي الملائكة والجان وأن هذه المخلوقات محكومة بمبادئ الحياة العامة التي أشار القرآن إليها بشكل مجمل أحياناً وتفصيلي في أحيان أخرى. ومن خلال مجموع هذه الإشارات يمكن التوصل إلى المبادئ العامة التي ستسمح لنا بتفهم طبيعة هذه المخلوقات وطبيعة ارتباطها بالإنسان والذي أملته قوانين الوجود التي فرضها الله على الكون والتي منها مايلي:

### ١ ـ وحدة عالم المخلوقات

أشار القرآن إلى وجود مبادئ عامة تحكم الوجود وتنطبق بكيفية واحدة على جميع المخلوقات بلا استثناء، وهناك قوانين أو مبادئ تعمل في طبقة خاصة دون طبقات الوجود الأخرى وعلى أساس هذه المبادئ تتمايز

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

(٢) سورة فاطر: ١١.

المخلوقات. وسمى القرآن الكريم هذه المبادئ بالسنن الإلهية وعلى غير ما هو معروف في التصورات غير الإسلامية فإن الإسلام لا يقسم العالم إلى «الطبيعة» و«فوق الطبيعة» بل يقسمها إلى عالم «الغيب» وعالم «الشهود» والفرق كبير بين الاثنين، لأنَ التصور الأول قائم على أساس وجود عالمين: العالم الأول محسوس ومعروف، وقابل للمشاهدة مباشرة، والآخر لا يمكن التوصل إليه بأي سبيل من سبل الحواس وبالتالي فإنّه عالم لا صلة له بعالم الإنسان وإنه لا وجود له خارج التصوّرات الذهنية، أمّا بالنسبة للتصوّر الإسلامي فإنّ الغيب عالم موجود ومرتبط بعالم الإنسان متواصل معه وأنّه لا يفصله عن عالم الشهود سوى ضعف حواس الإنسان ولهذا فإنه ليس غيب واحد فهناك غيب لبعد المسافة بينه وبين الإنسان.

فهناك غيب لوجود فواصل زمنية فهو إمّا ماضي أو مستقبل ولذلك فإنه غائب عن الإنسان وقد ذكر القرآن كلا طرفي الغيب في آيات وكذلك بعد المسافة وهناك ما هو معاصر وموجود ولكنه غائب.

وقد وصف الماضي بأنه غيب بقوله تعالى: ﴿ ***ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك*** ﴾[1] وقد وصف الجنّة التي هي حالة مستقبلية ﴿ ***جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب*** ﴾[2]. وهناك ما هو عام ذكره سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ ***ولله غيب السموات والأرض*** ﴾[3].

وعليه فإن الغيب درجات فبعضها قابل لأن يتنتقل من الغيب إلى حالة الشهود وبعضها ما هو غير ذلك مما أراد الله سبحانه الاستئثار به لنفسه

---

(١) سورة آل عمران: ٤٤.

(٢) سورة مريم: ٦١.

(٣) سورة النحل: ٧٧.

وبالنسبة للنوع الأول فإنّه سيتحول بمجرد توفر الظروف وا لشروط لذلك ومن ذلك وصول يوم القيامة.

وعلى ذلك فإن هناك عالم واحد تفصل بين أجزاءه فواصل متعددة منها كما قلنا بعد المسافة أو البعد الزمني وهناك أيضاً القوانين والشروط والكيفيات التي بعضها عام ينطبق على جميع الموجودات وبعضها خاص فمثلاً في عالم الحياة هناك خصوصية لقوانين التجاذب والتنافر، إذ أنها في عالم الجماد تأخذ شكل الشحنات المتجاذبة والمتنافرة وفي عالم الحياة إما غرائز متجاذبة أو متنافرة وفي الحياة العاقلة عواطف حب أو كره، وعلى هذا فإن القوانين واحدة ولكنها لها صيغ متفاوتة، وقد ورد ذكر ما يشير إلى هذه الوحدة في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام القاصعة التي نقل صاحب بحار الأنوار منها ما يلي:

قال أمير المؤمنين عليه السلام: الحمد لله الذي لبس العزّ والكبرياء واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمىً وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثمّ اختبر بذلك ملائكته المقرّبين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب ومحجوبات الغيوب: ﴿ *إنّي خالقٌ بشراً من طين * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلاّ إبليس*... ﴾[1] اعترضته الحميّة فافتخر على آدم بخلقه وتعصّب عليه لأصله، فعدو الله إمام المتعصّبين وسلف المستكبرين الذي وضع أساس العصبيّة ونازع الله رداء الجبريّة وادرع لباس التعزز وخلع قناع التذلل - إلى قوله -: فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد وكان قد عبد الله ستّة آلاف سنة لا يدري أمن سني الدنيا أم من سني الآخرة عن كبر ساعة واحدة، فمن بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟.

---

(١) سورة ص: ٧١ - ٧٤.

كلاّ ما كان الله سبحانه ليدخل الجنّة بشراً بأمر أخرج به ملكاً، إنّ حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرّمه على العالمين، فاحذروا عباد الله عدوّ الله أن يعديكم بدائه وأن يستفزكم بخيله ورجله، فلعمري لقد فوّق لكم سهم الوعيد وأغرق بكم بالنزع الشديد ورماكم من مكان قريب، ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1] قذفاً بغيب بعيد ورجماً بظن غير مصيب، فصدّقه به أبناء الحميّة واخوان العصبية وفرسان الكبر والجاهليّة ـ إلى قوله عليه السلام ـ: فاجعلوا عليه حدّكم وله جدّكم، فلعمر الله لقد فخر على أصلكم ووقع في حسبكم ودفع في نسبكم وأجلب بخيله عليكم وقصد برجله سبيلكم. إلى آخر الخطبة.

بيان: لا يدري، على صيغة المجهول، وفي بعض النسخ على المتكلم المعلوم، فعلى الأوّل لا يدلّ على عدم علمه عليه السلام وعلى الثاني أيضاً المراد به غيره وأدخل نفسه تغليباً، والإبهام لمصلحة كعدم تحاشي السامعين من طول المدّة أو غيره.

قوله عليه السلام: (أخرج به منها ملكاً)، ظاهره أن إبليس كان من الملائكة، ويمكن الجواب بأن إطلاق الملك عليه لكونه من الملائكة بالولاء. وقال بعض شراح النهج: يسلم على الله أي يرجع إليه سالماً من طرده ولعنه. تقول: سلم عليّ هذا الشيء إذا رجع إليك سالماً ولم يلحقه تلف، والباء للمصاحبة كما في قوله: بأمر، وأمّا الباء في «به» فيحتمل المصاحبة والسببيّة[2].

فالمبدأ الذي يلفت النظر هنا قول الإمام عليه السلام : «إن حكمه في أهل السماء وأهل الأرض لواحد، وما بين الله وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمى حرمه ربّ العالمين».

---

(١) سورة الحجر: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٤ ـ ٢١٥.

إن ما يسمى قانون في العلوم يسمى في الرؤية الإسلامية، وكلاهما يعبران عن اضطراد في بروز نتائج كلما تكررت الشروط وأن السنة هي عبارة حكم لله أملته ارادته على خلقه سواء كان حكماً على أحياء أو على جوامد وتفهم العمومية من خلال قوله في أهل السماء وأهل الأرض فالسماء والأرض محكومة بقوانين وسنن واحدة. أبرز الإمام ﷺ نموذجها بالنسبة لطبقة الأحياء وبين أن الله يعاقب متكبري البشر مثلما يعاقب متكبري الجن وأنه لا يبيح حرمة لأحد من خلقه سواء كان هذا الخلق من الجوامد والأحياء. وأن التجربة العملية تؤكد أن وحدة القوانين الطبيعية التي سنها الله وحتى لو اختلفت أشكال هذه القوانين بحسب طبقة الأحياء أو طبقة الجوامد، فهذه القوانين التي هي سنن [أحكام] واحدة. وعامة ومعها أيضاً وحدة الحدود والرخص بالنسبة لجميع الخلق.

ونلمح أيضاً في ثنايا الخطبة أيضاً قانون آخر عام هو قانون البلاء الذي ذكرته آيات كثيرة كذلك ومثاله البارز ابتلاء الله إبليس بخلق آدم والذي ترتب عليه اخراجه من عالم الملائكة وإنزاله إلى عالم الأرض كما أن الله ابتلى آدم بإبليس الذي يسعى إلى اغواءه.

وهكذا فإن البلاء عبارة عن عملية امتحان لإثبات الصلاحية تسمح بمرور الكائن نحو مرحلة قادمة، وبالتالي فهو عبارة عن إثبات أهلية الكائن لمزيد من استمرار الحياة، ويمكننا إذا نزلنا إلى الطبقات الأدنى من الأحياء فإننا نشاهد صيغة مقاربة لهذا القانون حيث يستطيع الكائن أن يستمر في البقاء إذا تمكن من التكيف وإنجاز التطورات الملائمة للظروف البيئية المحيطة بهذا الكائن، فالكائن الذي يتكيف يحصل على فرصة للخلود، والكائن الذي يعجز عن هذا الأمر فإنه يزول ويتلاشى فالبلاء عبارة عن صعوبات تقع في في طريق المخلوقات ويطلب منها تجاوزها وأنها في طبقة الكائنات العاقلة الحرة [الجن والإنس] تعبر عن مستوى الإدراك وقوة الإرادة وفي الكائنات

الأقل [القسرية] [الحيوانات، النباتات] تعبر عن سلامة الأجهزة وقدرتها على مواصلة الحياة ضمن التغيرات في البيئة والمناخ ونوعية الغذاء، والهدف طبعاً المجيء بكائنات أكثر قوة وهو الأمر الذي أثبته علم الوراثة حيث تتغلب الصفات الأقوى لدى الكائنات في أي عملية تكاثر عند الحيوان أو النبات.

ويمكن أيضاً لنا أن نطبق هذا المبدأ أيضاً على الجوامد، ولكن ضمن دائرة أضيق إذ أن عمليات التركيب الناجحة تؤهل المادة إلى التشكل في عناصر أكثر تطوراً وأن الفشل يؤدي إلى التفكك وهو يعادل العودة إلى طبقة أوطأ. وهكذا فإن عالم الجوامد ينطوي على صيغ اتحاد ناجحة وهي تعادل فرص للدخول في مركبات أكثر تقدماً وهو شكل من أشكال البقاء، بينما يوازي التفكك عملية الموت لدى الأحياء.

وعليه فإن البلاء: هو عبارة عن امتحان عام يتحدد على ضوءه مستوى الفرصة التي يستحقها الإنسان للدخول في مرحلة تالية أكثر اتساماً بالبقاء. وهو شكل من أشكال الدورة الحاكمة في الوجود بجميع طبقاته، فكل اتحاد وتفكك دورة كاملة يتم خلالها امتحان قدرة الكائن على الدخول في اتحاد آخر أم لا. ذلك أن كل كائن هو عبارة عن مركب من [زوج أو أكثر] من الكائنات يدخل في حالات من التركيب المتوالية كلما أثبت صلاحيته لهذا التوالي، وعندما لا يثبت ذلك فإنه يتفكك ويتم تمثيل أجزاءه في مركبات أخرى وهو ما يعادل الموت عند الأحياء.

فهنا مبدأ الزوجية والتركيب الذي يحكمه قانون البلاء والذي ينتج اثبات صلاحية الموجود لمواصلة الحركة باتجاه مزيد من التعقيد،وذلك أن اتجاه حركة الوجود من البسيط إلى المعقد من القسر إلى الحرية ومن الجهل إلى العقل[1].

وعلى هذا فإن الحركة مبدأ عام من الوجود.

---

(١) راجع حركة التأريخ ـ رؤية قرآنية: ٨٦ ـ ٨٧.

## ٢ ـ الحركة

وهناك أيضاً مبدأ عام في الوجود هو مبدأ الحركة، والحركة نقصد بها الحركة النوعية أي الزيادة في الخلق من ناحية الكم والكيف. فالقرآن أكد لنا بأن ظهور مخلوقات عملية متتابعة لا تتوقف. فقد صرح القرآن بأن الإنسان ظهر إلى الوجود بعد الجان وقبل ذلك خلق الله الملائكة وهناك مخلوقات أخرى أيضاً. فهذا العدد من المخلوقات يظهر بالتتابع وهو مبدأ الزيادة في الأحياء كما أن هذا المبدأ مؤيد من خلال تصريح القرآن بأن السماء في حال توسع وقد ذهب إلى هذا المبدأ العديد من الفلاسفة مؤكدين أن «جوهر الكون وأساسه حقيقتان، هما التغير والتحول»[١].

كما أن العلم الحديث أشار إلى تركب جميع هذا الوجود برمته في مجموعة من الذرات وهو نفس المبدأ الذي آمن به الذريين حيث قالوا: «أنه لو حلّلنا المادة إلى جزئياتها لوصلنا إلى وحدات لا تقبل التقسيم هي ما أطلقنا عليه اسم الذرات أو الجواهر الفردة وهي التي من مجموعها تتكون مادة الكون، وهي لا نهائية عدداً، وبلغت من الدقة حداً لا تدركها الحواس»[٢].

على أن العلم الحديث أثبت وجود هذه الوحدات البنائية واستطاع تقسيمها إلى أجزاء أصغر حتى بات أنها لا تزال تقبل الإنقسام إلى مزيد من الأجزاء، وبالتالي فإننا سنحتاج في النهاية إلى الوقوف عند نقطة غير قابلة للإنقسام تشبه ذرات الذريين ليبدأ منها العلم حركته ضمن تفاعلات متواصلة لتصل إلى كل هذه الكثرة والغناء.

---

(١) آراء الذريين حول الذرة والحركة: ١٠

(٢) المصدر نفسه: ١٦.

وهناك أيضاً اجماع حول حركة الوجود نحو الكمال وهو ظهور الأشكال الأعقد من الأشكال الأبسط، وقد أيّد هذا المبدأ الفلاسفة المسلمون ورغم أن البعض ذهبوا إلى أن الكمال بالنسبة للإنسان حالة تنحصر في الجانب الأخلاقي، وهذا صحيح إذا نظرنا إلى الطور الأخير وبعد وصول البنية العضوية إلى حالة من الثبات النسبي، ذلك أن عمليات التزاوج تهدف إلى انتاج الشكل الأكمل من خلال الإمكانات المتاحة لأي زوجين حيث تنحى الصفات الضعيفة وتبقى الصفات القوية.

غير أن هناك من قال بوجود حركة تطور عضوي في الموجودات، وأن كل عملية تركيب (تزاوج) تهدف إلى حالة الكمال وأنها متواصلة، وأن في حلقات معينة تولد كائنات جديدة وأكثر قدرة مع الظروف وهو نوع من السير إلى الكمال في البنية العضوية حيث تتوالد الكائنات الأكمل بمرور الزمن.

وقد شهدت الثقافة الإسلامية وجود تيارات تؤمن بهذا النوع من التوالد والتطور، وكانت جماعة «إخوان الصفا» هي الجماعة الأكثر شهرة في مثل هذا القول رغم وجود اختلافها الكبير عن الرؤية المعاصرة للتطور العضوي أو توالد الأنواع.

ولقد جاء العلم الحديث برؤية كلية تشمل حتى الجوامد التي تتوالد جميعها في أجزاء أبسط من المادة وتدخل في تراكيب لبناء ذرات. والعملية متوقّفة لأنها حدثت بعد ولادة الكون أو الانفجار الكبير.

ويقف التصور القرآني الذي يمكن تركيبه في عدد كبير من الآيات والنصوص ليمثل رؤية خاصة تختلف عن الرؤية القديمة أو المعاصرة من معالم أساسية منها:

أ ـ أن الله هو المشرف والمكون لكل العمليات فهو الموجه للقوى والذي يسوقها نحو هدف الإنسان، وقد ظهرت اتجاهات حديثة في أوساط العلم

تنحو هذا المنحى لأن تجاهل الهدفية وهي طبعاً تحتاج إلى دقة في الأوضاع والكميات بحيث تسمح بظهور الإنسان وبقاءه ويسمى هذا الاتجاه (بالتسخير) ولهذا فإن كان التطور ذاتياً أو من خلال نقلات فإن الله هو المشرف عليه والمحرك له.

ب ـ إن التطور في القرآن حل مشكلة الطفرات التي تعتبر أهم الثغرات على نظرية التطور المعروفة من خلال القول بالتدخل المباشر لإضافة أفراد من خارج السلسلة لتوجيه التطور وجهات مقصودة.

ج ـ إن التطور في القرآن والحديث يختلف عن التطور في المدارس الأخرى، لأنّه يشمل الكائنات غير المرئية وأن هناك ترابط بين حركة المواد الجامدة والأحياء، فالمادة في وضع النور أنتجت الملائكة، فالنور هو أساس الحياة وهو أيضاً أساس الجماد ثم تتطور المادة فتظهر النار، فيظهر معها الجن، ثم تظهر المادة الصلبة (التراب) فيظهر الإنسان. وهذا الظهور لا يعني ظهوراً بالصورة المعروفة بل بداية خلق الجنس المعين ثم يمر بتطورات وخلال أحقاب طويلة ليصل إلى الحالة التي يمكن أن نسميه بالإنسان أو الجان. غير أن الحديث عن الملائكة يختلف لأن النصوص ليس فيها ما يدل على بدايات خلق الملائكة.

وبين كل بداية ونهاية حلقات متواصلة من ظهور الأحياء واختفاءها وهي تمثل مقدمات لظهور الكائن الأكمل أو الهدف. وتبرز هذه القضية في الآيات والأحاديث بالنسبة للإنسان لكنها ليست بهذا الوضوح بالنسبة للجن، إلاّ أن القرآن الذي يتحدث عن التماثل الكبير ويتحدث عن بدايات مشتركة لظهور الإنسان والجان يجعل افتراض التماثل من حيث التطور أمر ممكناً.

هذا بالإضافة إلى وجود قوانين أخرى تسوق إلى هذا النوع من الفهم كقانون السير من البسيط إلى المعقد وظهور الأكمل بعد ظهور الأقل كمالاً،

يجعلنا واثقين من هذا الفهم. فمن المعروف أن القرآن لم يصرح أن الإنسان أكثر تعقيداً من الملائكة لكن الأحاديث وأقوال العلماء جعلت هذه القضية واضحة، فهناك في قضية السجود أشار إلى الأفضلية التي تؤول إلى نمط الكمال غير موجودة، كما أن الحديث في «البحار»[1] أشار إلى أن الملائكة والبهائم خاليان من دوافع المعصية وأنهما ذوا طبيعة واحدة وهي طبيعة الطاعة، وأن لدى الإنسان دوافع المعصية وهذا يفيد بساطة نفس الحيوان والملاك وعدم وجود دوافع المعصية لديه؛ لأنّه يتحرك إما وفقاً للعقل [الملاك] أو للغريزة [الحيوان] وكلاهما عوامل قهرية لا تواجهها أقطاب مضادة كما هو لدى الإنسان [غريزة ـ عقل] أو لدى الجان [عقل ـ غريزة] وفي كل هذا إشارة إلى الحركة من البساطة إلى التعقيد وهو صورة التطور التي نفترضها.

ويؤيد فكرة التطور أيضاً الحديث التالي:

جاء عن أبي جعفر، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أراد أن يخلق خلقاً بيده، وذلك بعدما مضى من الجنّ والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة ـ وساق الحديث ـ إلى أن قال تعالى: إنّي أريد أن أخلق خلقاً بيدي وأجعل من ذرّيته أنبياء ومرسلين وعباداً صالحين وأئمّة مهتدين، وأجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي، و أبيد النسناس من أرضي وأطهّرها منهم، وأنقل مردة الجنّ العصاة من بريتي وخلقي وخيرتي وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض فلا يجاورون نسل خلقي وأجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً فلا يرى نسل خلقي الجنّ ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم ـ وساق الحديث إلى قوله: ـ فخلق الله آدم فبقي أربعين سنة مصوّراً، فكان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت، فقال العالم عليه السلام: فقال إبليس: لئن أمرني الله بالسّجود لهذا لعصيته، ثم نفخ فيه، ثم قال للملائكة ﴿*اسجدوا لآدم*

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٨ ـ ١٠٩.

***فسجدوا إلاّ إبليس***﴾[1] فأخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد فأبى أن يسجد، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿***ما منعك الا تسجد إذ امرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين***﴾[2].

قالَ الصادق عليه السلام: أوّل من قاس إبليس واستكبر، والاستكبار هو أوّل معصية عصى الله بها.

قال: فقال إبليس: يا رب اعفني من السجود لآدم وأنا أعبدك عبادة لم يعبدكها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، قال الله تبارك وتعالى: لا حاجة لي إلى عبادتك إنّما أريد أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿***فأخرج منها فإنّك رجيم * وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين***﴾[3] قال إبليس: يا ربّ وكيف وأنت العدل الذي لا تجور ولا تظلم؟ فثواب عملي بطل؟ قال: لا ولكن سلني من أمر الدنيا ما شئت ثواباً لعملك فأعطيك، فأوّل ما سأل البقاء إلى يوم الدين، فقال الله: قد أعطيتك، قال: سلّطني على ولد آدم، قال: سلّطتك، قال: أجرني فيهم مجرى الدم في العروق، قال: قد أجريتك، قال: لا يولد لهم ولد إلاّ ولد لي اثنان، وأراهم ولا يروني، وأتصوّر لهم في كلّ صورة شئت، فقال: قد أعطيتك، قال: يارب زدني، قال: قد جعلت لك ولذريّتك في صدورهم أوطاناً، قال: ربّ حسبي، فقال إبليس عند ذلك: ﴿***فبعزّتك لأغوينهم أجمعين * إلاّ عبادك منهم المخلصين***﴾[4] ﴿***ثم لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين***﴾[5].[6]

---

(١) سورة البقرة: ٣٤.

(٢) سورة الأعراف: ١٢.

(٣) سورة ص: ٧٧ ـ ٧٨.

(٤) سورة ص: ٨٢ ـ ٨٣.

(٥) سورة الأعراف: ١٧.

(٦) بحار الأنوار: ٦٠/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥.

ففي هذا الحديث يلاحظ وجود عدد من المفاهيم التي تلتقي مع أفكار التطور، وهذا اللقاء يؤكد وجود رؤية خاصة بالإسلام تختلف عن الرؤية التي جاء بها علم البايلوجي، إذ ليس من الضروري أن تتطابق الرؤى الإسلامية مع سواها، وهذه المفاهيم هي:

أولاً: مفهوم وجود كائنات سابقة على وجود الإنسان وبالطبع هي أقل تطوراً، فالحديث يقول: إنّ الله أراد أن يخلق خلقاً يجعلهم خلفاء مع أن النسناس والجن موجودين وبما أن الله لا يخلق ما يخلق عبثاً فهناك إذن مقومات وأسس تمنع كون النسناس خليفة وبالتالي فإن الخلق التالي سيكون ممتلكاً لمقومات الخلافة. وهذا هو مفهوم التطور فالمخلوق السابق أقل أهمية من التالي والذي يليه أكثر أهلية وهذا لا يشير بالطبع إلى أن الأهلية هي من الناحية العضوية أو الأخلاقية أو بهما معاً وهما غالباً لا ينفصلان حيث يشير علماء الأحياء أن قدرة الإنسان على السيطرة على الطبيعة لا تنحصر بقدراته العقلية بل أن انتصاب قوامه كان له دور مكمل لتكريس تفوقه.

ثم أن الفترة التي ذكرها لبقاء الجن والنسناس قبل خلق الإنسان هي سبعة آلاف سنة ولا يعلم أهي من سنين الأرض أم من سنين السماء!! يحمل دلالة على وجود الفواصل الزمنية الكبيرة وهي فترة التعاقب ولا يهم بعد ذلك إن كان النسناس هو جزء من سلسلة البشر التطورية أم هو يمثل سلسلة خاصة سبقت خلق الإنسان.

وبالنسبة لخلق آدم فإنه ظل مصوراً لمدة أربعين سنة، وفي حديث سابق مرّ عليه ألف سنة قبل نفخ الروح، وهذا الحديث هو الذي يشير إلى سبب نتانة جوف آدم بسبب دخول إبليس وخروجه فهنا توجد إشارات إلى مراحل خلق آدم.

ولعل الآيات كانت أكثر افادة لهذا المفهوم من الأحاديث لأنّها وقد تطرقنا إلى إبعادها في كتاب الملائكة وسنمر عليها هنا في هذا الكتاب رغم أنّها بالنسبة للجان تبدو أكثر غموضاً، وذلك لقلة الآيات التي تحدثت عن المراحل الأولية لعملية الخلق ولكنها يمكن أن تستنتج من خلال المبادئ العامة في الكون، ومن خلال التشابه بين الجن والإنس الذي يفيد تشابه في النشأة ومراحل التطور فالمبادئ العامة لا تستثني موجوداً دون آخر وكذلك التشابه في مراحل التطور.

وفي الحديث السابق إشارة إلى أن النسناس مخلوق سبق الإنسان في تجربة الوجود، وهذا يفيد أنه تعرض إلى امتحان الأهلية الذي تعرض له الإنسان، فثبت من خلالها مستوى الأهلية ثم أيدت بناءاً على عدم ثبات الأهلية أو لأن الأجل المخصص لها انتهى بيوم معين، كما ينتهي أجل الإنسان بيوم القيامة، أو كما ينتهي أجل الشيطان عند ظهور الإمام الغائب ﷺ كما يدل على ذلك ما يلي:

« روي عن وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمّار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول إبليس: ﴿ *ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون ❁ قال فإنّك من المنظرين ❁ إلى يوم الوقت المعلوم* ﴾[1] قال له وهب: جعلت فداك أيّ يوم هو؟ قال: يا وهب أتحسب أنّه يوم يبعث الله فيه الناس؟ إن الله أنظره إلى يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد الكوفة، وجاء إبليس حتّى يجثو بين يديه على ركبتيه فيقول: يا ويله من هذا اليوم فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم»[2].

---

(١) سورة ص: ٧٩ ـ ٨١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٤.

«بحذف الإسناد مرفوعاً إلى وهب بن جميع عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن إبليس وقوله: ﴿ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون ❁ قال فإنّك من المنظرين ❁ إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أيّ يوم هو؟ قال: يا وهب أتحسب أنّه يوم يبعث الله الناس؟ لا ولكن الله عزّ وجل أنظره إلى يوم يبعث الله قائمنا فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه فذلك اليوم هو الوقت المعلوم»[1].

غير أنّ هذا لا يعني نهاية شياطين الجن والإنس بل ربما يمكن حمله على موت إبليس الأول أبو الجن الذي قد يكون معمراً حتى ظهور الغائب عليه السلام أو أنّه إبليس ذاك الزمان بمعنى كبير الشياطين إذ أن إبليس كما مرّ معناه البعيد عن الرحمة وهذا يمكن أن ينطبق على كثيرين بهذا المعنى.

أما موته فإنّه يتناقص مع كونه ليس واحداً كما جاء في الآيات وإنهم أمم، ثم أنّه يعني انتهاء البلاء قبل يوم القيامة، وهذا معناه خرق لأحد أهم قوانين الوجود ومبررات الاستمرار في الحياة، فالحياة لا تستمر بدون بلاء بل إن أصل النزول إلى الحياة هو البلاء.

ويترجم مبدأ التطور من خلال عنصرين هما:

أ ـ مبدأ التتابع في الخلق.

ب ـ ارتباط المخلوق بمادة الخلق.

### أ ـ مبدأ التتابع في الخلق:

يستفاد من مبدأ التتابع في بعض الآيات كما سيرد ويمثل الصورة العملية لمبدأ الحركة نحو الكمال، فإن المخلوقات تأخذ فرصة معينة لامتحان قدرتها على البقاء، ثم تفسح لسواها من المخلوقات الأكثر كمالاً لأخذ حيزها في هذا العالم الذي يفيد التصور الإسلامي أنّه لا يزال يزداد غناءً سواء كان عبر

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢١.

التوالد المباشر أو عبر النقلات النوعية المفاجئة أو الطفرات وفي هذا المجال ترد آية: ﴿ *والجان خلقناه من قبل من نار السموم* ﴾[1] التي تفسر لنا المادة التي خلق منها الجان وهي النار بالإضافة إلى مبدا التتابع وقد ورد في تفسير هذه الآية مايلي:

وهذا المبدأ يستفاد من استخدام القرآن للفظ: (من قبل....).

وقال في قوله تعالى: إنّه ﴿ *كان من الجن* ﴾[2]: للناس في هذه المسألة أقوال:

القول الأوّل: أنّه من الملائكة ولا ينافي ذلك كونه من الجنّ، ولهم فيه وجوه:

الأوّل: أن قبيلة من الملائكة يسمّون بذلك بدليل قوله تعالى: ﴿ *وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً* ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ *وجعلوا لله شركاء الجن* ﴾[4].

والثاني: أن الجن سميَ جناً للاستتار، فهم داخلون في الجنّة.

والثالث: أنّه كان خازن الجنّة فنسب إلى الجنّة، كقولهم: كوفي وبصريَ، وعن سعيد بن جبير: كان من الجانين الذين يعملون في الجنان جنّ من الملائكة يصوغون حلى أهل الجنة مذ خلقوا، رواه القاضي في تفسيره عن هشام، عن ابن جبير.

والقول الثاني: أنّه من الجن الذين هم الشياطين والذين خلقوا من النار وهو أبوهم.

والقول الثالث: قول من قال: كان من الملائكة فمسخ وغيّر.

---

(١) سورة الحجر: ٢٧.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) سورة الصافات: ٣٧.

(٤) سورة الأنعام: ١٠٠.

وقال البيضاوي: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ حال باضمار ﴿قَد﴾ أو استيناف للتعليل كأنّه قيل: ماله لم يسجد؟ فقيل: كان من الجنّ ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ فخرج عن أمره بترك السجود، والفاء للتسبب، وفيه دليل على أنّ الملك لا يعصي البتّة وإنّما عصى إبليس لأنه كان جنياً في أصله، ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ﴾ أعقيب ما وجد منه تتخذونه؟ والهمزة للانكار والتعجب ﴿وَذُرِّيَّتَهُ﴾ أولاده وأتباعه، وسمّاهم ذريته مجازاً ﴿أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ فتستبدلونهم بي فتطيعونهم بدل طاعتي ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾ من الله إبليس وذريته ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ﴾ الخ نفي إحضار إبليس وذريته ﴿خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ وإحضار بعضهم خلق بعض ليدلّ على نفي الاعتضاد بهم في ذلك كما صرّح به بقوله: ﴿وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُداً﴾[1] أي أعواناً رداً لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاء له في العبادة، فإنّ استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها.

وقيل: الضمير للمشركين، والمعنىما أشهدتهم خلق ذلك وما خصّصتهم بعلوم لا يعرفها غيرهم حتّى لو آمنوا تبعهم الناس كما يزعمون فلا يلتفت إلى قولهم طمعاً في نصرتهم للدين، فإنّه لا ينبغي لي أن أعتضد بالمضلين لديني.

وقال في قوله: ﴿وَمَا أَنْسَانِيهُ﴾ الخ أي وما أنساني ذكره إلاّ الشيطان فإنّ ﴿أَذْكُرَهُ﴾ بدل من الضمير وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوسواسه ولعلّه نسي ذلك لاستغراقه في الاستبصار وانجذاب شراشره إلى جناب القدس بما عرفه من مشاهدة الآيات الباهرة، وإنّما نسبه إلى الشيطان هضماً لنفسه، أو لأنّ عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها بأحدهما عن الآخر يعدّ من نقصان»[2].

---

(١) سورة الكهف: ٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٧٨ - ١٨٠.

فالجان كان موجوداً قبل خلق الإنسان وقبل ضمه إلى مجموع المخلوقات التي يشير القرآن إلى أنها كانت حصراً الملائكة كما مرّ في الآيات في سورة البقرة. والملائكة كان إبليس معهم و الذي بدوره يحتمل أن يكون غير موجود في الجزء الأول من الآية حينما قال الله تعالى للملائكة: ﴿ *إني خالقٌ بشراً من طين ❁ فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين*﴾[1] ولهذا فإن القرآن لم يتحدث إلاّ عن اعتراض استفساري للملائكة على ماذهب إليه أغلب العلماء اتساقاً مع عصمة الملائكة فإذا كان الشيطان موجوداً لأبرز القرآن وجوده بالرفض والعصيان ويحتمل أيضاً أنّه كان ضمن المجموع المعترض لكن اعتراضه كأنه من منطلق مقدم العصيان، لكنه لم يكن قد بلغ مرحلة الفعل، وكان نبه حصراً ولهذا فإن القرآن لم يتحدث عنه قبل حصوله وحين خلق الإنسان تحول هذا إلى معصية فعلية فاستحق الطرد.

وتبعاً لكل احتمال فإن زمن خلق إبليس سيختلف، فالزمن حسب الاحتمال الأول سيكون بعد اخبار الملائكة بخلق آدم، خلق الله إبليس.

حيث جاء في بعض الأحاديث منها الحديث من بحار الأنوار الذي جاء فيه: «إن الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس فيهم حاكماً في الأرض فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدماء فبعث الله الملائكة فقتلوهم وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء وكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله آدم»[2] وجاء أيضاً في الحديث أن الله تعالى قال: «إني أريد أن أخلق خلقاً بيدي وأجعل من ذريته أنبياء ومرسلين وعباداً صالحين وأئمة مهتدين، وأجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي، وأبيد النسناس من أرضي، وأطهّرها منهم وأنقل مردة الجن العصاة من بريتي وخلقي وخيرتي، وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض فلا

---

(١) سورة ص: ٧١ - ٧٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٣.

يجاورون نسل خلقي واجعل بين الجن وخلقي حجاباً فلا يرى نسل خلقي الجن ولا يجالسونهم ولا يخالطونهم»(١).

فإبليس هنا سبق خلق الإنسان وهناك جنس آخر أيضاً هم النسناس وكل هؤلاء لم يبلغوا مستوى القدرة على خلافة الأرض. وفي هذا الحديث دلالة اضافية على وجود أجناس بائدة هم النسناس، وبذلك يفتح باب أمام العقل لتصور كون عملية البقاء خاضعة لمعايير معينة، وبدونها فإن الإبادة ستكون نصيباً للبغاة غير المؤهلين للبقاء لكن حالة إبليس لم يحكم فيها بالزوال وحكم بحرمانه من الخلافة لعدم الأهلية وهذه القضية سنعود إلى بحثها.

والاحتمال الثاني: هو أن إبليس كان موجوداً حين الإخبار وهذا فيه عدة احتمالات تبعاً لما يكون عليه إبليس، فإن كان إبليس هو أول مخلوق من الجن وهو أبوهم، فإنّه سيكون قد عصى ثم ولدت له ذرية كان فيها الصالح والعاصي، وأنّه كان كآدم قبل النزول إلى الأرض وكونه من الجن سوف يدل على أنّه كان مع الملائكة وليس منهم.

أمّا إذا كان إبليس فرداً من جنس أرضي اختير ليكون مع الملائكة بناءاً على صفات خاصة، وأن الله ابتلاه فيما بعد فخرج بعصيانه وأنزل إلى الأرض، فهنا سيكون الجان الصالحون لا علاقة لهم بهذا العاصي.

والمهم في هذا البحث أن ظهور المخلوقات سيكون متتابعاً، وكلما ظهر جنس ارتبط بعلاقة مع الأجناس الأخرى الموجودة بحسب قواعد خاصة. وهذا سيقودنا إلى عدة من الفرضيات:

١ ـ الخلق التطوري.

٢ ـ الخلق المباشر.

٣ ـ الجمع بين الفرضيتين.

---

(١) المصدر نفسه: ٦٠ / ٢٧٣.

ووفق جميع هذه الفروض فإن عملية الخلق لا تزال مستمرة وأن الله يبرئ أجناس جديدة تختلف تتبارى في طاعة الخالق وأن فشل أي مخلوق يؤدي إلى فنائه وزواله. وهذا بدوره رهين بعدم قدرته على التوآم مع ضغط الغرائز المقوم الرئيسي لبقاء النوع الفيزيولوجي، وبالتالي اصطدامها مع حقيقة الوجود الأصلية أو عنصر البقاء الكامل ألا وهي الطاعة، فالبقاء يتأسس على طاعة الموجودات لله سبحانه وتعالى ذلك أن عدم الطاعة يؤدي إلى الفناء كما أشرنا إلى ذلك في كتاب «حركة التأريخ رؤية قرآنية» فالحدود التي يفرضها الله هي عبارة عن المجالات التي يمكن للحي الاستمرار ضمنها وحين يغادرها فإن فرص فناءه ستتضاعف ويرتب على فناءه فناء النوع أو الأنواع الأخرى.

ومن هذا المنطلق فإن الطاعة هي مقوم البقاء والتكامل، فإن المخلوق يرتقي في درجات البقاء أي أنه يتكامل وعلى هذا الأساس فإن القرآن يطرح مفهوماً معقداً للبقاء يعتمد على الطاعة، ذلك أن عبور كل عنصر كيميائي أو كائن حي لدورة معينة ستضعه في قائمة المواد التي ستستمر وتتحول إلى مادة أكثر تعقيداً وأكثر تطوراً، فلو تصورنا أن الكائن ذا الخلية الواحدة فشل في البقاء فإنّ الكائن ثنائي الخلية سوف لن يظهر ونفس الشيء بالنسبة للأجرام المادية.

فإذا كنا سنفترض أن التطور يعتمد أصلاً على توفير مقوماته فإننا لا بدّ أن نفترض أيضاً بأن عملية دفع باتجاه توفير هذه المقومات موجودة، وأن هناك تفاوت في الاستجابة، وأن الأكثر قدرة على الاستجابة هو الذي سيشكل نواة الحلقة القادمة من التطور، وهكذا يكون هذا المبدأ عام ويشمل جميع أجزاء الوجود المعروفة، فإذا تأملنا الوجود في الأطوار السابقة وفي مرحلة ما قبل

الحياة، فإن ظهور مخلوق كالإنسان سيكون شيء بعيد عن التصور وغاية في البعد ولكن بعد ظهور الحياة فإن الحلقة الأولى لتطور الأحياء تكون قد بدأت.

وفي النهاية فإن طاعة الإنسان ستشكل مقدمة لتطورات في أشكال الحياة يمكن أن تصل إلى مديات عالية في التطور وتكون نسبتها كنسبة الخلية الحية الواحدة إلى الإنسان.

وعلى هذا فإن هناك قانون البقاء وهو يضم ثلاث حالات: أ ـ حالة الطاعة. ب ـ حالة العصيان الجزئي. جـ ـ حالة العصيان الكلي.

فالطاعة وهي كون الموجود قابل للتطور والبقاء للمشاركة في الحلقات القادمة، والعاصي عصياناً كلياً لا يستحق البقاء ويحكم عليه بالفناء، والزوال وبالتالي عدم المشاركة في حلقات التكامل اللاحقة، والثالث العصيان الجزئي يسمح له بالبقاء ولكنه سيشكل عنصراً من عناصر التطور بمقدار الإستجابة والطاعة.

وعلى هذا فإن الإنسان والشيطان يشتركان في كونهما كجنس فيهما مقدار من الطاعة ومقدار من المعصية. وكأفراد فيهم المطيع وفيهم العاصي جزئياً لذلك فإن حكم الفناء المطلق لم يصدر عليهم ولذلك فإن استمرارية حياتهم تعبر عن قدرة على انتاج الأفراد والجماعات المطيعة، وفي النهاية أي يوم الحساب سيتم فرز الأفراد المهيئين للبقاء والأفراد غير المهيئين.

وهكذا نصل إلى مفهوم عميق للبلاء الذي يشكل جوهر قانون البقاء والفناء، فالوجود هو البلاء ذاته، والطاعة هي مقوم البقاء، والعصيان مقوم الفناء. وعلى أساس وحدة القوانين التي أشار إليها الإمام علي عليه السلام في الخطبة القاصعة فإن الإنسان والشيطان يتماثلان.

## إبليس كان خازن السماء الخامسة

بإسناده عن الحسنعليه السلام فيما سأل كعب الأحبار أمير المؤمنينعليه السلام قال: لَمّا أراد الله تعالى خلق آدم بعث جبرئيل فأخذ من أديم الأرض قبضة فعجنه بالماء العذب والمالح وركّب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الروح، فخلقه من أديم الأرض فطرحه كالجبل العظيم، وكان إبليس يومئذ خازناً على السماء الخامسة يدخل في منخر آدم ثمّ يخرج من دبره، ثم يضرب بيده على بطنه فيقول: لأي أمر خلقت؟ لئن جعلت فوقي لا أطعتك، ولئن جعلت أسفل منّي لأعينك فمكث في الجنّة ألف سنة ما بين خلقه إلى أن نفخ فيه الروح الحديث.

وفي هذا الحديث تأكيد لانفصال مرحلة الخلق عن مرحلة نفخ الروح وأن الفاصلة هي ألف سنة فإذا كانت من سنين السماء كانت ١٠٠٠×٣٦٠×١٠٠٠= بناءاً على أن اليوم هو ألف سنة أو ١٠٠٠×٣٦٠×٥٠٠٠٠= بناءاً على أن اليوم هو ٥٠ ألف سنة.

وهو أيضاً يدل على أن إبليس كان خازناً على السماء الخامسة وفيه دلالة على الأسبقية والمكانة التي له بين الملائكة.

## ب ـ ارتباط المخلوق بمادة الخلق

وهي العنصر الثاني في التطور

### مادة الخلق

لقد قدم العلم الحديث صورة مختلفة عن الصورة القديمة لبناء المادة من خلال كشفه عن الوحدات البنائية للوجود، فقد كانت الذرات وهي أصغر وحدة بنائية غير قابلة للانقسام وكانت عناصر بناء المادة أربعة هي [الماء،

والنار، والتراب، والريح] التي تتحدد فيما بينها لتولد المواد والطبائع الكثيرة التي تتفاوت بحسب نسبة تركيبها من هذه العناصر الأربعة.

أما اليوم فقد أثبت العلم أن الذرة هي وحدة بناء المادة إلاّ أنها ليست تلك الذرة الغير قابلة للانقسام ذلك أنّها تنقسم إلى أجزاء أصغر، وأن الذرات تختلف بحسب التركيب في هذه الأجزاء ولذلك فإن كل ذرة هي تابعة لعنصر معين، وهكذا فإن عدد العناصر أكثر من (١٠٠) عنصر وهذه العناصر تتحد فيما بينها لتكوين المركبات ثم تتفاعل هذه المركبات الكيمياوئية لتنتج جميع المواد المعروفة في الطبيعة.

وكما أسلفنا أن الإسلام أرجع الأحياء إلى المواد الجامدة وأكد أن بناء الكائن الحي ناتج عن اتحاد المواد الجامدة، فقال أن الملائكة من نور وأن الجان خلقوا من نار وأن الحيوانات ناطقة وغير ناطقة من ماء أو تراب، غير أنّه لا يقف عند هذا الحد لأنّه يشير إلى عنصر آخر هو الروح وهي طبعاً شيء مجهول، لأنّ القرآن استخدم هذه اللفظة بمعاني متعددة فهي تعني مخلوقات سماوية مرة أو تعني جبرائيل، وتعني شيء غامض ومجهول ﴿ ***قل الروح من أمر ربّي وما اوتيتم من العلم إلاّ قليلاً*** ﴾[١] وربّما تعني ذلك الجزء من الكائن الذي به يستطيع أداء الفعاليات الحيوية غير أنّ هذا المعنى فيه نظر لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ ***فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين*** ﴾[٢] وهذا يدل على أن التسوية هي مرحلة من مراحل الوجود وهي لا يمكن أن تكون موجوداً كالأصنام، ولذلك يمكن أن تفهم على أنها منح الإنسان ما به الامتياز عن الكائنات الأدون كالحيوان وسواه.

وإذا لم نذهب هذا المذهب فإن عنصر الحياة راجع إلى الروح وليس إلى الجسد وعليه فإن الحي يصبح حياً بإضافة عنصر الروح إلى النور او النار أو

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) سورة ص: ٧٢.

الطين والماء، فيتيح للكائن الحي أداء الفعاليا البايلوجية أو هو شيء آخر مسوؤل عن مستوى خاص من الإدراك أو هو الذي به يمتلك الإنسان الإرادة وحرية الاختيار.

إن ما يفهم من النصوص أن الأحياء مركبة من عنصرين هما العنصر الذي يتركب منه البنية المادية أو الجسم أو البدن وشيء آخر بالطبع. لقد خصصت النصوص الإنسان بشيء من التفصيل، ولكنها كانت غاية في الاجمال بالنسبة للجان والملائكة، فلم يرد أيَ نص قرآني حول مادة خلق الملائكة. وعرفنا ذلك من الأحاديث ونلاحظ أيضاً نفس الاجمال بالنسبة للجان مع فارق هو اشارة القرآن إلى أن مادة خلق الجان هي النار ولكن لم يتبين هل أن الجان أضيفت إليه الروح مثل الإنسان أم لا؟ وإنه كل خلقه من النار أم لا؟ وبالتالي فإنه يمتلك هذه الروح أصلاً.

غير أن هناك أدلة تقودنا إلى افتراض وجود روح للجان كما هي بالنسبة للإنسان وهي تنحصر في أدلة التماثل بين الجان والإنس إذ أن كلاهما عاقلان مريدان ومكلفان بنفس الطريقة.

ولهذا فإننا سنفترض أن الطين والنار هما مادتان لبناء الجسد ولكي نفهم أن الإسلام لم يجاري الفكر السائد في ذلك العصر، فإنّه قال بأن الملائكة من نور مع العلم أن النور ليس مادة من العناصر الأربع التي مرّ ذكرها. وهذا دليل على أن القرآن لم يتبنى نظرية العناصر الأربع حتى لو لم يعارضها أو ينفيها بصراحة. ثم أنّه لم يقل بتركيب الجان من مادة أو أكثر بل طرح مادة واحدة وهي النار بينما يذهب العلم في ذلك الزمان إلى دخول النار والماء والريح والتراب في تركيب الإنسان، لكن القرآن أفاد أن الإنسان مركب من مادتين هما الماء والتراب [الطين] وأحياناً أشار إلى الماء وحده أو إلى التراب

وهذا أيضاً يغاير ما ذهبت إليه نظريات الخلق التي تقول بأن المواد الأربعة تشترك في تركيب الإنسان.

وعلى هذا الأساس نفهم خصوصية الرؤية الإسلامية حتى لو كانت تستفيد في بعض المفردات المألوفة إلاّ أن التأمل العميق يفيد اختلاف الرؤية الإسلامية بصورة أساسية عن طريقة التفكير السائدة في ذلك العصر. كما أن هناك ملاحظات دقيقة أخرى تؤكد هذا الأمر فمثلاً نرى أن القرآن يقول: ﴿ ***هو الذي خلقكم من تراب ثمّ من نطفة ثمّ من علقة..*** ﴾[١].

فهنا استخدام «ثم» يشير إلى وجود فاصلة وهذا يمكن أن يفهم على أنّه طور من أطوار التخلق وهناك أيضاً شيء مشابه في الآية: ﴿ ***..الذي أحسن كلّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين...*** ﴾[٢].

فهذه الآية اشارة إلى أن بداية خلق الإنسان من طين أي أن الطين مرحلة من مراحل الخلق وهو الذي يسمح بجمع هذه الفرضية بالفرضية العلمية كما سيأتي.

فالرؤية الإسلامية أكدت أن النور لوحده عنصر من عناصر الخلق، وأن النار عنصر آخر، وأن امتزاج الماء بالتراب كان مادة من مواد الخلق هذه من جهة العناصر. أما بالنسبة للأحياء المبنية فإن الرؤية الإسلامية أشارت إلى وجود عدد من الأجناس الكبيرة وهي أجناس الأحياء التي تتفاوت تفاوتاً شديداً، فبعضها غير مرئي، فهناك الملائكة وهي كائنات عاقلة لكنها قسرية وغير حرة، وهناك كائنات غير عاقلة وقسرية وتتحرك بالغرائز وهي الحيوان والنبات، وهناك كائنات عاقلة حرة كالإنسان ولديه غريزة وهو مرئي، وهناك

---

(١) سورة غافر: ٦٧.

(٢) سورة السجدة: ٧.

كائنات عاقلة حرة كالجان ولديها غريزة لكنها غير مرئية بالنسبة للإنسان. وقد وردت آيات حول مادة خلق الجان وجاء في تفسيرها مايلي:

قوله تعالى: ﴿ *والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم* ﴾[1].

«والجان» قال البيضاوي: أي الجن.

وقيل: إبليس ويجوز أن يراد به كون الجنس بأسره مخلوقاً منها، وانتصابه بفعل يفسره «خلقناه من قبل» أي من قبل خلق الإنسان «من نار السموم» أي من نار الحرّ الشديد النافذ في المسامّ، ولا يمتنع خلق الحياة في الأجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجرّدة، فضلاً عن ا لأجساد المؤلّفة التي الغالب فيها الجزء الناري، فإنّها أقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الأرضي، وقوله: «من نار» باعتبار الجزء الغالب كقوله: «خلقكم من تراب».

وقال الرازي: اختلفوا في أنّ جان من هو؟ قال عطاء: عن ابن عبّاس: يريد إبليس، وهو قول الحسن ومقاتل وقتادة.

وقال ابن عبّاس في رواية أخرى: الجان هو أبو الجن، وهو قول الأكثرين.

وسميّ جاناً لتواريه عن الأعين كما سميّ الجن جنّاً لهذا السّبب، والجنين متوار في بطن أمّه، ومعنى الجان في اللغة الساتر من قولك جنّ الشيء إذا ستره فالجانّ المذكور هنا يحتمل أن يكون جاناً لأنّه يستر نفسه عن بني آدم أو يكون من باب الفاعل الذي يراد به المفعول، كما تقول في لابن وتامر وماء دافق وعيشة راضية، واختلفوا في الجنّ فقال بعضهم: إنّه جنس غير الشياطين، والأصحّ أن الشياطين قسم من الجنّ، فكل من كان منهم مؤمناً فإنّه لا يسمى بالشيطان، وكل من كان منهم كافراً يسمّى بهذا الاسم.

---

(١) سورة الحجر: ٢٧.

والدّليل على صحة ذلك أنّ لفظ الجنّ مشتق من الاجتنان بمعنى الاستتار فكل من كان كذلك كان من الجن.

والسموم في اللغة الرّيح الحارّة تكون بالنهار، وقد تكون بالليل، وعلى هذا فالريح الحارة فيها نار ولها لهب، على ما ورد في الخبر أنّها من قيح جهنم قيل: سمّيت سموماً لأنّها بلطفها تدخل مسام البدن، وهي الخروق الخفيّة التي تكون في جلد الإنسان يبرز منها عرقه وبخار باطنه.

قال ابن مسعود: هذه السموم جزء من سبعين جزءاً من السموم التي منها الجان وتلا هذه الآية.

فإن قيل: كيف يعقل حصول الحيوان من النار؟ قلنا هذا على مذهبنا ظاهر لأنّ البنية عندنا ليست شرطاً لامكان حصول الحياة، فإنّه تعالى قادر على خلق الحياة والعقل والعلم في الجوهر الفرد، وكذلك يكون قادراً على خلق الحياة والعقل في الجسم الحار[1].

قوله تعالى: ﴿*وخلق الجانّ من مارج من نار*﴾[2]. وقال الطبرسي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ *وخلق الجان*﴾ أي أبا الجن، قال الحسن: هو إبليس أبو الجن، وهو مخلوق من لهب النار كما أنّ آدم مخلوق من طين ﴿ *من مارج من نار*﴾ أي نار مختلط أحمر وأسود وأبيض، عن مجاهد.

وقيل: المارج: الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه، «سنفرغ لكم أيها الثقلان» أي سنقصد لحسابكم أيّها الجنّ والإنس، والثقلان أصله من الثقل، وكلّ شيء له وزن وقدر فهو ثقل، وإنّما سميا «ثقلين» لعظم خطرهما وجلالة شأنها بالإضافة إلى ما في الأرض من الحيوانات، ولثقل وزنهما بالعقل والتمييز[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٤٩ ـ ٥٠.

(٢) سورة الرحمن: ١٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥٩.

في بيان أنّ الجنّ مخلوق من النار، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿ ***والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم*** ﴾ وقال تعالى حاكياً عن إبليس أنّه قال: ﴿ ***خلقتني من نار وخلقته من طين*** ﴾.

واعلم انّ حصول الحياة في النار غير مستبعد، ألا ترى أنّ الأطباء قالوا: إن المتعلّق الأول للنفس هو القلب والروح وهما في غاية السخونة، وقال جالينوس: إنّي بقرت مرّة بطن قرد وأدخلت يدي في بطنه وأدخلت اصبعي في قلبه فوجدته في غاية السخونة، ونقول: أطبق الأطباء على أنّ الحياة لا تحصل إلاّ بسبب الحرارة الغريزيّة، وقال بعضهم: الأغلب على الظنّ أن كرة النار تكون مملوءة من الروحانيّات[1].

وقد جاء في الميزان ما يلي:

قوله تعالى: ((﴿ ***والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم*** ﴾ قال الراغب: السموم الريح الحارة تؤثر تأثير السم انتهى...))[2].

وجاء أيضاً:

((ظاهر المقابلة بين قوله تعالى: ﴿ ***ولقد خلقنا الإنسان...*** ﴾ وقوله تعالى ﴿ ***والجانّ خلقناه من قبل...*** ﴾[3] أن خلق الجان من نار السموم المراد به الخلق الابتدائي وبدء ظهور النوع كخلق الإنسان من صلصال وهل كان استمرار الخلقة في أفراد الجن المستتبع لبقاء النوع على سنة الخلق الأول من نار السموم بخلاف الإنسان حيث بدء خلقه من تراب ثم استمر بالنطفة؟.

كلام الله سبحانه وتعالى خال عن بيانه ظاهراً غير ما في بعض كلامه من نسبه الذرية إلى إبليس كما قال: ﴿ ***أفتتخذونه وذرّيته أولياء من دوني*** ﴾[4]

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣٠.

(٢) تفسير الميزان: ١٢ / ١٥١ ـ تفسير سورة الحجر.

(٣) سورة الحجر: ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) سورة الكهف: ٥٠.

ونسبة الموت إليهم كما في قوله: ﴿ *قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس* ﴾[١] والمألوف من نوع فيه ذرية وموت هو التناسل والكلام بعد في هذا التناسل هل هو سفاد كسفاد نوع من الحيوان أو بغير ذلك؟))[٢].

وجاء في قوله تعالى: ﴿ *وخلق الجانّ من مارجٍ من نار* ﴾[٣] ما يلي:

المارج: هو اللهب الخالص من النار وقيل: اللهب المختلط بالسواد والكلام عن الجان كالكلام عن الإنسان فالمراد نوع الجن وعدهم مخلوقين من النار باعتبار انتهاء خلقهم إليه وقيل: المراد بالجان أبو الجن[٤].

ومن خلال ما بينته الآيات يمكن الوصول إلى مايلي:

١ـ أن مادة خلق الجن هي النار ولكنها ليست هذه النار فهي مرة «نار السموم» وأخرى «مارج من نار» وقد مر تفسيرهما مما يساعد على انتزاع صورة علمية معاصرة من خلال الصورة التي رسمها القرآن الكريم، وهي أن خلق الجن إنّما جاء من حرارة شديدة. وفي العادة أن الحرارة هي عبارة عن موجات تطلقها المادة إذا تعرضت لآثاره وإذا زادت فإنها تطلق موجات مشعة.

٢ـ قد أشار الطباطبائي إلى حقيقة مهمة وهي أن خلق الجان من نار كان في البداية فقط لكن استمر وجودهم من خلال نظام التكاثر وتوليد الذرية وهذا يستفاد من التشابه بين حياة الإنسان وحياة الجان إذ بدأ الإنسان من تراب وبدأ الجان من نار واستمر كلاهما من خلال الذرية.

وإذا كان هذا التحول قد صار ممكناً بعد مرور الكائن من حالة التراب إلى حالة التكاثر من خلال مراحل تخلق فإننا نستطيع تعميم هذا الفرض على انتقال الجان من النار إلى حالة التكاثر.

---

(١) سورة فصلت: ٢٥.
(٢) تفسير الميزان: ١٢ / ١٥٣.
(٣) سورة الرحمن: ١٥.
(٤) المصدر نفسه : ١٩ / ٩٩.

ويمكن اجمال هذا الأمر بمايلي:

أفادت النظريات العلمية أن الكون برمته قد مرّ بأطوار من التحولات وأنّه لم يصل إلى وضعه الحالي إلاّ بعد تطورات متواصلة وهذا هو أحد المبادئ الأساسية في الوجود، وهو مبدأ الحركة التكاملية التي تسير فيها الموجودات من حالة بسيطة إلى حالة أكثر تعقيداً وأكثر استقراراً. وقد جاءت الترجمة العملية لهذا المبدأ من خلال النظريات العلمية التي رسمت سيناريو من المراحل المبكرة للكون «عندما كان عمره حوالي واحد من عشرة آلاف جزء من الثانية، حيث كانت درجة الحرارة بحدود ترليون درجة، وكان الكون عبارة عن مزيج كثيف من المادة والطاقة. المادة هنا تعبر عن الجسيمات الأساسية ذات الكتلة. وفي مثل هذه الدرجات الحرارية، فإنها تتصرف مثل الاشعاعات تماماً إذ تكون طاقاتها الحركية وسرعاتها عالية جداً» وكانت هذه الجسيمات في حالة خلق وفناء مستمرين، ولما كان الكون آنذاك في حالة توازن حراري، فإن الأجزاء المخلوقة كانت تساوي الأجزاء الفانية لكل نوع من الأنواع،أي أن عددها يبقى ثابتاً دون تبديل.لاحظ أننا نقصد هنا بالفناء: تحول الجسيمات ذوات الكتل إلى اشعاعات، ونعني بالخلق: تحول الاشعاعات إلى جسيمات ذات كتلة[1].

ومن هذه البداية تتواصل مراحل الخلق حتى تتولد الجسيمات الأولية لبناء الذرة والفاصلة بين لحظة الانفجار الكوني الكبير وبين وصول الكون إلى حالة الاستقرار تقدر بحوالي (١٣) مليار سنة مرت فيها الأجرام بتحولات.

وبحسب النظريات العلمية أيضاً أنّه لم يكن ممكناً ظهور أبسط أشكال الحياة إلاّ في مطلع الأربعة مليارات سنة الأخيرة، وهذا الأمر سيكون معقولاً إذ لابدّ من تحكم نفس القانون في ظهور الأحياء وأن الأشكال البسيطة في

(١) خلق الكون بين العلم والإيمان: ٨٩.

أصل ظهور الأشكال الأعقد لكي يكون الكون مهيأ لظهور ا لإنسان خليفة الرحمن في الأرض.

وقد تم بحث عملية التوفيق بين ظهور الإنسان بحسب النصوص القرآنية والأحاديث وظهوره بحسب الآراء العلمية في كتابنا الملائكة وسنمر عليه في البحث اللاحق. المهم هنا أننا نفترض فرضية مشابهة للأجناس الأخرى، فالجان الذي هو من نار سبق ظهور الإنسان وقبل ظهور الجان ظهرت الملائكة بل أنها أولى الموجودات الحية، وهذا يعني أن الطور الأول للكون وعندما كان من المستحيل ظهور أحياء ظهرت الملائكة لأنّها قادرة على التوائم مع هذا الطور من الوجود، كما أنها قادرة على التوائم مع أطوار الكون الأخرى، لأنها لا تتأثر بدرجات الحرارة وأنّها لا تنام ولا تتكاثر، وأنّها بحسب ما جاء في الأحاديث وما يفهم من الروايات كانت أولى الكائنات العاقلة لذلك كانت هي المشرفة على حركة الطبيعة والحياة ومسؤولة عن تنفيذ برامج التكامل في الوجود.

وفي طور لاحق وعندما بلغ الكون مستوى أكثر تقدماً أضيف جنس جديد هو جنس الجان «مخلوقات النار». وعلى هذا الأساس فإن الحياة تبدأ من أشكال النور إذ أنها أبسط الأشكال وهي عبارة عن [عقل حي] ربما بدا بصورة بسيطة أيضاً وتطور ليصبح ملائكة مكرمون في آخر صورهم التي نقلتها الأحاديث والآيات، ثم تظهر النار ليولد معها كائن جديد من الطاقة بإضافة [غريزة إلى العقل الحي] ونلاحظ إنّ النصوص لاتشير إلاّ إلى البدايات دون ذكر الأزمان والصورة الفعلية للمخلوقات.

فهل أن البدايات كانت متزامنة أو متقاربة في الزمن؟ فهذا ما لم يذكر. ولذلك يمكننا أن نفترض أن ظهور العقل الحي في زمن مقارب لظهور الغريزة الحية ليتحدا في أزمنة لاحقة، فيظهر الكائن [عقل - غريزة] [جن] في صوره البدائية ثم يظهر الكائن الثاني [غريزة - عقل] [الإنسان] وأن البدايات طبعاً

متوازية فهناك بحسب النظرية العلمية مواد كاربونية ذائبة في سواحل المحيطات مثلت ما يشبه الحساء الذي ظهرت من خلاله الأحماض التي منها نشأت أبسط أشكال الحياة.

فإننا نستطيع افتراض حساء مشابه في الجسيمات الكثيفة التي خلقت في بدايات الانفجار الكوني ليولد أبسط أشكال الحياة التي بدايتها الطاقة، ثم تتواصل التطورات لتظهر الأشكال الأعقد وهي التي بإمكانها التكاثر بأحد صيغ التكاثر البسيطة وربما بالانشطار، ذلك أننا لن نستطيع افتراض وجود كائن حي بدون افتراض هذا الطور وهو الذي يستطيع فيه الكائن الحي التوالد، ذلك أنّها هي الميزة الرئيسية التي تفصل الكائنات الحية عن الجوامد. ومن هناك تتواصل حركة هذه المخلوقات حتى يأتي الطور الذي يظهر فيه المخلوق الراقي الذي اسمه [الجان] وهو الذي انضم إلى الملائكة وصار يعبد الله كما تعبد وقد عدّ أحدها، فكلمة (من قبل) التي وردت في الآية تشير إلى بداية خلق الجان وتسكت عن المراحل التي تفصل بين مبدأ الخلق ولحظة التكون التي انتمى فيها إلى الملكوت وصار يحاكي الملائكة في السلوك والطاعة؛ لأنه حينئذٍ لم تكن لديه دوافع المعصية ولعل فواصل زمنية هائلة قد مرّت قبل وقوعها، فإذا كان الإنسان بناءً على القول بفرضية التطور قد استغرق ٤ مليارات سنة من حين وجودة «الحساء» وهو الذي قد يلتقي مع وصف القرآن لخلقه حمأ مسنون وحتى ظهور آدم عليه السلام فلعلنا يمكن أن نفترض أزمان أكثر طولاً بالنسبة للطاقة إذ أن أهم خصائص الطاقة هو الحركة الأشد. ويمكننا افتراض فرص أقل لموجات الطاقة في اللقاء ثم في التفاعل نسبةً لمقابلها المادي، كما في الماء والمركبات الكاربونية مثلاً التي ظهرت منها سلاسل الحياة صعوداً نحو تخلّق الأحماض الأمينية التي منها وجد الشكل الأبسط للحياة والذي يمكن أن لا يشبه أبسط أشكال الحياة الحالية إلاّ من جهة بعيدة جداً.

وإذا صحت هذه الفرضية فإن أجناس النار الحية كثيرة مثل أجناس الطين و لكن لا يمكن افتراض بقاءها مثل أجناس الطين التي لا تزال أنواع منها غير منقرضة وأنواع قد بادت وانقرضت، ولكن يفترض أن الذي عاش مع الملائكة منها هو الجان ثم شارك الإنسان في العيش على الأرض، أما بقية الأنواع فإنها قد انقرضت أو أنها تعيش في مناطق أخرى. وأن عملية التطور جرت في منظومات شمسية أخرى أو في مجرّات أخرى، وأن التطور يشمل جميع أفراد النوع المتطور بحيث لا يترك أي فرد من السلالات الأقل تطوراً.

وإذا كان الفرض قائماً على تشابه الجن والإنس فإنّه لا يعني التطابق التام في جميع المواصفات، وبالتالي فإن حركة جنس النار تختلف عن حركة جنس الطين حتى لو كانت هناك معالم كثيرة متطابقة، وأن الاختلاف يعود إلى الطبيعة التي كونت الكائن. وهنا لابد من التطرق للحديث التالي الذي يطرح قضية هامة جداً في هذا الخصوص:

روي عن إسحاق بن جرير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أيّ شيء يقول أصحابك في قول إبليس: «خلقتني من نار وخلقته من طين» قلت: جعلت فداك، قد قال ذلك وذكره الله في كتابه، قال: كذب يا إسحاق ما خلقه الله إلاّ من طين، ثمّ قال: قال الله تعالى: ﴿ ***الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون*** ﴾[1] خلقه الله من ذلك النار ومن تلك الشجرة، والشجرة أصلها من طين[2].

بيان: لعلّ المعنى أنّ الطين داخل في طينته وإن كان النار فيه أغلب.

يطرح هذا الحديث الوحدة الجوهرية بين النار والطين وهو ما قدمت له الآيات دون أن يلتفت إليه كثيرين. ورغم تصريح الإمام عليه السلام به فإن القول بأن الله خلقه من نار يعادل قوله أنه خلقه من طين، لأنّ الطين يؤدي إلى

---

(١) سورة يس: ٨٠.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٠ / ص٣٤٤.

انتاج النار، ولكن بعد مجموعة من عمليات التحول فالطين يؤدي إلى خلق الشجرة، والشجرة حين تحترق تنتج النار وهذه صورة من الصور يشبه مبدأ تكافؤ المادة والطاقة، وأن لم يعبر عنه بصورة قوانين رياضية إلاّ أن فيه الماعة قوية إلى أن التباين بين الطين والنار تباين في بعض المظاهر ولكن يمكن لكل منهما أن يصبح كالآخر فالنار تنتج حياً غير مرئي.

وفي حديث قيل للإمام العسكري(عليه السلام): لم يكن إبليس ملكاً؟ قال: لا، بل كان من الجن، أما تسمعان الله يقول: ﴿ ***وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجنّ*** ﴾[1] وهو الذي قال الله: ﴿ ***والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم*** ﴾[2].

فهذا الحديث عرض التأكيد كون إبليس كان مع الملائكة في طريقة الحياة وأنّه قادر على أن يصبح مثلهم في ظروف خاصة إلاّ أنه مختلف في الطبيعة عنهم،ولم يكن هذا الاختلاف بارزاً حتى جاءت اللحظة التي فرضت السلوك المغاير والمساوق لطبيعة المادة التي خلق منها وهي النار. ولذلك أشار الله سبحانه وتعالى إلى تلك الطبيعة فقال: ﴿ ***والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم*** ﴾.

فبقاء الشيطان فترة طويلة مع الملائكة أدى إلى خفاء طبيعتة عن نفسه وعنهم، لأنّه صار مثلهم في كل شيء حتى في طريقة السجود الطويلة كما هو وارد في بعض الأحاديث حيث أن فترة الطاعة الطويلة التي قضاها الشيطان كانت عبارة عن سجدتان.

وفي النهاية هذا الحديث يشير إلى أن خلقة الشيطان ومبدأه هو النار.

جاء عن أبي عبد الله(عليه السلام) قال: إنّ الملائكة كانوا يحسبون أنّ إبليس منهم وكان في علم الله أنّه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحميّة والغضب، فقال: ((خلقتني من نار وخلقته من طين))[3].

---

(١) سورة البقرة: ٣٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٥٩.

وعن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الملائكة كانوا يحسبون أنّ إبليس منهم وكان في علم الله أنه ليس منهم، فاستخرج الله ما في نفسه بالحميّة، فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين(١).

وفي هذا الحديث تأكيد كون إبليس مخلوق من نار وتأكيد على مطابقة الشيطان للملائكة في السلوك وفي طرائق الطاعة، لذلك فإنها لم تعد ترى الفرق بينها وبينه.

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الملائكة من أنوار، وخلق الجانّ من نار، وخلق الجنّ صنفاً من الجانّ من الريح، وخلق الجن صنفاً من الجن من الماء(٢).

هذا الحديث يعرض سلسلة مخلوقات النار والنور، فيشير إلى أن الجان ليسوا موحدي الطبيعة بل أن الأصل هو النار، لكن هناك نوع من الريح فتولد نوعاً من أنواع الجان ثم تفرع من الماء فتولد نوعاً آخر.

وهذا المبدأ يعادل ما مرّ من أن الطبائع تتفاوت تبعاً لمادة الخلق ولعل هذا يؤكد ما ذهب إليه حديث سابق من أن النار مبدأ الخلقة ولكنها فيما بعد مرّت بتطورات عديدة فاختلطت بالريح لتشكل مركبات جديدة ثم لتتحد بالماء فتشكل مركبات أخرى ومن كل مركب تنتج أنواع جديدة من الأحياء.

كما أن الحديث يبين أن الاشتراك في الاستتار يخفي في طياته تفاوتاً في طبيعة هذا الاستتار، فهناك الجان المستتر الرئيسي الذي يضم بين جنبيه صنفان هما المستتر الغازي [الريح] والمستتر [المائي].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٤.

## ارتباط الطبائع بمادة الخلق

((عن أبي عامر المكّي، قال: خلق الملائكة من نور، وخلق الجانّ من نـار، وخلق البهائم من ماء، وخلـق آدم مـن طـين، فجعـل الطاعـة فـي الملائكـة والبهائم، وجعل المعصية في الإنس والجنّ))[١].

إن هذا الحديث يعرض لأهم مادة يتركب منها الكائن فالملائكة هي من نار ولعلها بنفس الطريقة مرّت بأطوار الخلق ثم الجان، وكذلـك مرت بـأطوار من الخلقة ثم البهائم من ماء إلى أن الطبيعة الغالبة هي الماء وخلق آدم من طين. وقد أشار القرآن إلى أن آدم والحيوان مشتركان في الماء والطين، ولكن أشار إلى الطاعة في الملائكـة أي وحدة الدوافع وتناقض الدوافع فـي الإنس والجان وهو الذي يؤدي غالباً إلى زرع دوافع المعصية.

وجاء في حديث آخر شرح أوضح لارتباط الطبائع والأخلاق بالمادة إلى خلق منها الكائن الحي، وهـذا البحث هام ويحتاج إلى تفصيـل لاسـتفادة جذور الطباع التي تتناسب في تكاملها مع تكـامل الطبيعـة أو المادة التي خلق منها الكائن الحي.

في قوله تعالى: ﴿*خلق السماوات والأرض في ستة أيام*﴾[٢]، قال: وخلـق الجـان وهو أبو الجنّ وأنواع الطيور يوم الأربعاء[٣].

وهنا أشار إلى زمن خلق الجان هو الأربعاء بناءً على افتراض زمن معين لكل مخلوق أو مجموعة مخلوقات.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٨ - ١٠٩.

(٢) سورة الأعراف: ٥٤.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٥.

## مراحل وأدلّة خلق الجان

تنفرد روايات أهل البيت ﷺ بطرح مفهوم للوجود يختلف عن المفاهيم الأخرى، ذلك أنّها تفتح الأفق لتأريخ بعيد يقطعه الكائن لكي يصل في لحظة ما إلى الوجود الفعلي المحسوس، ولهذا فإننا نرى أحاديث تؤكد على أن الأئمة ﷺ كانوا عبارة عن أنوار في ساق العرش قبل خلق آدم.

وإذا بنينا على هذه القضية فإننا سوف لن نستطيع الوصول إلى لحظة معينة في التأريخ اسمها البداية، ويمكن أن تكون البداية هي بداية لمرحلة معينة، وعليه فإن هناك بدايات لأطوار وعمليات تخلّق مستمرة يمر بها الكائن سواء كان حيّاً او ميتاً، وأن هذه المراحل مجهولة إذ أنها سبقت إلى تأريخ معروف وقابل للاستنتاج وأن ما يمكن الوصول إليه من ذلك لا يتم إلاّ عبر الآيات والأحاديث التي أوحى الله بها إلى عباده لأنّه العالم الوحيد الذي رافق العالم بهذه الأطوار الغامضة من الخلق.

فالحديث السابق مثلاً يتحدث عن طور سبق خلق آدم ﷺ وتحدث القرآن عن بدايات منذ خلق آدم ﷺ ومن مجموع ما ورد يمكننا الخروج بتصورات خاصة جداً للوجود والعدم.

فإننا إذا افترضنا للكون بداية مجمع عليها بين التيارات العلمية المعاصرة والتي عرفت باسم «الانفجار الكوني الكبير» وهي أيضاً قد تشبه البداية التي أشار إليها القرآن الكريم ﴿ *وأنّ السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما* ﴾[1] وقد أشارت إليها إحدى خطب الإمام علي ﷺ حين قال: أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه

---

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

ابتداءً... ثم انشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء، فأجرى فيها ماءً متلاطماً تياره، متراكماً زخاره، حمله على متن الريح العاصفة... الخ[١].

وفي كل هذه الرؤى لا يأتي تصوّر عن بداية خلق المادة بل حديث عن مادة موجودة تعرضت إلى حالة من التمدد [انفجار] [فتق الأجواء] [ففتقناهما] وقبل هذا التمدد فإن هناك مادة بصورة من الصور هي التي حدث فيها المتحول من الصورة السابقة إلى الصورة التي تفترضها النظرية العلمية وتحدثت عنها آيات القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا فإن الوجود بهذه الصورة يعني حالة تحول ومقابلة العدم يعني عدم الحالة الجديدة وليس العدم المطلق بل إننا لا نلاحظ تصور عن العدم المطلق فلا يستطيع العلم أن يرسم صورة لنا عن حالة العدم أو اللاشيء.

وعلى هذا الأساس فإن الوجود عبارة عن طبقات من التحول وأن كل طبقة تكون في حالة كمون في المرحلة السابقة لها فهي مجرد حالة سكون. وهكذا فإن الوجود في أي طبقة يمثل حالة دخول في علائق مستحدثة بعد أن يغادر طبقة سابقة وحين يغادر علائقها فيدخل في علائق جديدة وهذا طبعاً ينطبق على الأحياء والجمادات بنفس الكيفية.

وكما ورد في النصوص أن الجن مروا بهذه الحالة قبل ظهور آدم عليه السلام في جانب معين من حياتهم وهو جانب الغرائز، ذلك أنّها كانت كامنة ولم تدخل في طور الفعالية والتأثير لانعدام الحافز لأنّها كانت تحتاج إلى حافز وهذا الحافز كان خلق آدم.

---

(١) نهج البلاغة ـ شرح محمد عبده: ١ / ١٦ ـ ١٧.

وإذا بنينا على أن الجان هم كالبشر وقد مرّوا بحالة من التخلق كالتي مر بها بني البشر فإننا سنفترض أنّها كانت خاصة بالجانب العضوي، فهي عبارة عن مراحل الوصول إلى أكبر حالة تلائم بين البنية العضوية والعالم، وعند الوصول إلى هذه الحالة فإن بني البشر يدخلون في طور آخر هو طور التحولات الأخلاقية بحيث تهدف الصراعات إلى انتاج الحالة الأخلاقية الأكمل.

وعلى هذا الأساس فإن حالة التحولات متواصلة وتكون في البداية تحولات عضوية، وحين تتوقف عمليات التخلق العضوي فإن الكائن يستمر في عملية التخلق [التحول الأخلاقي] فقط.

وبالنسبة للإنس فإنّهم قد قطعوا مرحلة تخلق حتى ظهور الإنسان الأكمل (آدم ﷺ) وكذلك الجن خاضوا نفس الأطوار حتى ظهر إبليس وهو الجني الأكمل، غير أن الفرق هنا يكمن في أن إبليس وصل إلى حالة التكامل العضوي قبل الإنس. وهنا أيضاً يمكن أن نفترض أن شخص إبليس صنع بصورة مفاجئة مثل آدم أما بقية الإنس فإنّهم تطوروا عن آباء أقل تطوراً، وكل من آدم وإبليس هما اللذين مثلا حلقة التطور المفقود ومنذ ظهورهما تتهيأ الكائنات العاقلة لقطع مسيرة التطور العقلي والنفسي.

اذن هناك مرحلتين هما مرحلة التطور العضوي ومرحلة التطور الأخلاقي مع أن التطور العضوي لا يتوقف إنّما يستمر ولكن بصورة أكثر هدوءاً لأسباب تخرج عن موضوع بحثنا.

والقرآن حدثنا عن الطور الثاني والذي بدأ منذ اكمال الإنسان مراحل تطوره العضوي عند صدور الأمر الإلهي بالسجود له، وهذا الطور طبعاً خاص بالمخلوقات ذات الطبيعة الثنائية أي [ الجن والإنس].

وكما يبدو من النص أن تطور كل من الجن والإنس لا يبدأ إلاّ بظهور الطرف الثاني، فهما مخلوقين متوازنين من ناحية البنية النفسية والأخلاقية وإن تطور كل منهما أخلاقياً مرتبط بالكائن الآخر، ولكنهما متضادين في التركيب فالإنسان الذي أساسه الطين هو عبارة عن (غريزة + عقل) بينما يمثل الجان قطب معاكس (عقل + غريزة) ويمكن لنا أن نفترض أن المراحل السابقة من التخلق كانت تهدف إلى خلق الانسجام بين الغريزة والعقل وبين البنية العضوية، إذ بدون هذا التناسب فإن وجود الكائن سيكون مضطرباً ويؤدي إلى زوال هذا الكائن في النهاية، فلو كانت الغرائز ضعيفة فإن الكائن قد لا يحاول تجنب الأخطار وبالتالي فإنّه سيموت وتتقلص أعداده بسرعة كبيرة، وإذا زادت وأمعن أي كائن في الخوف فإنه يهلك لأنّه سوف لن يحصل على حاجاته الضرورية للبقاء. ومن جهة أخرى فإنّه لا بد من تناسب بين البنية العضوية والمحيط أو البيئة إذ بدون هذا التناسب فإنّه أيضاً يموت الكائن وتنعدم الحياة وهكذا يمسي التناسب عنصر البقاء الرئيسي، لأن البقاء هو عبارة عن ارساء علاقات ناجحة بين عناصر الكائن الحي وهي الهدف الرئيسي الذي تحاول عمليات التخلف المتواصلة انجازه، وهذا التدرج هو سنّة الله في خلقه إذ لم يجعل المفاجئة هي القانون ومع ذلك فإن التدرج بالنسبة للإنسان فقط. إذ يمكن بالنسبة لله أن يكون بصورة مفاجئة لأن الزمن سيبدو لله قصير مهما طال أو أنّه لا يوجد زمن أصلاً وليس كما ننظر إليه نحن.

وفي النهاية فإن مرحلة ظهور الكائنات ثنائية الطبيعة [الغريزة - العقل] تمثل طوراً خاصاً من أطوار تطور الحياة وكان هذا الظهور قد مرّ بطورين هما:

**١ ـ مرحلة التطور العضوي:**

ومن أهم معالمها سرعة التطورات العضوية التي تشمل أدوات التفكير والإدراك والشعور.

**٢ ـ مرحلة التطور الأخلاقي:**

ومن أهم معالمها بطء التطور العضوي واسراع التطور الشعوري والنفسي بحيث يشكل معلماً من معالم المرحلة.

وهناك مرحلة مرّ بها إبليس وآدم كانت فاصلة بين نهاية التطور العضوي وبداية التطور الأخلاقي قضاها الشيطان مع الملائكة وقضاها آدم في الجنّة.

وهكذا يمكننا أن نقسم المراحل إلى ثلاثة:

١ ـ مرحلة التطور العضوي.

٢ ـ مرحلة السكون [المؤقت].

٣ ـ مرحلة التطور الأخلاقي.

ويدل على هذه المراحل الأحاديث التالية:

## الأدلة على وجود التطور

### المراحل

تؤكد الآيات والأحاديث على أن الطور التفاعلي بدأ منذ صدور الأمر الإلهي بالسجود لآدم، فهو مثّل المرحلة التي انتهت فيها عمليات تخلق الكائنات [آدم ـ إبليس] ووصولها إلى مرحلة مواصلة [التطور العقلي

والنفسي] فكل من آدم وإبليس رغم امتلاكهم بالاستعداد عقلية هائلة، فإنّهم عاجزين عن الإفادة منها، لأن عقل الإنسان يحتاج إلى حوافز مثله مثل جسم الإنسان لكي يصل إلى الحالة الأكمل، فالتطور يقوم على قاعدة [الحافز - الاستجابة] وكل استجابة تخلق نقلة، ومجموع النقلات يخلق تراكم، والتراكم هو عبارة عن خبرات وعلوم وتجارب. وهذا بحد ذاته هو النمو العقلي الذي يحتاج إليه آدم وإبليس ذلك أن الطاعة تحتاج إلى أداة رئيسية وهي العلم وسلامة التفكير، فإبليس رغم علمه بأن الله عالم كل شيء يعارضه في الرأي. وآدم رغم علمه بأن إبليس عدوه يقبل رأيه ثم يعمل بحسبه ويترك أمر الله وراء ظهره أي الأمر الإرشادي وليس الوجوبي وإلا كان هذا منافياً للعصمة باتخاذ إبليس عدواً له، إلا أن الأحاديث تضعنا أمام عدد من المحتملات بحسب مضمون دلالات بعضها التي تحدثت عن أن الجن والنسناس عاشوا في الأرض ثم رفع إبليس إلى السماء حتى يخلق آدم فيعود إلى الأرض في دورة جديدة [آدم - إبليس] بينما هناك طائفة أخرى تؤكد على أن إبليس هو أوّل من عصى وأن الكون قبل إبليس كان بلا معصية.

الطائفة الأولى أشارت إلى أن الله سبحانه وتعالى على أساس الدورة الأولى حكم بعدم صلاحية الجن للخلافة في الأرض ولكنه لم يحكم بفناء النسناس أو الجن إنّما كما يشير الحديث أنّه حكم فقط بإبعادهم.

ولكل طائفة من هذه الأحاديث دلالة مغايرة توجه فهم هذا الطور بصورة مختلفة بعض الشيء، ولكن في النهاية أنّها تتفق على بداية هذا الطور دون الوقائع السابقة على حادثة السجود لآدم وهي الحادثة الرئيسية في الطور التفاعلي التي يؤيدها القرآن والحديث معاً.

ومن الآيات التي دلت على هذه الحادثة هي مايلي:

قال تعالى: ﴿ *إذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً من طين ❁ فإذا سوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ❁ فسجد الملائكة كلّهم أجمعون ❁ إلّا إبليس استكبر وكان من الكافرين ❁ قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيديّ أستكبرت أم كنت من العالين ❁ قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ❁ قال فاخرج منها فإنّك رجيم ❁ وإنّ عليك لعنتي إلى يوم الدين ❁ قال ربّ فأنظرني إلى يوم يبعثون ❁ قال فإنّك من المنظرين ❁ إلى يوم الوقت المعلوم ❁ قال فبعزّتك لأغوينّهم أجمعين ❁ إلّا عبادك منهم المخلصين ❁ قال فالحقّ والحقّ أقول ❁ لأملأنّ جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين* ﴾ [1].

((وقال البيضاوي في قوله تعالى: ﴿ *فإذا سوّيته* ﴾ عدلت خلقته ﴿ *استكبر* ﴾ تعظم ﴿ *وكان* ﴾ أي وصار، أو في علم الله ﴿ *فبعزتك* ﴾ فبسلطانك وقهرك ﴿ *فالحقّ والحقّ أقول* ﴾ أي فأحقّ الحقّ وأقوله.

وقيل: الحقّ الأوّل اسم الله تعالى، ونصب بحذف حرف القسم وجوابه ﴿ *لأملأن جهنّم منك وممّن تبعك منهم أجمعين* ﴾ وما بينهما اعتراض، وهو على الأوّل جواب محذوف، والجملة تفسير للحقّ المقول، وقرأ عاصم وحمزة برفع الأوّل على الابتداء أي الحقّ يميني أو قسمي أو الخبر أي أنا الحق)) [2].

ففي هذه الآية جملة عناصر تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الله قبل الواقعة أصدر الأمر بالسجود وأن تحولات حصلت قبل لحظة تنفيذ الأمر.

فهذا الأمر لم يكن فعلياً وأن فعليته تتوقف على خلق (بشر من طين) ثم أن هذا الخلق يستمر حتى يصل إلى طور التسوية، ثم يمر بطور آخر هو طور الـ [نفخت فيه من روحي] عند ذلك [فقعوا له ساجدين] فهاتين مرحلتين منفصلتين. والدليل على انفصالهما ذكر القرآن لهما لأن القرآن كامل وليس

---

(١) سورة ص: ٧١ ـ ٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩١ ـ ١٩٢.

فيه ألفاظ زائدة بل إن كل لفظ يضمر حقائق كثيرة، وعدم ذكر التفصيل أيضاً يعود إلى أسلوب القرآن في التعامل مع عدد من التفصيلات، وأن هذا يفهم من آيات أخرى، وإن كل ذلك تم بحثه في كتاب «الملائكة» وكتاب «حركة التأريخ رؤية قرآنية» ولهذا فإننا سنعتبر كونهما مرحلتين قضية مفروغ منها وبغض النظر عن طول وقصر المدة التي تفصل بينهما.

كما أن عدم صدور الاعتراض لحظة صدور الأمر يدل على احتمالين هما: ١ـ عدم وجود إبليس مع الملائكة.

٢ ـ إنه كان موجوداً وفعل مثل الملائكة لكنه اعترض حين التنفيذ.

والمهم أن هذه الآيات سلطت الضوء أيضاً على عناصر مهمة في القضية وهي: أولاً : فلسفة الصراع. وثانياً : أسلوب تفكير الشيطان وهما مترابطتان لأنّ الصراع بين كائنات عاقلة، والهدف من الصراع بمجمله انضاج العقل لدى طرفي الصراع.

فالشيطان تشكلت لديه قناعة بأفضليته لأنّه من النار، وهذه الأفضلية تأسست لديه نتيجة الاعتقاد بأن عنصر النار أفضل من الطين. والدليل أن إبليس استطاع العيش مع الملائكة وصار يعيش مثلها ويتحرك في أقطار السموات والأرض وربّما وجود مواصفات أخرى.

والمجموع خلق لديه تلك القناعة التي رفض بناءً عليها القبول بحكم الله سبحانه وتعالى ناسياً أن هذه القضية تتضمن لازماً مفاده أن حكم الله بأفضلية آدم خاطئ ـ والعياذ بالله ـ وأن حكم الشيطان بأفضلية نفسه صحيح. وهو يعني أن عقل إبليس أحكم من عقل الله سبحانه وتعالى، وهذا غاية في الجحود والتكبر وأكمل كل ذلك بطلب مهلة من الله سبحانه وتعالى ليثبت صحة حكمه وضمناً تخطئة حكم الله.

غير أنّ الله سبحانه وتعالى منح له هذه الفرصة ولكن لأسباب أخرى تقتضيها حكمة الله، منها أنها لغرض الامتحان وهو قانون من قوانين الوجود، ثم أنّه من باب الرحمة لذرية إبليس من الجن الذين سيكون بعضهم مؤمنين، بالإضافة إلى ان الصراع بين الجن والإنس هو الباب الذي سجل مشكلة عدم النضج العقلي عند الجن والإنس معاً.

فالله سبحانه وتعالى حكم بإمهال الشيطان لأنّه حكيم لا يفعل ما يشاء سواه ممن هم دونه، لكنه من باب الرحمة ربّما استجاب لطلب عبادة إذا جاء في طول الحكمة الإلهية ومصالح الوجود وهذا هو الذي فعله.

وهكذا بدأت دورة الصراع عندما سمح لإبليس أن يمارس عملية الاغواء، وقد نجح فيها في أوّل فرصة مع آدم إذ اقنعه بالأكل من الشجرة و لهذا عصيا معاً وأنزلا معاً إلى الأرض ليبدءا تأريخ الصراع بين [الطين] [والنار] من خلال معيار الطاعة، فالأفضلية لا تعني سوى الطاعة. وقد أثبت الشيطان في أول تجربة أن آدم يمكن أن يخطئ ولهذا أُنزل إلى الأرض ليتم فرز المطيع من العاصي من ذرية آدم وذرية إبليس.

وعلى أساس هذا فإننا سنصل إلى معنى جديد للوجود، ذلك أن الموجود هو الكائن الذي يدخل في علاقة وجود، لأنّه ربما كان موجوداً لكنه داخل في علاقة سكون أو كمون أو علاقات قوة وليست فعل.

ومن هنا فإن المادة قبل مرحلة الفتق التي أشرنا إليها كانت داخلة في علاقات القوة أو علاقات سكون بالنسبة لهذه المرحلة لكنها قد تكون تعيش مراحل صيرورة باتجاه الدخول في مرحلة الفتق أو الانفجار الكوني الكبير.

ولهذا فإن العدم سيعني معنين [علاقات سكون] أو [علاقات صيرورة] فالدخول في صيرورة يعني أنّها علاقة قوة لما بعده وعلاقة فعل لّما معه ولما قبله،

لكن علاقات السكون هي توقف الصيرورة ولا تتضمن معنى [اللاشيء] أي [العدم المطلق].

ومن هنا فإن الصيرورة تبدأ من لحظة الدخول في علاقة مع القطب المخالف أو مع مخالف وموافق مثل ذرة هيدروجين [$P^+$ ¬ $e^-$] أو [$e^-$ ¬ $p^+p^+$] وهي ذرة أحد نظائر الهيدروجين، ولذلك فالصيرورة عبارة عن سلسلة من العلاقات بين الأقطاب باتجاه خلق تراكيب جديدة لا تزال تزداد تعقيداً وصولاً إلى انتاج الأشكال الأعقد من الجمادات، ومن ثم الدخول في أطوار أكثر تعقيداً في إطار عالم الجمادات، ثم تتواصل عملية التعقيد وصولاً إلى أبسط أشكال الحياة والتي هي عبارة عن سلاسل من المواد الكاربوهيدراتية حتى نصل إلى شكل حي أي قادر على أداء بعض الفعاليات الحيوية، ثم يتواصل إلى درجة بروز الكائنات الحيّة التي تمتلك مورثات أي قادرة على تكرار نفسها.

غير أن العلماء وقفوا عند المفاصل إذ لا يمكن تفسير النقلة بين السلاسل الكاربوهيدراتية وبين الأحياء التي لديها مورثات، كما أن كل مجموعة أحياء تحتاج إلى حلقة تربطها بما بعدها أو ما قبلها وخصوصاً الحلقة التي تربط بين القرد والإنسان.

((ولذلك اضطر علماء التطور إلى افتراض وجود خالق يشرف على عمليات التطور، في مقابل العلماء الآخرين الذين كانوا يقولون بأن المادة لوحدها قادرة على الإتيان بالأشكال الأعقد. فقد كان مختلف العلماء يسلمون بوجود (قوى) كانت تظهر بأوسع معاني الكلمة، لكن البعض كانوا يعتقدون أن هذه القوى كانت (لا شخصية) وشبيهة كل الشبه بالقوى

الفيزياوية [كهرباء، مغناطيس، جاذبية، الخ ] بينما آخرون روحانيون، كانوا يؤكدون وجود »عقول» تمتلك الذاكرة والإرادة. الخ)) [١].

وكان هذا الأمر مدار بحث بين العلماء «فقد أمضى ويليم كروكس، الفيزيائي الكبير، أربع سنوات في اجراء بحوث وتجارب، وجاء حكم هذا الشخص المحترم (عضو الجمعية الملكية) إيجابياً، وكذلك أعلن أشخاص آخرون تأييدهم لوالاس أمثال العالم الرياضي أوغست ومورغان وروبير شامي وكمبل فلاماريون -الفلكي المعروف جداً-. لقد أجريت تحقيقات في كل مكان، يكفي إذاً أن نكون منصفين من فرنسا وكذلك من أمريكا ومن هذا البلد بالذات حرب رجال علم، ليسوا آخر من فعل. جربوا تلك الظاهرات واكتشفوا أنّها حقيقة. إن النظرية الروحانية هي نتيجة (لمجموعة الوقائع)، كان والاس في مجال العلوم الطبيعية والجميع يقرّ له بذلك مراقباً نظرياً من النوع الهام. من هنا أهمية احدى تشبيهاته حيث قال: الظاهرات الروحانية ثابتة بقدر ثبات الظاهرات العلمية. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك فقال: الروحانية الحديثة علم تجريبي [٢].

وما قاله والاس حول ضرورة وجود العقل في حركة التطور انطلاقاً من أنه كان أحد الأفراد الأساسيين في ولادة نظرية التطور، فهو ليس المساعد وحسب لنظرية الاصطفاء الطبيعي التي ترتبط بإسم داروين، فقد قام البحث الأكثر استقامة في هذا الموضوع وذلك في كتابه الذي نشر عام ١٨٨٩. مع ذلك يعتبر والاس هرطوقياً في نقطة رئيسية فهو يلجأ لأسباب مجهولة (روحانية) ليفسر أصل الإنسان وبحسب رأيه. تدخلت قوى خاصة ثلاث مرات في تأريخ العالم العضوي:

---

(١) العالم الصغير:١١٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٣.

في المرة الأولى: كانت «الحيوية» التي أعطت المادة صفات وخواص الحياة. وشهدت المرحلة الثانية - وهي مذهلة أكثر من الأولى - ظهور الشعور أو الضمير الذي يشكل التمييز الأساسي بين عالم الحيوان وعالم النبات.

وتتلخص المرحلة الثالثة في ظهور عدة خصائص عند الإنسان الأكثر تميزاً والأكثر نبلاً، وهذا الأسلوب في التشديد على تقطعات التطور له اصداء (روحانية) ما كان داروين ليستحسنها أبداً[١].

((حسب رأي كاردك يوجد في الإنسان ثلاثة أشياء: الجسد، النفس التي هي روح متجسد في الجسم، وغشاء مانع هو الرابطة التي تصل بين الجسم والروح وهي جوهر متوسط بين المادة والروح))[٢].

هذا الرأي يمكن أن يكون مطابقاً تماماً لطريقة التوفيق بين الرأي الإسلامي والرأي العلمي، ولا ضرورة إلى أن يكون التوفيق مع نظرية النشوء الذاتي مع أنّه ممكن أيضاً. وهو يعني «أن الأحياء تتوالد من الجماد توالداً ذاتياً دون وجود فاعل خارجي، أي أنّه ليس هناك فاصل بين الجماد والحياة، وقد كان من بين المعتقدين بالنشوء الذاتي الفيلسوف الإغريقي (أرسطو) فقد اعتقد أن البعوض والبراغيث تنشأ من المواد المتعفنة بلا سبب، وافترض أن أبا ذنيبة والديدان وكثيراً من الكائنات الصغيرة الأخرى تنشأ من الطين، واعتبر نشوء الذباب ناتج عن اللحم المتعفن، ومن الجدير بالذكر أن المعلم الأول (أرسطو) كان على الرغم من اعتقاده بالتوالد الذاتي للحياة مؤمناً بالله باعتباره العلّة الأولى لغائية العالم والموجودات»[٣].

---

(١) العالم الصغير: ١١٣.

(٢) المصدر نفسه: ١١٩.

(٣) الداروينّية ـ عرض وتحليل: ١٣٥.

((وعلى هذا الأساس فإن القول بالنشوء الذاتي لا يصطدم مع كون الله سبحانه وتعالى هو الذي أودع في هذه المواد قدرتها على الحركة، إلاّ أن هذا الرأي القديم والذي كان قائماً على النظرية تعتقد «بأن ذلك التحول كان يشكّل عملية بطيئة وبسيطة تم خلالها ازدياد حجم الأحياء الأولية [عديمة النواة] فزاد تعقيدها فكونت الأحياء الأحادية الخلية، وهذه هي النظرية منقوصة مرفوضة لأنّها لا توضح الصور [الحلقات] الوسطى التي تم بها الانتقال من البسيط الأوّلي إلى المعقد الخلوي»[١]. ثم جاءت النظرية الأخرى وهي (نظرية التعايش) وطبقاً لهذه النظرية أن الأحياء الأحادية الخلية قد نشأت بصورة فجائية لاندماج أو تقارب بعض الخلايا الأولية، وكان ذلك الاندماج مفيداً منذ البداية، وتفسيرهم للاندماج هو أنّه حدث نتيجة لقابلية التهام الأخير على البقاء في مضيفه مقاوماً لفعاليات المضيف، إلى أن تمكن من التكيف لمثل هذه المعيشة، ثم استمر نموه وزاول عملية الإنقسام كلما زاولها المضيف، كما أصبحت له القابلية على انتاج مواد أساسية للوظيفة بعد تزويده للمضيف بالمواد الخام، وهذه نظرية اعتمد في تفسيرها على التشابه بين العضويات الخلوية وبين الأحياء الأولية العديمة النواة إلاّ أنّها جوبهت ببعض الاعتراضات القوية))[٢].

وقد جاء اكتشاف الطفرات الوراثية ليقدم حجة جديدة في تفسير الحركة التطورية، فقد تم على أساسها «التغيرات الفجائية»[٣].

ومن الواضح «أن الرؤية التطورية لم تعد قابلة للمناقشة، فمنذ تكوّن البنية الأولى للمادة الحية، التي أصبح تركيبها وجهاز عملها الكيماوي واضحاً

---

(١) الدارونيّة ـ عرض وتحليل: ١٣٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٣٨ ـ ١٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٦١.

إلى الحالة الحالية للعالم الحي، حدث تحرك مذهل تدريجي في البنى، يبدو وكأنّه يميل بشكل لا يقاوم إلى تعقيد متزايد وإلى استقلالية متنامية لدى الكائن الحي، فهناك بعض الأنواع القديمة جداً والتي لديها بعض مستحثاتها قد استطاعت البقاء مع بعض الفروق، والبعض اختفت منذ زمن طويل، والبعض الآخر حديث الظهور»[1].

وفي كل الأحوال فإن التوفيق بين النص والنظريات التطورية ممكن إن لم نقل ان النص طرح هذا المبدأ قبل هذه النظريات ولكن بصورة تحتاج إلى دقة كبيرة وعمق، وأنه يأتي استجابة إلى مبدأ ثبته القرآن والأحاديث وهو مبدأ الحركة والتكامل في الوجود، وأنّه تكامل تدريجي وبحسب توفر المعطيات الموضوعية، وإذا كان القرآن الكريم يؤكد «على أن آدم ﷺ كان في الجنة وقد أهبط منها إلى الأرض نتيجة للمحنة التي مرّ بها هناك، فإننا نستطيع أن نجمع بين ظاهر القرآن الكريم وهذه النظرية ببعض الأساليب، إذا استطعنا أن نؤول بعض الآيات والروايات كما لو قلنا مثلاً: بأن آدمﷺ هو أول بشري وجد على صورتنا الحالية، بعد أن كان الشكل العام للنسل، هو شكل القرود!.

أو نقول: أن آدم ليس قرداً، بل هو تعبير عن أول مجتمع بشري دخل في عصر التفكير، بعد أن كانت البشرية تعيش كالحيوانات والبهائم.

أو نقترح: أن آدم ليس إنساناً مثلنا، بل هو رمز أو بتعبير آخر عن أول قرد، أو عن أوّل خلية حياتية وجدت على وجه الأرض»[2].

ووفق كل الفروض لابدّ لنا من نفي التطور العشوائي أو السير بلا اتجاه محدد أو هدف مرسوم سلفاً، لأنّه يمكن أن يقود إلى انتاج موجودات تؤدي

---

(١) الساحر المتدرب: ٢٤.

(٢) الدارونيّة: ١٩.

إلى تعطيل التطور وهذا مستحيل، لأنه يعني تعطيل أحد أهم السنن الأساسية في الوجود، ويمكن لنا تصور ذلك عملياً بانتاج جوامد من قبيل العناصر النبيلة التي لا تستطيع التفاعل، فتكون قادرة على الاخلال بالتوازن الذي سبق الإشارة إليه في بداية فرضية «الانفجار الكبير» وهذا الأمر عندما يحصل وخصوصاً في الأدوار الأولى فإنّه يلغي الأدوار التي تليه، ولا فرق بين أدوار الجماد الأولى أو أدوار الحياة البسيطة، فالنتيجة هي توقف التطور.

وهذا المبدأ إذا طبّقناه على عالم الأحياء فإننا نفترض حينئذٍ أن سلسلة التراب تطورت من كائنات أقل، وعليه يمكننا أن نفسر الحديث الذي ورد في بحار الأنوار منقولاً عن كتاب الاختصاص[1] بأنّه كان يتحدث عن المراحل الأولى للخلق، فالجان الذي ورد بصيغة المفرد يعبر عن جنس المستترات جميعها فهناك جان النار، وهناك جان الريح الذي ميزه عن سابقه فسماه جن، وهناك جان الماء، الذي اعتبره صنف من الجن. فهناك جان كبير ينقسم إلى قسمين هما الجان [أ] والجان [ب] والجان [ب] ينقسم بدوره إلى قسمين هما [جن (أ)] و [جن (ب)].

فالجان الأول هو الجنس الكبير الذي يشمل الجميع، أما الجان (أ) فهو جان النار، أما الجان [ب] فهو ينقسم إلى [جن الريح] و [جن الماء].

وأن هذا الاشتراك بين هذه المخلوقات لا يحصل إلاّ في الأطوار الأولى للحياة إذ أنها في تلك الفترة جميعاً جان أي مستترة بمعنى أن الإنسان لا يستطيع رؤيتها بالعين المجردة.

وإذا حملنا هذا على أن الكائنات المجهرية التي ولدت الكائنات الحية وفق نظرية التطور كانت ذات مناشئ متعددة، فإنّها في هذه المرحلة يصدق عليها

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٤ / ح ٥٠.

جميعاً أنّها جان أي مستترة لكنها في الأطوار اللاحقة تنتج الأنواع الناشئة من غاز كائنات خاصة ونفس الشيء بالنسبة للماء، وتسير سلسلة النار في مسارها الخاص ليظهر إبليس. ومن هنا فإن الحديث الذي أشار إلى النور والملائكة أولاً، كأنه يشير إلى الفروع الرئيسية التي تفرعت منها جميع أشكال الحياة وفي لحظات البداية التي قد تكون مشتركة. وقد أشار إلى خلق الملائكة أولاً ثم أشار إلى خلق الجن من الريح [الغاز] وبعدها خلق الجن من الماء، وهذا بالطبع نفس التصور العلمي لأطوار نشوء الحياة. فالطور الأول هو طور المرحلة التي كانت فيها الكائنات عبارة عن طاقة وهي تلت مرحلة الانفجار الكوني الكبير، ثم مرحلة الغاز [الريح] حيث نشأت الذرات الحقيقة والتي كانت على شكل غازات بسبب درجات الحرارة العالية، ثم يأتي طور السوائل وهو مقدمة تكوّن العناصر التي أيضاً في مرحلة درجات الحرارة العالية تكون شبيهة بالحمم البركانيّة والتي صارت تبرد.

وإذا كانت عملية التدرج بهذه الصورة فإنّ الحديث يشير إلى نظرية جديدة، وهي أن الحياة توجد بأشكال بسيطة مع أشكال حركة الطبيعة، وأن كل طور له شكل من أشكال الحياة وهكذا. فإنّ طور الانفجار الأول أولد الاشعاع الكوني الكبير ومعه الملائكة، ثم يأتي طور الضوء والحرارة [النار] ويتولد معه الجن، ثم يأتي الطور البارد [الغاز] ومعه الجان الذين هم من غاز، ويأتي الطور الأكثر برودة ومعه الجان الذين هم من ماء وهو شكل متطور من الكائنات الجرثومية البسيطة جداً.

ولهذا فإن ما يأتي من ذكر للجن في الحديث الذي ورد في بحار الأنوار[1] سنحمله على أنّهم الجن من مخلوقات الماء وليس الجن من النار، وهؤلاء

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٢ / ح ٣٨.

طبعاً سيأتي أن سفك الدماء عندهم جزء من الطبع وليس ناتج عن المعصية، وأن التطور في الطبيعة والحياة لا يسمح ببقاء هذه الأنواع بكثافة، لأنّه يمنع ظهور الأشكال الأكثر تطوراً بناءً على افتراض أن هذه الموجودات التي وصفت بأنها جان (مستترة) من المكروبات والجراثيم التي تؤدي إلى تحلل الكائنات الأرقى وتمنع سيادتها في الطبيعة.

ويمكن أن نتصور حركة الحياة من خلال نظام توازن بين الموجودات شبيهة بالتوازن الحالي، فلا بدّ من وجوده إذ بدونه يختل نظام الحياة وتزول الموجودات، وفي تلك الفترة المبكرة من الكون فإننا نتصور قلة عدد الموجودات وبساطتها، لكنها أيضاً تحتاج إلى حالة من التوازن لتستطيع عملية البقاء من التواصل فضلاً عن السماح بمجيء المزيد من الكائنات المعقدة والمتطورة والحديث هو:

جاء عن أبي جعفر ﷺ قال: قال أمير المؤمنين ﷺ: إن الله تبارك وتعالى لَما أحبّ أن يخلق خلقاً بيده وذلك بعد ما مضى للجن والنسناس في الأرض سبعة آلاف سنة ، قال : ولَما كان من شأن الله أن يخلق آدم للذي أراد من التدبير والتقدير لما هو مكونه في السّماوات والأرض وعلَمه لما أراده من ذلك كلّه كشط عن أطباق السماوات ،ثم قال للملائكة: انظروا إلى أهل الأرض من خلقي من الجن والنسناس، فلما رأوا ما يعملون فيها من المعاصي وسفك الدماء والفساد في الأرض بغير الحق، عظم ذلك عليهم وغضبوا لله وأسفوا على أهل الأرض ولم يملكوا غضبهم أن قالوا : يارب أنت العزيز القادر الجبار القاهر العظيم الشأن ، وهذا خلقك الضعيف الذليل في أرضك، يتقلّبون في قبضتك، ويعيشون برزقك، ويستمتعون بعافيتك، وهم يعصونك بمثل هذه الذنوب العظام لا تأسف ولا تغضب ولا تنتقم لنفسك لما تسمع منهم وترى، وقد عظم ذلك علينا وأكبرناه فيك!.

فلمّا سمع الله عز وجل ذلك من الملائكة قال: ﴿ *إنّي جاعل في الأرض خليفة* ﴾[1] لي عليهم فيكون حجّة لي عليهم في أرضي على خلقي، فقالت الملائكة: ﴿ *سبحانك أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك* ﴾ وقالوا: فاجعله منّا فإنّا لا نفسد في الأرض ولا نسفك الدماء.

قال الله جلّ جلاله: يا ملائكتي ﴿ *إنّي أعلم ما لا تعلمون* ﴾ إني أريد أن أخلق خلقاً بيدي أجعل ذريّته أنبياءً مرسلين، وعباداً صالحين، وأئمةً مهتدين، أجعلهم خلفائي على خلقي في أرضي، ينهونهم عن معصيتي، وينذرونهم عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم طريق سبيلي وأجعلهم حجة لي عذراً أو نذراً، وأبين النسناس من أرضي فأطهرها منهم، و أنقل مردة الجن العصاة عن بريّتي وخلقي وخيرتي، و أسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض لا يجاورون نسل خلقي، وأجعل بين الجن وبين خلقي حجاباً، ولا يرى نسل خلقي الجن ولا يؤانسونهم ولا يخالطونهم، فمن عصاني من نسل خلقي الذين اصطفيتهم لنفسي أسكنتهم مساكن العصاة وأوردتهم مواردهم ولا أبالي، فقالت الملائكة: يا ربّ افعل ما شئت ﴿ *لا علم لنا إلّا ما علمتنا إنّك أنت العليم الحكيم* ﴾[2] الخبر[3].

فالحديث الذي مرّ يتحدث عن مرحلة زمنية ظهرت فيها موجودات عضوية وسماها بالنسناس. وهو يختلف عن الحديث الذي تحدث عن مرحلة زمنية ساحقة القدم، حيث كان العالم مسكون فقط بالجن أي بمعنى المخلوقات الجرثومية وهو الأمر الذي تشير إليه نظرية التطور البايلوجي، وظهور النسناس يعني ظهور كائنات عضوية قريبة من الإنسان بدليل أن الله

---

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٣١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٢ - ٨٣.

تحدث عن اقتراب لحظة ظهور الإنسان الذي يشير القرآن أن ظهوره ليس فجائياً ﴿**وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيداً**﴾[(١)].

ومن المؤيدات أيضاً أن إبليس وذريته ليسوا وحيدين من سلسلة النار بل هناك آخرين أشار إلى بعضهم الحديث التالي:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لإبليس عوناً يقال له: تمريح، إذا جاء الليل ملأ ما بين الخافقين[(٢)].

فهناك مخلوقات تشابه إبليس في المهمة وصفها الحديث من خلال الحجم الكبير وإنها طبعاً غير مرئية، وهذا يؤيد ما نذهب إليه في أن الجان هم سلسلة مخلوقات تتشابه في بعض الجوانب ولا تتطابق من جميع المعالم. وإذا كان الحديث لم يتحدث عن مادة خلقة هذا المخلوق ولا بقية معالم وجوده وحياته، فإنّها تبقى مجهولة، ولقد سلّط الحديث الضوء على الجانب المهم وهو دوره في الاضلال فقط.

ومن هنا فإنه كان أوّل كافر لأنّه ملك العقل دون الأنواع الأخرى من الجن التي أشرنا إليها التي لم تصلح للخلافة بسبب الطبع الذي شأنه الإفساد. وهي ليست من مخلوقات النار بل من مخلوقات الريح أو الماء، وبذلك لا يتناقض مدلول هذا الحديث مع ما مرّ سابقاً.

((بإسناده عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: سأل الشامي أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم إبليس: ما كان في السّماء؟ فقال: كان اسمه الحارث، وسأله عن أوّل من كفر، فقال: إبليس لعنه الله))[(٣)].

---

(١) سورة المدثر: ١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٦٣.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٥.

وفي هذا الحديث تأكيد على عدم وجود المعصية قبل إبليس وهو ما ينفي وجود المعصية التي تحدث عنها الحديث الذي يقول بوجود دورة النسناس والجن فإنّها ليست أول معصية بنفس الكيفية.

ويمكن الجمع بأن إبليس أولّ من عصى في السماء، وأن النسناس والجان هم أوّل من عصى على الأرض، وبالتالي فإنّه ينسجم مع كون إبليس أوّل الجن من سلسلة النار الذين اشتبكوا مع آدم في علاقة العداء والتنافس على خلافة الأرض.

جاء عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام أنّه قال في حديث طويل له مع ملك الروم: إنّ ملك الروم سأله فيما سأله عن سبعة أشياء خلقها الله عزّ وجلّ لم تخرج من رحم، فقال: آدم وحوّا، وكبش إبراهيم، وناقة صالح، وحيّة الجنّة، والغراب الذي بعثه الله عزّ وجلّ يبحث في الأرض، وإبليس لعنه الله))[1].

والقول بأن إبليس لم يخرج من رحم فيه دلالة على أن الجنّ كالإنس يتوالدون ويخرجون من الأرحام مثلهم. وهذا من عناصر الاشتراك بين الجن والإنس، ثم إن إبليس مثله مثل آدم عليه السلام من ناحية الخلق وأن الله خلقه من طين مباشرة ولم يمر بالدورات التي مرّ بها البشر قبله فصار أبو الطور الحاضر من الإنس وأنّ إبليس هو مثله هو أبو الطور المتقدم والحاضر منهم. وأن هناك مخلوقات نار قبله هي التي مرت بمراحل التخلف والتطور، وهذا هو أسلوب من أساليب الجمع بين مداليل الأحاديث والآيات التي تقيد المضمونين معاً.

ويأتي في سياق هذا الحديث أيضاً الحديث التالي:

((بإسناده عن مسعدة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام سئل عن الكفر والشرك أيّهما أقدم؟ فقال: الكفر أقدم. وذلك أنّ إبليس أوّل من كفر وكان

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٤٨.

كفره غير شرك لأنّه لم يدع إلى عبادة غير الله، وإنّما دعا إلى ذلك بعد، فأشرك))[١].

فكون إبليس أولَ من كفر يدل على أنّه كفر عامداً عالماً، وأن الكفر الذي يكون قد وقع فيما سبق ليس بنفس الكيفية ولربّما اشترك فيه القصور الذي تفرضه الخلقة، وأن يختلف عن كفر إبليس الذي لعنه بسببه.

وهكذا يمكن تصور وجود سلسلة مخلوقات النار التي تتابعت على الظهور حتى كان إبليس أكملها من ناحية الخلقة والإمكانات والذي يعد خلقه التّطور الأخير.

أما لفظة شيطان فإنّها تدل على حالة الاشتراك في المعصية وهي تطلق على الإنس والجن معاً كما جاء في تفسير الحديث التالي:

قال رسول الله ﷺ: إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

الشيطان: فيعال من شطن إذا تباعد، فكأنّه يتباعد إذا ذكر الله تعالى. وقيل: إنّه فعلان من شاط يشيط، إذا احترق غضباً لأنّه يحترق ويغضب إذا أطاع العبد فيقول ﷺ: إنّ الشيطان لا يزال يراقب العبد ويوسوس إليه في نومه ويقظته. وهو جسم لطيف هوائيّ، يمكنه أن يصل إلى ذلك، والإنسان غاو غافل فيوصل كلامه ووسواسه إلى باطن أذنه فيصير إلى قلبه، والله تعالى هو العالم بكيفيّة ذلك، فأما وسواسه فلا شكّ فيه، والشيطان هنا اسم جنس ولا يريد به إبليس فحسب، وذلك لأنّ له أولاداً وأعواناً وذكر جريانه من ابن آدم مجرى الدم مثل، ولا يعني به أنّه يدخل عروقه وأوراده وتجاويف أعضائه، بل المعنى أنّه لا يزايله كما يقال: فلان يلازمني ملازمة الظلّ، وملازمة الحفيظين، وملازمة الروح الجسد، وملازمة القرن الشاة إلى غير ذلك. وكلام

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٨.

العرب إشارات وتلويحات والكلام إذا ذهب عنه المجاز والاستعارة زالت طلاوته وفارقه رونقه وبقي مغسولاً. وكان سيّدنا رسول الله ﷺ من أفصح الناس، وفي كلام بعضهم: احترس من الشيطان فإنّه عدوٌ مبين يراك ولا تراه ويكيدك وأنت لا تعلم وهو قديم وأنت حديث، وأنت سليم الصدر وهو خبيث.

وفائدة الحديث إعلام أنّ الشيطان يلازمك ويراصدك من حيث لا تعلم، فعليك بالاحتراز منه والتوقّي من مكره وكيده ووسوسته[1].

وهكذا فإن صفة الرجيم تطلق على الجميع المتصفين بصفة الشيطان سواء كانوا أنساً أو جنّاً. ومعناها هو الطرد لكنّها أكثر انطباقاً على الجان من الإنس رغم وجود جانب الاشتراك، لأنّها تعكس الطور الذي منعت فيه الشياطين من الدخول إلى السماء وصار يرجم بالشهب. وفيها دلالة على الطرد العقلي لكن اللعن يدل على الطرد المعنوي في الرحمة وهو أقوى، لأنّ الرحمة مستوعبة لجميع الوجود وبالتالي فإن اللعن أقصى حالات النأي عن الرحمة التي هي طافية على جميع الوجود، ويؤكد هذا المضمون الآيات التالية:

وقال سبحانه: ﴿ ***وإذ قال ربّك للملائكة إنّي خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حماءٍ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلّهم أجمعون * إلّا إبليس أبىٰ أن يكون مع الساجدين * قال يا إبليس ما لك ألّا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشرٍ خلقته من صلصال من حماءٍ مسنون * قال فاخرج منها فإنّك رجيم * وإنّ عليك اللعنة إلى يوم الدين * قال ربّ فانظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم * قال ربّ بما أغويتني لأزيّننّ لهم في الأرض ولأغوينّهم***

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٦٨ - ٣٦٩.

***أجمعين ❁ إلاّ عبادك منهم المخلصين ❁ قال هذا صراط عليّ مستقيم ❁ إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتّبعك من الغاوين ❁ وإنّ جهنّم لموعدهم أجمعين﴾***[١].

قوله: ﴿ ***فاخرج منها*** ﴾ قال البيضاوي: أي من السماء أو من الجنّة، أو من زمرة الملائكة. ﴿ ***فإنّك رجيم*** ﴾ مطرود عن الخير والكرامة، فإنّ من يطرد يرجم بالحجر، أو شيطان يرجم بالشهب، وهو وعيد يتضمّن الجواب عن شبهته، ﴿ ***وإن عليك اللعنة*** ﴾ هذا الطرد والإبعاد ﴿ ***إلى يوم الدين*** ﴾ فإنه منتهى أمد اللعن لأنّه يناسب أيّام التكليف لأزمان الجزاء وقيل: وما في قوله: ﴿ ***فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين*** ﴾[٢] بمعنى آخر ينسى عنده هذه.

وقيل: إنّما حدّ اللعن به لأنه أبعد غاية يضربها الناس، أو لأنّه يعذّب فيه بما ينسي اللعن معه فيصير كالزائل. ﴿***قال ربّ فأنظرني***﴾ فأخرّني، والفاء متعلّقة بمحذوف دلّ عليه. ﴿***فاخرج منها فإنّك رجيم ... إلى يوم يبعثون***﴾ أراد أن يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت إذ لا موت بعد وقت البعث، فأجابه إلى الأوّل دون الثاني. ﴿ ***قال فإنّك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم*** ﴾ المسمّى فيه أجلك عند الله، أو انقراض الناس كلّهم، وهو النفخة الأولى عند الجمهور، ويجوز أن يكون الأيّام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات، فعبّر عنه أوّلاً بيوم الجزاء لما عرفت، وثانياً بيوم البعث إذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل، وثالثاً بالمعلوم لوقوعه في الكلامين ولا يلزم منه أن لا يموت فلعلّه يموت أوّل اليوم ويبعث الخلائق في تضاعيفه.

---

(١) سورة الحجر: ٢٨ ـ ٤٣.

(٢) سورة الأعراف: ٤٤.

﴿قال ربّ بما أغويتني﴾ الباء للقسم وما مصدريّة وجوابه ﴿لأزيّننّ لهم في الأرض﴾ والمعنى أقسم باغوائك إيّاي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله: ﴿أخلد إلى الأرض﴾ وقيل: للسببية، والمعتزلة أوّلوا الاغواء بالنسبة إلى الغيّ أو التسبب له بأمره إيّاه بالسّجود لآدم عليه السلام أو بإضلاله عن طريق الجنّة[1].

قال علي بن ابراهيم في تفسير قوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾[2] قال: الرجيم أخبث الشياطين، فقلت له: ولم سمّي رجيماً؟ قال: لأنّه يرجم[3].

بيان: أي يرجم بالشهب أو باللعن أو في زمن القائم عجل الله فرجه.

قال الإمام العسكري عليه السلام: الشيطان هو البعيد من كلّ خير، الرجيم: المرجوم باللعن، المطرود من بقاع الخير[4].

روي عن الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام لِمَ سمّي الرجيم رجيماً؟ قال: لأنّه يرجم، فقلت: فهل ينقلب إذا رجم؟ قال: لا ولكنه يكون في العلم مرجوماً[5].

بيان: قوله: فهل ينقلب أي يرجع إلى الحياة والبقاء بعد الرجم، فقال عليه السلام: لا، والاستدراك لأنه توهّم السائل أنّ الرجم في هذه الأزمنة، فرفع عليه السلام وهمه بأنه إنّما يسمّى الآن رجيماً لأنه في علم الله أنّه يصير بعد ذلك رجيماً عند قيام القائم عليه السلام كما مرّ في الخبر السابق، ويحتمل أن يكون في الأصل «فهل ينفلت».

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) سورة النحل: ٩٨.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٤ - ٢٣٥ عن تفسير القمّي.

(٤) المصدر نفسه: ٦٠ / ٢٧٢.

(٥) المصدر نفسه: ٦٠ / ٢٤٢.

جاء عن عبد العظيم الحسنيّ، قال: سمعت أبا الحسن عليّ بن محمّد العسكري(ع) يقول: معنى الرجيم أنّه مرجوم باللعن، مطرود من مواضع الخير، لا يذكره مؤمن إلاّ لعنه، وإنّ في علم الله السابق أنه إذا خرج القائم(ع) لا يبقى مؤمن في زمانه إلاّ رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن[1].

وروي عن سماعة، عن أبي عبد الله(ع) في قول الله تعالى: ﴿ ***وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم*** ﴾ قلت: كيف أقول؟ قال: تقول: «أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم» قال: إنّ الرجيم أخبث الشياطين، قلت: لِمَ يسمّى الرجيم؟ قال: لأنّه يرجم، قلت: فما ينفلت منها شيء؟ قال: لا، قلت: فكيف سميّ الرّجيم ولم يرجم بعد؟ قال: يكون في العلم أنّه رجيم[2].

فالمنع في الولوج إلى السماء والاشتراك مع الملائكة هو شكل ميكانيكي للأبعاد بعد أن وقع الشيطان في المعصية، وبالتالي فإنّها كانت غير موجودة قبل المعصية، لأنّ الشيطان كان كالملائكة في كل شيء.

### الأدلّة على الطور الأول ـ السكون ـ:

وعلى هذا الأساس فإن إبليس مرّ بطورين: الطور الأول الذي لم يكن فيه قد دخل فيه بطور التكاثر والذرية وهو طور الاشتراك مع الملائكة في السكن وفي العبادة. ويأتي بعده الطور الثاني وهو طور العصيان والذي بدأت معه مرحلة التكاثر والنزول إلى الأرض، وفي هذا الصدد ورد في البحار ما يلي:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٢.

(٢) المصدر نفسه: ٦٠ / ٢٥٥.

اختلف أصحابنا والمخالفون في أن إبليس هل كان من الملائكة أم لا؟ فالذي ذهب إليه أكثر المتكلّمين من أصحابنا وغيرهم أنه لم يكن من الملائكة، وقد مرّت الأخبار الدالّة عليه. قال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المقالات: إنّ إبليس من الجنّ خاصّة وإنّه ليس من الملائكة ولا كان منها، قال الله تعالى: ﴿ *إلاّ إبليس كان من الجنّ* ﴾ وجاءت الأخبار متواترة عن أئمّة الهدى من آل محمّد عليهم السلام بذلك، وهو مذهب الإماميّة كلّها وكثير من المعتزلة وأصحاب الحديث.

وذهب طائفة من المتكلّمين إلى أنّه منهم، واختاره من أصحابنا شيخ الطائفة روّح الله روحه في التبيان وقال: وهو المرويّ عن أبي عبد الله عليه السلام والظاهر في تفاسيرنا، ثمّ قال رحمه الله: ثمّ اختلف من قال: كان منهم. فمنهم من قال: إنّه كان خازناً على الجنان، ومنهم من قال: كان له سلطان سماء الدّنيا وسلطان الأرض، ومنهم من قال: إنّه كان يوسوس ما بين السماء والأرض.

واحتجّ الأولّون بوجوه: أحدها قوله تعالى: ﴿ *إلاّ إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه* ﴾[1] قالوا : ومتى أطلق لفظ الجنّ لم يجز أن يعنى به إلاّ الجنس المعروف الذي يقابل بالإنس في الكتاب الكريم وأجيب عنه بوجهين:

الأوّل: أنّ معنى ﴿ *كان من الجنّ* ﴾ صار من الجنّ كما أنّ قوله: ﴿ *وكان من الكافرين* ﴾ معناه صار من الكافرين ذكر ذلك الأخفش وجماعة من أهل اللغة.

الثاني: أنّ إبليس كان من طائفة من الملائكة يسمون جنّاً من حيث كانوا خزنة الجنّة، وقيل: سمّوا جنّاً لاجتنانهم من العيون، واستشهدوا بقول الأعشى في سليمان عليه السلام:

---

(١) سورة الكهف: ٥٠.

وسخّر من جن الملائكة تسعة      قياماً لديه يعملون بلا أجر

وردّ الأوّل بأنّه خلاف الظاهر فلا يصار إليه إلاّ لدليل.

وثانيها: قوله تعالى: ﴿ ***لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون*** ﴾[1] فنفى عن الملائكة المعصية نفياً عاماً فوجب أن لا يكون إبليس منهم.

وأجيب عنه بأنّه قوله تعالى: ﴿***لا يعصون***﴾ صفة لخزنة النيران لا لمطلق الملائكة يدلّ عليه قوله تعالى: ﴿ ***عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم*** ﴾ ولا يلزم من كونهم معصومين كون الجميع كذلك، ويرد عليه أنّ الدلائل الدالة على عصمة الملائكة كثيرة وقد مرّ كثير منها.

وثالثها: أنّ إبليس له نسل وذريّة قال تعالى: ﴿ ***أفتتخذونه وذرّيته أولياء من دوني وهم لكم عدو*** ﴾[2] والملائكة لا ذريّة لهم لأنّه ليس فيهم أنثى لقوله تعالى: ﴿ ***وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً*** ﴾[3] والذريّة إنّما تحصل من الذكر والأنثى.

ويمكن الجواب عنه بعد تسليم دلالة الآية على السلب الكليّ بأن انتفاء الأنثى فيهم لا يدلّ على انتفاء الذريّة، كما أنّ الشياطين ليس فيهم أنثى مع أنّ لهم ذرية كما مرّ أن ذرية إبليس من نفسه وأنّه يبيض ويفرخ.

وقال الشيخ رحمه الله في التبيان: من قال إنّ إبليس له ذرية والملائكة لا ذريّة لهم ولا يتناكحون ولا يتناسلون، فقد عوّل على خبر غير معلوم.

---

(١) سورة التحريم: ٦.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) سورة الزخرف: ١٩.

ورابعها: أنّ الملائكة رُسل الله لقوله: ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾[1] ورسل الله معصومون لقوله سبحانه: ﴿الله اعلم حيث يجعل رسالته﴾[2] ولا يجوز على رسل الله الكفر والعصيان ملائكة كانوا أم بشراً.

وأجيب بأنّه ليس المراد بالآية العموم لقوله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾[3] قال في التبيان: وكلمة «من» للتبعيض بلا خلاف.

ولو لم يكن كذلك لجاز لنا أن نخصّ هذا العموم بقوله تعالى: ﴿إلاّ إبليس﴾ لأنّ حمل الاستثناء على أنّه منقطع حمل له على المجاز كما أنّ تخصيص العموم مجاز وإذا تعارضا سقطا لو لم يكن التخصيص أولى[4].

واستدلوا على مغايرة الجن للملائكة بأنّ الملائكة روحانيّون مخلوقون من الريح في قول بعضهم، ومن النور في قول بعضهم ولا يطعمون ولا يشربون، والجنّ خلقوا من النّار لقوله تعالى: ﴿والجانّ خلقناه من قبل من نار السموم﴾[5] وقد ورد في الأخبار النهي عن التمسّح بالعظم والروث لكونهما طعاماً لهم ولدوابّهم.

وأجيب بمنع المقدمات، قال في التبيان: الأكل والشرب لو علم فقدهما في الملائكة فلا نعلم أنّ إبليس كان يأكل ويشرب، وقد قيل: إنّهم يشمّون الطعام ولا يأكلونه انتهى.

واستدلّ أيضاً بقوله تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثمّ يقول للملائكة أهؤلاء إيّاكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت وليّنا من دونهم بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم

---

(١) سورة فاطر: ١.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٣) سورة الحج: ٥٧.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨٦-٢٨٨.

(٥) سورة الحجر: ٢٤.

**مؤمنون﴾**[١] وعورض بقوله تعالى: ﴿ **وجعلوا بينه وبين الجنّة نسباً** ﴾[٢] لأن قريشاً قالت: الملائكة بنات الله، فردّ الله عليهم بقوله تعالى: ﴿ **سبحان الله عمّا يصفون** ﴾.

وأجيب بالمنع فإنّه فسّرت الآية بوجوه أخرى:

منها: أنّ المراد به قول الزنادقة: إنّ الله وإبليس أخوان أو إنّ الله خلق النور والخير والحيوان النافع، وإبليس خلق الظلمة والشرّ والحيوان الضارّ، وبعضهم أشركوا الشيطان في عبادة الله تعالى، وذلك هو النسب الذي جعلوه بينه سبحانه وبين الجنّة.

ومنها: أنّهم قالوا: صاهر الله الجنّ فحدثت الملائكة.

واحتجّ القائلون بأنّه من الملائكة بوجهين:

الأوّل: أن الله تعالى استثناه من الملائكة، والاستثناء يفيد إخراج ما لولاه لدخل، وذلك يوجب كونه من الملائكة.

وأجيب: بأنّ الاستثناء ههنا منقطع، وهو مشهور في كلام العرب، كثير في كلامه تعالى، قال سبحانه: ﴿ **لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلاّ قيلاً سلاماً سلاماً** ﴾[٣] وقال: ﴿ **لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلاّ أن تكون تجارة عن تراض منكم** ﴾[٤] وأيضاً فلأنّه كان جنّياً واحداً بين الألوف من الملائكة فغلبوا عليه في قوله: ﴿ **فسجدوا** ﴾ ثمّ استثنى هو منهم استثناء واحد منهم وقد كان مأموراً بالسجود معهم، فلمّا دخل معهم في الأمر جاز إخراجه بالاستثناء منهم.

وردّ بأن كلّ واحد من هذين الوجهين على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلاّ عند الضرورة، والدلائل التي ذكرتموها في نفي كونه من الملائكة ليس فيها

---

(١) سورة سبأ: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) سورة الصافات: ١٥٨ ـ ١٥٩.

(٣) سورة الواقعة: ٢٥ ـ ٢٦.

(٤) سورة النساء: ٢٩.

إلاّ الاعتماد على العمومات، فلو جعلناه من الملائكة لزم تخصيص ما عوّلتم عليه من العمومات، ولو قلنا: إنّه ليس من الملائكة لزمنا حمل الاستثناء على المنقطع، ومعلوم أنّ تخصيص العموم أكثر في كتاب الله من حمل الاستثناء على المنقطع فكان قولي أولى، وأمّا قولكم: إنّه جني واحد بين الألوف من الملائكة فغلبوا عليه فنقول: إنّما يغلب الكثير على القليل إذا كان ذلك القليل ساقط العبرة غير ملتفت إليه، وأمّا إذا كان معظم الحديث ليس إلاّ عن ذلك الواحد لم يجز تغليب غيره عليه، وفيه نظر[1].

الثاني: أنّه لو لم يكن من الملائكة لما كان قوله تعالى: ﴿ *وإذ قلنا للملائكة اسجدوا* ﴾[2] متناولاً له، فلا يكون تركه للسجود إباء واستكباراً ومعصيةً، ولما استحقّ الذمّ والعقاب فعلم أنّ الخطاب كان متناولاً له، ولا يتناوله الخطاب إلاّ إذا كان من الملائكة.

وأجيب بأنّه وإن لم يكن من الملائكة إلاّ أنّه نشأ منهم وطالت خلطته بهم والتصق بهم فلا جرم تناوله ذلك الخطاب، وأيضاً يجوز أن يكون مأموراً بالسجود بأمر آخر ويكون قوله تعالى: ﴿ *ما منعك ألاّ تسجد إذ أمرتك* ﴾ إشارة إلى ذلك الأمر، وردّ الأوّل بأنّ مخالطته لهم لا يوجب توجّه الخطاب إليه كما حقّق في موضعه، والثاني بأنّ ظاهر قوله تعالى: ﴿ *وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس* ﴾ أنّ الإباء والعصيان إنّماحصل بمخالفة هذا الأمر لا بمخالفة أمر آخر.

هذا ما قيل أو يمكن أن يقال في هذا المقام، لكنّ الظاهر من أكثر الأخبار والآثار عدم كونه من الملائكة، وإنّه لما كان مخلوطاً بهم وتوجّه الخطاب إليهم شمله هذا الخطاب، وقوله تعالى: ﴿ *وإذ قلنا للملائكة* ﴾ مبنيّ على التغليب

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨٨ - ٢٨٩.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

الشايع في الكلام. وأمّا ما يشعر به كلام الشيخ رحمه الله في التبيان من ورود الأخبار بأن إبليس كان من الملائكة فلم نظفر بها وإن ورد في بعضها فهو نادر مؤول.

وقال رحمه الله: وأمّا ما روي عن ابن عبّاس من أنّ الملائكة كانت تقاتل الجنّ فسبي إبليس وكان صغيراً فكان مع الملائكة فتعبّد معها، فلمّا أمروا بالسجود لآدم سجدوا إلاّ إبليس فلذلك قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ فإنّه خبر واحد لا يصح، والمعروف عن ابن عبّاس: أنه كان من الملائكة فأبى واستكبر وكان من الكافرين[1].

وروي عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عمّا ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضلال؟ قال: نعم والكافرون دخلوا فيه، لأنّ الله تعالى أمر الملائكة بالسجود لآدم فدخل في أمره الملائكة وإبليس، فإنّ إبليس كان من الملائكة في السماء يعبد الله وكانت الملائكة تظن أنّه منهم ولم يكن منهم، فلمّا أمر الله الملائكة بالسجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد فعلمت الملائكة عند ذلك أنّ إبليس لم يكن منهم، فقيل له: فكيف وقع الأمر على إبليس، وإنّما أمر الله الملائكة بالسجود لآدم؟ فقال: كان إبليس منهم بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة، وذلك أن الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس فيهم حاكماً في الأرض، فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله الملائكة فقتلوهم وأسروا إبليس ورفعوه إلى السّماء فكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله تبارك وتعالى آدم[2].

وفي هذا الحديث دلالة على أن إبليس كان يشبه الملائكة إلى الدرجة التي لم تستطيع هي أيضاً التميز بينه وبينها. وهذا يعكس أنّه مخلوق ذو امكانات

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣٤.

مقاربة للملائكة، ذلك أنّه قادر على التعايش معها بحيث أنّه يسجد كسجودها وأنّه يرقى في أطباق السماوات، ولذلك يمنع بالرجم بواسطة الشهب ثم أنّه تولى بعض المهام كما يورد الحديث حيث كان حاكماً على نوع من الخلق، ثم أنه كما ورد في حديث آخر كان خازناً في السموات، وهذا أيضاً يدلّ على ما فرضناه أنّه مثله مثل آدم صار حاكماً على مخلوقات من جنسه أقلّ تطوراً. وهذا عنصر آخر من عناصر تأييد فرضية التطور فرفع إبليس لا يدل على أنه شريك في المعصية لأنّه لو كان شريكاً لكانت العدالة تقضي بقتله مثلهم ورفعه إلى السماء مذنباً ووضعه مع الملائكة يدلّ على بقاء عناصر التكريم معه فأما أنّه تاب أو أنّه لم يذنب.

عن جميل بن درّاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن إبليس أكان من الملائكة أو كان يلي شيئاً من أمر السّماء؟ فقال: لم يكن من الملائكة وكانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها ولم يكن يلي شيئاً من أمر السّماء ولا كرامة فأتيت الطيّار فأخبرته بما سمعت فأنكر وقال: كيف لا يكون من الملائكة والله يقول للملائكة: ﴿ *اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس* ﴾ فدخل عليه الطيّار فسأله وأنّا عنده فقال له: جعلت فداك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ *يا أيّها الذين آمنوا* ﴾ في غير مكان في مخاطبة المؤمنين أيدخل في هذه المنافقون؟ قال: نعم يدخل في هذه المنافقون والضّلال وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة[1].

وكذلك هذا الحديث عن جميل بن درّاج، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن إبليس: أكان من الملائكة أو هل كان يلي شيئاً من أمر السماء؟ قال: لم يكن من الملائكة ولم يكن يلي شيئاً من أمر السّماء وكان من الجن، وكان مع الملائكة وكانت الملائكة ترى أنّه منها وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلمّا أمر بالسّجود كان منه الذي كان[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٧.

بيان: قوله: ترى أنه منهم أي في طاعة الله وعدم العصيان لمواظبته على عبادته سبحانه أزمنة متطاولة لبعد عدم علم الملائكة بأنه ليس منهم بعد أن أسروه من الجنّ ورفعوه إلى السّماء فيكون من قبيل قولهم: «سلمان منّا أهل البيت» أو أنّهم لمّا رأوا تباين أخلاقه ظاهراً للجن وتكريم الله تعالى إيّاه وجعله من بينهم بل جعله رئيساً على بعضهم كما قيل، ظنّوا أنّه كان منهم وقع بين الجنّ، أو أنّ الظانّ كان بعض الملائكة[1].

وفي هذا الحديث نفس الدلالة.

((وروي أيضاً عن ابن عبّاس، أنّه قال: انطلق النبي في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا: ما لكم قد حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب؟ قالوا: ما ذاك إلاّ من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فالتقى الذين أخذوا نحو تهامة النبي وأصحابه وهو بنخلة عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلمّا سمعوا القرآن أنصتوا، وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ورجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿ *إنّا سمعنا قرآناً عجباً* ﴾[2].

وهذا الذي ذكره ابن عبّاس أوّل ما كان من أمر الجنّ مع النبيّ ولم يكن النبيّ رآهم إذ ذاك، إنّما أوحي إليه بما كان منهم))[3].

واختلف العلماء في أنّه من الملائكة من طائفة يقال لهم: الجن أم ليس من الملائكة، وفي أنّه اسم عربي أو عجميّ، فقال ابن عبّاس وابن مسعود وابن المسيّب وقتادة وابن جريح والزجّاج وابن الأنباريّ: كان إبليس من الملائكة

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٨.

(٢) سورة الجن: ١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٩٦.

من طائفة يقال لهم: الجنّ وكان اسمه بالعبرانيّة عزازيل، وبالعربيّة الحارث، وكان من خزّان الجنّة وكان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الأرض، وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً وأكثرهم علماً، وكان يسوس ما بين السماء والأرض، نعوذ بالله من خذلانه، قالوا: وقوله تعالى: ﴿كان من الجن﴾ أي من طائفة من الملائكة هم الجنّ.

وقال ابن جبير والحسن: لم يكن من الملائكة طرفة عين وأنّه لأصل الجن كما أنّ آدم أصل الإنس.

وقال عبد الرحمن بن زيد وشهر بن حوشب: وإنّما كان من الجنّ الذين ظفر بهم الملائكة فأسره بعضهم وذهب به إلى السماء.

وقال أكثر أهل اللغة والتفسير: إنّما سميّ إبليس لأنّه أبلس من رحمة الله، والصحيح كما قاله الإمام النوويّ وغيره من الأئمّة الأعلام: أنّه من الملائكة وأنّه اسم أعجمي، والاستثناء متصل لأنّه لم يقل: إنّ غيرهم أمر بالسجود، والأصل في الاستثناء أن يكون من جنس المستثنى منه[1].

وروي عن جميل، قال: كان الطيار يقول لي: إبليس ليس من الملائكة، وإنّما أمرت الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام فقال إبليس: لا أسجد، فما لابليس يعصي حين لم يسجد وليس هو من الملائكة؟ قال: فدخلت أنا وهو على أبي عبد الله عليه السلام قال: فأحسن والله في المسألة، فقال: جعلت فداك أرأيت ما ندب الله إليه المؤمنين من قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أدخل في ذلك المنافقون معهم؟ قال: نعم والضلاّل وكلّ من أقرّ بالدعوة الظاهرة، وكان إبليس ممّن أقرّ بالدعوة الظاهرة معهم[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٢) المصدر نفسه: ٦٠ / ٢٦٢.

وهنا بيان لشبهة كون الخطاب بالسجود غير موجه أصلاً لإبليس، لأنّه لم يكن من الملائكة في الحقيقة على أساس أنّه منهم بالظاهر كما مرّ، لأن الله ضمه إليهم وبالتالي فهو مشمول بالخطاب.

وروي عن جميل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عمّا ندب الله الخلق إليه أدخل فيه الضلال؟ قال: نعم، والكافرون دخلوا فيه، لأنّ الله تبارك وتعالى أمرَ الملائكة بالسجود لآدم فدخل في أمره الملائكة وإبليس، فإنّ إبليس كان مع الملائكة في السّماء يعبد الله وكانت الملائكة تظنّ أنّه منهم ولم يكن منهم، فلمّا أمر الله الملائكة بالسّجود لآدم أخرج ما كان في قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكة عند ذلك أنّ إبليس لم يكن منهم، فقيل له عليه السلام: فكيف وقع الأمر على إبليس وإنّما أمرَ الله الملائكة بالسّجود لآدم؟ فقال: كان إبليس منهم بالولاء ولم يكن من جنس الملائكة، وذلك أنّ الله خلق خلقاً قبل آدم وكان إبليس فيهم حاكماً في الأرض فعتوا وأفسدوا وسفكوا الدماء، فبعث الله الملائكة فقتلوهم وأسروا إبليس ورفعوه إلى السّماء، وكان مع الملائكة يعبد الله إلى أن خلق الله آدم[1].

وهنا إشارة إلى وجه الانتماء إلى الملائكة وشمول الخطاب لإبليس أيضاً.

وجاء عن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: أكان إبليس من الملائكة أم من الجن؟ قال: كانت الملائكة ترى أنّه منها، وكان الله يعلم أنّه ليس منها، فلمّا أمره الله بالسجود كان منه الذي كان[2].

وهذا تكرار لمضمونه.

قيل للإمام العسكري عليه السلام: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضاً ملكاً؟ فقال عليه السلام: لا بل كان من الجنّ، أمّا تسمعون الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ ***وإذ قلنا***

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٩.

*للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس كان من الجن﴾*[١] وهو الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿ *والجان خلقناه من قبل من نار السّموم*﴾[٢] إلى آخر ما مرّ في قصّة هاروت وماروت[٣].

في خطبه يذكر فيها خلقة آدم عليه السلام قال الإمام عليه السلام: واستأدى الله سبحانه وتعالى الملائكة وديعته لديهم، وعهد وصيته إليهم في الأذعان بالسجود له والخنوع لتكرمته، فقال: ﴿*اسجدوا لآدم*﴾ فسجدوا إلاّ إبليس وقبيله اعترتهم وغلبت عليهم الشقوة، وتعززوا بخلقة النار، واستهونوا خلق الصلصال، فأعطاه النظرة استحقاقاً للسخطة، واستتماماً للبليّة، وإنجازاً للعدة، فقال: ﴿ *فإنّك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم*﴾[٤] ثمّ أسكن سبحانه آدم داراً أرغد فيها عيشه، وآمن فيها محلّته وحذّره إبليس وعداوته، فاغترّه عدوّه نفاسةً عليه بدار المقام ومرافقة الأبرار[٥].

توضيح: استأدى وديعته أي طلب أداءها، والوديعة اشارة إلى قوله تعالى: ﴿ *وإذ قال ربّك للملائكة إنّي خالق بشراً* ﴾[٦] والخنوع: الخضوع، والقبيل في الأصل: الجماعة تكون من الثلاثة فصاعداً من قوم شتّى، فإن كانوا من أب واحد فهم قبيلة، وضمّ القبيل هنا إلى إبليس غريب فإنّه لم يكن له في هذا الوقت ذريّة ولم يكن أشباهه في السّماء، فيمكن أن يكون المراد به أشباهه من الجنّ في الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسّجود أيضاً، و عدم ذكرهم في الآيات وسائر الأخبار لعدم الاعتناء بشأنهم، أو المراد به طائفة خلقها الله

---

(١) سورة الكهف: ٥٠.

(٢) سورة الحجر: ٢٧.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٢.

(٤) سورة ص: ٨٠ ـ ٨١.

(٥) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٢.

(٦) سورة الحجر: ٢٨.

تعالى في السّماء غير الملائكة، ويمكن أن يكون المراد بالقبيل ذرّيته، ويكون إسناد عدم السّجود إليهم لرضاهم بفعلهم كما قال ﷺ في موضع آخر: إنّما يجمع النّاس الرضا والسخط وإنّما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمّهم الله بالعذاب لمّا عمّوه بالرضا فقال سبحانه: ﴿ *فعقروها فأصبحوا نادمين* ﴾[1] عترتهم أي: غشيتهم، والتعزز: التكبّر، واستوهنه أي: عدّه وهنا ضعيفة، نفاسة أي: بخلا[2].

وهنا أيضاً يؤكد القضية الرئيسية من خلال صريح القرآن الذي أكد أن إبليس ليس من الملائكة ثم يعرج على فلسفة امهاله الذي هو ذا وجهين: الوجه الأول: ما يتعلق بالشيطان ابليس الذي منح فرص لكي يؤكد أنه مستحق لسخط الله وذلك بإدامة سعيه لاضلال الناس والوجه الثاني: بالنسبة للناس اكمال عملية البلاء الذي قلنا أنه أحد قوانين الوجود الذي يثبت به الانسان أو سواه أهلية البقاء والدوام في الوجود.

## الطور الثاني ـ العصيان [أو التطور الاخلاقي]

وبناءً على كل هذه الأحاديث فإن إبليس يوازي آدم في عيشه طور الكرامة مع الملائكة الذي ختمه بالمعصية، لكن كما يلوح أن الأحاديث حددت فترة طويلة لبقاء إبليس مع الملائكة ولم تتحدث عن مدة بقاء آدم في الجنّة، وهو الطور الذي نال فيه الحضوة وقبل انزاله إلى دار البلاء مع إبليس وذريته.

وبنهاية هذا الطور يدخل إبليس في مرحلة الشيطان التي معناها التمرد ويتصف بالرجيم أي المبعد عن رحمة الله إلى الأرض أو يرجم لابعاده

---

(١) سورة الشعراء: ١٥٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٢ ـ ٢١٤.

بالشهب عن السماء، وهو الأمر الذي تحدثت عنه آيات وهكذا تلوح للطور الثاني عدة معالم:

١ ـ التمرد، اللعن، الشيطان.

٢ ـ العزل عن السماء، الرجم.

٣ ـ الابتلاء.

٤ ـ اختلاف نمط العلاقة مع الإنسان إذ سمح له بإغواءه.

٥ ـ منع الاستماع إلى السماء.

ولقد كان للطور الثاني آثار على إبليس منها حنينه إلى البقاء في عالم السماء الذي كان إبليس فيه يتجلى بمحاولات العودة إلى عالم الملائكة ومشاركتهم في الاطلاع على المعلومات التي يعرفونها من شؤون البشر والطبيعة، فتنتفع الشياطين به في افادة أوليائهم والاضرار بأعدائهم من المؤمنين، ولهذا فإنّهم يمنعون من ذلك. وقد دلّ على هذا مايلي:

قوله تعالى: ﴿ *وحفظاً من كلّ شيطان مارد * لا يسّمّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كلّ جانب * دحوراً ولهم عذابٌ واصب * إلاّ من خطف الخطفة فأتبعه شهابٌ ثاقب* ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ *طلعها كأنّه رؤوس الشياطين* ﴾[2].

قوله سبحانه: ﴿ *وحفظاً من كل شيطان مارد* ﴾ قال البيضاوي: ﴿ *حفظاً* ﴾ منصوب باضمار فعله أو العطف على زينة باعتبار المعنى، كأنّه قال: إنّا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من كل شيطان مارد، خارج عن الطاعة برمي الشهب.

قال الرازيّ: قال ابن عبّاس: يريد حفظ السماء بالكواكب من كلّ شيطان تمرّد على الله. قال المفسّرون: الشياطين يصعدون إلى قرب السماء

---

(١) سورة الصافات: ٧ ـ ١٠.

(٢) سورة الصافات: ٦٥.

فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب، وكانوا يخبرون به ضعفاءهم ويوهمونهم أنهم يعلمون الغيب، فمنعهم الله تعالى عن الصعود إلى قرب السماء بهذه الشهب، فإنّه تعالى يرميهم بها فيحرقهم بها[1].

وبقي ههنا بعض الأسئلة:

الأوّل: هذه الشهب هل هي الكواكب التي زيّن الله السماء بها أم لا؟ والأوّل باطل لأنّ هذه الشهب تبطل وتضمحل، فلو كانت هذه الشهب تلك الكواكب الحقيقيّة لوجب أن يظهر نقصان كثير في أعداد كواكب السماء، ومعلوم أنّ هذا المعنى لم يوجد البتّة، وأيضاً فجعلها رجوماً للشياطين مما يوجب النقصان في زينة السماء فكان الجمع بين هذين المقصودين كالمتناقض.

وأمّا القسم الثاني: وهو أن يقال: هذه الشهب جنس آخر غير الكواكب المركوزة في الفلك، فهذا أيضاً مشكل لأنه تعالى قال في سورة تبارك: ﴿ ***وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ*** ﴾[2] والضمير عائد إلى المصابيح.

والجواب أنّ هذه الشهب غير تلك الثواقب الباقية، وأمّا قوله: ﴿ ***وَلَقَدْ زَيَّنَّا*** ﴾ فنقول: كلّ منير يحصل في الجوّ العالي فهو مصباح لأهل الأرض، إلاّ أنّ تلك المصابيح منها باقية على وجه الدهر آمنة من التغيّر والفساد، ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يحدثها الله تعالى ويجعلها رجوماً للشياطين.

الثاني: كيف يجوز أن يذهب الشياطين إلى السّماء حيث يعلمون بالتجربة أنّ الشهب تحرقهم ولا يصلون إلى مقصودهم البتّة؟ وهل يمكن أن يصدر مثل هذا الفعل عن عاقل فكيف من الشياطين الذين لهم مزيّة في معرفة الحيل الدقيقة؟.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٦.

(٢) سورة الملك: ٥.

والجواب: أنّ حصول هذه الحالة ليس له موضع معيّن، وإلاّ لم يذهبوا إليه وإنّما يمنعون من المصير إلى مواضع الملائكة، ومواضعها مختلفة، فربما أن صاروا إلى موضع تصيبهم الشهب، وربما صاروا إلى غيره ولا يصادفون الملائكة فلا تصيبهم الشهب فلمّا هلكوا في بعض الأوقات وسلموا في بعضها، جاز أن يصيروا إلى مواضع يغلب على ظنونهم أنّه لا تصيبهم الشهب فيها، كما يجوز فيمن يسلك البحر أن يسلكه في موضع يغلب على ظنّه حصول النجاة، هذا ما ذكره الجبائيّ في تفسيره.

ولقائل أن يقول: إنّهم إذا صعدوا فإمّا أن يصلوا إلى مواضع الملائكة أو إلى غير ذلك الموضع، فإن وصلوا إلىمواضع الملائكة احترقوا، وإن وصلوا إلى غيرها لم يفوزوا بمقصود أصلا، فبعد هذه التجزية وجب أن يمتنعوا عن هذا العمل.

والأقرب في الجواب أن نقول: هذه الواقعة إنّما تتفق في الندرة فلعلها لم يشتهر بين الشياطين(١).

الثالث: قالوا: دلّت التواريخ المتواترة على أنّ حدوث الشهب كان حاصلاً قبل مجيء النبي ﷺ، ولذلك فإنّ الحكماء الذين كانوا موجودين قبل مجيء النبي ﷺ بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلّموا في سبب حدوثه.

وأجاب القاضي بأنّ الأقرب أنّ هذه الحالة كانت موجودة قبل النبيّ لكنّها كثرت في زمانه ﷺ فصار بسبب الكثرة معجزاً .

ويقول المجلسي ﵀ : يمكن أن يقال في الجواب عن السؤال الأوّل: أمّا أولاً: فبأنه على تقدير كون المراد بالمصابيح الكواكب نمنع عدم التغيّر في أعدادها، لأن جميعها غير مرصودة لاسيّما على القول بأنّ المجرة مركّبة من الكواكب الصغيرة.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٦ - ١٨٧.

وأمّا ثانياً: فبأن يقال: يجوز أن يخلق الله تعالى في موضع الكوكب الذي يرمى به الشيطان كوكباً آخر فلا يحسّ بزواله.

وأمّا ثالثاً: فبأن يقال: لعلّه ينفصل من الكوكب جسم يحرق الشياطين ويهلكهم مع بقاء الكوكب، كما ينفصل عن النار شعل محرقة مع بقائها، والشهاب في الأصل شعلة نار ساطعة، ومنه قوله تعالى: ﴿ *أو آتيكم بشهاب قبس* ﴾[1].

وأمّا السؤال الثاني فأجاب الشيخ رحمه الله في التبيان عنه بأنّهم ربما جوّزوا أن يصادفوا موضعاً يصعدون منه ليس فيه ملك يرميهم بالشهب، أو اعتقدوا أنّ ذلك غير صحيح ولم يصدّقوا من أخبرهم أنّهم رموا حين أرادوا الصعود.

وقيل في الجواب: إذا جاء القضاء عُمي البصر، فإذا قضى الله على شيطان بالحرق قبض الله من نفسه ما يبعثه على الاقدام على الهلكة، وربما غفل عن التجربة لشدّة حرصه على درك المقصود، وقد يقال في الجواب عن الثالث: بأنّ ما حدث بولادته ﷺ وبعثه هو طرد الشياطين بالشهب الثواقب لا وجودها، مع أن طائفة زعموا أنّ هذه الشهب ما كانت موجودة قبل البعث، ورووه عن ابن عبّاس وأبيّ بن كعب قالوا: لم يرم بنجم منذ رفع عيسى بن مريم ﷺ حتّى بعث رسول الله ﷺ فرمي بها، فرأت قريش أمراً ما رأوه قبل ذلك فجعلوا يسيبون أنعامهم ويعتقون رقابهم يظنّون إبّان الفناء، فبلغ ذلك بعض أكابرهم فقال: لِم فعلتم ذلك؟ فقالوا: رمي بالنجوم فرأينا تتهافت في السّماء فقال: اصبروا فإن تكن نجوم معروفة فهو وقت فناء الدنيا، وإن كانت نجوم لاتعرف فهو أمر حدث، فنظروا فإذا هي لا تعرف فأخبروه

---

(١) سورة النمل: ٧.

فقال: في الأمر مهلة، وهذا عند ظهور نبيّ فما مكثوا إلاّ يسيراً حتّى قدم أبو سفيان على أخواله وأخبر أولئك الأقوام أنّه ظهر محمّد بن عبد الله ﷺ ويدّعي أنّه نبي مرسل، وهؤلاء زعموا أنّ كتب الأوائل قد توالت عليها التحريفات، فلعلّ المتأخّرين ألحقوا هذه المسألة بها طعناً منهم في هذه المعجزة، وكذا الأشعار المنسوبة إلى أهل الجاهليّة لعلّها مختلقة عليهم لذلك.

قوله تعالى: ﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾ قال البيضاوي: كلام مبتدأ لبيان حالهم بعدما حفظ السماء عنهم، ولا يجوز جعله صفة ﴿لكل شيطان﴾ فإنه يقتضي أن يكون الحفظ من شياطين لا يسمعون، والضمير لكلّ باعتبار المعنى، وتعديه السّماع بإلى لتضمنّه معنى الاصغاء مبالغة لنفيه وتهويلاً لما يمنعهم، ويدلّ عليه قراءة حمزة والكسائي وحفص بالتشديد من التسمّع وهو طلب السماع، والملأ الأعلى الملائكة أو أشرافهم ﴿ويقذفون﴾ يرمون ﴿من كل جانب﴾ من السماء إذا قصدوا صعوده ﴿دحوراً﴾ علّة أي للدحور وهو الطرد، أو مصدر لأنّه والقذف متقاربان، أو حال بمعنى مدحورين أو منزوع عنه الباء جمع دحر وهو ما يطرد به، ويقوّيه القراءة بالفتح، وهو يحتمل أيضاً أن يكون مصدراً كالقبول أو صفة له، أي قذفاً دحوراً ﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي عذاب آخر دائم أو شديد وهو عذاب الآخرة ﴿إلاّ من خطف الخطفة﴾ استثناء من «واو» يسمعون ومن بدل منه، والخطف: الاختلاس، والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة و﴿أتبع﴾ بمعنى تبع والثاقب المضيء[1].

قوله تعالى: ﴿ولقد زيّنا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير * وللذين كفروا بربّهم عذاب جهنّم وبئس المصير * إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ كلّما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٨ ـ ١٨٩.

***يأتكم نذير ❖ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذّبنا وقلنا ما نـزّل الله من شيء إن أنتم إلّا في ضلال كبير﴾***[١].

وقد جاء في العلوم الحديثة عن الشهب والنيازك مايلي:

«النيازك: هي كتل سماوية تتفاوت في الحجم ما بين الحبة الصغيرة كحبة الرمل، والحجر الضخم الذي قد يبلغ وزنه عشرات الآلاف من الأطنان، وعند تساقط هذه الكتل إلى الأرض فلابدّ من مرورها بالغلاف الغازي، واحتكاكها بطبقات الهواء، مما يؤدي إلى سخونتها واحتراقها بسبب سرعتها العالية، فتظهر على هيئة خط أو جملة خطوط لامعة منيرة في سماء الليل تبهر الأنظار. وهذا المنظر الضوئي يسمى شهاباً، وقد يحترق الجسم كلياً، فلا يصل منه شيء إلى الأرض، وقد يتبقى منه شيء يسقط على الأرض ويرتطم بها، ويسمى عندئذ نيزكاً»[٢].

ويرد بالنسبة لقضية الاستماع إلى السماء، عنصرين يتعلقان بأداء الكواكب، الأول هو كونها زينة، ومعنى الزينة في الآيات قد يكون أوسع من معنى التزين الآية: ﴿ ***حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها*** ﴾[٣].

ففي الآية: ﴿ ***إنّا جعلنا ما على الأرض زينة لها...*** ﴾[٤] وردت لفظة التخزين التي معناها يشير إلى نوع من الهدفية، فالكواكب دورها في السماء شبيه بدور ما على الأرض، وهو طبعاً يساوي كل ما فيها مما ينفع الإنسان، وهو قطعاً لا يقصد المظهر الجميل مع تضمنه أيضاً للمظهر لكن لا يقتصر على المظهر بل

---

(١) سورة الملك: ٥ ـ ٩.

(٢) خلق الكون بين العلم والإيمان: ٥٦.

(٣) سورة يونس: ٢٤.

(٤) سورة الكهف: ٧.

يتجاوزه إلى مقومات البقاء فكأن الآية تقول: إن مقومات بقاء السماء وجود الكواكب.

والعنصر الثاني: هو دورها في الحفظ وليس بالضرورة أن تكون هي نفس الكواكب المعروفة والباقية كما مرّ في المناقشة، بل هي الشهب والجامع بينها وبين هذه الكواكب كونها متحركة، ولا فرق بين أن تكون حركتها في مدارات ثابتة أو متحركة بأي صورة أخرى وهو يصدق على الشهب.

أما بالنسبة لرجم الشياطين فإن اللصوص يعلمون بالعقوبة لكنهم يقدمون على السرقة ويعودون إليها بعد أن تنتهي عقوباتهم لأنّهم لا ييأسون من النجاة. ولهذا فإن القرآن استخدم لفظة (إلا من) كما في الآية ﴿ ***إلّا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب*** ﴾ [1] فهنا أن الشياطين يسعون إلى الاستماع فيختطفون بعض الاسماع فتتبعهم الشهب الثاقبة. فهنا لا توجد دلالة على أن الخطفة غير ممكنة أو أن الفرار من الشهاب مستحيل، فهم يقعدون مقاعد للسمع وأن اطلاق الشهب يتم بعد اختطاف الخطفة ووقوع الاستماع أولاً ثم تلاه القذف كما تدل الآية، ولا يوجد فيه دلالة على حتمية اصابة الهدف بإحراق الشيطان المارد المستمع.

وفي هذه الآية دلالة مماثلة:

قال تعالى: ﴿ ***وحفظناها من كلّ شيطانٍ رجيمٍ ❖ إلّا من استرق السمع فأتبعه شهابٌ مبينٌ*** ﴾[2].

وقال في قوله سبحانه: ﴿ ***وحفظناها من كل شيطان رجيم*** ﴾: فلا يقدر أن يصعد إليها ويوسوس أهلها ويتصرّف في أمرها ويطلع على أحوالها ﴿ ***إلّا من استرق السمع*** ﴾ بدل من «كل شيطان». واستراق السمع: اختلاسه سراً، شبّه به

---

(١) سورة الصافات: ١٠.

(٢) سورة الحجر: ١٧ ـ ١٨.

خطفتهم اليسيرة من قطّان السماوات لما بينهم من المناسبة في الجوهر، أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها.

وعن ابن عبّاس: أنّهم كانوا لا يحتجبون عن السّماوات، فلمّا ولد عيسى منعوا من ثلاث سماوات، ولمّا ولد محمّد ﷺ منعوا من كلّها بالشهب، ولا يقدح فيه تكوّنها قبل المولد لجواز أن تكون لها أسباب أخرى.

وقيل: الاستثناء منقطع: أي ولكن من استرق السّمع ﴿**فأتبعه**﴾ أي فتبعه ولحقه ﴿**شهاب مبين**﴾ ظاهر للمبصرين.

والشهاب: شعلة نار ساطعة، وقد يطلق للكوكب والسنان لما فوقها من البريق[١].

وفي تفسير علي بن إبراهيم في خبر ولادة النبيّ ﷺ قال: لمّا رأت الشياطين ما حدث من الآيات لولادته ونزول الملائكة ورميَ الشياطين بالشهب أنكروا ذلك واجتمعوا إلى إبليس فقالوا: قد منعنا من السّماء وقد رمينا بالشهب فقال: اطلبوا فإنّ أمراً قد حدث في الدنيا فرجعوا وقالوا: لم نرَ شيئاً، فقال إبليس: أنا لها بنفسي فجال بين المشرق والمغرب حتّى انتهى إلى الحرم فرآه محفوفاً بالملائكة وجبرئيل على باب الحرم بيده حربة، فأراد إبليس أن يدخل فصاح به جبرئيل، فقال: اخسأ يا ملعون، فجاء من قبل حرا فصار مثل الصرّ، فقال: يا جبرئيل حرف أسألك عنه، قال: ما هو؟ قال: ما هذا؟ وما اجتماعكم في الدنيا؟ فقال: هذا نبيُّ هذه الأمّة قد ولد وهو آخر الأنبياء وأفضلهم، قال: هل لي فيه نصيب؟ قال: لا، ففي أمّته؟ قال: بلى، قال: قد رضيت[٢].

بيان: الصرّ بالفتح: طائر كالعصفور أصفر.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤١.

لابدّ أن يحمل هذا الخبر على أنه غير الوضع المتعارف لشدة الحراسة وكثافتها في السماء وأن الأرض حرست كذلك، وهو وضع خاص بولادة الرسولﷺ ولا علاقة له بمضمون الآيات، لأن الحراسة كانت على الأرض بشكل كثيف غير إنّ إبليس هنا لابدّ أن يحمل على جنس وليس فرد، لأن بقاء إبليس الذي بقي إلى الوقت المعلوم لابدّ أن يكون بقاءه من خلال الذريّة. وأنه يصح فيه الموت كما يصح في آدمعليه السلام وكما ورد في الآيات التي خوطب بها آدم عندما خوطب مشتركاً مع إبليس ووردت فيها لفظة الموت لإبليس وآدم معاً. ثم يفهم ذلك أيضاً من كون الجن والإنس مشتركون في الولادة والموت والبعث والحساب، ولايمكن أن نفهم إلاّ أن يفترض أن إبليس فرد معمّر ويدوم عمره إلى اليوم المعلوم وهذه حالة خاصة به دون ذريته.

ومما يلفت النظر في قضية كون إبليس ليس شخصاً واحداً عمر منذ آدم إلى اليوم المعلوم هو الحديث التالي:

((جاء عن العبّاس بن هلال، عن الرضاعليه السلام أنّه ذكر أنّ اسم إبليس الحارث، وإنّما قول الله عزّ وجلّ: يا إبليس: يا عاصي، وسمّي إبليس لأنّه أبلس من رحمة الله[1].

بيان: قال الراغب: الإبلاس: الحزن المعترض من شدّة البأس، يقال: أبلس، ومنه اشتقّ إبليس فيما قيل، قال تعالى: ﴿***ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون***﴾[2]))[3].

فمن معنى كلمة إبليس الذي هو الإبلاس من رحمة الله ومعناه مثل شيطان أي صفة لبعض أفراد الجن، ولذلك نقل الحديث أن اسمه الحارث،

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤١-٢٤٢.

(٢) سورة الروم: ١٢.

(٣) مفردات ألفاظ القرآن: ١٤٣ (بلس).

وفي حديث ورد اسم آخر ولهذا يمكننا افتراض نظر مغاير لكل حديث وأن كل ابليس هو فرد مستقل بدليل اختلاف الأسماء واتحاد الدور التأريخي. وهذا يدلّ على أن هناك أبالسة يتزعّمون المعصية في كل عصر وكل منهم ابليس، وبالتالي فإن هناك عملية توارث للدور وأن الإمهال لاستمرار الدور وليس لبقاء شخص واحد من قبل ظهور آدم وحتى اليوم المعلوم.

وهذا بدوره يلقي ضوءاً على الوضع الاجتماعي لعالم الجن الذين لهم زعماء يقودون المعصية ويفرضونها على أتباعهم من الجن والإنس، ويمكن أن نتخيل أن الذين يوصفون بلفظة إبليس هم أشد الجن تجبراً وعناداً لله وسعياً في اضلال الخلق.

((وعن ابن عباس قال: لم تكن السماء الدنيا تحرس في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله، وكانوا يقعدون منها مقاعد للسّمع، فلمّا بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله حرست السّماء الدنيا حرساً شديداً ورجمت الشياطين فأنكروا ذلك فقالوا: ﴿ *وأنّا لا ندري أشرّاً أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم رشداً* ﴾[1].

فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث فاجتمعت إليه الجنّ، فقال: تفرّقوا في الأرض فأخبروني ما هذا الحدث الذي حدث في السماء، وكان أوّل ما بعث ركب من أهل نصيبين وهم أشراف الجنّ وسادتهم، فبعثهم إلى تهامة فاندفعوا حتّى تلقّوا الوادي (وادي نخلة)، فوجدوا نبيّ الله صلى الله عليه وآله يصلّي صلاة الغداة ببطن نخلة فاستمعوا، فلمّا سمعوه يتلو القرآن قالوا: ﴿*أنصتوا*﴾ ولم يكن نبيّ الله صلى الله عليه وآله يعلم أنّهم استمعوا له وهو يقرأ القرآن ﴿ *فلما قضي*﴾ يقول: فلمّا فرغ من الصلاة ﴿ *ولّوا إلى قومهم منذرين*﴾ يقول: مؤمنين))[2].

وفي هذا الحديث إشارة إلى منع الشياطين عن الاستماع مرّ بدوره بطورين: الأول: الطرد والذي كان فيه الشياطين يقعدون مقاعد للسمع، ثم

---

(١) سورة الجن: ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٢.

يأتي الطور الثاني: الذي ملأت فيه بالحرس الشديد والشهب بحيث أن الشياطين بلغ بهم الأمر لا يعرفون الهدف من هذا التشديد في منع السمع.

وفيه أيضاً إشارة إلى أن الجن كالإنس فيهم الشريف والوضيع، وأن جماعة منهم جاءوا إلى الرسول صلى الله عليه وآله واستمعوا القرآن فآمن بعضهم وعادوا إلى قومهم منذرين.

((جاء عن عليّ عليه السلام أنّه قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله ذات ليلة إذ رمي بنجم فاستنار، فقال للقوم: ما كنتم تقولون في الجاهليّة إذا رأيتم مثل هذا؟ قالوا: كنّا نقول: مات عظيم وولد عظيم، قال: فإنّه لا يرمي به لموت أحد ولحياة أحدو لكن ربّنا إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش وقالوا: قضى ربّنا بكذا، فيسمع ذلك أهل السماء التي تليهم فيقولون ذلك حتى يبلغ ذلك أهل السماء الدنيا، فيسترق الشياطين السمع فربّما اعتلقوا شيئاً فأتوا به الكهنة فيزيدون وينقصون، فتخطئ الكهنة وتصيب، ثم إنّ الله عزّ وجلّ منع السماء بهذه النجوم فانقطعت الكهانة فلا كهانة، وتلا جعفر بن محمّد عليه السلام: ﴿ ***إلّا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين*** ﴾ [1] وقوله: ﴿ ***وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع*** ﴾[2].

بيان: فربما اعتلقوا شيئاً أي أحبّوه أو تعلموه أو تعلقوا به، في القاموس: اعتلقه أي أحبّه وتعلّقه وتعلّق به بمعنى، وفي النهاية: أنّى علقها أي من أين تعلّمها وممّن أخذها))[3].

وهنا يرد توضيح لطبيعة الاستراق للسمع قبل منعه نهائياً، حيث كان الكهان يستطيعون التنبؤ ببعض الأشياء من خلال ايحاء الشياطين لهم ببعض المعلومات التي يحصلون عليها، وهذا تفسير لقدرة بعض البشر على التنبوء إذ

---

(١) سورة الحجر: ١٨.

(٢) سورة الجن: ٩.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨٠.

أنّها من موجبات الشيطان الذي سيرد في النصوص القادمة أن الإنسان دائماً بين وحي الملائكة له ووحي الشياطين ولربّما علم الكاهن بأن هذا من الشيطان، وربّما لم يعلم فيرى أن هذا عائد لقدرته الشخصية.

وبالطبع فإن هذا الحديث فيه تناقض مع الحديث السابق حيث حدّد الفترة لمنع الاستماع بين عيسى عليه السلام ومحمّد صلى الله عليه وآله مع أن الشهب ظاهرة قديمة تسبق هذا التأريخ بكثير، إلاّ إذا قلنا أن المنع غير المنظم فربّما يقوى في فترة ويضعف في فترة أخرى بحسب مقتضيات المنع، إذ ربما استمع الشيطان بقرب ظهور الرسول صلى الله عليه وآله أو لبعض الآيات فأوحى بها إلى سواه لكي يضلل الناس.

((وورد عن ابن عبّاس قال: كانت الشياطين لهم مقاعد في السّماء يسمعون فيها الوحي، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعاً، فأمّا الكلمة فتكون حقّاً، وأمّا ما زاد فيكون باطلاً، فلمّا بعث رسول الله صلى الله عليه وآله منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لإبليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم: ماهذا إلاّ من أمر حدث في الأرض، فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله قائماً يصلي بين جبلين بمكّة فأتوه فأخبروه، فقال: هذا الحدث الذي حدث في الأرض))[1].

وهذا أيضاً يحمل على حالة منع كثيفة حصلت عند منع الشياطين حين بعث الرسول صلى الله عليه وآله في استطلاع أخبار السماء، وهو خاص بزمن البعثة ولا يدل على أكثر من ذلك في الاستمرارية.

((وعن عبد الملك قال: لم تحرس الجنّ في الفترة بين عيسى عليه السلام ومحمّده صلى الله عليه وآله ، فلمّا بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله حرست السماء الدنيا ورميت الجن بالشهاب واجتمعت إلى إبليس، فقال: لقد حدث في الأرض حدث، فتعرفوا

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢١ - ١٢٢.

فأخبرونا ما هذا الحدث، فبعث هؤلاء النفر إلى تهامة وإلى جانب اليمن وهم أشراف الجن وسادتهم فوجدوا النبيّ ﷺ يصلّي صلاة الغداة بنخلة، فسمعوه يتلو القرآن، فلمّا حضروه قالوا: ﴿*أنصتوا*﴾ فلمّا قضى، يعني بذلك أنّه فرغ من صلاة الصبح ﴿*ولّوا إلى قومهم منذرين*﴾ مؤمنين لم يشعر بهم حتّى نزل: ﴿*قل أوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ*﴾ يقال: سبعة من أهل نصيبين))[1].

وفيه إشارة إلى أن هذه الفترة ضعفت فيها الشدّة على منع الاستماع وازدادت بعد بعثة النبي ﷺ ولكن يدل على أنّ المنع كان موجوداً قبل عيسى عليه السلام وبعد محمد ﷺ.

جاء عن الرضا، عن أبيه عليهما السلام قال: إنّ الجنّ كانوا يسترقون السمع قبل مبعث النبيّ ﷺ فمنعت في أوان رسالته بالرجوم، وانقضاض النجوم، وبطلان الكهنة والسّحر. الخبر[2].

وهو يحمل نفس الدلالة السابقة.

وعن ابن عمر قال: لما كان اليوم الذي تنبأ فيه رسول الله ﷺ منعت الشياطين من السّماء ورموا بالشهب[3].

ومثله أيضاً: عن ابن عبّاس قال: كانت الجنّ قبل أن يبعث النبيّ ﷺ يستمعون من السماء، فلمّا بعث حرست فلم يستطيعوا أن يستمعوا، فجاءوا إلى قومهم يقول للذين لم يستمعوا فقالوا: ﴿*وأنّا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً*﴾ وهم الملائكة ﴿*وشهباً*﴾ وهي الكواكب ﴿*وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً*﴾ يقول: نجماً قد أرصد له يرمى به، قال: فلمّا رموا بالنجوم قالوا لقومهم: ﴿*وأنّا لا ندري أشرّاً أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربّهم رشداً*﴾[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٣.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٢.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٢- ١٢٣.

وهذا أيضاً كالحديث السابق.

وهذا الطور الذي أنزل فيه إبليس إلى الأرض هو الطور الأساسي في التفاعل مع الإنسان والذي تبدأ به مسيرة التطور الأخلاقي.

من الواضح أن الطابع العام للعلاقة بين الجن والإنس هو العداء الذي يترجم إلى محاولة اثبات عدم أهلية آدم وذريته لخلافة الأرض، إلاّ أن هذا العداء يأتي طبقاً لقانون عام أيضاً يسري على المخلوقات هو قانون البلاء [الحافز] الذي يمثل معياراً لفرز حالات الاستجابة للأوامر الإلهية وتحديد درجة الاستجابة. ويدل على هذا الأمر ما ورد في بحار الأنوار وهو ما يلي: قال تعالى: ﴿ ***وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس قال أأسجد لمن خلقت طيناً * قال أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ لئن أخّرتن إلى يوم القيامة لأحتنكنّ ذريته إلاّ قليلاً * قال اذهب فمن تبعك منهم فإنّ جهنّم جزاؤكم جزاء موفوراً * واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً * إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ وكفى بربّك وكيلا*** ﴾[1].

قال الرازي في قوله تعالى: ﴿ ***إلاّ إبليس*** ﴾: أجمعوا على أن إبليس كان مأموراً بالسجود لآدم، واختلفوا في أنه هل كان من الملائكة أم لا؟ وظاهره أنّ الله تعالى تكلّم مع إبليس بغير واسطة، وأنّ إبليس تكلّم مع الله بغير واسطة، فكيف يعقل هذا؟ مع أنّ مكالمة الله تعالى بغير واسطة من أعظم المناصب و أشرف المراتب، فكيف يعقل حصوله لرأس الكفرة ورئيسهم؟.

ولعلّ الجواب عنه: أنّ مكالمة الله تعالى إنّما كان منصباً عالياً، إذا كان على سبيل الاكرام والإعظام، فأمّا إذا كان على سبيل الإهانة والإذلال فلا[2].

وبغض النظر عن أسلوب محادثته فإنّه رفض اطاعة الأمر وأصر على العصيان.

---

(١) سورة الإسراء: ٦١ - ٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٦٨.

# الأدلّة على الطور الثاني [ الطور التفاعلي ]

## الارتباط بين الأقطاب

لقد تبين لنا مما سبق أن الإنسان والجان هما قطبا الحياة العاقلة، وأنهما متضادان في التركيب [غريزة - عقل] إنسان و[عقل - غريزة الجان، وأن كل منهما محتاج إلى القطب الآخر لبلوغ حالة الكمال النفسي والعقلي الذي هو الكمال المطلوب وقوعه في هذه الفترة [الطور التفاعلي] وهي فترة تمتد بامتداد التأريخ الإنساني منذ ظهور آدم وحتى يوم القيامة.

وعلى هذا الأساس فإن العلاقة بين الجان والإنس ليست حالة نشأت مصادفة أو نتيجة لموقف ارتجالي وقفه إبليس من مخلوق جديد بل، إن هذا الموقف يأتي ليمثل عود ثقاب يشتعل ليبدأ حريق طويل لا ينتهي قبل يوم القيامة، هذا الحريق هو الذي سيعطي القوة الدافعة لعجلات الحياة العاقلة التي ستسير فنسميها حركة التأريخ، تلك الحركة التي سوف لن تنطلق ما لم يبدأ قطباها بالتفاعل، وإذا نظرنا إلى القضية من نقطة مرتفعة تطل على تأريخ الوجود منذ بدايته، فإننا نستطيع القول أن الحياة بدأت تدخل في مرحلة شبيهة بالمراحل التي بلغتها الجمادات عندما اشتركت الجسيمات [السالبة والموجبة] في تركيب نواة منها، فإنَّ أول نواة للحياة ولدت عندما نزل أزواج الجان والإنس إلى الأرض.

فالجان بصفة عامة كان لهم دور محدَّد ينحصر في تشكيل قطب العصيان، ويقابلهم دور محدد للإنس ينحصر في تشكيل قطب الطاعة، ثم يتصارع القطبان من خلال التأريخ لتتحرك جماعات الجن والإنس بين هذين

القطبين في حركة اختيارية تعتمد على عنصر الإدراك وعنصر الإرادة وينضج هذين العنصرين عبر صراع تطوري، فكلما طوّر قطب الطاعة أدواته حاول القطب المقابل تطوير أدواته أيضاً، وعن هذا الطريق يحصل تراكم في عناصر الإدراك وعناصر الإرادة وهو الهدف من التفاعل[١].

((وقال البيضاوي: في قوله تعالى: ﴿لمن خلقت طيناً﴾[٢] لمن خلقته من طين، فنصب بنزع الخافض، ويجوز أن يكون حالاً من الراجع إلى الموصول، أي خلقته وهو طين أو منه، أي أأسجد له وأصله طين؟ وفيه على الوجوه إيماء بعلّة الإنكار ﴿قال أرأيتك هذا الذي كرّمت عليّ﴾ الكاف لتأكيد الخطاب لا محلّ له من الاعراب، وهذا مفعول أوّل، والذي صفته، والمفعول الثاني محذوف لدلالة صلته عليه، والمعنى أخبرني عن هذا الذي كرّمته عليّ بأمري بالسجود له لم كرّمته عليّ؟ ﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة﴾ كلام مبتدء واللام موطئة للقسم وجوابه ﴿لأحتنكنّ ذريّته إلاّ قليلاً﴾ أي لأستأصلنّهم بالإغواء إلاّ قليلاً لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم، من احتنك الجراد الأرض: إذا جرّد ما عليها أكلاً، مأخوذ من الحنك، وإنّما علم أن ذلك يتسهل له إمّا استنباطاً من قول الملائكة: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾ مع التقرير، أو تفرّساً من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب ﴿قال اذهب﴾ امض لما قصدته، وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولته له نفسه ﴿فمن تبعك منّهم فإنّ جهنم جزاؤكم﴾ جزاؤك وجزاؤهم، فغلّب المخاطب على الغائب، ويمكن أن يكون الخطاب للتّابعين على الالتفات ﴿جزاءً موفوراً﴾ مكمّلاً من قولهم: «فر لصاحبك عرضه» وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله، أو بما في جزاءكم من معنى تجازون، أو حال موطئة لقوله: ﴿موفوراً﴾ ﴿واستفزز﴾ واستخفّ ﴿من استطعت منهم﴾ أن تستفزّه. والفزّ: الخفيف ﴿بصوتك﴾ بدعائك إلى الفساد.

---

(١) تم بحثه مفصلاً في كتاب حركة التأريخ ـ رؤية قرآنية للمؤلف: ٦٣ ـ ٧٦.

(٢) سورة الإسراء: ٦١.

وقال الرازيّ: يقال: أفزّه الخوف واستفزّه أي أزعجه واستخفّه، وصوته دعاؤه إلى معصية الله.

وقيل: أراد بصوتك الغناء واللهو واللعب، والأمر للتهديد ﴿وأجلب عليهم﴾ [1] قال الفرّاء: إنّه من الجلبة وهي الصياح، وقال الزجّاج في فعل وأفعل: أجلب على العدوّ إجلاباً: إذا جمع عليه الخيول، وقال ابن السكّيت: يقال: هم يجبون عليه ويجلبون عليه بمعنى أن يعينون عليه، وعن ابن الأعرابي: أجلب الرجل الرجل: إذا توعده الشرّ وجمع عليه الجمع، فالمعنى على قول الفرّاء: صح عليهم بخيلك ورجلك، وعلى قول الزجّاج: أجمع عليهم كل ما تقدر من مكائدك، فالباء زائدة، وعلى قول ابن السكّيت: أعن عليهم، ومفعول الاجلاب محذوف كأنّه يستعين على إغوائهم بخيله ورجله، وهذا يقرب من قول ابن الأعرابيّ، واختلفوا في تفسير الخيل والرّجل، فروي عن ابن عبّاس أنّه قال: كلّ راكب أو راجل في معصية الله فهو من خيل إبليس وجنوده ويدخل فيه كلّ راكب وماش في معصية الله، فخيله ورجله كلّ من شاركه في الدعاء إلى المعصية، ويحتمل أن يكون لابليس جند من الشياطين بعضهم راكب وبعضهم راجل.

أو المراد منه ضرب المثل، وهذا أقرب، والخيل يقع على الفرسان وعلى الأفراس والرجل جمع راجل كالصّحب والركب، ﴿وشاركهم في الأموال﴾ هي عبارة عن كلّ تصرّف قبيح في المال، سواء كان ذلك القبيح بسبب أخذه من غير حقّه أو وضعه في غير حقّه، ويدخل فيه الرّبا والغصب والسرقة والمعاملات الفاسدة، كذا قاله القاضي، وقال قتادة: هي أن جعلوا بحيرة وسائبة، وقال عكرمة: هي تبكيتهم آذان الأنعام.

---

(١) سورة الإسراء: ٦٤.

وقيل: هي أن جعلوا من أموالهم شيئاً لغير الله كما قال تعالى: ﴿ ***فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا*** ﴾[1] والأصوب ما قاله القاضي.

وأمّا المشاركة في الأولاد: فقالوا: إنّه الدعاء إلى الزنا أو أن يسمّوا أولادهم بعبد اللات وعبد العزّى، أو أن يرغبوا أولادهم في الأديان الباطلة، أو إقدامهم على قتل الأولاد ووأدهم، أو ترغيبهم في حفظ الأشعار المشتملة على الفحش، أو ترغيبهم في القتل والقتال والحرف الخبيثة الخسيسة.

والضّابط أن يقال: إنّ كل تصرف من المرء في ولده على وجه يتأدّى ذلك إلى ارتكاب منكر وقبيح. فهو داخل فيه.

قوله تعالى عزّ وجلّ: ﴿***وعدهم***﴾ اعلم أنّه لمّا كان مقصود الشيطان الترغيب في الاعتقاد الباطل والعمل الباطل والتنفير عن اعتقاد الحقّ وعمل الحق. ومعلوم أنّ الترغيب في الشيء لا يمكن إلاّ بأن يقرر عنده أنّه لا ضرر البتة في فعله ومع ذلك فإنّه يفيد المنافع العظيمة، والتنفير عن الشيء لا يمكن إلاّ بأن يقرّر عنده أنّه لا فائدة في فعله، ومع ذلك فيفيد المضار العظيمة، فإذا ثبت هذا فنقول: إنّ الشيطان إذا دعا إلى المعصية فلابدّ وأن يقرر أولاً أنه لا مضرّة في فعله البتة، وذلك لا يمكن إلاّ إذا قال: لا معاد ولا جنّة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة، فبهذا الطريق يقرّر عنده أنه لا مضرّة البتّة في فعل هذه المعاصي، وإذا فرغ من هذا المقام قرّر عنده أنّ هذا الفعل يفيد أنواعاً من اللذّة والسّرور ولا حياة للإنسان إلاّ في هذه الدنيا فتفويتها غبن وخسران، وأما طريق التنفير عن الطّاعة فهو أن قرّر أوّلاً عنده أنه لا فائدة فيه من وجهين:

الأوّل: أنه لا جنّة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب.

والثاني: أنّ هذه العبادات لا فائدة فيها للعابد ولا للمعبود فكانت عبثاً محضاً، وإذا فرغ من هذا المقام قال: إنّها يوجب التعب والمحنة، وذلك أعظم

---

(١) سورة الأنعام: ١٣٦.

المضار، فهذه مجامع تلبيس الشيطان، فقوله: ﴿وعدهم﴾ يتناول كلّ هذه الأقسام.

قال المفسرون: ﴿وعدهم﴾ بأنه لا جنّة ولا نار، أو بتسويف التوبة، أو بشفاعة الأصنام عند الله، أو بالأنساب الشريفة، أو إيثار العاجل على الآجل.

وبالجملة فهذه الأقسام كثيرة وكلّها داخلة في الضبط الذي ذكرناها ﴿وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً﴾ [١] لأنه إنّما يدعو إلى أحد ثلاثة أمور: قضاء الشهوة، وإمضاء الغضب، وطلب الرياسة والرفعة، ولا يدعو البتة إلى معرفة الله ولا إلى خدمته، وتلك الأشياء الثلاثة معيوبة من وجوه كثيرة:

أحدها: أنها في الحقيقة ليست لذّات بل هي خلاص عن الآلام.

وثانيها: أنها وإن كانت لذّات ولكنّها لذّات خسيسة مشترك فيها بين الكلاب والديدان والخنافس.

وثالثها: أنّها سريعة الذهاب والانقضاء والانقراض.

ورابعها: أنّها لا تحصل إلاّ بعد متاعب كثيرة ومشاقّ عظيمة.

وخامسها: أنّ لذّات البطن والفرج لا يتمّ إلاّ بمزاولة رطوبات عفنة مستقذرة.

وسادسها: أنّها غير باقية بل يمنعها الموت والهرم والفقر والحسرة على الفوت والخوف من الموت.

فلمّا كانت هذه المطالب وإن كانت لذيذة بحسب الظاهر إلاّ أنّها ممزوجة بهذه الآفات العظيمة والمخافات الجسيمة كانت الترغيب فيها تغريراً ﴿إنّ عبادي﴾ أي كلّهم أو أهل الفضل والإيمان منهم كما مرّ ﴿وكفى بربّك وكيلا﴾ [٢] لمّا أمكن إبليس بأن يأتي بأقصى ما يقدر عليه في باب الوسوسة وكان ذلك سبباً لحصول الخوف الشديد في قلب الإنسان قال: ﴿وكفى بربّك وكيلا﴾ ومعناه

---

(١) سورة الإسراء: ٦٤.

(٢) سورة الإسراء: ٦٥.

أن الشيطان وإن كان قادراً فالله أقدر منه وأرحم بعباده من الكلّ، فهو تعالى يدفع عنه كيد الشيطان ويعصمه من إضلاله وإغوائه، وفيها دلالة على أنّ المعصوم من عصمه الله، وأن الإنسان لا يمكنه أن يحترز بنفسه عن مواقع الضلال))[١].

فإذا استجاب الإنسان إلى اغواء إبليس وشياطين الجن فإنه يكون قد أثبت خروجه على العهد الإلهي الذي بموجبه يستحق الخلافة وحين لا يستجيب فإنه يثبت صلاحيته وطاعته. وبذلك تظهر العناصر الإيجابية في اغواء الشيطان ويكون الإنسان في كلّ محنة يعبرها سائراً خطوة باتجاه كمال ادراكه ونضوج ارادته كما أشرنا ويدل عليه ما يلي:

## وجهي الارتباط:

بإسناده عن عبد الله بن عمر، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن ذي الكفل، فقال: كان رجلاً من حضرموت واسمه عويد بن أديم، وكان في زمن نبيّ من الأنبياء قال: من يلي أمر الناس بعدي على أن لا يغضب؟ فقام فتى فقال: أنا، فلم يلتفت إليه، ثمّ قال كذلك، فقام الفتى، فمات ذلك النبيّ وبقي ذلك الفتى وجعله الله نبياً، وكان الفتى يقضي أولَ النهار فقال إبليس لأتباعه: من له؟ فقال واحد منهم يقال له الأبيض أنا، فقال إبليس: فاذهب إليه لعلّك تغضبه، فلمّا انتصف النهار جاء الأبيض إلى ذي الكفل وقد أخذ مضجعه فصاح وقال: إنّي مظلوم، فقال: قل له: تعال، فقال: لا أنصرف، قال: فأعطاه خاتمه فقال: اذهب وأتني بصاحبك، فذهب حتّى إذا كان من الغد جاء تلك الساعة التي أخذ هو مضجعه فصاح إنّي مظلوم وإنّ خصمي لم يلتفت إلى خاتمك، فقال له الحاجب: ويحك دعه ينم فإنّه لم ينم البارحة ولا أمس، قال: لا أدعه ينام وأنا مظلوم، فدخل الحاجب وأعلمه فكتب له كتاباً وختمه ودفعه

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٧٤ - ١٧٨.

إليه، فذهب حتّى إذا كان من الغد حين أخذ مضجعه جاء فصاح فقال: ما التفت إلى شيء من أمرك ولم يزل يصيح حتّى قام وأخذ بيده في يوم شديد الحرّ لو وضعت فيه بضعة لحم على الشمس لنضجت، فلمّا رأى الأبيض ذلك انتزع يده من يده ويئس منه أن يغضب، فأنزل الله جلّ وعلا قصّته على نبيّه ليصبر على الأذى كما صبر الأنبياء عليهم السلام على البلاء.

بيان: كأنّه سقط من أوّل الخبر شيء، والقائل: هو نبيّ آخر غير ذي الكفل، والقائل: هو صلى الله عليه وآله[1].

ومهمة إبليس ذات وجهين: أحدهما هو الوجه السلبي الذي يبرز في سعيه الدؤوب لاغواء أكبر عدد من البشر، ويبقى الوجه الإيجابي عندما يصمد الإنسان أمام الاغواء لتكون محصّلة الوجهين فرز الناس إلى مستويات وطبقات بحسب تعلقهم بحقائق الإيمان التي هي حقائق موضوعية تحتاج إلى مستوى عالٍ من الادراك، وإلى العمل على أساس هذا الادراك أي أنّ ابليس عامل ايقاض للارادة، وكلمّا تيقّضت هذه الارادة كان الإنسان قد خطى خطوة للأمام وهذا هو معنى الكمال.

وقد أثبت العلم أنّ تنوع الحوافز عامل من عوامل تقوية الادراك اذ أكدت التجارب التي أجريت على بعض الحيوانات أن الاختلاف في فصائل الآباء يصيب بعض الكلاب بنوع من الحيرة ازاء المواقف التي تواجهها، لأنّ غرائز الحيوان تتزاحم في تحديد طبيعة الموقف لكن إلى جانب هذا ثبت أنّ هذا النوع من الكلاب يكون في العادة أعلى في مستوى ذكاءه من أنواع أخرى متولدة من أبوين من نفس الفصيلة، وعلى هذا فإن تعدد الحوافز ستساهم في تنشيط عملية التفكير بحثاً عن الموقف الصائب. وهذه التجربة التي تمت في عالم محكوم بالغرائز فقط فأنها ستبدو بحالة مضخمة في عالم الإنسان والجان اللذان يواجهان دائماً منعطفات تفرض عليها إعمال النظر لاتخاذ

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٥ - ١٩٧.

القرار خصوصاً إذا كـان هنـالك تنـوع في الحوافـز بعضـها داخلـي وبعضـها خارجي (الملك والشيطان) كما أسلفنا.

## ارتباط أصله العداء

لقد أشرنا إلى أن البقاء يرتبط بالطاعة فكلما انصـاع الكـائن للأوامـر الإلهية فإنّه يستطيع الحصول على فرصة أكبر للبقاء، وكلّما كانت الطاعة أكبر فإن هذه الفرصة أضمن.

هـذا القـانون عـام لكنّه بالنسبة للأحياء يبدو واضحاً لأنّه يـترجم إلـى أشكال وقوالب سهلة التناول والإدراك، لأنّه بالنسبة للأحياء العاقلة كـالجنّ والإنس عبارة عن اطاعة مباشرة للأوامر الإلهية، وهي بالنسبة للكائنـات القسرية العاقلة (الملائكة) أيضاً تتخذ شكل الاستجابة للأوامر الالهية، ولذلك فإنّهاهي النموذج الأعظم لفرص البقاء لأنها تمتلك الوعـي والشعور والإدراك والطاعة. أما بالنسبة للكائنات القسرية غير العاقلة فإنّها تتخذ شكل الاستجابة للظروف الخارجية التي هي عبارة عن أحكام الله سبحانه وتعـالى، ولكـن من خلال تحولات المحيط والتي تؤثر بدون الحاجة إلى الوعي أو الشعور. أمـا بالنسبة للجوامد فإنها عبـارة عـن الدخـول في تفـاعلات بمجـرد وجـود الفرصـة أي التواجد في مجـال. ومـن هنـا فـإن البـلاء متغير الأشكال، فـهو عبـارة عـن التواجد في مجال قوة معيّنة بالنسبة للجوامد، وهو عبارة عن تحولات في المحيط بالنسبة للأحيـاء غير العاقلـة، وهـو عبـارة عـن تنفيـذ الأوامر الإلهيـة الصـادر بالنسبة للعاقلة القسرية، وهو كذلك بالنسبة للكائنـات العاقلـة المريـدة، كمـا أن البـلاء متعـدد كلمـا تعقـدت حالـة الكـائن، فالإنسـان يسـتجيب للبـلاء بمـا أنّـه مركب من جوامد، ويستجيب في بنيته [جسمه] بما أنّه جسم شبيه بالأحياء غير العاقلة، ويستجيب بعقله وشعوره للبلاء الخاص بالكائنات العاقلة.

وأن الفشل في التوائم مع أي جانب من هذه الجوانب يحكي عن خلل وبالتالي مؤشر على ضرورة تقليص فترة البقاء للكائن، فعدم التوائم في الجسم يعني توفر فرصة موت البدن وعدم طاعة الأوامر الإلهية يعني توفر فرصة لموت الروح والعقل والشعور، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى يقول عن هؤلاء ﴿ *في قلوبهم مرض*... ﴾ والمرض مقدمة للموت.

ويعد عالم الحيوان النموذج الأوضح لهذه الحقيقة ذلك أن الله أودع في كل حيوان قدرات معينة على التكيف، وأن كل حالة تكيف تعبر عن خطوة نحو ضمان البقاء، وأن أي عجز يعبر عن فرصة للزوال، وذلك لا يمس الروح لأنّ الحيوان لا لروح لديه بالمعنى الذي قال فيه ﴿ *ونفخت فيه من روحي* ﴾ ذلك أن مجرد امتلاك البدن يعني امتلاك الروح بمعنى القدرة على أداء الفاعليات البايلوجية، وهذا يختلف عن الروح التي أشارت إليها الآية: ﴿ *ونفخت فيه من روحي*... ﴾ [1] التي تعد هي الفاصلة بين الإنسان والحيوان.

وتطبيقاً لقانون البلاء فإن حالة العداء نشبت عند إبليس لكنها لم تنشب بالنسبة لآدم، ذلك أن آدم لا يشعر بوجود إبليس ثم أنّه خالي من افكار مسبقة ازاءه، ولهذا فإنّه يتقبل ايحاءه.

ولابدّ من الاشارة أيضاً إلى أن اضافة الشهوة إلى العقل التي نموذجها إبليس كانت أقل نجاحاً، لأنّها خلقت ارباكاً واضحاً في عقل إبليس وأفقدته التوازن، وهذا يصدق على قصة «هاروت وماروت» إن صحت الروايات الواردة ازاءها، بينما نجد أن اضافة العقل إلى الشهوة تنتج نموذجاً أفضل [الإنسان] لأنّها تمنح الشهوة فرصة للرشاد والتنامي وأداء منتظم وطبعاً هذا

---

(١) سورة الحجر: ٢٩.

هو الأغلب. ولهذا فإن الشهوة حين حلّت في بدن إبليس الذي كان قريباً من الملائكة حطّت به إلى درك الحيوان في الحالات السلبية ولكن الإنسان حين لا يرتفع بالعقل فإنّه يبقى حيواناً فلا ينحط إلى أكثر من حالته.

ومن هنا فإن إبليس الذي يملك مستوىً عقلياً متقدماً تنبأ بأن بني آدم هم غير مؤهلين للطاعة وأصدر حكماً خفياً كان يمكن أن لا يكون حكماً صادقاً إذا استخدم الانسان قدراته لنفي هذا الحكم، لكن الإنسان لم يفعل ذلك وبالتالي أثبت صدق حكم إبليس عليه وهذا ما حكمت به الآيات بقولها:

قال تعالى: ﴿ ***ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلّا فريقاً من المؤمنين * وما كان له عليهم من سلطان إلّا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممّن هو منها في شكّ وربّك على كلّ شيء حفيظ*** ﴾[1].

قوله: ﴿***ولقد صدق عليهم إبليس ظنّه***﴾ أي: صدّق في ظنّه وهو قوله: ﴿***لأضلّنهم ولأغوينّهم***﴾ وقرئ بالتشديد أي: حقّقه ﴿***إلّا فريقاً من المؤمنين***﴾ أي: إلاّ فريقاً هم المؤمنون لم يتبعوه، وتقليلهم بالإضافة إلى الكفّار، أو إلاّ فريقاً من فرق المؤمنين لم يتّبعوه في العصيان وهم المخلصون ﴿***من سلطان***﴾ أي: من تسلّط واستيلاء ﴿***إلّا لنعلم***﴾ أي: إلاّ ليتعلّق علمنا بذلك تعلّقاً يترتّب عليه الجزاء، أو ليتميز المؤمن من الشاكّ، والمراد من حصول العلم حصول متعلّقه مبالغة.

جاء عن الباقر﵇ قال: كان تأويل هذه الآية، لمّا قبض رسول اللهﷺ والظنّ من إبليس حين قالوا لرسول اللهﷺ: «إنّه ينطق عن الهوى» فظنّ بهم إبليس ظنّاً فصدّقوا ظنّه[2].

---

(١) سورة سبأ: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠/١٨٤.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم عن الصّادقﷺ قال: لمّا أمر الله نبيّهﷺ أن ينصب أمير المؤمنينﷺ للنّاس في قوله: ﴿ **يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربّك** ﴾[1] في عليّﷺ بغدير خم، قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فجاءت الأبالسة إلى إبليس الأكبر وحثوا التراب على رؤوسهم، فقال لهم إبليس: ما لكم؟ قالوا: إنّ هذا الرجل قد عقد اليوم عقدة لا يحلّها شيء إلى يوم القيامة، فقال لهم إبليس: كلا إنّ الذين حوله قد وعدوني فيه عدة لن يخلفوني، فأنزل الله عزّ وجل على رسوله: ﴿ **ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه** ﴾[2][3].

وقد توضّح من خلال هذه الآية حكم إبليس الظني الذي قال إنّه سيسعى لجعله حقيقة، بالإضافة إلى قضية أخرى مهمة أيضاً في علاقته مع الإنسان ألا وهي عدم وجود سلطة مفروضة وتفويض قسري من الله باغواء الإنسان، لأنّ ذلك يعني سلب الاختيار منه وبالتالي فإبليس ليس أكثر من أداة امتحان واجلاء لحقيقة الإنسان وعالمه الداخلي الذي يكون في البداية على شكل استعدادات وقوى كامنة فيتحول إلى الفعل والبروز إلى الواقع بأثر إبليس، وهو نفس الأثر الذي أحدثه خلق آدم في نفس إبليس إذ برزت نزعة الحسد ودفعته إلى موقف يتسم بالاستكبار على خالقه.

لكن هذا يحدث حين تكون الإرادة عاجزة عن حبس هذه الاستعدادات ومنعها من التحول إلى أوضاع الفعل والتجسد على شكل أفعال، فموقف إبليس وتحريضه يبقى مفتوحاً على جانبين، أحدهما إيجابي إذا قاد الإنسان المستثار إلى رفض الإثارة والاستمرار على الاستقامة وهذا جانب إيجابي يؤديه الشيطان على صعيد حركة الافراد، لأنّه المحك الذي يثبت صلاحهم

---

(١) سورة المائدة: ٦٧ .

(٢) سورة سبأ: ٢٠.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٥.

وقوة ارادتهم، وذلك عندما تتغلب على الاستعدادات والاثارة الشيطانية، كما أنَه من جهة أخرى يكشف عن هشاشة بعض الارادات لأنّها سرعان ما تستجيب للإثارة، وهو الأمر الذي وقع فيه إبليس حين واجه آدم الذي ظل يعتقد أنَه ملك، وكما تشير الروايات أن الملائكة اعتقدت أنّه أحدها لكن إيمانه تهشم كالزجاج بمجرد تعرضه للإثارة التي كانت هي جعل آدم خليفة.

وكما أن هذه العلاقات جاءت استجابة لقانون وسنة إلهية إلاّ أنها ايضاً موزونة بموازين وضعها الله لتحكم الوجود برمته، وهذا العدل ليس قيمة مثالية بل مفصولة عن الواقع الموضوعي بل أنه متحقق من خلال مفردات واقعية، فالإنسان الذي يولد مزوداً ببعض الميول القوية نحو الجنوح ويرافقها السعي المتواصل من قبل الجان لاثارة هذه الميول وايصالها إلى حالة الفعل، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى وازن هذا الاستعداد الداخلي بأداة هي العقل الذي يميز بين الحق والباطل، كما وازنه بحافز خارجي يوازن اثارة الشيطان ألا وهو ايحاء الملاك الذي يذكر الإنسان، وبالتالي تتوازن الحوافز الداخلية والخارجية لكي تكون النتيجة أن الإنسان يتحمل مسؤولية قراره بالكامل. ويؤكد هذا التوازن والتقابل مايلي:

## التوازن في القوى

((بإسناده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ للقلب أذنين فإذا همَ العبد بذنب قال له روح الإيمان: لا تفعل، وقال له الشيطان: افعل، وإذا كان على بطنها نزع منه روح الإيمان.

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من قلب إلاّ وله أذنان على أحدهما ملك مرشد، وعلى الأخرى شيطان مفتن، هذا يأمره و هذا يزجره، الشيطان يأمره بالمعاصي، والملك يزجره عنها، وهو قول الله عزّ

وجل: ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد ❖ ما يلفظ من قول إلّا لديه رقيب عتيد﴾[١]»[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قل أعوذ بربّ الناس﴾ وإنّما هو أعوذ بربّ الناس ﴿ملك النّاس ❖ إله الناس ❖ من شر الوسواس الخنّاس﴾ اسم الشيطان، في صدور الناس يوسوس فيها، ويؤيسهم من الخير، ويعدهم الفقر، ويحملهم على المعاصي والفواحش، وهو قول الله: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾[٣].

وقال الصّادق عليه السلام: ما من قلب إلاّ وله أذنان على أحدهما ملك مرشد، وعلى الآخر شيطان مفتر، هذا يأمره وذا يزجره،كذلك من الناس شيطان يحمل الناس على المعاصي كما يحمل الشيطان من الجنّ.

بيان: قوله: (وإنّما هو): لعلّ المراد أنّ ما قرأه الرسول صلى الله عليه وآله عند التعوذ بها أسقط منها كلمة: قل، أو ينبغي ذلك لكلّ من قرأها لذلك، أو ينبغي إعادة تلك الفقرة ثانية بدون «قل» كما روى الطبرسي رحمه الله عن أبي عبد الله عليه السلام إذا قرأت: ﴿قل أعوذ بربّ الفلق﴾ فقل في نفسك: أعوذ بربّ الفلق، وإذا قرأت: ﴿قل أعوذ بربّ الناس﴾ فقل في نفسك: أعوذ بربّ النّاس))[٤].

فهذه الأحاديث بمجملها تؤكد أن الاغواء ليس حالة بلا مقابل، لأنّ الله قابل اغواء الشيطان بملائكة الزجر التي تدعو الإنسان إلى لزوم طاعة الله عزّ وجل، فتتوازن الإيحاءات عنده وفي النهاية تكون لديه فرصة كاملة للاختيار، وأن هذا في نفس الوقت الذي يجسد العدالة فإنّه أيضاً يوقظ عقل الإنسان

---

(١) سورة ق: ١٧ ـ ١٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٦٨.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٥ ـ ٢٤٦.

ورروحه ويعطيها حيوية خاصة من خلال المقارنة بين هواجس الغواية وزواجر الهداية، فتكون النتيجة نابعة من ادراك وتقدير لوجهات النظر المتفاوتة، ولهذا فإن التوازن يمتد ليصل إلى أشكال من التآزر والتوازن في الأعداد كما في الحديث التالي:

((بإسناده عن الحسن بن العبّاس بن الجريش، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: لما يزور من بعثه الله للشقاء على أهل الضلالة من أجناد الشياطين وأرواحهم أكثر مما يزور خليفة الله الذي بعثه للعدل والصواب من الملائكة، قيل: يا أبا جعفر وكيف يكون شيء أكثر من الملائكة؟ قال: كما شاء الله عزّ وجلّ، قال السائل: يا أبا جعفر إنّي لو حدثّت بعض الشيعة بهذا الحديث لأنكروه، قال: كيف ينكرونه؟ قال: يقولون: إنّ الملائكة عليهم السلام أكثر من الشياطين، قال: صدقت، افهم عنّي ما أقول، إنّه ليس من يوم ولا ليلة إلاّ وجميع الجنّ والشياطين تزور أئمة الضلالة ويزور إمام الهدى عددهم من الملائكة حتى إذا أتت ليلة القدر فيهبط فيها من الملائكة إلى وليّ الأمر، خلق الله أو قال: قيّض الله عزّ وجلّ من الشياطين بعددهم، ثم زاروا وليّ الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتّى لعلّه يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا، فلو سئل وليّ الأمر عن ذلك لقال: رأيت شيطاناً أخبرك كذا وكذا حتّى يفسر له تفسيرها ويعلمه الضلالة التي هو عليها. الحديث))(١).

فهنا نلاحظ حالة التوازن حتى لو كانت غير مباشرة وأن هذا التوازن في بعض حالاته يؤدي إلى الايهام بوضع خطط أو تقديم ارشادات ونصائح، وهو في المآل النهائي تعبّر عن مبدأ العدل والتوازن في التأثير على بني الإنسان.

وهناك أيضاً معلماً بارزاً من معالم الطور التفاعلي ألا وهو وجود الاصرار لدى إبليس حول اضلال الناس، فهو كائن مكرّس لتحقيق الضلال

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٦.

ويمكن أن تقابله بإصرار الأنبياء على الهداية ﴿ ***فإن استطعت أن تبتغي نفقاً في الأرض أو سلماً في السماء فتأتيهم بآية...*** ﴾[١]. ويشير إلى هذا الاصرار عدد من النصوص منها:

قوله تعالى: ﴿ ***وقال لأتخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً * ولأضلّنهم ولأمنيّنهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيّرن خلق الله ومن يتّخذ الشيطان وليّاً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً * يعدهم ويمنّيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً * أولئك مأواهم جهنّم ولا يجدون عنها محيصاً*** ﴾[٢].

وقوله: «وقال لأتخذنَ من عبادك نصيباً مفروضاً» عطف عليه، أي شيطاناً مريداً جامعاً بين لعنة الله وهذا القول الدالّ على فرط عداوته للنّاس.

«ولأضلنَهم» عن الحقّ «ولأمنينَهم» الأماني الباطلة كطول البقاء وأن لا بعث ولا عقاب «ولآمرنهم فليبتَكن آذان الأنعام» يشقونَها لتحريم ما أحله الله وهي عبارة عمّا كانت العرب تفعل بالبحائر والسوائب، وإشارة إلى تحريم كلّ ما أحل الله ونقص كلّ ما خلق كاملاً بالفعل أو بالقوّة، «ولآمرنهم فليغيرن خلق الله» عن وجهه صورةً أو صفة، ويندرج فيه ما قيل: من فقء عين الحامي وخصاء العبيد والوشر والوشم واللّواط والسحَق ونحو ذلك، وعبادة الشمس والقمر، وتغيير فطرة الله التي هي الإسلام، واستعمال الجوارح والقوى فيما لا يعود على النفس كمالاً ولا يوجب لها من الله زلفاً، وعموم اللفظ يمنع الخصاء مطلقاً، لكنّ الفقهاء رخصوا في خصاء البهائم للحاجة، والجمل الأربع حكاية عمّا ذكره الشيطان نطقاً أو أتاه فعلاً.

«ومن يتخذ الشيطان وليّاً من دون الله» بإيثاره ما يدعوه إليه على ما أمره الله به ومجاوزته عن طاعة الله إلى طاعته «فقد خسر خسراناً مبيناً» إذ

---

(١) سورة الأنعام: ٣٥.

(٢) سورة النساء: ١١٨ ـ ١٢١.

ضيّع رأس ماله وبدّل مكانه من الجنّة بمكان من النار «يعدهم» ما لا ينجز «ويمنيهم» ما لا ينالون «وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً» وهو إظهار النفع فيما فيه الضرر، وهذا الوعد إمّا بالخواطر الفاسدة أو بلسان أوليائه «ولا يجدون عنها محيصاً» معدلاً ومهرباً.

وقال الرازيّ بعد إيراد كلام المفسّرين: ويخطر ببالي ههنا وجه آخر في تخريج الآية على سبيل المعنى وذلك لأنّ دخول الضرر والمرض في الشيء يكون على ثلاثة أوجه: التشوّش، والنقصان، والبطلان، فادّعى الشيطان إلقاء أكثر الخلق في مرض الدين وضرر الدين وهو قوله: «ولأمنينّهم» ثمّ إن هذا المرض لابدّ وأن يكون على أحد العلل الثلاثة التي ذكرناها وهي التشوّش والنقصان والبطلان.

فأمّا التشوش فالإشارة إليه بقوله: «ولأمنينّهم» وذلك لأنّ صاحب الأماني يستعمل عقله وفكره في استخراج المعاني الدقيقة والحيل والوسائل اللطيفة في تحصيل المطالب الشهوانيّة والغضبيّة، فهذا مرض روحانيّ من جنس التشوّش.

وأمّا النقصان فالاشارة إليه بقوله: ﴿ولآمرنّهم فليبتكنّ آذان الأنعام﴾ وذلك لأنّ بتك الآذان نوع من النقصان، وهذا لأنّ الإنسان إذا صار بحيث يستغرق العقل في طلب الدنيا صار فاتر الرأي ضعيف الحزم في طلب الآخرة.

وأمّا البطلان فالاشارة بقوله: ﴿فليغيّرنّ خلق الله﴾، وذلك لأن التغيير يوجب بطلان الصفة الحاصلة في المرّة الأولى، ومن المعلوم أنّ من بقي مواظباً على طلب اللّذات العاجلة معرضاً عن السعادات الرّوحانية فلا يزال يشتد في قلبه الرغبة في الدنيا والنفرة عن الآخرة، ولا يزال تتزايد هذه الأحوال إلى أن يتغيّر القلب بالكليّة فلا يخطر بباله ذكر الآخرة البتّة، ولا يزول عن خاطره حبّ الدنيا البتّة، فتكون حركته وسكونه وقوله لأجل الدنيا، وذلك يوجب

تغيّر الخلقة، لأنّ الأرواح البشريّة إنّما دخلت هذا العالم الجسمانيّ على سبيل السفر وهي متوجّهة إلى عالم القيامة.

فإذا نسيت معادها وألفت هذه المحسوسات التي لابدّ من انقضائها وفنائها كان هذا بالحقيقة تغيير الخلقة، وهو كما قال تعالى: ﴿ *ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم* ﴾[1] وقال: ﴿ *فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور* ﴾[2] [3].

## التقابل في الأدوات

وفي معرض بيان اصرار الشيطان على اضلال الناس وسعيه في مختلف السبل لتحقيق هذه النتيجة، فإننا يمكن أن نفهم بعداً هاماً من هذه الشخصية التي تعتبر مهمتها الرئيسية في الحياة الاستحواذ على أكبر عدد من البشر وإيصالهم إلى النار، فهكذا شخصية تتسم بقدر كبير من التعقيد والانطواء على مخزون حق لا ينضب.

ومن جهة أخرى فإنّه لا ينطلق من فراغ بل أنه يطارد البشر من ذوي الاستعداد، وكلّما اتسعت بعناصر مهيئة للانحراف في شخصية الإنسان كلّما طارده أكثر لتحقيق أكبر قدر من الاستجابة لديه، ثم كلّما استجاب زادت سلطة الشيطان إليه إذا اكتشف منافذ الدخول إلى قلبه وتوجيه سلوكياته.

ومن جهة أخرى فإن إبليس لا يستطيع أن يصل إلى قلب الإنسان إلاّ بواسطة التمويه والخداع وخلط قليل من الحقائق بكثير من الأوهام، أدواته تحفيز الغرائز وتنويم الإرادة وتغيب الحقائق الكبيرة في الحياة، لهذا فإن الله سبحانه وتعالى يصف من يستجيب للشيطان بالنسيان ﴿ *فأنساه الشيطان ذكر*

---

(١) سورة الحشر: ١٩.

(٢) سورة الحج: ٤٦.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٦ - ١٤٨.

رَبِّهِ﴾[1] فالحقائق ماثلة أمام الإنسان ولكنها كأنها غير موجودة لذلك يقفز عليها الإنسان ويرتكب ما هو غير مطلوب وغير صحيح، فالإنسان بقليل من التأمّل واعمال النظر يصل إلى حقيقة الإيمان لكنّه يتلهى بهذه القضية أو تلك حتى تغيب عن عينيه فلا تعود قائمة مهما كانت ضخمة كحقيقة الألوهية.

بينما يأخذ الهدى الطريق المقابل إذ يوقظ في الإنسان الدائرة البعيدة في الإنسان، وهو الإدراك الذي يتجاوز الحس ويلفت نظره إلى ما هو غائب، فيذكره بها فيرى ما لا يرى ويصرف عن الإنسان الشواغل التي تعمي بصره من الاستجابة لمتطلبات العيش على حساب نسيان المصير، لذلك فإنه يذكر الإنسان ولا ينسيه مستقبل بعيد ولكنه آت ومصير محتوم حتى لو كان بيننا وبينه فاصلة ألف سنة.

فطريق الهدى وصف العالم كما هو بلا تضخم ولا مبالغة ما حضر منها وما غاب، لذلك فإننا نلاحظ هذا التضاد في الشخصيات وفي الأساليب وطرائق التفكير وكل شيء.

وهكذا فإن علاقة التفاعل اكتسبت معالم معينة منها مايلي:

## الاصرار على اضلال البشر

يمكننا أن نفهم الاصرار على توسيع دائرة الضلالة من خلال مهاجمة إبليس لجميع أفراد البشر باستمرار وتواصل ذلك أنّه ينظر إليهم على أنّهم مشروع لضلاله، فهذا الاعتقاد الذي رسخ في تفكير إبليس وصار يسعى لتحقيقه ويبذل في سبيل ذلك جهود مضنية لا تعرف الكلل.

وإبليس الذي أسلفنا هو لقب يتّصف به نوع من الجن وليس شخصاً بعينه غير أنه مثله مثل خيط الإيمان متواصل وممتد خلال أحقاب التأريخ

---

(١) سورة يوسف: ٤٢.

البشري حتى ظنّ البعض أن إبليس هو جني طويل العمر وهذا بعيد إلاّ أنه يمسي كذلك من خلال توارث الخصائص، فهنا نلاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى يؤكد على أن الهداية هي عبارة عن خيط ممتد من آدمعليه السلام إلى الإمام المهديعليه السلام فهو كيفية وخصائص تتناقل عبر الأحقاب، بل إن القرآن يؤكد على أن خيط الهداية مستمر في عائلات بشرية معينة ﴿ ***إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين * ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم*** ﴾[1]. فهذه العائلات بينها علاقة دم، فهي ذرية بعضها من بعض، ويمكننا أن نتصور أن خط الضلال هو كذلك فهناك ذرية إبليس الأوّل الذي قابل آدم متواصلة وهي تتقابل بإستمرار، بل إننا نستطيع أن نفترض أن حالة الضلال تتطور كما تتطور الهداية، فكما أن الرسولصلى الله عليه وآله وآل بيتهعليهم السلام هم أكمل البشر وأكثرهم هدى فإن إبليس الذي يعاديه هو أصل الجن وأكثرهم عداء لبني الإنسان. فالرسولصلى الله عليه وآله هو قمة البشريّة لأنه أكمل البشر في معيار الطاعة والهدى وأنه يعتبر أعلى تطور لحالة الطاعة عند البشر تلك التي بدأت متعثرة مع آدمعليه السلام ثم صارت تتصاعد حتى تصل إلى أعلى مداها عند محمدصلى الله عليه وآله وأهل بيتهعليهم السلام ليتوقف منحني الطاعة عند أعلى مستوياته. ولذلك فإن الله حفظ لنا المهديعليه السلام من تلك القمة، إذ أن منحنى الطاعة في الأجيال القادمة يبدأ بالهبوط ولو بصورة تدريجية، ويدلّل على هذا كون النبيصلى الله عليه وآله أفضل من ذريتهعليهم السلام ولو بمقدار جداً ضئيل، ولذلك فإنّه كان آخر الأنبياء إذ أن البشر في الأجيال اللاحقة لم يعودوا مؤهلين للاتيان بكيفيات ملائمة للنبوة، بالإضافة إلى أسباب أخرى تخرج عن دائرة اهتمامنا. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى ادخر لنا منقذاً فيه معالم النبوة وهو امتداد لها، وكما هو ثابت في علم الوراثة أن وراثة الصفات بكيفية عالية يمكن أن تحصل بقوة خلال عشرة أجيال، ففاطمةعليها السلام يرثها ابنها الإمام المهديعليه السلام وهو من الجيل العاشر.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٢ ـ ٣٣.

والمهم أنّ حالة الشيطان تكون بنفس الكيفية مع فارق أنها لا تتوقف لأنّها حالة تردي، ولذلك فإن منحى الضلال مستمر في الانحناء، وهذا يدلّ على أن كيفيات عالية من الضلال ستلدها الأجيال وتقابل أيضاً بكيفيات عالية من الهدى لكنّها لا تصل إلى القمة التي وصلتها الإنسانية بولادة الهادي، فبالنسبة للهداية ستصبح أفضل من جهة قيمها الدنيا لكنها ستهبط من جهة قيمها العليا.

والخلاصة فإن الهدى المتطور مقابل بخط الضلال الذي توارثه عوائل من ذرية إبليس وهي تتطور بنفس الكيفية، وهو أيضاً يمثل حالة التوازن التي تضمن الاستمرار وتحقق العدالة من ناحية ثقل البلاء واستحقاق الثواب لاقرار العدل الإلهي رغم الحركة والتغيير في الظروف [البلاء] ، [الحوافز].

ويشير إلى هذا الدور التأريخي الذي مثّله إبليس الحديث التالي:

## الامتداد المستوعب للتاريخ

في حديث طويل عن علي بن محمّد الصوفي، أنّه لقي إبليس، وسأله فقال له: من أنت؟ قال: أنا من ولد آدم ، فقال: لا إله إلاّ الله، أنت من قوم يزعمون أنهم يحبون الله ويعصونه ويبغضون إبليس ويطيعونه، فقال: من أنت؟ فقال: أنا صاحب الميسم والإسم الكبير والطبل العظيم، وأنا قاتل هابيل وأنا الراكب مع نوح في الفلك، أنا عاقر ناقة صالح، أنا صاحب نار إبراهيم، أنا مدبّر قتل يحيى، أنا ممكّن قوم فرعون من النيل، أنا مخيّل السحر وقائده إلى موسى، أنا صانع العجل لبني إسرائيل، أنا صاحب منشار زكريّا، أنا السائر مع أبرهة إلى الكعبة بالفيل، أنا المجمّع لقتال محمّد يوم أحد وحنين، أنا ملقي الحسد يوم السقيفة في قلوب المنافقين، أنا صاحب الهودج يوم الخريبة والبعير، أنا الواقف في عسكر صفّين ، أنا الشامت يوم كربلا بالمؤمنين،

أنا إمام المنافقين، أنا مهلك الأولين، أنا مضلّ الآخرين، أنا شيخ الناكثين، أنا ركن القاسطين، أنا ظلّ المارقين، أنا أبو مرّة مخلوق من نارلا من طين ، أنا الذي غضب الله عليه ربّ العالمين»

فقال الصوفي :بحق الله عليك إلاّ دللتني على عمل أتقرّب به إلى الله وأستعين به على نوائب دهري، فقال: اقنع من دنياك بالعفاف والكفاف، واستعن على الآخرة بحب علي بن أبي طالبﷺ وبغض أعدائه، فإنّي عبدت الله في سبع سماواته، وعصيته في سبع أرضيه، فلا وجدت ملكاً مقربا ولا نبياً مرسلاً إلاّ وهو يتقرّب بحبه، قال: ثم غاب عن بصري فأتيت أباجعفرﷺ فأخبرته بخبره، فقال : آمن الملعون بلسانه وكفر بقلبه.

بيان: في القاموس: الخريبة كجهينة: موضع بالبصرة يسمى البصرة الصغرى. والمراد بالهودج ما ركبته عائشة يوم الجمل[1].

ففي هذا الحديث عدد من الإشارات: الإشارة الرئيسية منها هي دوره التأريخي إذ أنه يعدد نجاحاته في هزيمة الإنسان وجرّه إلى طاعته والسير على طريق الضلال والمعصية، فالميسم والإسم الكبير والطبل العظيم تضم الدور التأريخي الضخم الذي سيفصله بأبشع معصيه قام بها أخ بقتل أخيه، وفتحت الباب لتطاحن البشر إرضاءً للشيطان وإستماعاً لوسوسته واغراءه، وهي وأن بدت حالة فردية إلا أنها اتسعت وصارت حروب وصراعات ودماء تراق ظلماً وعدواناً لو جمعت لزادت على ماء البحار، ثم يشير الى دوره في اهلاك قوم نوح الذين أطاعوه فحق عليهم الفناء وهي نموذج أيضاً لحالات الهلاك التي ذكربعضاً منها القرآن وذكرتها كتب التاريخ، فمنها قوم صالحﷺ. وكذلك إشارة إلى دوره في اغراء الأمم بقتل أنبياءها من خلال اشارته إلى القاء إبراهيمﷺ في النار، وهكذا فإن التتابع في ذكر هذه الانجازات يوصل

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

التاريخ إلى عصر الرسالة ودوره والفتن التي أعقبت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله عندما تخلت الأمة عن ذريته وخلفاءه عليهم السلام الذين ذكرهم الله بصريح الذكر في القرآن وأحاديث الرسول.

وهذا الدور طبعاً جاء ما يساوقه في القرآن من خلال ذكر الأمم البائدة والأمم التي آمنت وقصص الأنبياء وأنه تكرار لمضامين الآيات، وبذلك فهو يحمل معنى تأكيد الاصرار الذي لاينقطع رغم تمادي الأجيال ومرور السنين البعيدة.

ويأتي في طول هذا الأمر ومكمل له ومبرز له خصوصية أخرى لأفعال الشيطان ألا وهي عدم اليأس في اضلال العباد.

## عدم اليأس

جاء عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الصراط الذي قال إبليس: ﴿ *لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ثمّ لآتينهم من بين ايديهم* ﴾[١] هو علي عليه السلام[٢].

فالبنسبة للآية نلاحظ استخدام صيغة التوكيد الذي دلالته الاصرار غير أنّه اصرار لا يشوبه يأس في تحقيق الغرض، فهو يبدأ بالقليل ولو بتأخير الصلاة مثلاً أي وقت فإذا عجز عنه يتجه إلى غيره ولو بشحن النفس بمشاعر سيئة ذلك أنّها ستكون مقدمة لذنب، ويظل إبليس يكرر المحاولة في كل السبل المعروفة فإن قبل الإنسان بهذا القليل فإنّه سيسعى إلى زيادة هذا القليل، وإذا تم تفسير هذا السراط بأنه أمير المؤمنين فإنّه هدف إذا تحقق فإن الإنسان سار في طريق الضلال بعيداً عن الحق حتى إن صلى وصام، لأنّه خرج عن الصلاة والصيام المأمور بها وصلى وصام صياماً غير مأمور به، لأن الولاية هي أساس الاعمال وشرط قبولها. أما (لأتينهم) فإنّها توكيد أيضاً ولكن هذه المرة على

---

(١) سورة الأعراف: ١٦ ـ ١٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٠.

تواصل المحاولات وعدم توقفها، وعلى هذا الأساس فإن الإنسان سيبقى في معرض البلاء طوال حياته وأنه عرضة للوسوسة والاغواء، كما أن ﴿لأقعدن لهم﴾ يعني جميع الناس فإبليس لا يترك أحداً من البشر، وحتى لو فسّر بأن هؤلاء الذين يقعد لهم هم المؤمنين ذلك أنّهم ينوون فعل الخير بكل أنواعه، فيقعد لهم لينهاهم عن هذا الخير ذلك أنّ سوى المؤمنين الذين خضعوا له وصاروا يطيعونه فلا يحتاج إلى القعود لهم عند السراط لأنّهم تنكبوا عنه. وعلى هذا الأساس فإن مطاردته لجميع البشر وإنها لن تتوقف فكلما قبل الإنسان من الشيطان أمراً طلب منه الأكثر سوءاً حتّى يصبح من جنده وإن رفض من هذه الناحية أتاه من ناحية أخرى.

## عمومية نشاط إبليس

وإنه في هذا لا يستثني أحداً فهو يطارد المطيعين له فيطلب المزيد، ثم يطارد العاصين له لعلهم يطيعونه ويدل على ذلك ما يلي:

روي عن حفص بن غياث، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: جاء إبليس إلى موسى بن عمران عليه السلام وهو يناجي ربّه، فقال له ملك من الملائكة: ما ترجو منه وهو في هذه الحال يناجي ربّه؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم عليه السلام . الخبر[1].

فهنا يصرح إبليس بأنّه لا ييأس حتى من موسى عليه السلام وأثناء المناجاة والعبادة فهو إذا كان يطمع بإغواء المعصومين فإن اغواء سوى المعصومين سيكون طمعه فيهم أكبر.

ويأتي الحديث التالي ليشير بصراحة إلى أن البلاء عام لا يستثنى منه أحد فيقول:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٦.

((قال الإمام العسكري عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألاّ فاذكروا يا أمّة محمّد، محمّداً وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصر الله بهم ملائكتكم على الشياطين الذين يقصدونكم، فإنّ كلّ واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته وملك عن يساره يكتب سيئاته ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه فإذا وسوسا في قلبه ذكر الله وقال: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم وصلى الله على محمّد وآله حبس الشيطانان ثمّ سار إلى إبليس فشكواه وقالا له: قد أعيانا أمره فأمددنا بالمردة، فلا يزل يمدّهما حتّى يمدّهما بألف مارد فيأتونه، فكلّما راموه ذكر الله وصلّى على محمّد وآله الطيّبين لم يجدوا عليه طريقاً ولا منفذاً، قالوا لإبليس: ليس له غيرك تباشره بجنودك فتغلبه وتغويه، فيقصده إبليس بجنوده، فيقول الله تعالى للملائكة: هذا إبليس قد قصد عبدي فلاناً أو أمتي فلانة بجنوده، ألا فقاتلوه، فيقاتلهم بإزاء كلّ شيطان رجيم منهم مائة ألف ملك وهم على أفراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار وقسيّ ونشاشيب وسكاكين وأسلحتهم من نار، فلا يزالون يخرجونهم ويقتلونهم بها ويأسرون إبليس فيضعون عليه تلك الأسلحة فيقول: يا ربِّ وعدك وعدك، قد أجّلتني إلى يوم الوقت المعلوم، فيقول الله تعالى للملائكة: وعدته أن لا أميته، ولم أعده أن لاأسلّط عليه السلاح والعذاب والآلام، اشتفوا منه ضرباً بأسلحتكم فإني لا أميته، فيثخنونه بالجراحات، ثمّ يدعونه فلا يزال سخين العين على نفسه وأولاده المقتولين المقتّلين، ولا يندمل شيء من جراحاته إلاّ بسماعه أصوات المشركين بكفرهم فإن بقي هذا المؤمن على طاعة الله وذكره والصّلاة على محمّد وآله بقي إبليس على تلك الجراحات، وإن زال العبد عن ذلك وانهمك في مخالفة الله عزّ وجلّ ومعاصيه اندملت جراحات إبليس ثمّ قوي على ذلك العبد حتّى يلجمه ويسرّج على ظهره ويركبه ثمّ ينزل عنه ويركب ظهره شيطاناً من شياطينه ويقول لأصحابه: أمّا تذكرون ما أصابنا من شأن هذا؟ ذلّ، وانقاد لنا الآن حتّى صار يركبه هذا،

ثمّ قال رسول الله ﷺ: فإن أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه وألم جراحاته فداوموا على طاعة الله وذكره والصّلاة على محمّد وآله، وإن زللتم عن ذلك كنتم أسراء فيركب أقفيتكم بعض مردته.

بيان: النشاشيب جمع النشّاب بالضمّ والتشديد وهو النبل. وقال الجوهريّ: سخنة العين نقيض قرّتها، وقد سخنت عينه بالكسر فهو سخين العين، وأسخن الله عينه أي أبكاه، والمقتلين على بناء المفعول من باب الأفعال أي المعرضين للقتل، أو التفعيل تأكيداً لبيان كثرة مقتوليهم.

قال الجوهري: أقتلت فلاناً: عرضته للقتل، وقتّلوا تقتيلا: شدّد للكثرة))[1].

وهذا طبعاً بالنسبة لامتداده وشموله لجميع البشر لكن هناك شمولية أخرى تستوعب جميع لحظات العمر فلا توجد لحظات تخلوا من مساعي الشيطان لفرض المعصية .

وبناءً على هذا فإن الشيطان يغطي في نشاطه جميع أفراد البشر بلا استثناء فالدليل الذي مرّ أشار إلى سعيه لاضلال الأنبياء بل أن الأنبياء وبناءً على ما أشرنا إليه سابقاً أوكد من سواهم، لأنّهم يقابلون بالأبالسة الكبار ويوجه لهم إبليس شياطينه من الإنس والجن لمحاربته بما في ذلك محاولة اضلالهم ويدلّ على هذا أيضاً مايلي:

## محاولة الشيطان التأثير على الرّسل

قال تعالى: ﴿ ***ويتّبع كلّ شيطانٍ مريدٍ ❖ كتب عليه أنّه من تولّاه فإنّه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير*** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ ***وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ إلّا إذا تمنّى***

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧١ - ٢٧٢.

(٢) سورة الحج: ٣ - ٤.

***ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشّيطان ثمّ يحكم الله آياته والله عليمٌ حكيم * ليجعل ما يلقى الشيطان فتنةً للذين في قلوبهم مرضٌ والقاسية قلوبهم***﴾[(١)].

وقال البيضاوي: «ويتّبع» في المجادلة أو في عامّة أحواله «كلّ شيطان مريد» متجرّد للفساد، وأصله العري «كتب عليه» على الشيطان «من تولاّه» تبعه والضمير للشأن «فإنّه يضله» خبر لمن أو جواب له، والمعنى: كتب عليه إضلال من تولاّه لأنه جبل عليه «ويهديه إلى عذاب السعير» بالحمل على ما يؤدي إليه.

وقال في قوله: «في أمنيّته» في تشهيّه بما يوجب اشتغاله بالدنيا، كما قال ﷺ: وإنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرّة «فينسخ الله ما يلقي الشيطان» فيبطله ويذهب به بعصمته عن الركون والإرشاد إلى ما يزيحه «ثمّ يحكم الله آياته» ثمّ يثبت آياته الداعيّة إلى الاستغراق في أمر الآخرة «والله عليم» بأحوال الناس «حكيم» فيما يفعله بهم «ليجعل ما يلقي الشيطان» علّة لتمكين الشيطان منه «للذين في قلوبهم مرض» شكّ ونفاق «والقاسية قلوبهم» المشركين[(٢)].

ففي هذه الآية إشارة إلى أنّ الأنبياء ورغم ما يتمتعون به من العصمة فإن الشيطان يتحين مدخلاً إليهم ولو في بعض السوانح التي ذكرتها الآية. ولعل الأحاديث ذكرت بعض الشواهد على هذا الأمر فقالت مثلاً إن جميع الأنبياء يهاجمهم الشيطان ويأتيهم ومنها الحديث التالي:

وفي حديث عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ إبليس عدوّ الله كان يأتي الأنبياء ويتحدّث إليهم من لدن نوح إلى عيسى بن مريم وما بين ذلك من الأنبياء، غير أنّه لم يكن لأحد أكثر زيارة ولا أشدّ استيناساً منه إلى

---

(١) سورة الحج: ٥٢ ـ ٥٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٢ ـ ١٨٣.

يحيى بن زكريّا ﷺ، و إنّه دخل عليه ذات يوم فلمّا أراد الإنصراف من عنده قال له يحيى: يا با مرّة ـ واسمه الحارث وكنيته أبو مرّة، وإنّما سمّاه الله إبليس لأنه أبلس من الخير كلّه يوم آدم ﷺ ـ فقال له: يا با مرّة إنّي سائلك حاجة فأحببت أن لا تردّني عنها، فقال له: ولك ذلك يا نبيّ الله فسل، فقال له يحيى بن زكريّا: إنّي أحبّك تجيئني في صورتك وخلقك وتعرض عليّ مصائدك التي بها تهلك الناس، قال إبليس: سألتني أمراً عظيماً ضقت به ذرعاً، وتفاقم خطبه عندي ولكنّك أعزّ عليّ وأمنّ من أن أردّك بمسألة ولا أجيبك بحاجة، ولكنّي أحبّ أن تخلوا برؤيتي فلا يكون معك أحد غيرك، فتواعدا لغد عند ارتفاع النهار، صدر من عنده على ذلك، فلمّا كان من الغد في تلك السّاعة تمثّل بين يديه قائماً فنظر إلى أمر من أمر الله عظيم، إذا هو ممسوخ منكوس مقبوح هائل كريه، جسده على أمثال أجساد الخنازير، ووجهه على وجه القردة، وشقّ عينيه طولا وشقّ فاه طولا، حيال رأسه وأسنانه كلّها عظم واحد لا ذقن له أصلاً ولا لحية، وشعر رأسه مقلّل مقلوب المنبت نحو السّماء، وله أربعة أيدي: يدان في منكبيه، ويدان في جنبيه، وأصابعه ممّا يليه من القدم خلفه، وعراقيبه أمامه وأصابع يديه ستّة، وخدّه أصلت، ومنخرا أنفه نحو السّماء، له خرطوم كخرطوم الطير، ووجهه قبل القفاء، أعمش العينين، أعرج معوّج، له جناح، وإذا عليه قميص مقلّص قد تمنطق فوقه بعد المجوس، وإذا أكواز صغار قد علقه من منطقته، وحوالي قميصه خياعيل شبه الشرب في ألوان شتّى من بياض وسواد وحمرة وصفرة وخضرة، وبيده جرس ضخم، وعلى رأسه بيضة في قلّتها حديدة مستطيلة معقّفة الطرف.

فقال له يحيى: أخبرني يا با مرّة عمّا أسألك ممّا أرى، قال: يا نبيّ الله ما دخلت عليك على هذه الحالة إلاّ وأنا أحبّ أن أخبرك بكلّ شيء تسألني عنه ثمّ لا أعمى عليك، فقال: حدّثني يا با مرّة عن إنطاقك هذا فوق القميص ما هو؟ قال: يا نبي الله تشبّه بالمجوس، أنا وضعت المجوسيّة فدنت بها.

قال: فأخبرني ما هذه الأكواز الصغار التي هي معلّقة من منطقتك مقدمة. قال: يا نبيّ الله فيها شهواتي وخياعيل مصائدي، فأوّل ما أصيد به المؤمن من قبل النساء، فإن هو اعتصم بطاعة الله أقبلت عليه من قبل جمع المال من الحرام طمعاً فيه حرصاً عليه، فإن هو اعتصم بطاعة الله وأجنبني بالزهادة أقبلت عليه من قبل الشراب هذا المسكر حتّى أكرّر عليه هذه الشهوات كلّها ولا بدّ أن يواقع بعضها ولو كان من أورع الناس، قال: فما هذه الخياعيل إلى طرف قميصك؟ قال: يا نبيّ الله هذه ألوان أصباغ النساء وزينتهنّ فلا تزال إحداهن تتلّون ثيابها حتّى تأتي على ما يليق بها فهناك أفتتن الرجال إلى ما عليها من الزينة.

قال: فما هذا الجرس بيدك؟ قال: يا نبيّ الله هذا معدن الطرب وجماعات أصوات المعازف من بين بربط وطنبور ومزامير وطبول ودفوف ونوح وغناء، وإنّ القوم يجتمعون على محفل شرّ وعندهم بعض ما ذكرت من هذه المعازف، فلا يكادون يتنعّمون في مجلس ويستلذّون ويطربون، فإذا رأيت ذلك منهم حرّكت هذا الجرس فيختلط ذلك الصوت بمعازفهم، فهناك يزيد استلذاذهم وتطريبهم، فمنهم من إذا سمع هذا يفرقع أصابعه، ومنهم من يهزّ رأسه، ومنهم من يصفق بيديه، فما زال هذا دأبهم حتّى أبرتهم.

قال: فما هذه البيضة على رأسك؟ قال: يا نبيّ الله احترز منّي ومن مصائدي التي وصفت لك الأنبياء والصّالحون والنسّاك وأهل الورع، كما أحرز رأسي هذه البيضة من كلّ نكبة، قال: وما النكبة؟ قال: اللعنة، قال: فما هذه الحديدة المستطيلة التي في قلّتها؟ قال: يا نبيّ الله هي التي أقلّب بها قلوب الصّالحين، قال: بقيت حاجة. قال: قل، قال: ما بال خلقك وصورتك على ما أرى من القبح والتقليب والانكار؟ قال: يا نبيّ الله هذا بسبب أبيك آدم، إنّي كنت من الملائكة المكرّمين ممّن لم أرفع رأسي من سجدة واحدة أربعمائة ألف

سنة، وعصيت ربّي في أمر سجودي لآدم أبيك فغضب الله عليّ ولعنني، فحولت من صورة الملائكة إلى صورة الشياطين ولم يكن في الملائكة أحسن صورة منّي فصرت ممسوخاً منكوساً مقبوحاً مقلوباً هائلاً كريهاً كما ترى.

قال: فهل أريت صورتك هذه أحداً قطّ، ومصائدك بهذه الصورة؟ قال: لا وعزّة ربّي إنّ هذا الشيء ما نظر إليه آدمي قطّ، ولقد أكرمتك بهذه دون النّاس كلّهم، قال: فتمّم إكرامك إيّاي بمسئلتين أسألك عنهما، إحداهما عامّة، والأخرى خاصّة، قال: ولك ذلك يا نبيّ الله فسل، قال: حدّثني أي الأشياء أرجى عندك وأدعمه لظهرك وأسلاه لكآبتك وأقره لعينك وأشدّ لركنك وأفرحه لقلبك؟ قال: يا نبيّ الله إنّي أخاف أن تخبر به أحداً فيحفظون ذلك فيعتصمون به ويضيع كيدي.

قال: إنّ الله قد أنزل في الكتاب شأنك وكيدك وبيّن لأنبيائه وأوليائه، فاحترزوا ما احترزو، وأمّا الغاوون فأنت أولى بهم قد تلعب بهم كالصوالجة بالكرة فليس قولك عندهم أدعى وأعزّ من قول الله.

قال: يا نبيّ الله إنّ أرجى الأشياء عندي وأدعمه لظهري وأقره لعيني النساء فإنّها حبالتي ومصائدي وسهمي الذي به لا أخطئ، بأبي هنّ، لو لم يكن هنّ ما أطقت إضلال أدنى آدمي، قرّة عيني، بهنّ أظفر بمقراتي، وبهنّ أوقع في المهالك، يا حبّذاهن إذا اغتممت ليست على النسّاك والعباد والعلماء غلبوني بعد ما ارسلت عليهم الجيوش فانهزموا وبعد ما ركبت وقهرت ذكرت النساء طابت نفسي وسكن غضبي واطمأن كظمي وانكشف غيظي وسلت كآبتي وقرّت عيني واشتدّ أزري، ولولاهنّ من نسل آدم لسجدتهن فهنّ سيّداتي وعلى عنقي سكناهنّ وعليّ ما هنّ، ما اشتهت امرأة من حبالتي حاجة إلاّ كنت أسعى برأسي دون رجلي في إسعافها بحاجتها لأنّهنّ رجائي وظهري وعصمتي ومسندي وثقتي وغوثي، قال: وما نفعك وفرحك في ضلالة

الآدميَ؟ وبأيِ شيء سلبت عليه؟ قال: خلق الله الأفراح والأحزان والحلال والحرام، وخيّرني فيهما يوم آدم فاخترت الشهوات والأفراح واخترت الحرام والفحش والمناكير صارت تلك نهمتي وهواي، وخيّر آدم فاختار الأحزان والعبادة والحلال، فصار لذلك نهماً ومنية فذلك منيته ونهمته وهذا هواي ونهمتي وشهوتي، فذلك شيئه وماله ومتاعه، وهذا شيئي ومالي ومتاعي وبضاعتي، وشيء المرء كنفسه لأنَ فيه نهمته وشهوته؛ ونهمة المرء وشهوته حياته فإذا سلب الحياة هلك المرء، فكم نرى من خلق الله سلب منهم نهمته وهمّته مات وهلك، فكذلك هذا، إنَ ما اخترت صار ذلك شهوتي وهواي وحياتي، فمهما سلبت هلكت، ومهما ظفرت به فرحت وحييت، فإذا رأيت شهوتي وهواي وحياتي عند غيري قد سلبها منّي أجتهد كلَ الجهد حتّى أظفر بها ليكون بها قوامي يدي للآدمي سلب حياتي وهي الشهوة والهوى فجعلها في كنّه وحرزه وقد تهيأ واستعدَ يقاتلني ويحاربني فهل بدَ من المحاربة ليصل المحقَ إلى حقّه ويقهر الظالم فهذه حالتي وشأني وسبب فرحي إذا غلبته.

قال له: وما ظلمه حيث تقول: يقهر الظالم؟ قال: فيظلمني إذا سلب هواي فجعله في كنّه، لولاه كيف لا أطمع أنا في حربه وحلاله كما طمع في حرامي وهواي؟

قال له: أليس بمحال أن تقول: أنا أريد استرداد هواي فتفرح إن هو استعمله وتحزن إن لم يستعمل هواك في شؤنه؟ قال: إذا استعمل هواي لست أحزن ولكنّي أفرح لأنّه قد أعطاني نهمتي الفرح، إنّما أحزن حتّى لا يستعمله، لست أطلب نهمتي لأخذه منّي فإني قد أمنت أن لا يرد لأنّه قد خيل عليه، ولكنّني أريد استعماله فإذا استعمله أعطاني منيتي ومختاري وحياتي فهو نفسي فإذا استعمل منيتي أحياني وفرّحني، وإنّه استعمله على جهته، وإذا لم يستعمله فهو في كنّه كالمسجون، فإذا كان هو في كنّه مسجوناً مقيّداً وهو حياتي

كنت كأنّي المسجون المقيّد وصرت حرباً لأنّه أبدلني بمكان حياتي الموت، فلا بدّ أن أحتال بكلّ حيلة آتية بكل خدعة وأهيئ وأزيّن الآلة والأدوات، وأخرج الملاهي والأدوات وأضربها وأحركها وألوحها لعلّه يرى ذلك فيطرب ويذكر وينشط ويغتر ويهيج، فيستعمل الهواء الذي فيه، وهي حياتي وشهوتي فأحيي وأبهج حتّى يجد هو السبيل إلى التحرّك والخلاص من السّجن وهذا ما لم أذكر لأحد قطّ منذ خلقت، ولولا ما أرى لك من الفضل والكرامة ما أخبرتك بهذا كلّه.

قال يحيى عليه السلام: فالمسألة الخاصّة التي سألتك، قال: نعم سل، قال: هل أصبت منّي فرصتك قطّ في لحظة من بصر أو لفظة بلسان أو همّ بقلب؟ قال: اللهم لا، إلاّ أنّه كان يعجبني منك خصلة فكثر ذلك عنك ووقع عندي موقعاً شريفاً، فتغيّر لون يحيى من قوله وتبلّد وتقاصرت إليه نفسه وارتعدت فرائصه وغشي عليه، قال: وما ذلك يا بامرّة؟ قال: أنت رجل أكول وكنت أحياناً تكثر الطعام فتبشم منه ويعتريك الوهن والنوم والثقل والكسل والنعاس فكنت تنام على جنبك أحياناً من الأوقات التي كنت تقوم فيها من الليل، هذا يعجبني منك.

قال: وبهذا كنت تجد عليّ الفرصة؟ قال: نعم، قال: ما أشد لفرحك وما أشدّ لحركتك؟ قال: قد ذكرت لك فلم تحفظه، ولكن أجملك جميع ما يكره الله فهو مختاري، وجميع ما يحبّ فهو منبوذي، لم أتمالك حتّى أحتال بكلّ حيلة حتّى ينبذه، وأزين له مختاري حتّى يرفعه، لأنّ حياتي في استعمال مختاري، ومماتي وهلاكي وذلّي وضعفي في استعماله مرفوضي ومنبوذي وهو الحلال الطيّب من الأشياء والأحزان، ومختاري الحرام والخبث من الأشياء والأفراح، بها قد خطر الله عليه.

ثمَ قال إبليس: حسبك يا يحيى، فرحاً بما قد أظهر ليحيى أنّه قد وجد عليه فرصة، قال يحيى: ولم تجد عليَ الفرصة من عمري إلاّ الذي ذكرت؟ قال: اللهم لا إلاّ ذلك، قال يحيى: عاهدت عزّ وجلّ نذراً واجباً على أن أخرج من الدنيا ولا أشبع من الطعام، قال: فغضب إبليس وحزن على ما أخبره، فاحترز يحيى واعتصم قال: خدعتني يا بن آدم وكسرت ظهري بما خدعتني وأنا أعاهد ربّي نذراً واجباً على أن لا أنصح آدمياً، ولقد غلبتني يا ابن آدم وكسرت ظهري بما خدعتني حتّى سلمت منّي، وخرج من عنده غضباناً. انتهى(١).

ففي هذا الحديث تأكيد للمطالب التي ذكرناها في الصفحات السابقة مع اضافة لمداخل الشيطان وأساليبه للاغواء، وأبرز ما فيه هو تأكيد العمومية حتّى أنّه بالنسبة للنبي يحيى الاستفادة من الشهوات الحلال لتأخير صلاة النبي، ولذلك فإن النبي بعدها قرر قطع الطريق على إبليس وسلبه هذه الفرصة بتأخير الصلاة. ويشبه بهذا ما ورد عن نبيّ الله إبراهيم في الحديث التالي:

((بإسناده عن أبي بصير، عن أبي جعفر في قصّة طويلة في حجّ إبراهيم وذبحه ابنه إلى أن قال: وسلّما لأمر الله، وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه، فقال: سبحان الله تذبح غلاماً لم يعص الله عزّ وجلّ طرفة عين؟ فقال إبراهيم: إنّ الله أمرني بذلك، فقال: ربّك ينهاك عن ذلك، وإنّما أمرك بهذا الشيطان، فقال له إبراهيم: إنّ الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به والكلام الذي وقع في أذني، فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلاّ الشيطان فقال إبراهيم: لا والله لا أكلمك.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٦ - ٢٣٣.

ثمّ عزم إبراهيم على الذبح فقال: يا إبراهيم إنّك إمام يقتدى بك، وإنّك إذا ذبحته ذبح الناس أولادهم، فلم يكلّمه وأقبل على الغلام واستشاره في الذبح ـ وساق الحديث في الفداء إلى قوله ـ ولحق إبليس بأمّ الغلام حين نظرت إلى الكعبة في وسط الوادي بحذاء البيت فقال لها: ما شيخ رأيته، قالت: إنّ ذلك بعلي، قال: فوصيف رأيته معه، قالت: ذلك ابني، قال: فإنّي رأيته وقد أضجعه وأخذ المدية ليذبحه، فقالت: كذبت إنّ إبراهيم أرحم الناس كيف يذبح ابنه؟ قال: فوربّ السماء والأرض وربّ هذا البيت لقد رأيته أضجعه وأخذ المدية، فقالت: ولم؟ قال: يزعم أنّ ربّه أمرَه بذلك، قالت: فحقّ له أن يطيع ربّه، فوقع في نفسها أنّه قد أمر في ابنها بأمر.

فلمّا قضت مناسكها أسرعت في الوادي راجعة إلى منى وهي واضعة يدها على رأسها تقول: ربّي لا تؤاخذني بما عملت بأم إسماعيل. الحديث))[1].

ولعل هذا الحديث يوضح أن عناء الأنبياءعليهم السلام من جهة إبليس أكبر من سواهم خصوصاً أن بلاءهم أكبر فإن إبراهيمعليه السلام مأمور من قبل الله بذبح ابنه فيعزم على الطاعة لكن إبليس يأتيه ليثبطه من خلال ما يطرحه من أوهام التي يمكن أن تكون كافية لتثبيط أي إنسان غير الأنبياء. وجاء أيضاً مايلي:

عن ابن عبّاس، قال: لمّا مضى لعيسىعليه السلام ثلاثون سنة بعثه الله تعالى إلى بني إسرائيل فلقيه إبليس لعنه الله على عقبة بيت المقدس وهي عقبة أفيق، فقال له: يا عيسى أنت الذي بلغ من عظم ربوبيّتك أن تكوّنت من غير أب؟ قال عيسىعليه السلام: بل العظمة للذي كوّنني وكذلك كوّن آدم وحوّاء، قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنك تكلّمت في المهد صبيّاً؟ قال

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

عيسى عليه السلام: يا إبليس بل العظمة للذي أنطقني في صغري ولو شاء لأبكمني، قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فيصير طيراً؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي خلقني وخلق ما سخّر لي، قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيتك أنّك تشفي المرضى؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي بإذنه أشفيهم وإذا شاء أمرضني، قال إبليس: فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تحيي الموتى؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي بإذنه أحييهم ولابدّ من أن يميت ما أحييت ويميتني، قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّك تعبر البحر فلا تبتل قدماك ولا ترسخ فيه؟ قال عيسى عليه السلام: بل العظمة للذي ذلّله ولو شاء أغرقني. قال إبليس: يا عيسى فأنت الذي بلغ من عظم ربوبيّتك أنّه سيأتي عليك يوم تكون السماوات والأرض ومن فيهنّ دونك وأنت فوق ذلك كلّه، تدبّر الأمر وتقسم الأرزاق فأعظم عيسى عليه السلام ذلك من قول إبليس الكافر اللعين، فقال عيسى عليه السلام: سبحان الله ملأ سماواته وأرضه ومداد كلماته وزنة عرشه ورضا نفسه، قال: فلمّا سمع إبليس لعنه الله ذلك ذهب على وجهه لا يملك من نفسه شيئاً حتّى وقع في اللجّة الخضراء.

قال ابن عبّاس: فخرجت امرأة من الجنّ تمشي على شاطئ البحر فإذا هي بإبليس ساجداً على صخرة صمّاء تسيل دموعه على خدّيه، فقامت تنظر إليه تعجّباً، ثمّ قالت له: ويحك يا إبليس ما ترجو بطول السجود؟ فقال لها: أيّتها المرأة الصّالحة ابنة الرجل الصالح أرجو إذا برّني عزّ وجلّ قسمه وأدخلني نار جهنّم أن يخرجني من النار برحمته))[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

فهنا يحاول الشيطان أن يحرك بعض نوازع الكبر لدى عيسى ﷺ ولكنه يفشل، كما أن الحديث يدل على اضطراب إبليس فهو يريد أن يطيع لكنه يستمر في المعصية. وسنمر على ذلك في فرص لاحقة.

وهنا أيضاً حديث عن عيسى ﷺ يحمل نفس الدلالة:

روي عن بريد القصرانيّ، قال: قال لي أبو عبد الله ﷺ: صعد عيسى ﷺ على جبل بالشام يقال له: أريحا، فأتاه إبليس في صورة ملك فلسطين فقال له: يا روح الله أحييت الموتى وأبرأت الأكمه والأبرص، فاطرح نفسك عن الجبل فقال ﷺ: إنّ ذلك أذن لي فيه، وإنّ هذا لم يؤذن لي فيه[1].

وورد عن هشام بن سالم، عن الصادق ﷺ قال: جاء إبليس إلى عيسى ﷺ، فقال: أليس تزعم أنك تحيي الموتى؟ قال عيسى ﷺ: بلى. قال إبليس: فاطرح نفسك من فوق الحائط، فقال عيسى ﷺ: ويلك إنّ العبد لا يجرّب ربّه. وقال إبليس: يا عيسى هل يقدر ربّك على أن يدخل الأرض في بيضة والبيضة كهيئتها؟ فقال: إن الله تعالى عزّ وعلا لا يوصف بالعجز، والذي قلت لا يكون.

قال الراوندي (رحمه الله): يعني هو مستحيل في نفسه كجمع الضدّين[2].

ويأتي مصداقاً لما مرّ الحديث الذي ورد عن الرسول ﷺ والذي يذكر أنّه له شيطاناً يحاول أن يغويه ولكن الله أعانه عليه فأسلم فصار لا يأمر نبينا إلاّ بخير وهذا كلّه يدل على أن الأنبياء جميعهم حمل عليهم الشيطان وسعى لاغواءهم.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٢.

## اغواء المؤمنين

فهذه النماذج المذكورة هي للأنبياء(ع) فجميع هؤلاء الأنبياء الذين بلغوا العصمة والذين يأس منهم الشيطان في طاعته فإنّه لا ييأس منهم ولو بقليل من ترك المستحقات أو التثبيط عن ذهاب الفضيلة أو أي مقدار مما يستطيع. ولذلك فإن الأنبياء يتفاوتون بعد بلوغهم العصمة رغم أنّهم بلغوا أعلى درجات القرب إلاّ أن نفس القرب حالة متدرجة يتربع على عرشها محمد(ص) وأهل بيته(ع).

ثم يتفرّغ إبليس لما دون الأنبياء من بقية الخلق وهم طبعاً المؤمنون الذين يسعون لفعل الخيرات وأداء الواجبات بلّ حتى التفكير بترك الذنوب أو حتى الدخول إليهم من أبواب لا ينكرونها وهذا يعني أنّه يختار الوسيلة المناسبة للشخص المناسب. وقد جاء في الحديث نموذجاً تاريخياً لمحاولة اغواء المؤمنين وهو الآتي.

((جاء عن أبي عبد الله(ع) قال: كان عابد في بني إسرائيل لم يقارف من أمر الدنيا شيئاً فنخر إبليس نخرة فاجتمعت إليه جنوده، فقال: من لي بفلان؟ فقال بعضهم: أنا، فقال: من أين تأتيه؟ فقال: من ناحية النساء، قال: لست له، لم يجرّب النساء، فقال له آخر: فأنا له، قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية الشراب واللّذات. قال: لست له، ليس هذا بهذا، قال آخر: فأنا له، قال: من أين تأتيه؟ قال: من ناحية البر، قال: انطلق فأنت صاحبه، فانطلق إلى موضع الرجل فأقام حذاءه يصلّي، قال: وكان الرجل ينام، والشيطان لا ينام، ويستريح والشيطان لا يستريح.

فتحوّل إليه الرجل وقد تقاصرت إليه نفسه واستصغر عمله، فقال: يا عبد الله بأيّ شيء قويت على هذه الصلاة؟ فلم يجبه، ثمّ عاد عليه فلم يجبه،

ثمّعاد عليه فقال: يا عبد الله إنّي أذنبت ذنباً وأنا تائب منه، فإذا ذكرت الذنب قويت على الصلاة، قال: فأخبرني بذنبك حتّى أعمله وأتوب، فإذا فعلته قويت على الصلاة، فقال: ادخل المدينة فسل عن فلانة البغيّة فأعطها درهمين ونل منها، قال: ومن أين لي درهمين؟ ما أدري ما الدرهمين؟ فتناول الشيطان من تحت قدمه درهمين فناوله إيّاهما، فقام فدخل المدينة بجلابيبه يسأل عن فلانة البغيّة فأرشدوه النّاس وظنّوا أنّه جاء يعظها، فأرشدوه فجاء إليها فرمى إليها بالدرهمين وقال: قومي، فقامت فدخلت منزلها وقالت: ادخل، وقالت: إنّك جئتني في هيئة ليس يؤتى مثلي في مثلها، فأخبرني بخبرك، فأخبرها، فقالت له: يا عبد الله إنّ ترك الذنب أهون من طلب التوبة، وليس كلّ من طلب التوبة وجدها، وإنّما ينبغي أن يكون هذا شيطاناً مثلك، فانصرف فإنّك لا ترى شيئاً، فانصرف وماتت من ليلتها فأصبحت فإذا على بابها مكتوب: احضروا فلانة فإنّها من أهل الجنّة، فارتاب الناس فمكثوا ثلاثاً لا يدفنونها ارتياباً في أمرها، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى نبيّ من الأنبياء لا أعلمه إلاّ موسى بن عمران عليه السلام أن ائت فلانة فصلّ عليها ومر الناس أن يصلّوا عليها فإني قد غفرت لها وأوجبت لها الجنة بتثبيطها عبدي فلاناً عن معصيتي))[1].

ولعل الشيطان الذي تعرّض للأنبياء وكما مرّ أنه لا يترك أي إنسان فإنه يتعرض للمؤمنين في جميع فترات التأريخ، ومؤمنين بني إسرائيل نموذجاً لهذا الأمر كما مرّ هنا وكما في الحديث الآخر التالي الذي يحمل نفس الدلالة.

عن أبي حمزة الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: كان عابد من بني إسرائيل، فقال إبليس لجنده من له فإنّه قد غمّني، فقال واحد منهم: أنا له،

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٦ ـ ٢٧٨.

فقال: في أي شيء؟ قال: أزيِّن له الدنيا، قال: لست بصاحبه، قال الآخر: فأنا له، قال: في أيّ شيء؟ قال: في النساء، قال: لست بصاحبه، قال الثالث: أنا له، قال: في أيّ شيء؟ قال: في عبادته قال: أنت له، فلمّا جنّه الليل طرقه فقال: ضيف، فأدخله، فمكث ليلته يصلّي حتّى أصبح، فمكث ثلاثاً يصلّي ولا يأكل ولا يشرب، فقال له العابد: يا عبد الله ما رأيت مثلك، فقال له: إنّك لم تصب شيئاً من الذنوب وأنت ضعيف العبادة، قال: وما الذنوب التي أصيبها؟ قال: خذ أربعة دراهم فتأتي فلانة البغيّة فتعطيها درهماً للحم، ودرهماً للشراب، ودرهماً لطيبها ودرهماً لها فتقضي حاجتك منها؟ قال: فنزل وأخذ أربعة دراهم فأتى بابها فقال: يا فلانة يا فلانة، فخرجت فلما رأته قالت: مفتون والله، مفتون والله، قالت له: ما تريد؟ قال: خذي أربعة دراهم فهيئي لي طعاماً وشراباً وطيباً وتعالي حتّى آتيك، فذهبت فدارت فإذا هي بقطعة من حمار ميّت فأخذته، ثم عمدت إلى بول عتيق فجعلته في كوز، ثم جاءت به إليه، فقال: هذا طعامك؟ قالت: نعم قال: لا حاجة لي فيه، وهذا شرابك؟ فلا حاجة لي فيه، اذهبي فتهيئي، فتقذّرت جهدها، ثمّ جاءته فلمّا شمّها قال: لا حاجة لي فيك، فلمّا أصبحت كتب على بابها: إن الله قد غفر لفلانة البغيّة بفلان العابد[1].

فهذا الحديث يحمل الدلالة السابقة من التفنن في اختراع سبل الضلال بحيث إذا فشلت أساليب اثارة الشهوة فإنّه يدخل الإنسان من خلال الإيمان وحب العبادة. وللعرفاء في هذا الباب مباحثة مطولة يمكن الرجوع إليها.

روي عن زرارة، قال: قلت لأبي جعفر ﷺ قوله: ﴿***لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد***

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٠ - ٢٧١.

﴿أكثرهم شاكرين﴾[١] فقال أبو جعفرعليه السلام: يا زرارة إنّما صمد لك ولأصحابك. فأمّا الآخرين فقد فرغ منهم[٢].

فقد فسّر الإمامعليه السلام بأن الذين يقعد لهم صراطك المستقيم هم المؤمنون لأنّهم يسعون إلى فعل الخير ولذلك فإنّه يتأهب لمنعهم وتثبيطهم واشغالهم بأشياء أخرى، فأمّا بقية الخلق فإنّهم دخلوا في طاعته وصاروا جزءاً من أتباعه، فحد جند الشيطان هو الإيمان فالمؤمن هو من جند الرحمان وما عداهم هم جند الشيطان، ولذلك فإن الشيطان قسم البشر إلى ثلاثة فئات كما جاء في الحديث التالي:

قال وهب بن الورد: بلغنا أن إبليس تمثّل ليحيى بن زكريّاعليه السلام فقال له: أنصحك؟ فقال: لا أريد ذلك، ولكن أخبرني عن بني آدم فقال: هم عندنا ثلاثة أصناف: صنف منهم أشدّ الأصناف عندنا، نقبل على أحدهم حتّى نفتنه في دينه ونستمكن منه، فيفزع إلى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كلّ شيء نصيبه منه، ثمّ نعود إليه فيعود إلى الاستغفار والتوبة فلا نيأس منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن معه في عناء، وصنف هم في أيدينا بمنزلة الكرة في أيدي صبيانكم نتلقّفهم كيف شئنا قد كفينا مؤنة أنفسهم، وصنف منهم مثلك معصومون لا نقدر منهم على شيء[٣].

فهناك مجموعة من البشر هي الأضعف في مقاومة الشيطان وهؤلاء هم جند الشيطان لكنّهم بعضهم صاروا بدورهم شياطين بعد ما بلغوا في المعصية مبلغاً جعلهم لا يختلفون عن شياطين الجنّ في شيء.

---

(١) سورة الأعراف: ١٦ ـ ١٧.

(٢) سورة الأعراف: ١٦ ـ ١٧.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٥.

وهناك نوع أكثر قوّة فهو يطيع ويستغفر عن طاعة الشيطان فيتوب عن الذنب فيعود مرّة أخرى لكنّه لضعفه لا يستطيع التحوّل إلى حالة الرفض الكامل لمطالب الشيطان، وهو ليس من الضعف إلى الدرجة التي يطيعه فيها دائماً وعلى طول الخط، وهناك النوع الثالث وهو النوع الأقوى الذي يستعصي على الشيطان وهو يمثل النقيض الكامل له، لأنّه يملك القدرة الكاملة على السيطرة على نوازعه والعمل بعلمه، بينما إبليس وزعم علمه بالحقائق واطلاعه على الكثير بالمشاهدة فإنّه عاجز عن العمل بعلمه، لأنّه عاجز عن السيطرة على نوازعه فرغم علمه الكامل بالنهاية وبالمآل، فإن علمه بالنهاية لا يستطيع لجم تلك النوازع والأحاسيس.

وبالطبع إن هذه الفئات تنقسم إلى أقسام ودرجات فتشبه الهرم، قمته الأنبياء والمعصومون ﷺ ووسطه المؤمنون بدرجات [أصحاب اليمين] وقاعدته العصاة، وأسفله عتاة الإنس وجنود إبليس وحزبه.

وهكذا فإننا نلاحظ أن الشيطان صار يلاحق أبناء الإنسان جميعاً ويقسمهم وفق قربتهم منه وبعدهم عنه.

وهكذا نلاحظ أنّه يلاحق أفرادهم فرداً فرداً بلا استثناء ويطارد الفرد من سن التكليف حتّى الموت فهو لا يترك الاغواء حتى لحظات الموت وقبل خروج الروح.

وفي رواية عن أبي عبد الله ﷺ قال: ما من أحد يحضره الموت إلاّ وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشكّكه في دينه حتّى تخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه، فإذا حضرتم موتاكم فلقّنوهم شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله حتّى يموت[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٧.

فهنا محاولة تستوعب جميع الأجيال أي محاولة تمتد عمودياً لتستوعب كلّ الأجيال وتمتد أفقياً لتستوعب كلّ فرد في كل جيل وترافق كل فرد من سن التكليف إلى الموت. وإنها لا تعرف اليأس ولا تقنع بأي درجة من الطاعة لأنّها تضل مع الإنسان حتى يقول هو لنفسه قف وتبعاً للحد الذي يضعه لنفسه.

وفي ظل هذه الأجواء العامة للعلاقة يمكننا أن ندخل في تفاصيلها الهامة والمفردات التي ترسم كامل المعالم.

# الفصل الثاني

## معالم وأسس علاقة التعادل [الثقلين]

- علّة تسمية الجن
- المعنى اللغوي
- نشوء علاقة التعادل وأسسها
- الجان المعادل الموضوعي للإنسان
- الأوصاف ومعالم التعادل بين الجن والإنس
- أصناف الجن
- طول عمر الجن
- التكاثر والحياة الجنسية
- التزاوج بين الإنس والجن
- التغذية والسكن
- الحياة الدينية
- معالم منوعة للجن

# علّة تسمية الجن

## المعنى اللغوي

ورد في لسان العرب في باب جنن:

[جنّ الشيء: ستره. وكل شيء سُتر عنك فقد جُن عنك. وجنّه الليل يجنه جنّاً وجنوناً وجن عليه، يجنُ بالضم، جُنوناً. وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره (في بطن أمه) ][1].

وجاء في بحار الأنوار في علة تسمية الجن قولين:

«الأول: أنّ لفظ الجن مأخوذ من الاستتار، ومنه الجَنّة لاستتار أرضها بالأشجار، ومنه الجُنّة لأنّها ساترة للإنسان، ومنه الجنّ لاستتارهم عن العيون، ومنه المجنون لاستتار عقله، ومنه الجنين لاستتاره في البطن، ومنه قوله تعالى: ﴿ *اتّخذوا أيمانهم جُنّة* ﴾[2] أي وقايةً وستراً.

واعلم أنّ على هذا القول يلزم أن تكون الملائكة من الجنّ لاستتارهم عن العيون إلاّ أن يقال: إنّ هذا من باب تقييد المطلق بسبب العرف.

والقول الثاني: أنهم سمّوا بهذا الاسم لأنّهم كانوا في أوّل أمرهم خزّان الجنّة. والقول الأوّل أقوى»[3].

وجاء في تفسير الميزان:

«والجن طائفة من الموجودات مستورة بالطبع عن حواسنا ذات شعور وارادة، تكرر في القرآن الكريم ذكرهم، نسب إليهم أعمالاً عجيبة وحركات

---

(١) لسان العرب لابن منظور: ١٣ / ٩٢. (جنن).

(٢) سورة المجادلة: ١٦.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣٠.

سريعة، كما في قصص سليمان ﷺ وهم مكلفون ويعيشون ويموتون ويحشرون، تدلّ على ذلك كلهُ آيات كثيرة متفرقة في كلام الله تعالى.

أمّا الجان فهل هو الجن بعينه أو هو أبو الجن، كمّا أن آدم أبو البشر، كما عن ابن عباس، أو هو إبليس نفسه كما عن الحسن، أو الجان نسل إبليس من الجن، أو هو نوع من الجن كما ذكره الراغب، أقوال لا دليل على أكثرها»[1].

ويؤيد هذا الحديث التالي المروي عن أبي جعفر ﷺ في أجوبته عن مسائل طاووس اليمانيّ قال: فلم سميّ الجنّ جنّاً؟ قال: لأنّهم استجنّوا فلم يروا[2].

ومن خلال ما تقدّم يتضح أن كلمة الجان تدل على أحد الأوصاف الرئيسية التي تتصف بها هذه المخلوقات، وهو يشبه وصف الإنسان بالناطق فهو اسم جنس ناظر إلى صفة منسوبة إلى الجان باعتبار مطلق الوصف وهو الإنسان الذي تكون هذه المخلوقات مستترة عنه.

ومن غير المعروف تأريخ إطلاق هذه التسمية إلاّ أنّه كما يبدو أنه كان موجوداً في أصل اللغة وأنّه ليس اسماً منقولاً عن لغات أخرى، لأنّ أصل مادة اشتقاقه موجودة، وأن العرب عرفوا هذه المخلوقات وتحدثوا عنها ونسبوا إليها قول الشعر، فلكل شاعر جني يوحي إليه قول الشعر، كما أنّهم تحدثوا عن أصناف الجن كالغيلان والسعالي.

وعلى هذا الأساس فإنّ الإسم يدل على صفة الاستتار عند هذه المخلوقات لكنّه لا يطلق على جميع الكائنات المستترة، لأنّ العرب استثنوا الملائكة وأطلقوا عليها اسماً خاصاً بها مشتق من صفة «آلك» وهي تعني الرسالة، فهذا النوع من المخلوقات مختصة بحمل رسالات السماء، وكان

---

(١) تفسير الميزان: ١٢ / ١٥٢ ـ تفسير سورة الحجر.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٥.

هذا الفهم سائداً في الثقافة الجاهلية، ولذلك فإنّ العرب طالبوا الرسولﷺ برؤية الملائكة بناءً على علمهم بأنّ الملائكة هي المختصة بحمل الرسالات ولكنّهم لا ينسبون هذا الأمر إلى الجنّ، لأن الجن تطاردهم كالغيلان «التي تتلون لهم في الصحراء» أو تعلم الكهان وتوحي للشعراء أشعارهم.

وهذه التصورات كما يبدو هي من بقايا الديانات التوحيدية التي عرفها العرب قبل الإسلام كالحنفية والنصرانية واليهودية لكنّها طبعاً اختلطت ببعض الشوائب من هنا وهناك.

ولذلك فأن تمييز الملائكة مفيد جداً لأنّه يمنع الالتباس الذي يحصل في لغات أخرى، حيث يطلق لفظ روح على أنواع الكائنات غير المرئية أو على الجن فقط، وربّما عمدوا إلى الفرز بواسطة ضم ألفاظ أخرى إضافية إلى لفظ روح مثل شرير أو خير.

وبناءً على ما مرّ فإن لفظة «جان» تعني المستتر، ولذا فأن التسمية يمكن أن تشمل أي كائن غائب عن رؤية الإنسان ما عدا الملائكة، أما لفظ الجن الذي يدلّ على المستترون بالجمع فهؤلاء هم جمع والجان أحد أفرادهم.

فهذه التسمية قائمة أصلاً على المعنى اللغوي وهي تعادل أن نقول: الكائن غير المرئي عند وصف الفرد، وحين نصف الجماعة فنقول: الكائنات غير المرئية، ويؤيد هذا الأمر الحديث الوارد عن أمير المؤمنينؑ الذي يقول أن اسم أبو الجن هو «شومان»[١]، وهو الذي خلق من مارج من نار، وهذا يعني أن شومان مخلوق من نار وقد أولد ذرية كثيرة صاروا من الجن فكان أباً لصنف من الجن، وعلى هذا إنّه يمكن أن يكون هو إبليس نفسه لأنّ لفظة إبليس هي أيضاً من الأوصاف وهي تعني اليأس من الرحمة، وهو بالتالي لقب لنوع من الجان لولا وجود حديث يقول أن إسم إبليس هو «الحارث»[٢]

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٥.

ويمكن أن نجمع مداليل هذين الحديثين عن طريق القول أن إبليس صنف من أصناف الجن الذين يأسوا من رحمة الله وأن شومان هو جدهم الأكبر، ومما يؤكد هذا الأمر استخدام لفظة شيطان التي تدل على كائنات مارقة تمردت على ارادة الله، لذا فان بينه وبين لفظ الكافر عموم وخصوص من وجه أو جنبه اشتراك في الكفر وهو طبعاً يشمل الإنس والجن معاً.

فلفظ الجن اسم عام يطلق على الكائنات غير المرئية سواء كانت من الجان الذي خلق من نار أو غير المرئيات التي لم تخلق من نار وخلقت من مواد أخرى، وهكذا يمكن أن ندرج المكروبات والفيروسات حتّى لو كانت غير مخلوقة من نار ومخلوقة من تراب أو ريح. وهذا ما يمكن استفادته من دلالة الحديث المرفوع إلى أبي عبد الله ﷺ الذي جاء فيه مايلي: «إن الله عزَّ وجلَّ خلق الملائكة من أنوار، وخلق الجان من نار، وخلق الجن صنفاً من الجان من الريح، وخلق الجن صنفاً من الجن من الماء»[1].

فيمكن حمل الجان الأوّل على أنّه هو «شومان» الوارد ذكره في الحديث السابق، و يمكن أن يكون الجان الثاني الذي خلق منه صنف الجن مشترك معه في التسمية فقط بناءً على اختلاف مادة الخلق إذ لا يعقل أن يخلق الجان الأول من نار ليكون أحد أصنافه من الريح والصنف الآخر منه مخلوق من ماء، لأنَّ النتيجة ستكون امكان توليد النار للريح، والريح تولد الماء وهذا غير ممكن حتى بناءً على حصول عدد من الاستحالات.

فالجن صنفين من الجان أحدهما من الريح والثاني من الماء والجان صنف من النار وعلى هذا فإن الجامع بين الثلاثة هو التسمية، إذ أنّها أصناف ثلاثة مختلفة من مادة الخلق، ثم أن الريح والماء من مواد متقاربة بينما لا تكون النار كذلك.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٤.

وعليه يمكننا فهم الإشارة العميقة الواردة في التسمية وهي أنّ هناك طائفة من المخلوقات متحدة في صفة الاستتار ولا يستطيع الإنسان رؤيتها لكنّها مختلفة في المنشأ ومادة الخلق، فالمكروبات التي يمكن أن تكون من منشأ مائي هي جانة ومستترة عن الإنسان لكنّها ليست كالجانة الأخرى المولودة عن النار، وبذلك يمكن أن تكون ذات أصل مشترك مع الإنسان الذي وصفه الله خلقه بقوله ﴿ *وهو الذي خلق من الماء بشراً* ﴾[1].

بل ربّما أمكننا أن نتوسع في التسمية فنضم إليها الملائكة بناءً على مفاد بعض الروايات التي قالت أن الجان هم ثلاثة أصناف أحدها لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتناكحون ولا يوجد كائن بهذا الوصف سوى الملائكة، وقد سمّتهم الرواية خالص الجن ولعلّ هذا جمع كالسابق من باب الاشتراك في التسمية، إذ أن من الثابت أن جميع الجن يتناسلون وعدم التناسل يعني اختلاف نظام الحياة، وبالتالي لا يمكن أن نجمع بين كائنين مختلفين في نظام الحياة سوى الاشتراك في التسمية التي هي قائمة على الاستتار عن أنظار البشر. وسنمر على هذا كلّه في الصفحات القادمة عند بحث أوصاف الجن.

فمن الضروري التعرف على الجن وهم الطرف الثاني في العلاقة التي جاءت الروايات والآيات لالفات النظر إليها، وهي علاقة العداء بين إبليس وذريته وفي عرضها العلاقة مع الجن عموماً وبين الأنس عموماً، تلك العلاقة العدائية التي نشأت بعد خلق آدمعليه السلام فتفترض ضرورة تعرّف الإنسان على عدوه وخصمه غير المرئي.

---

(١) سورة الفرقان: ٥٤.

# نشوء علاقة التعادل وأسسها

## ١ـ نشوء علاقة العداء:

من مجموع النصوص يمكننا أن نفهم العلاقة بين الإنسان وإبليس [كفرة الجن] هي علاقة عداء، ففي سورة الكهف يصرح القرآن الكريم بهذه العداوة فيقول: ﴿ *وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبليس كان من الجنّ ففسق عن أمر ربّه أفتتّخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلاً* ﴾[١].

ووردت نصوص قرآنية تؤكد العداء من خلال مظاهره ومصاديقه ولكنّها نسبت ذلك إلى الشيطان، وبالطبع أن اللفظ ينصرف إلى شياطين الجن وليس لشياطين الإنس ومنها ما يلي:

١ - ﴿ *ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين* ﴾[٢].

٢ - ﴿ *ولا يصدّنّكم الشيطان إنّه لكم عدوّ مبينٌ* ﴾[٣].

٣ - ﴿ *قال هذا من عمل الشيطان إنّه عدو مضلّ مبين* ﴾[٤].

وقد جاء منها أيضاً في سياق الرواية التالية: عن أبي جعفر وأبي عبدالله ﷺ عن قوله: يا بني آدم، قالا: هي عامّة[٥].

يقول المجلسي ﵀: ذكر الخبر في قوله تعالى: ﴿ *يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان* ﴾[٦].

---

(١) سورة الكهف: ٥٠.

(٢) سورة الزخرف: ٣٦.

(٣) سورة الزخرف: ٦٢.

(٤) سورة القصص: ١٥.

(٥) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٠.

(٦) سورة الأعراف: ٢٧.

وأما في سورة البقرة فقد وصف سبحانه وتعالى إبليس بأنّه هو الشيطان بقوله:

***﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ❁ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنّة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ❁ فأزلّهما الشيطان عنها فأخرجهما ممّا كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدوّ ولكم في الأرض مستقرّ ومتاعٌ إلى حين.. ﴾***[1].

فهنا التصريح بأن إبليس هو الشيطان وأنّه أسس لعلاقة العداء قبل هبوط آدمعليه السلام إلى الأرض وأن هذه العداوة مستمرة إلى ما شاء الله، وبالطبع فإن لفظة شيطان عندما أطلقت كانت مختصة بشياطين الجنّ، لأن الإنس لم يكونوا قد بلغوا من الكثرة أو العصيان الذي يضعهم في حال يطلق عليهم هذا اللفظ.

قال تعالى: ***﴿ إنّ الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً إنّما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير ﴾***[2].

وقال تعالى: ***﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنّه لكم عدو مبينٌ ❁ وأن اعبدوني هذا صراطٌ مستقيم ❁ ولقد أضلّ منكم جِبِلاًّ كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾***[3].

قوله: ***﴿ إنّ الشيطان لكم عدوّ ﴾*** عداوة عامّة قديمة، ***﴿ فاتّخذوه عدوّاً ﴾*** في عقائدكم وأفعالكم وكونوا على حذر منه، في مجامع أحوالكم ***﴿ إنّما يدعوا ﴾*** الخ تقدير لعداوته وبيان لغرضه.

---

(١) سورة البقرة: ٣٤ ـ ٣٦.

(٢) سورة فاطر: ٦.

(٣) سورة يس: ٦٠ ـ ٦٢.

قوله: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان﴾ هو من جملة ما يقال لهم يوم القيامة تقريعاً وإلزاماً للحجّة، وعهده إليهم ما نصب لهم من الدلائل العقليّة والسمعيّة الآمرة بعبادته الزاجرة عن عبادة غيره، وجعلها عبادة الشيطان لأنّه الآمر بها المزيّن لها.

قوله: ﴿إنّه لكم عدوّ مبين﴾ تعليل للمنع عن عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه ﴿وأن اعبدوني﴾ عطف على أن لا تعبدوا ﴿هذا صراط مستقيم﴾ إشارة إلى ما عهد إليهم، أو إلى عبادته بالطاعة فيما يحملهم عليه، والجملة استيناف لبيان المقتضي للعهد ﴿ولقد أضلّ منكم جبلاًّ كثيراً﴾ رجوع إلى بيان معاداة الشيطان مع ظهور عداوته ووضوح إضلاله لمن له أدنى عقل ورأي، والجبلّ: الخلق[1].

ففي هذه الآيات تأكيد لعمومية حالة العداء أي أنها أفقياً تشمل جميع أفراد البشر ولا تختص بالمؤمنين، لأنّ الشيطان ولعدواته للبشر يسعى إلى اضلالهم وحين يطيعوه فإنّما يحققون أهدافه ويمكنون عداوته من أن تصبح بحالة عملية فتترجم إلى دخول النار وليس من المحبّة أن تدعوا من تحب ليصبح من الهالكين، ثم أنّ القضية أوحى الله بها لجميع أفراد البشر منذ آدم وأوضح لهم عداوة الشيطان إلاّ أن بني آدم يتغافلون عن هذا الأمر ويتبعون عدوّهم وحتى مع اتباعهم له، فإن ذلك لا يعني نشوء حالة بديلة وانقلاب العداء إلى محبة بل هي تتحول إلى شكل من أشكال الرضى من قبل الشيطان لتحقق أهدافه، ولذلك فإن القرآن يسميها «استمتاع» فهي عبارة عن تحقيق لمتعة متبادلة، بينما ينقل الحديث القادم حالة أخرى وهي حالة خاصة متميزة ضمن العام ألا وهي حالة عداء للأنبياء.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٥ ـ ١٨٦.

ورد في تفسير علي بن إبراهيم: في قوله تعالى: ﴿ ***وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجنّ*** ﴾[١] الآية قال: يعني ما بعث الله نبياً إلاّ وفي أمّته شياطين الإنس والجن ﴿ ***يوحي بعضهم إلى بعض*** ﴾ أي يقول بعضهم لبعض: لا تؤمنوا بزخرف القول غروراً، فهذا وحي كذب[٢].

وهنا اشارة إلى حالة من التوتر الشديد ينشأ عند بعث الأنبياء ﷺ إذ أن أعداداً من شياطين الجن والإنس الذين يعملون معاً للوقوف بوجه الأنبياء ومنع بعثاتهم في الوصول إلى الناس. وهو يتضمن بيان لخط تأريخي ممتد في طول التأريخ الإنساني ذلك أن كل أمّة وكل قرية فيها نبيّ وأن كل نبيّ له أعداء من الشياطين، فتكون النتيجة أن هذه الحالة سترافق أجيال الإنسان جميعها وأنّها ستصبح أشد في حال ظهور الأنبياء وشرائعهم يدعو الأمم إلى الله.

وعليه فإنّ حالة العداء عريقة في التأريخ وأن الشيطان استطاع منذ فجر التأريخ النفوذ إلى قلوب البشر والتأثير عليها وأسس وبنى وربط شبكة علاقات. وفي العادة ظهور الأنبياء بداية تعطيلها وهدم الاستحكام في السيطرة التي يحققها الشيطان إذ تهدف النبوة إلى فتح المنافذ في العلاقات والقيام باعادة ترتيبها.

ومن الطبيعي فإنّ ظهور الأنبياء سيصطدم بقوة شياطين الإنس الذين يمثلون سلطة شياطين الجن، الذين تترتب سيطرتهم من خلال عدد من المعالم الفكريّة والاقتصادية وهي غالباً علاقات عبودية، لأنّ الشيطان لا يستطيع اقامة علاقات عدل وتعاون ومحبة لأنّها حينئذ تؤدي إلى نقص غرضه وتضيع فرص الضلال التي يريدها من خلال مجمل العلاقات الاجتماعية.

---

(١) سورة الأنعام: ١١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٩.

وجاء في التفسير مايلي:

قال تعالى: ﴿ ***وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً*** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ ***وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم*** ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ ***ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين*** ﴾[3].

قوله: ﴿ ***وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدواً*** ﴾ قيل: المراد كما أمرناك بعداوة قومك من المشركين فقد أمرنا من قبلك بمعاداة أعدائهم من الجنّ والإنس، ومتى أمر الله رسوله بمعاداة قوم من المشركين فقد جعلهم أعداء له.

وقيل: معناه حكمنا بأنّهم أعداء وأخبرنا بذلك ليعاملوهم معاملة الأعداء في الاحتراز عنهم.

وقيل: أي خلّينا بينهم وبين اختيارهم العداوة لم نمنعهم من ذلك جبراً.

وقيل: إنّه سبحانه لمّا أرسل إليهم الرسل وأمرهم بدعائهم إلى الإسلام وخلع الأنداد نصبوا عند ذلك العداوة لأنبيائه، فلذا أضاف تعالى إلى نفسه والمراد بشياطين الإنس والجنّ مردة الكفّار من الفريقين.

وقيل: إنّ شياطين الإنس الذين يغوونهم، وشياطين الجنّ الذين هم من ولد إبليس.

وقال الطبرسيّ رحمه الله: في تفسير الكلبيّ عن ابن عبّاس: أنّ إبليس جعل جنده فريقين فبعث فريقاً منهم إلى الإنس، وفريقاً إلى الجنّ، فشياطين الإنس والجنّ أعداء الرسل والمؤمنين، فتلقى شياطين الإنس وشياطين الجنّ في كلّ حين فيقول بعضهم لبعض: أضللت صاحبي بكذا فأضلّ صاحبك بمثلها، فكذلك يوحي بعضهم إلى بعض، وروي عن أبي جعفر عليه السلام أيضاً أنّه قال: إنّ

---

(١) سورة الأنعام: ١١٢.

(٢) سورة الأنعام: ١٢١.

(٣) سورة الأنعام: ١٤٢.

الشياطين يلقى بعضهم بعضاً فيلقي إليه ما يغوي به الخلق حتّى يتعلم بعضهم من بعض ﴿يوحي﴾ أي يوسوس ويلقي خفية ﴿زخرف القول﴾ أي المموّه المزيّن الذي يستحسن ظاهره ولا حقيقة له ولا أصل ﴿غروراً﴾ أي يغرونهم بذلك غروراً أو ليغرّوهم بذلك[1].

وقال الرازيّ: اعلم أنه لا يجب أن يكون كلّ معصية تصدر عن إنسان فإنّها تكون بسبب وسوسة شيطان، وإلاّ لزم التسلسل أو الدور، فوجب الاعتراف بانتهاء هذه القبائح والمعاصي إلى قبيح أوّل ومعصية سابقة حصلت لا بوسوسة شيطان آخر، إذا ثبت هذا فنقول: إنّ أولئك الشياطين كما أنّهم يلقون الوساوس إلى الإنس والجنّ فقد يوسوس بعضهم بعضاً، وللناس فيه مذاهب: منهم من قال: الأرواح إمّا فلكيّة وإمّا أرضيّة، والأرواح الأرضيّة منها طيّبة طاهرة، ومنها خبيثة قذرة شريرة تأمر بالمعاصي والقبائح وهم الشياطين.

ثمّ إن تلك الأرواح الطيّبة كما أنّها تأمر الناس بالطاعات والخيرات فكذلك قد يأمر بعضهم بعضاً بالطاعات، والأرواح الخبيثة كما أنّها تأمر الناس بالقبائح والمنكرات فكذلك قد يأمر بعضهم بعضاً بتلك القبائح والزيادة فيها، وما لم يحصل نوع من أنواع المناسبة بين النفوس البشريّة وبين تلك الأرواح لم يحصل ذلك الانضمام بالنفوس البشرية وإذا كانت طاهرة نقيّة عن الصفات الذميمة كانت في جنس الأرواح الخبيثة فتنتظم إليها.

ثمّ إنّ صفات الطهر كثيرة وصفات النقص والخسران كثيرة وبحسب كلّ نوع منها طوائف من البشر وطوائف من الأرواح الأرضيّة.

وبحسب تلك المجانسة والمشابهة والمشاكلة ينضمّ الجنس إلى جنسه، فإن كان ذلك في أفعال الخير كان الحاصل عليها ملكاً، وكان تقوية ذلك الخاطر

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٩ ـ ١٥٠.

إلهاماً، وإن كان في باب الشرّ كان الحاصل عليها شيطاناً، وكان تقوية ذلك الخاطر وسوسة، ويقال: فلان يزخرف كلامه: إذا زيّنه بالباطل والكذب، وكلّ شيء حسن مموّه فهو مزخرف.

وتحقيقه: أنّ الإنسان ما لم يعتقد في أمر من الأمور كونه مشتملاً على خير راجح ونفع زائد فإنّه لا يرغب فيه، ولذلك سميّ الفاعل المختار مختاراً لكونه طالباً للخير والنفع، ثمّ إن كان هذا الاعتقاد مطابقاً للمعتقد فهو الحقّ والصدق والإلهام، وإن كان صادراً من الملك، وإن لم يكن مطابقاً للمعتقد فحينئذ يكون ظاهره مزيّناً لأنّه في اعتقاده سبب للنفع الزائد والصّلاح الراجح ويكون باطنه فاسداً لأنّ هذا الاعتقاد غير مطابق للمعتقد فكان مزخرفاً[1].

قوله تعالى: ﴿*وإن الشياطين*﴾ قال الطبرسي ﵀: يعني علماء الكافرين ورؤسائهم المتمرّدين في كفرهم ﴿*ليوحون*﴾ أي يوحون ويشيرون ﴿*إلى أوليائهم*﴾ الذين اتّبعوهم من الكفّار ﴿*ليجادلوكم*﴾ في استحلال الميتة، وقال ابن عبّاس: معناه وإن الشياطين من الجنّ وهم إبليس وجنوده ليوحون إلى أوليائهم من الإنس، والوحي: إلقاء المعنى إلى النفس من وجه خفيّ، وهم يلقون الوسوسة إلى قلوب أهل الشرك[2].

كما أن هناك حالة من حالات العداء الخاصّة وهي التي تخرج عن الشكل الفئوي، وتتجسّد بالشكل الفردي الذي يعمل على تحطيم علاقات المحبّة بين البشر، وهي طبعاً تهدف إلى تجنيد الأفراد وهي مجرد مقدمة للوصول إلى الشكل الفئوي حتى وإن كانت مقصودة بحد ذاتها وأشارت إليها الآيات التالية:

---

(١) المصدر نفسه: ٦٠ / ١٥٠ - ١٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٥١ - ١٥٢.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيطانَ للإِنسانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[1] وقال تعالى: ﴿فأنساه الشيطان ذكر ربِّه﴾[2] وقال: ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي﴾[3].

قوله تعالى: ﴿من بعد أن نزغ الشيطان بيني﴾ في الكشّاف: نزغ: أفسد بيننا وأغرى، وأصله من نخس الرائض الدّابة وحملها على الجري[4].

في هذه الآيات نفس الدلالات السابقة ذلك أن للشيطان غرض مباشر في نشوب النزاع وتعريض يوسف﷤ لفتن كثيرة كان يأمل من وراءها جره إلى مهاوي التهلكة، إما للحصول على رد فعل أو على الأقل تلويث نفسه بمشاعر الحقد والبغضاء، وهذا طبعاً يضعف دوره ولا يمنحه فرصة النبوة لأنّ النبوة تعني التعالي على هذه المشاعر التي هي عقد نفسية وبتعبير القرآن مرض، وهي أيضاً في مصطلح علم النفس أمراض ولكنها حالات بسيطة من المرض غير أنّها مع بساطتها لا تليق بنبي مكلف بهداية البشرية.

روي عن قبيصة: قال: دخلت على الصّادق﷤ وعنده جماعة فسلّمت وجلست وقلت: يا بن رسول الله أين كنتم قبل أن يخلق الله سماءً مبنيّة، وأرضاً مدحيّة، أو ظلمة أو نوراً؟ قال: يا قبيصة لم سألتني عن هذا الحديث في مثل هذا الوقت؟ أما علمت أن حبّنا قد اكتتم وبغضنا قد فشا، وإنّ لنا أعداء من الجنّ يخرجون حديثنا إلى أعدائنا من الإنس، وإنّ الحيطان لها آذان كآذان الناس؟ الخبر[5].

---

(١) سور يوسف: ٥.

(٢) سورة يوسف: ٤٢.

(٣) سورة يوسف: ١٠٠.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٦١.

(٥) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٩.

وجاء عن بكر بن محمّد الأزديّ، عن عمّه عبد السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: يا عبد السّلام احذر الناس ونفسك، فقلت: بأبي أنت وأمّي أمّا الناس فقد أقدر على أن أحذرهم وأمّا نفسي فكيف؟ قال: إنّ الخبيث يسترق السّمع يجيئك فيسترق ثمّ يخرج في صورة آدمي فيقول: قال عبد السّلام: فقلت: بأبي أنت وأمي هذا ما لا حيلة له، قال: هو ذاك.

بيان: الظاهر أنّ المراد ما تلفظ به من معايب الناس وغيرها من الأمور التي يريد إخفاءها فيكون مبالغة في التقيّة، ويحتمل شموله لما يخطر بالبال فيكون الغرض رفع الاستبعاد عمّا يخفيه الإنسان عن غيره، ثمّ يسمعه من الناس وهذا كثير والمراد بالخبيث الشيطان[1].

في الحديث الأول: إشارة إلى وجود نواصب من الجان يفشون حديثهم عليهم السلام ودلالته على أنّ عمل الأئمة عليهم السلام بالتقية من الجنّ والإنس معاً وربّما حمل على التقية في الجماعة الجالسين عند الإمام.

أما الثاني: فإنّه يدل أن الجان قد تتعامل مع بعض المؤمنين بطريقة افشاء السر وإذاعته، ولهذا فإن على المؤمن الحذر مما يقول ويفعل في جميع المواضع.

وهذا يؤكد أن عداء الشيطان للإنسان لا يترك فرصة لأجل اثارة البغضاء والعداوة إلا وانتفع منها فهو عداء لا يعرف الهوادة وعلى الإنسان الحذر والتعامل بجدية مع هذا الخطر المستور.

وأمّا بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ ***وأقل لكما إنّ الشيطان لكما عدوّ مبين*** ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ ***يا بني آدم لا يفتننّكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنّة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنّا جعلنا الشياطين*** 

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٠.

(٢) سورة الأعراف: ٢٢.

*أولياء للذين لا يؤمنون﴾*[1] وقال تعالى: ﴿*إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله*﴾[2].

قوله تعالى: ﴿*إنه يراكم هو وقبيله*﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي نسله، يدل عليه قوله: ﴿*أفتتخذونه وذريّته أولياء من دوني*﴾ وقيل: جنوده وأتباعه من الجنّ والشياطين ﴿*من حيث لا ترونهم*﴾ قال ابن عبّاس: إن الله تعالى جعلهم يجرون من بني آدم مجرى الدّم، وصدور بني آدم مساكن لهم، كما قال: ﴿*الذي يوسوس في صدور الناس*﴾ فهم يرون بني آدم وبنو آدم لا يرونهم، وإنّما لا يراهم البشر لأنّ أجسامهم شفّافة لطيفة يحتاج في رؤيتها إلى فضل شعاع.

وقال أبو بكر بن الأخشيد وأبو الهذيل: يجوز أن يمكّنهم الله سبحانه فيتكثفوا فيراهم حينئذ من يحضرهم، و إليه ذهب عليّ بن عيسى، وقال: إنّهم ممكّنون من ذلك وهو الذي نصره الشيخ المفيد أبو عبد الله، قال الشيخ أبو جعفر قدّس الله روحه: وهو الأقوى عندي، وقال الجبّائي: لا يجوز أن يرى الشياطين والجنّ لأن الله تعالى قال: ﴿*لا ترونهم*﴾ وإنّما يجوز أن يروا في زمن الأنبياءعليهم السلام بأن يكثّف الله أجسادهم علماً للأنبياء كما يجوز أن يرى الناس الملائكة في زمن الأنبياء ﴿*إنّا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون*﴾ أي حكمنا بذلك لأنّهم يتناصرون على الباطل.

وقال الرازيّ: قال أصحابنا: إنّهم يرون الإنسان لأنّه تعالى خلق في عيونهم إدراكاً، والإنس لا يرونهم لأنّه تعالى لم يخلق هذا الادراك في عيون الإنس، وقالت المعتزلة: الوجه في أنّ الإنس لا يرون الجنّ لرقّة أجسام الجن، ولطافتها والوجه في رؤية الجنّ للإنس كثافة أجسام الإنس، والوجه في أن يرى

---

(١) سورة الأعراف: ٢٧.

(٢) سورة الأعراف: ٣٠.

بعض الجنّ بعضاً، أنّ الله تعالى يقوي شعاع أبصار الجنّ، ويزيد فيه، ولو زاد الله في قوّة بصرنا لرأيناهم كما يرى بعضهم بعضاً، ولو أنّه تعالى كثّف أجسامهم وبقيت أبصارنا على هذه الحالة لرأيناهم.

فعلى هذا كون الإنس مبصراً للجنّ موقوف عند المعتزلة إمّا على ازدياد كثافة أجسام الجنّ، أو على ازدياد قوّة أبصار الإنس، لأنّ قوله: ﴿ *من حيث لا ترونهم* ﴾ يدلّ على أنّ الإنس لا يرون الجنّ، لأنّ قوله: ﴿ *من حيث لا ترونهم* ﴾ يتناول أوقات الإستقبال من غير تخصيص، قال بعض العلماء: لو قدر الجنّ على تغيّر صور أنفسهم بأي صورة شاؤا أو أرادوا لوجب أن ترتفع الثقة عن معرفة الناس، فلعلّ هذا الذي نشاهده وحكم عليه بأنّه ولدي أو زوجتي جنّي صوّر نفسه بصورة ولدي أو زوجتي وعلى هذا التقدير يرتفع الوثوق عن معرفة الأشخاص، وأيضاً فلو كانوا قادرين على تخبيط الناس وإزالة العقل مع أنّه تعالى بيّن العداوة الشديدة بينهم وبين الإنس فلِمَ لا يفعلون ذلك في حقّ أكثر البشر وفي حقّ العلماء والأفاضل والزهّاد؟ لأنّ هذه العداوة بينهم وبين العلماء والزّهاد أكثر وأقوى، ولمّا لم يوجد شيء من ذلك ثبت أنّه لا قدرة لهم على البشر بوجه من الوجوه، ويتأكّد هذا بقوله: ﴿ *ما كان لي عليكم*... ﴾[1].

وهنا تسليط الضوء على جانب عدم قدرة البشر على رؤية إبليس وعموم الشياطين وبالتالي توفر عنصر الغفلة عن نفثات الشيطان وغوايته، وهذا يشير إلى حسية ارتباط الإنسان بالآخرين وحذره من العدو المرئي دون سواه، وكل هذا من خلال الإشارة إلى أول واقعة في تأريخ الإنسان وقيام الشيطان بدفع آدم إلى الأكل من الشجرة بعد أن أقنعه بأنّه من الناصحين له وبقبوله الأكل

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٥٦ ـ ١٥٧.

من الشجر، وهو أمر ارشادي يترتب على عصيانه انزاله إلى الأرض لأنَّ دخول آدم في طور التكاثر يجعل من هبوطه إلى الأرض حتماً إذ لا يمكن احتراز صلاح جميع بني آدم وأن الجنة مخصصة لآدم وزوجه وحدهما باعتبارهما صالحين، ولكن ذريّتهم يحتاجون إلى إثبات الصلاح خصوصاً إن طور الذرية سيأتي بالملايين من البشر ولكل ذلك صارت عملية الهبوط إلى الأرض قضية حتمية فرضها آدم على نفسه بسوء اختياره وقبوله لنصيحة الشيطان.

جاء عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله يأكل الطلع والجمّار بالتمر، ويقول: إنّ إبليس لعنه الله يشتدّ غضبه ويقول: عاش ابن آدم حتّى أكل العتيق بالحديث[1].

وهنا بيان لشدة العداوة إذ أن الشيطان لا يتحمل بقاء الإنسان ولا أن يرى عليه أي نعمة مهما كانت بسيطة، وهو يكشف عن طبيعة المشاعر المرضية التي تعتمل في نفس الشيطان من الجنّ حين يرى أي مظهر من مظاهر النعمة البسيطة، وأن هذه المشاعر وبالنظر لتمكّنها وشدّتها فإنها تأخذ كل المظاهر الممكنة والتي منها الدخول في صراعات مباشرة مع المؤمنين كما يشير إليه الحديث التالي:

جاء في الآثار عن ابن عبّاس، قال: لمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بني المصطلق جنب عن الطريق وأدركه الليل، فنزل بقرب وادٍ وعرٍ، فلمّا كان آخر الليل هبط عليه جبرئيل يخبره أنّ طائفة من كفّار الجنّ قد استبطنوا الوادي يريدون كيده صلى الله عليه وآله وإيقاع الشرّ بأصحابه عند سلوكهم إيّاه.

فدعا أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: اذهب إلى هذا الوادي فسيعرض لك من أعداء الله الجنّ من يريدك فادفعه بالقوّة التي أعطاك الله عزّ وجلّ إيّاها

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ /٢٤٤

وتحصّن منهم بأسماء الله التي خصّك بعلمها، وأنفذ معه مائة رجل من أخلاط الناس، وقال لهم: كونوا معه وامتثلوا أمره، فتوجّه أمير المؤمنين عليه السلام إلى الوادي، فلمّا قرب شفيره أمر المائة الذين صحبوه أن يقفوا بقرب الشفير ولا يحدثوا شيئاً حتى يأذن لهم.

ثمّ تقدّم فوقف على شفير الوادي وتعوّذ بالله من أعدائه وسمّى الله تعالى بأحسن أسمائه وأومأ إلى القومِ الذين اتّبعوه أن يقربوا منه، فقربوا وكان بينه وبينهم فرجة مسافتها غلوة، ثمّ رام الهبوط إلى الوادي فاعترضت ريح عاصف كاد القوم يقعون على وجوههم لشدّتها ولم تثبت أقدامهم على الأرض من هول الخصم ومن هول ما لحقهم فصاح أمير المؤمنين عليه السلام: أنا علي بن أبي طالب بن عبد المطّلب وصيّ رسول الله وابن عمّه، أثبتوا إن شئتم.

وظهر للقوم أشخاص على صور الزطّ يخيل في أيديهم شعل النار قد اطمأنوا بجنبات الوادي فتوغّل أمير المؤمنين عليه السلام بطن الوادي وهو يتلو القرآن ويؤمي بسيفه يميناً وشمالاً، فما لبث الأشخاص حتّى صارت كالدخان الأسود، وكبّر أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ صعد من حيث انهبط، فقام مع الذين اتّبعوه حتّى أسفر الموضع عمّا اعتراه.

فقال له أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: ما لقيت يا أبا الحسن؟ فلقد كدنا أن نهلك خوفاً وإشفاقاً عليك أكثر ممّا لحقنا، فقال عليه السلام لهم: إنّه لمّا تراءى لي العدوّ وجهرت فيهم بأسماء الله فتضاءلوا وعلمت ما حلّ بهم من الجزع، فتوغلت الوادي غير خائف منهم ولو بقوا على هيأتهم لأتيت على آخرهم، وقد كفى الله كيدهم وكفى المسلمين شرّهم وسيسبقني بقيّتهم إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فيؤمنون به، وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام بمن معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبره الخبر فسري عنه ودعا له بخير، وقال له: قد سبقك يا عليّ إليّ من أخافه الله بك فأسلم وقبلت إسلامه[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٦ ـ ٨٨.

وإن من صور العداء محاولة كفار الجنّ المشاركة بصورة مباشرة في صراعات بني البشر والسعي لمؤازرة أحزاب الكفر، لأنّها كما أسلفنا الأرضية التي تحقق سيطرة إبليس وهذه جملة أحاديث تدلّ على ذلك.

جاء عن رفاعة الأنصاريّ: قال: لّما رأى إبليس ما تفعل الملائكة بالمشركين يوم بدر أشفق أن يخلص القتل إليه فتشبّث به الحارث بن هشام وهو يظنّ أنّه سراقة بن مالك فوكز في صدر الحارث فألقاه ثمّ خرج هارباً حتّى ألقى نفسه في البحر يرفع يديه فقال: اللهمّ إنّي أسألك نظرتك إيّاي[١].

وعن ابن عباس قال: جاء إبليس في جند من الشياطين ومعه راية في صورة رجال من بني مدلج، والشيطان في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم﴾ وأقبل جبريل على إبليس فلمّا رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده وولّى مدبراً وشيعته، فقال الرجل: يا سراقة إنّك جار لنا، فقال: إنّي أرى ما لا ترون، وذلك حين رأى الملائكة ﴿إنّي أخاف الله والله شديد العقاب﴾[٢].

وعن ثعلبة بن زيد الأنصاريّ، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاريّ رحمه الله يقول: تمثّل إبليس لعنه الله في أربع صور: تمثّل يوم بدر في صورة سراقة بن جعشم المدلجيّ فقال لقريش: ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريء منكم﴾[٣] وتصوّر يوم العقبة في صورة منبه بن الحجّاج فنادى: إنّ محمّداً والصباة معه عند العقبة فأدركوهم، فقال رسول الله ﷺ للأنصار: لا تخافوا فإنّ صوته لن يعدوه، وتصوّر يوم اجتماع قريش في دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد وأشار عليهم في

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨٢.

(٢) المصدر نفسه: ٦٠ / ٢٨٢.

(٣) سورة الأنفال: ٤٨.

النبيّ صلى الله عليه وآله بما أشار، فأنزل الله تعالى: ﴿ ***وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين*** ﴾[١] وتصوّر يوم قبض النبيّ صلى الله عليه وآله في صورة المغيرة بن شعبة فقال: أيّها الناس لا تجعلوها كسروانيّة ولا قيصرانيّة وسعوها تتسع فلا تردّوها في بني هاشم فينتظر بها الحبالى.

بيان: فينتظر بها الحبالى أي إذا كانت الخلافة مخصوصة ببني هاشم صار الأمر بحيث ينتظر الناس أن تلد الحبالى أحداً منهم فيصير خليفة ولم يعطوها غيرهم[٢].

بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان إبليس يوم بدر يقلّل المسلمين في أعين الكفّار ويكثّر الكفّار في أعين المسلمين، فشدّ عليه جبرئيل بالسيف فهرب منه وهو يقول: يا جبرئيل إنّي مؤجّل، حتّى وقع في البحر، قال زرارة: فقلت لأبي جعفر عليه السلام: لأيّ شيء كان يخاف وهو مؤجّل؟ قال: على أن يقطع بعض أطرافه[٣].

غير أنّ تدخله لايتسم بالوفاء إذ سرعان ما ينفصل عن نصرة أوليائه سواء عندما تأتي ساعات الحساب في يوم القيامة أو عندما تظهر بوادر الهزيمة في المعارك ويتركهم لمصيرهم المشؤوم ويدل عليه مايلي:

قوله تعالى: ﴿ ***وقال الشيطان لمّا قضي الأمر إنّ الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخِكم وما أنتم بمصرخي إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل إنّ الظالمين لهم عذاب أليم*** ﴾[٤].

---

(١) سورة الأنفال: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٣ ـ ٢٣٤.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٩.

(٤) سورة إبراهيم: ٢٢.

قوله تعالى: ﴿مِن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ قال مجاهد: قال إبليس: أعطنا أربع خصال: نرى، ولا نُرى، ونخرج من تحت الثرى، ويعود شيخنا فتى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ قال الرازيّ: قال المفسّرون: إذا استقر أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار فيشرع الناس في لوم إبليس وتقريعه فيقوم فيما بينهم خطيباً ويقول: ما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾. وقيل: إنّ المراد لمّا انقضت المحاسبة، والأوّل أولى، والمراد بالشيطان إبليس، وعن رسول الله ﷺ أنّه إذا جمع الله الخلق وقضي الأمر بينهم، يقول الكافر: قد وجد المسلمون من شفع لهم، فمن يشفع لنا؟ ما هو إلاّ إبليس هو الذي أضلنا، فيأتونه ويسألونه فعند ذلك يقول هذا القول، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ هو البعث والجزاء على الأعمال فوفّى لكم ﴿وَوَعَدتُّكُمْ﴾ خلاف ذلك ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾.

وتقدير الكلام إنّ النفس تدعو إلى هذه الأحوال الدنيوية ولا تتصوّر كيفيّة السعادات الأخرويّة والكمالات النفسانيّة، والله يدعو إليها ويرغّب فيها كما قال: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ وقوله: ﴿وَعْدَ الْحَقِّ﴾ من قبيل إضافة الشيء إلى نعته، كقوله: ﴿حَبَّ الْحَصِيدِ﴾.

وأمّا قوله: ﴿مَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ﴾ أي قدرة ومكنة وتسلّط وقهر فأقهركم على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها، ﴿إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ إلاّ دعائي إليكم إلى الضلالة بوسوستي وتزييني، والاستثناء منقطع أو متّصل، لأنّ قدرة الإنسان على حمل الغير على عمل من الأعمال تارة تكون بالقهر والقسر، وتارة تكون بتقوية الداعية في قلبه بإلقاء الوساوس إليه، فهذا نوع من أنواع التسليط، إلاّ أن ظاهر هذه الآية يدلّ على أنّ الشيطان لا قدرة له على تصريح الإنسان، ولا على تعويج أعضائه وجوارحه ولا على إزالة العقل عنه كما

تقوله العوام والحشوية، ثمّ قال: ﴿فلا تلوموني ولوموا أنفسكم﴾ يعني ما كان منّي إلاّ الدعاء والوسوسة وكنتم سمعتم دلائل الله وشاهدتم مجيء أنبياء الله، فكان من الواجب عليكم أن لا تغترّوا بقولي ولا تلتفتوا إليّ، فلمّا رجّحتم قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم عليكم لا عليّ في هذا الباب.

وفي هذه الآية مسألتان: الأولى: قالت المعتزلة: هذه الآية تدلّ على أشياء:

الأوّل: أنّه لو كان الكفر والمعصية من الله تعالى لوجب أن يقال: فلا تلوموني ولا على أنفسكم فإنّ الله قضى عليكم الكفر وأجبركم عليه.

والثاني: ظاهر هذه الآية تدلّ على أن الشيطان لا قدرة له على تصريح الإنسان وعلى تعويج أعضائه ولا على إزالة العقل عنه كما تقوله العوام والحشوية.

والثالث: هذه الآية تدلّ على أنّ الإنسان لا يجوز ذمّه ولومه وعقابه بسبب فعل الغير، وعند هذا يظهر أنّه لا يجوز عقاب أولاد الكفّار بسبب كفر آبائهم.

وأجاب بعض الأصحاب عن هذه الوجوه بأنّ هذا قول الشيطان فلا يجوز التمسّك به، وأجاب الخصم عنه بأنّه لو كان هذا القول منه باطلاً لبيّن الله تعالى بطلانه وأظهر إنكاره وأيضاً أي فائدة في ذكر هذا الكلام الباطل والقول الفاسد؟ ألا ترى أنّ قوله: ﴿إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم﴾ كلام حقّ؟ وقوله: ﴿وما كان لي عليكم من سلطان﴾ قول حقّ؟ بدليل قوله: ﴿إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتّبعك من الغاوين﴾.

الثانية: هذه الآية تدلّ على أنّ الشيطان الأصليّ هو النفس وذلك لأنّ الشيطان بيّن أنّه ما أتى إلاّ بالوسوسة، فلولا الميل الحاصل بسبب الشهوة والغضب والوهم و الخيال لم يكن لوسوسته تأثير البتّة، فدلّ هذا على أنّ الشيطان الأصليّ هو النفس.

فإن قال قائل: بيّنوا لنا حقيقة الوسوسة.

قلنا: الفعل إنّما يصدر عن الإنسان لحصول أمور أربعة يترتّب بعضها على البعض ترتيباً لازماً طبيعياً.

بيانه: أنّ أعضاء الإنسان بحكم السلامة الأصليّة والصلاحيّة الطبيعيّة صالحة للفعل والترك والاقدام والإحجام، فلمّا لم يحصل في القلب ميل إلى ترجيح الفعل على الترك أو بالعكس فإنّه يمتنع صدور الفعل، وذلك الميل هو الارادة الجازمة والقصد الجازم، ثمّ إنّ تلك الارادة الجازمة لا تحصل إلاّ عند حصول علم واعتقاد أو ظنّ بأنّ ذلك الفعل سبب للنفع أو سبب للضرر، فإن لم يحصل فيه هذا الاعتقاد لم يحصل ميل، لا إلى الفعل ولا إلى الترك.

فالحاصل: أنّ الإ نسان إذا أحس بشيء ترتّب عليه شعور بكونه ملائماً له أو بكونه منافراً له، أو بكونه غير ملائم ولا منافر، فإن حصل الشعور بكونه ملائماً له ترتّب عليه الميل الجازم إلى الفعل، وإن حصل الشعور بكونه منافراً له ترتّب عليه الميل الجازم إلى الترك، وإن لم يحصل لا هذا ولا ذاك لم يحصل ميل لا إلى الشيء ولا إلى ضدّه، بل بقي الإنسان كما كان، وعند حصول ذلك الميل الجازم يصير القدرة مع ذلك الميل موجباً للفعل، إذا عرفت هذا فنقول: صدور الفعل عن مجموعي القدرة والداعي الخالص أمر واجب فلا يكون للشيطان مدخل فيه، وصدور الميل عن تصوّر كونه خيراً أو تصوّر كونه شراً أمرٌ واجب، فلا يكون للشيطان مدخل فيه، وحصول تصوّر كونه خيراً أو تصوّر كونه شراً غير مطلق الشعور بذاته أمر لازم فلا مدخل للشيطان فيه، فلم يبق للشيطان مدخل في هذه المقامات إلاّ في أن أذكره شيئاً بأن يلقي إليه حديثه مثل أن كان الإنسان غافلاً عن صورة امرأة فيلقي الشيطان حديثها في خاطره، والشيطان لا قدرة له إلاّ في هذا المقام وهو عين ما

حكى الله تعالى عنه أنّه قال: ﴿ *وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي* ﴾ يعني ما كان منّي إلاّ هجس هذه الدعوة، فأمّا بقيّة المراتب ما صدرت منّي وما كان لي أثر البتّة[1].

والآية التالية حملت نفس المضمون:

قال تعالى: ﴿ *كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمّا كفر قال إنّي بريء منك إنّي أخاف الله ربّ العالمين ❖ فكان عاقبتهما أنّهما في النار خالدين فيها وذلك جزاؤا الظالمين* ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿ *كمثل الشيطان* ﴾ قال البيضاوي: أي مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان ﴿ *إذ قال للإنسان اكفر* ﴾ أغراه على الكفر إغراء الآمر المأمور ﴿ *فلمّا كفر قال إنّي بريء منك* ﴾ تبرأ عنه مخافة أن يشاركه في العذاب ولا ينفعه ذلك كما قال: ﴿ *إنّي أخاف الله رب العالمين* ﴾ إلى قوله: ﴿ *جزاء الظالمين* ﴾ والمراد من الإنسان الجنس وقيل: أبو جهل قال له إبليس يوم بدر: لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جار لكم الآية، وقيل: راهب حمله على الفجور والارتداد[3].

فهنا جانب من أوصاف طبيعة العلاقة بين شياطين الإنس والجن إذ أنها علاقة خالية من الوفاء وهي قيم لا تعيش في أجواء الشياطين لأنّها هادفة أصلاً إلى إيقاع طرف شياطين الجن بحلفاءهم وما تقدم خاصة بالتحالف أثناء خوض المعارك.

وهناك أيضاً حالات قتال وأخذ الثأر ولو أن من قام بها بعض مسلمي الجن ويدلّ عليها مايلي:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٦١ - ١٦٤.

(٢) سورة الحشر: ١٦ - ١٧.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٢ - ١٩٣.

أخرج الأزرقي عن أبي الطفيل قال: كانت امرأة من الجنّ في الجاهلية تسكن ذا طوى وكان لها ابن ولم يكن لها ولد غيره فكانت تحبّه حبّاً شديداً وكان شريفاً في قومه فتزوّج وأتى زوجته، فلمّا كان يوم سابعه قال لأمّه: يا أمه إنّي أريد أن أطوف بالكعبة سبعاً نهاراً، قالت له أمّه: أي بنيّ إنّي أخاف عليك سفهاء قريش فقال: أرجو السّلامة فأذنت له فولّى في صورة جان فمضى نحو الطواف فطاف بالبيت سبعاً وصلّى خلف المقام ركعتين ثم أقبل منقلباً فعرض له شابّ من بني سهم فقتله فثارت بمكّة غبرة حتّى لم تبصر لها الجبال، قال أبو الطفيل: وبلغنا أنّه إنّما تثور تلك الغبرة عن موت عظيم من الجنّ، قال: فأصبح من بني سهم على فرشهم موتى كثير من قتلى الجنّ فكان فيهم سبعون شيخاً أصلع سوى الشباب[1].

وهناك حالات مرضية يتسبب في احداثها الجن ويتم علاجها بواسطة احراز يعرفها الأئمة عليهم السلام.

قال أبو جعفر عليه السلام: خدم أبو خالد الكابليّ عليّ بن الحسين عليه السلام دهراً من عمره، ثمّ إنّه أراد أن ينصرف إلى أهله فأتى عليّ بن الحسين عليه السلام وشكى إليه شدة شوقه إلى والديه، فقال: يا أبا خالد يقدم غداً رجل من أهل الشام له قدر ومال كثير وقد أصاب بنتاً له عارض من أهل الأرض ويريدون أن يطلبوا معالجاً يعالجها، فإذا أنت سمعت قدومه فأته وقل له: أنا أعالجها لك على أن أشترط لك أنّي أعالجها على ديتها عشرة آلاف درهم فلا تطمئنّ إليهم وسيعطونك ما تطلب منهم.

فلمّا أصبحوا قدم الرجل ومن معه، وكان من عظماء أهل الشام في المال والمقدرة فقال: أما من معالج يعالج بنت هذا الرجل؟ فقال له أبو خالد: أنا

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١١ - ١١٢.

أعالجها على عشرة آلاف درهم، فإن أنتم وفيتم وفيت لكم على أن لا يعود إليها أبداً، فشرطوا أن يعطوه عشرة آلاف درهم، فأقبل إلى عليّ بن الحسين فأخبره الخبر.

فقال: إنّي أعلم أنّهم سيغدرون بك ولا يفون لك، انطلق يا أبا خالد، فخذ بأذن الجارية اليسرى، ثمّ قل: ياخبيث يقول لك عليّ بن الحسين: اخرج من هذه الجارية ولا تعد، ففعل أبو خالد ما أمره وخرج منها فأفاقت الجارية، وطلب أبو خالد الذي شرطوا له فلم يعطوه، فرجع مغتماً كئيباً، فقال له عليّ بن الحسين: ما لي أراك كئيباً يا أبا خالد؟ ألم أقل لك: إنّهم يغدرون بك، دعهم فإنّهم سيعودون إليك فإذا لقوك فقل: لست أعالجها حتّى تضعوا المال على يدي عليّ بن الحسين.

فعادوا إلى أبي خالد يلتمسون مداواتها، فقال لهم: إنّي لا أعالجها حتّى تضعوا المال على يدي عليّ بن الحسين فإنّه لي ولكم ثقة، فرضوا ووضعوا المال على يدي عليّ بن الحسين، فرجع أبو خالد إلى الجارية فأخذ بأذنها اليسرى، ثمّ قال: يا خبيث يقول لك عليّ بن الحسين: اخرج من هذه الجارية ولا تعرّض لها إلاّ بسبيل خير فإنّك إن عدت أحرقتك بنار الله الموقدة التي تطلّع على الأفئدة فخرج منها، ودفع المال إلى أبي خالد فخرج إلى بلاده[1].

## ٢ ـ التعادل [ الثقلين ]:

ومن خلال كل ما تقدم نرى وجود حالة من العداء العمودية التي تمتد تأريخياً، إذ أن الشيطان يعمد إلى ضم أفراد البشر إلى جنده وحزبه ولا يخلو عصر من العصور عن وجود فئات من البشر وأفراد ينضوون تحت لواء إبليس

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٥-٨٦

ويساهمون في خلق أرضية لإضلال أبناء جنسهم، كما أن هناك عداء أفقي يستوعب جميع أبناء البشر إذ لا يستثنى إبليس إلى فرد مهما علت مرتبته وقد شرحت الآيات والأحاديث جوانب من هذه العلاقة.

وعلى هذا الأساس يمكننا افتراض قطبين على مدار التأريخ يجتذبان الجن والإنس معاً: القطب الأول هو قطب الهداية وهو يتمثل بالأنبياء وخلفاءهم من الأئمة والصالحين، وقطب مقابل يقف فيه إبليس وأتباعه. وإن كل قطب يعمل على جرّ أكبر عدد من الجن والإنس إلى طرفه ،وهكذا فإننا سنفترض درجات في القرب من كل قطب وأن جميع الجن والإنس هم أحرار في الانحياز إلى هذا الطرف أو ذاك.

وبناءً على هذا التصور فإننا نتخيل وجود انتقال في مواقع القوة بشكل دوري، فظهور الأنبياء يؤدي إلى تهديم بناء الشيطان وتقليصه بشكل كبير من أنصار إبليس ويلقي سلطانه، ثم وبشكل تدريجي يعمد إبليس إلى إعادة نسج العلاقات حتى يصل إلى طور معين من السيطرة، ثم تظهر نبوة جديدة لتعيد تحرير الإنسان والجان وتفسح لهم فرص كبيرة لاختيار يتسم بقدر خاص من الحرية في الانتماء إلى القطب الذي يفضلون الانتماء إليه، فلا يمكن السماح للأوضاع أن تسير في أي اتجاه بحيث تنتهي فرص الاختيار إما بإبادة الطرف الآخر ومحوه أو بوصول سيطرته إلى درجة عالية من القهر لا تسمح بفتحه في الاختيار.

ومن الطبيعي أن هذه الحركة تعني تغيرات في الفكر والعلوم وأساليب الصراع وطرق التأثير، فكل نقلة تعني قدرة القطب على التغلب على القطب المقابل وإن هذا لا يأتي مالم يمتلك عناصر تفوق، وكلما جاء قطب بعناصر تفوق فإن القطب الآخر لا بدّ أن يأتي بعناصر مقابلة أكثر تفوقاً، وبتكرار هذه العملية فإن نمو الملكات والعلوم ومعها مجمل مناحي الحياة لديهما معاً.

ومن خلال هذا العداء فإن نسيج الحياة الاجتماعية يتغير وعليه فإن حركة الجن من خلال علاقتهم بالإنس ستكون عنصر أساسي في تحديد أوضاع البشر وطبيعة البنى الاجتماعية والاقتصادية حتى لو كان هذا التأثير يمارس من خلال أفراد البشر إلاّ أنّ هؤلاء سيكونون بمثابة ظل للروابط غير المرئية مع الجن، وكذلك فإن هذه الرابطة ستؤثر في النسيج الاجتماعي في عالم الجن فهي ليست علاقة باتجاه واحد بل هي علاقة تبادلية، وهذا يفسر طريقة الخطاب الإلهي حيث يأتي دائماً ليخاطب الطرفين معاً ،وهذا يضعنا أمام تصوّر للحياة العقلية [الجن، والإنس ] فهي حياة واحدة حتى لو كانت مركبة من نوعين من الكائنات، فتعدد الجنس هو عنصر قيام هذه الوحدة. ومن هنا فإن الحياة العقلية قائمة بهذه الأقطاب وأن غياب أي قطب يؤدي إلى خلل أساسي في هذه الحياة. وقد صرحت الآيات بحقيقة كون الإنسان معادلاً موضوعياً للجان.

## الجان المعادل الموضوعي للإنسان

ويمكن فهم كون الجان معادلاً موضوعياً للإنسان من خلال الخطاب الذي ورد في بعض الآيات ﴿ ***سنفرغ لكم أيها الثقلان*** ﴾[1].

وقد جاء في تفسير الميزان:

«والذي يهدي إليه التدبر في كلامه تعالى أنّه في قابل هاتين الآيتين الإنسان والجان ، فجعلهما نوعين اثنين لا يخلوان عن نوع من الارتباط في خلقتهما ،ونظير ذلك قوله: ﴿ ***خلق الإنسان من صلصال كالفخار*** ❁ ***وخلق الجان من مارج من نار*** ﴾[2].

---

(١) سورة الرحمن: ٣١.

(٢) سورة الرحمن: ١٤-١٥.

ولا يخلو سياق ما نحن فيه من الآيات من دلالة على أن إبليس كان جاناً وإلاّ لغى قوله﴿ *والجان خلقناه من قبل*﴾ الخ ،وقد قال تعالى في موضع آخر من كلامه في إبليس ﴿ *كان من الجن ففسق عن امر ربّه*﴾ [1] فأفاد أن هذا الجان المذكور هو الجن نفسه أو هو نوع من أنواع الجنّ، ثم ترك سبحانه في سائر كلامه ذكر الجان من أصله ولم يذكر إلاّ الجن حتى في موارد يعم الكلام فيها إبليس وقبيله، كقوله تعالى: ﴿ *شياطين الإنس والجن*﴾ [2] وقوله ﴿ *وحقّ عليهم القول في امم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس*﴾ [3] وقوله: ﴿ *سنفرغ لكم أيها الثقلان*ـ الى أن قال ـ *يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا*﴾ [4].

وظاهر هذه الآيات من جهة المقابلة الواقعة فيها بين الإنسان والجان تارة، وبين الإنس والجن أخرى ،أن الجن والجان واحد وإن اختلف التعبير.

وظاهر المقابلة بين قوله: ﴿ *ولقد خلقنا الإنسان*﴾ وقوله ﴿ *وخلقنا الجان من قبل*...﴾ إن خلق الجان من نار السموم المراد به الخلق الابتدائي وبدء ظهور النوع»[5].

ومن خلال ما سبق يتبين أنّ الله سبحانه وتعالى قد وضع للحياة ثقلان وهما عدلان ويأتيهما الخطاب واحداً، فهم منذ البدء خلقوا لكي يطيعوا الله ﴿ *وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون*﴾[6] فالطاعة هي الهدف، فهذه الكائنات العاقلة المختارة مطلوب منها أن تطيع خالقها، فأحد أهداف الوجود ظهور الكائنات العاقلة [ثنائية الطبيعة] المختارة وتختار الطاعة لله بعد إدراكها لأبعاد هذه الطاعة.

---

(١) سورة الكهف: ٥٠.

(٢) سورة الأنعام: ١١٢.

(٣) سورة فصلت: ٢٥.

(٤) سورة الرحمن: ٣٣.

(٥) تفسير الميزان: ١٥٢/١٢ ، تفسير سورة الحجر.

(٦) سورة الذاريات: ٥٦.

ولذلك فإنّ هذه الكائنات مكلفة بكيفية واحدة وأن هذه الوحدة في التكليف مقامة على أساس عوامل التشابه بين هذين الجنسين، فهما عاقلان مريدان ثم أنهما لهما نفس الغرائز وحدود الادراك، الأمر الذي يبرر وحدة التكليف مع فوارق لا تفرض عزلهما ،فمثلاً إن رفع التكليف عن الحيوان وتكليف الإنسان يأتي لوجود اختلافات هائلة، فالحيوان مطيع قسراً بينما يكون الإنسان مطيع اختياراً.

وهكذا يمكن تصور حالة التعادل بين هذه المخلوقات قائمة على أساس مايلي:

١ ـ أنّهم أمم حيّة تفنى وتموت.

٢ ـ أنّهم مكلفون وحياتهم الدينية شبيهة بحياة الإنسان، ولهم أنبياء منهم ويتبعون أيضاً الرسالات الكبرى عند البشر.

٣ ـ أنّهم من ناحية علاقات الزواج والتكاثر يشبهون البشر، ولذلك فإنّ تبادل العلاقات بينهم ممكن حتى لو كان حالات قليلة.

٤ ـ إن حياتهم العقلية وأساليب التفكير متشابهة.

٥ ـ إن نفوسهم متشابهة.

وسيأتي بيان معالم كل هذه الأشياء من خلال وصف الحياة الفردية والجماعية للجن.

ومن خلال ما مرّ يتضح التشابه بين عالم الأحياء وعالم الجمادات إذ أن العالمين مبنيين على وجود أقطاب، فكما أن الذرة مبنية من قطبين هما [الكترون سالب وبرتون موجب] [$p^+$ - $e^-$] فإن عالم الأحياء مؤلف من قطبين هما الجان السالب والإنسان الموجود خصوصاً إذا علمنا بأن كل إنسان معه جان فهمنا أن هناك حالة من التلازم شبيهة بحالة التلازم بين الالكترون والبروتون وأن انفصال أي الكترون عن البروتون يؤدي إلى حلول الكترون آخر وأن الالكترون بدوره يلتحق بذرة أخرى، عرفنا دقة التشابه بين عالم

الإنس وعالم الجن الذي أشارت إليه النصوص الكريمة، فكل زوج [جان، انس] يشكل ذرة حياة وأن وجود ذرتين يشكل [عائلة] أو جزيئة حياة ثم تتصاعد الروابط بناء على هذه الرابطة الأصلية.

وتستطيع اكتشاف أن القرآن في طرحه لمبدأ التعادل كان أكثر دقة وموضوعية في وصف عالم الطبيعة من العلوم في نفس الوقت الذي سبقها فيه، فالعلوم تسمي هذه الأقطاب بالمتضادة وهي حالة ليست دقيقة بينما سمى القرآن ذلك بالثقلين أي أقطاب التوازن الذي بدونه لا تستمر الحياة.

## الأوصاف ومعالم التعادل بين الجن والإنس

### الأوصاف والأصناف والملامح العامة

سيكون ضرورياً التعرّف على الجن من خلال الأوصاف التي جاءت عنهم في الأحاديث والآيات طالما كانا كائنات غائبة لا يمكن للإنسان رؤيتها والتعامل معها بكيفية الموجودات الأخرى التي يرتبط بها بروابط متينة.

وكما يبدو أن هذا القدر من المعرفة كافياً لتأسيس الرابطة بين الإنسان والجان وهي رابطة ملازمة لوجودهما، وبحسب ما فهمناه من النصوص أن أياً منهما لا يمكن أن يصل إلى كماله بدون الآخر.

إذ لابدّ من تكوين تصوّر صحيح بالنسبة للإنسان عن هذا الكائن غير المرئي الذي يساهم في حركة الإنسان المصيرية كما يساهم في مصيره من خلال عملية الإعاقة التي يقوم بها في الحياة، فهو القطب السالب الذي يعيق التكامل الأخلاقي، فيساهم دون قصد فيه، ذلك أنّه يمارس عملية الهدم، فيعمل في النهاية على تحسين كيفية البناء لأنّه لن يهدم الأجزاء الضعيفة الآيلة للانهيار،

وأن دوره مثل دور الحيوانات المفترسة في عالم الحيوان إذ ثبت علمياً أن دورها دوراً غاية في الأهمية في الحفاظ على قوة النسل وبالتالي في بقاء الأحياء، لأنّه حين يطارد الحيوانات فيأكل الضعيفة فيخرجها من دائرة التكاثر لأنّ موتها لا يبقي إلاّ القوية، فالضعيفة منها تموت وتمنع من الامتداد والتناسل ولا يسمح إلاّ للقوية فتساهم في تحسين النسل، وعليه فإنّ المقاومة جزء أصيل من أجزاء الطبيعة وأنّها كذلك في الجانب الحي.

فالجان قطب يعيش كظل للوجود وأنه لا يمارس البناء لكنّه يمارس الهدم فالحضارة والمدنية والعلم مهام يقوم بها الإنسان، فهو يسعى إلى اكتشاف الصورة الموضوعية لذاته وللعالم، ومن خلال معرفة هذه الصورة فإنّه يتقدم نحو امتلاك القوة والحرية وهي أهم معالم الكمال وبالتالي الانتظام في علاقات الوجود.

بينما يكون دور الجان دور مضاد لأنّه يحاول التمويه وخلق الأوهام وإخفاء الحقائق وقلب الأولويات، فيعطي التافه أهمية لكي لا يصار إلى الاهتمام بالمهم.

إننا نحتاج إلى رسم معالم هذه الشخصية السلبية التي تشكل ظلاً لحركة التاريخ، وبالمقدار الذي تمارس فيه الاعاقة فإنّها تعمل على تركيز عناصر القوة لانجاز الحركة، فتعمل على الدفع نحو خلق الذرة في منحنيات التطور العام للإنسانية.

في العادة «دراسة التراكيب والعمليات السيكولوجية الثابتة ،التي تنظم الخبرة الإنسانية وتشكل أفعال الفرد واستجاباته للبيئة التي يعيش فيها»[1].

---

(١) راجع كتاب الشخصية: ١٩.

«أما الشخصية فتميل إلى توكيد الاختلافات بين الأفراد في الوظائف السيكولوجية ، كالانفعال والدافعية والادراك والتعلم والتذكر ، واللغة والفكر وغيرها ،وليس معنى ذلك أن الفروق الفردية هي مجال الاهتمام الوحيد للشخصية ،بل تمثل مجال اهتمام رئيسي لها، ذلك أن علماء نفس الشخصية يهتمون أيضاً بمظاهر الشخص أو قوانينها التي تنطبق على جميع أفراد الجنس البشري ،فنحن نشارك جميعاً في كثير من مظاهر الشخصية ،مثال ذلك إن القدرة على كف الفعل تزداد ابتداءً من المراحل الأولى للحياة حتى مراحلها الأخيرة ،كما أن الناس جميعاً لديهم وظائف دافعية و تنظيمية تعمل وفق قوانين عامّة معينة، كما يحدث لدينا جميعاً ازدياد في تعقيد العمليات السيكولوجية ابتداء من الولادة حتى النضج»[١].

وعليه فإنَّ الشخصية مجموع الصفات والملامح التي تجعل من الشخص شخصاً متميزاً، وإذا كان جنساً كما في ما نحن بصدده ففيه تمثل المميزات التي يتميز بها مجموع الأفراد عن سواهم من أفراد الأجناس الأخرى، وهذه المميزات سواء كانت مميزات للجسم أم للنفس والتفكير من قبيل الاعتقادات والانفعالات، فإنّها في النتيجة تقرر نوعية السلوكيات التي «تشرح لنا القوة الديناميكية للعادة ،عندما ننظر إليها في ارتباطها بتسلسل العادات مع بعضها البعض، وحدة الشخصية والسلوك، أو بطريقة عملية وحدة الارادة والعمل، ووحدة الدافع والفعل»[٢].

وهذا الترابط بين الشخصية والسلوك هو الذي يشكل مصدر اهتمامنا، وهو الذي أسهبت الروايات في بيان معالمه التفصيلية، بحيث نستطيع أن نقترب في تخيلنا لمعالم شخصية الجان من حالة الرؤية العقلية لهم وهذه المعالم هي كالآتي:

---

(١) الشخصية : ٢٠.

(٢) الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني: ٦٧.

## أصناف الجن :

قد يسود انطباع حول ضرورة وجود تطابق في الشكل أو ما هـو أكثر من ذلك إذا اطّلعنا على مجموعة أحياء بأنّها صنف، لكن الاستقراء وبالنسبة لأصناف الأحياء يلاحظ أنّ هناك تفاوت كبير بين أنواع كل صنف رغم وجود المظاهر المشتركة، فمثلاً هناك في عالم الحشرات تفاوت هائل بين كل نوع ونوع حتى يصل أحياناً إلى اختلاف أنظمة التكاثر عدا عن الاختلاف في الأشكال وأنماط التغذية وهكذا فإن التصنيف يعمد إلى قراءة المظاهر المشتركة وبيان عناصر الاختلاف، فمن المعروف أن «ل. مانوفريا الذي جاء الأول في تصنيف الأفراد بالنسبة إلى مختلف أجزاء الجسم ،وفي سنة ١٩١٤ طلع سيغو وماك أوليف بتمايز النماذج التأسيسية الكلاسيكية الأربعة: العضلي، والتنفسي، والهضمي، والدماغي، وأخيراً جاء دور آلية الوراثة»[١]. ولكي نصل إلى نتيجة من هذا النوع فإننا سنتناول الروايات والآيات التي تطرقت إلى هذا الأمر إما مباشرة أو التي يمكن الوصول من خلالها إلى نتائج. لقد وردت أدلّة كثيرة على أن الجن ليسوا صنفاً واحداً ومنها ما تناول أصل الجن كالحديث الذي أكد أنهم من أصول مختلفة [الريح، النار، الماء]. وقد تعرضنا إلى هذه القضية فيما سبق وهناك أحاديث تعرضت إلى أصنافهم الفعلية ومنها مايلي:

جاء عن أبي ثعلبة، عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الجنّ ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلّون ويظعنون[٢].

وكذلك ما رواه الطبرانيّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الجنّ ثلاثة أصناف، فصنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيّات، وصنف يحلّون ويظعنون، وكذلك رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد وروى أبو الدنيا في كتاب مكائد

---

(١) تاريخ العرقية : ٦٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٦٠ /١١٤.

الشيطان من حديث أبي الدرداء أنّ النبيّ ﷺ قال: الجنّ ثلاثة أصناف: صنف حيّات وعقارب وخشاش الأرض، وصنف كالريح في الهواء، وصنف عليهم الحساب والعقاب، وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنف كالبهائم لهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، وصنف أجسادهم أجساد بني آدم وأرواحهم أرواح الشياطين، وصنف كالملائكة في ظلّ الله يوم لا ظلّ إلاّ ظلّه[1].

ففي الحديث جاء أن الجنّ ثلاثة أصناف أولهم: له أجنحة ولم يبين ما إذا كانت هذه الأجنحة هي أدوات للطيران أم لا؟ وعلى الأول فإنّ هذا الصنف وحده قادر على الطيران، أما الصنف الثاني: فهو صنف الحيّات والكلاب ولم يبين ما إذا كان هذا الصنف له شكل الحيّات والكلاب أمّ أنّه غالباً ما يظهر بمظهر الحيّات والكلاب، والصنف الثالث: لم يتطرق إلى شكل هؤلاء الرحّل وإننا نعرض لوصف نمط حياتهم وهو نمط قائم على الترحل والتنقل وعدم الاستقرار. ولذلك يفهم منه أن بقية الأصناف ذات حياة مستقرة وأنّهم يتواجدون في أماكن محددة بينما هذا النوع لا يستقر في مكان دائم التنقل. ومن جهة ثانية فإن اتصافهم بالترحال لا علاقة له بكونهم صنف مختلف عن الآخرين، إذ يمكن أن يكون الترحل من أوصاف ذوي الأجنحة أو الحيّات والكلاب، إلاّ إذا قلنا أن هؤلاء الرجال ذوي أبدان وصفات مغايرة للآخرين، إلاّ أن الحديث لم يحاول التطرق إلى الأوصاف الأخرى أي أنّهم صنف واحد مختلف في البنية والصفات، ومن معالمهم الترحل.

وهناك أيضاً ملاحظة بالنسبة للطيران فمعروف أن جميع الجن قادرون على التنقل بطريقة سريعة لكونهم أجسام لطيفة، ولكن الاتصاف بوجود

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٩١-٢٩٢ .

الأجنحة فإنه صفة للبدن ولا علاقة لـه بـالطيران أو عدمه فهناك من له جناح ومن ليس له جناح.

أما بالنسبة للكلاب والحيّات فـإذا كـان لـها هـذا المظهر وهـو الدائم فإنّها إذن استحالت ومسخت إلى هـذا الشكل الجديد، وأما إذا كـان شـكلاً مؤقتاً وأنّهم غالباً ما يكونون ظاهرين مـن خلالـه فإنّـه سيكون تعبيراً عـن قـدرة هـذا الصنف على التحول، وهـو مـا يميزهم عـن سواهم ذلـك أن سـواهم إمّـا أن يكونـوا غير قـادرين على التحـول أصلاً أو أنـهم قـادرون ولكـن تحولـهم إلـى أشكال أخرى سوى الكلاب والحيّات. إمّا بالنسـبة للجـزء الـذي أكـد أن الجـن ثلاثة أصناف حيـات وعقـارب وخشاش الأرض، وصنـف كـالريح في الـهواء، وصنف عليه الحساب والعقاب فإنّه ايضاً تصنيـف متداخـل كالسـابق ولا يقـدم ضابطة دقيقة لتميز كل صنف عن سواه، وهو يؤكد أن الحشرات والحيّـات هـو أحـد الأصنـاف، وهـو بالنسبة للحيّـات يؤكـد ماجاء في الحديـث السـابق لكنـه استبدل الكـلاب بالخشـاش والعقـارب وكـرر معنـى الطيـران بالنسبة للصنـف الثاني ولم يشر إليه صراحـة. ولكـن بالنسبة للصنف الثالـث (عليـهم الحسـاب والعقاب) فهو إن اعتبر ضابطـة فـإن الصنفين سيكونان مما لا عليـهم الحسـاب والعقاب مع أننا نعلم أن الجن مكلفون جميعاً.

ومن جهة أخرى فـإن وصـف الجـن بالحيوانات يلغـي أصـلاً كونـهم جـن ذلك أن معنى الجن هـو الخفـاء والغيـاب، وأن سبيلهم للاتصـال بالإنسـان هـو الوسوسة والاغـواء وبـهدف اضـلال أكـبر عـدد منـهم، ولـهذا فـإن هـؤلاء إمـا خارج دائرة البحث أو أنهم تعرضوا لحالة من التغير والتحول وهو يحتاج إلـى دليل. وقد ورد أيضاً الآتي:

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الجنّ على ثلاثة أجزاء: فجزء مع الملائكـة، وجزء يطيرون في الهواء، وجزء كلاب وحيّات. الخبر[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٨.

وهو كما يبدو شبهه بما مرّ سابقاً وهو مؤسسه على ضابطة اختلاف بنية الحيّات، فجزء مع الملائكة وهذا يفيد أن هؤلاء استمروا على الطاعة ولم يكفروا مع إبليس، وبالتالي يخرجون عن دائرة الاشتراك مع البشر في التكليف والحياة الأرضية، وهذا لا يوجد ما يؤيده فهو يضاد كل البناء والتصورات المستفادة من جميع ما ورد حول الجن مع أنّه لا توجد استحالة من مرضه، أما الجزئين الآخرين فهما مكررات وفيهما ما أوردناه.

ونقل المصنف عن أهل الخلاف ما يلي:

قال الدميريّ: الغول واحد الغيلان وهو جنس من الجنّ والشياطين وهم سحرتهم، وقال الجوهريّ: هو من السعالي والجمع أغوال وغيلان وكلّ من اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول، والتغوّل: التلوّن[1].

فما يستفاد من هذا القول أن الشياطين أجناس بينهم جنس الغيلان وهو نوع الجان الذي يتلون لاهلاك الإنسان، وكما نقل أيضاً أنّه السعالي بينما هناك من يذهب إلى أن السعالي هي جنس من الجان ولا علاقة له بالغيلان، وعلى هذا القول فإن هناك أجناس لها القدرة على التلون دون سواها أو أنّها الأكثر ممارسة لهذا الأمر.

ونسب إلى الرسولﷺ حديثاً يؤكد وجودها وهو الآتي:

فقد روى الطبرانيّ أنّ النبيﷺ قال: إذا تغوّلت لكم الغيلان فنادوا بالآذان، فإنّ الشيطان إذا سمع النداء أدبروا له حصاص أي ضراط.

قال النووي في الأذكار: إنّه حديث صحيح أرشدﷺ إلى دفع ضررها بذكر الله.

ورواه النسائي في آخر سننه الكبرى، عن جابر بن عبد الله أنّ النبيﷺ قال: عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى بالليل، فإذا تغولّت لكم الغيلان فنادوا بالآذان.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ /٣١٥.

قال النووي: وكذلك ينبغي أن يؤذّن آذان الصلاة إذا عرض للإنسان شيطان، لما روى مسلم عن سهل بن أبي صالح أنه قال: أرسلني أبي إلى بني حارثة ومعي غلام لنا، أو صاحب لنا، فناداه مناد من حائط باسمه فأشرف الذي معي على الحائط فلم ير شيئاً فذكرت ذلك لأبي فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك، ولكن إذا سمعت صوتاً فناد بالصلاة، فإنّي سمعت أبا هريرة يحدّث عن رسول الله ﷺ أنّه قال: إنّ الشيطان إذا نودي بالصلاة أدبر[1].

ففي الحديث الأول إشارة إلى أن الغول هي من شياطين الجن، وهو يتطابق مع الحديث الثاني في المضمون، بينما يكون الحديث الثالث عاماً ولا يختص بجنس الغول.

وروى مسلم عن جابر أن النبيّ ﷺ قال: لا عدوى ولا طيرة ولا غول.

قال جمهور العلماء: كانت العرب تزعم أنّ الغيلان في الفلوات وهي جنس من الشياطين تتراءى للنّاس وتتغوّل تغوّلا، أي تتلوّن تلوّناً، فتضلّهم عن الطريق وتهلكهم، فأبطل النبيّ ﷺ ذلك، وقال آخرون: ليس المراد بالحديث نفي وجود الغول، وإنّما معناه إبطال ما تزعم العرب من تلوّن الغول بالصور المختلفة، قالوا: ومعنى لا غول، أي لا تستطيع أن تضل أحداً. ويشهد له حديث آخر[2].

وفي هذا الحديث إنكار لتلون الغيلان وإنها مثلها مثل الطيرة ترتبط بنوع من المخاوف التي تصدر عن الإنسان نفسه غير أن هذا التلون نسب إلى سحرة الجن كما يلي :((لا غول ولكن السعالي)) قال العلماء:السعالي بالسين المفتوحة والعين المهملة من سحرة الجن ،ومنه ما روى الترمذي والحاكم عن أبي أيوب أنه قال:كانت لي سهوة فيها تمر ،فكانت تجيئ الغول كهيئة النسور

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ /٣١٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ /٣١٥

فتأخذ منه ،فشكونا ذلك إلى النبيﷺ فقال: اذهب فإذا رأيتها فقل: بسم الله أجيبي رسول الله ،فأخذتها فحلفت أن لا أعود ،فأرسلها ثم جاء إلى رسول اللهﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟ قال: حلفت أن لاتعود ،قالﷺ: كذبت وهي معاودة للكذب فأخذها وقال: ما أنا بتاركك حتى أذهب بك إلى رسول اللهﷺ ،فقالت: إنّي ذاكرة لك شيئاً ، آية الكرسي اقرأها في بيتك فلا يقربك شيطان ولاغيره ،فجاء إلى رسول اللهﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟ فأخبره بما قال ،قالﷺ : صدقك وهو كذوب .

قال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ،وهذا روى مثله البخاري عن أبي هريرة وفي آخره : تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟ قال : لا، قالﷺ: ذاك الشيطان[1].

فالسحلية هي من سحرة الجن وكون الجن ساحراً هو الذي جعل هذا الإسم يختص به، أم أنه في الأصل فرد من جنس متميز قادر على الاتيان بالسحر لكونه مثلاً ذا ذكاء متميز أو أي شيء آخر، فبالمعنى الذي عرفناه عن السحر لا يوجب أن يؤدي جنس معين إلاّ إذا قلنا أن هذا الجنس هم يحتكرون هذا الفن ولا يعلمونه إلا لأبناء جنسهم وإذا كان السحر كما في الآية:

قال تعالى : ﴿ ***فلمّا ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم*** ﴾ [2].

قال الرازيّ في قوله تعالى: ﴿ ***سحروا أعين الناس*** ﴾: احتجّ بهذه الآية القائلون بأنّ السحر محض التمويه:

وقال القاضي لو كان السحر حقّاً لكانوا قد سحروا قلوبهم لا أعينهم، فثبت أنّ المراد أنّهم تخيّلوا أحوالاً عجيبة مع أنّ الأمر في الحقيقة ما كان على ما وفق ما تخيّلوه[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ /٣١٦

(٢) سورة الأعراف: ١١٦

وإذا أضفنا إلى ذلك ما مرّ في قصة هاروت وماروت من الإشارة إلى تعليم الشياطين الناس السحر صار الاحتمال وارداً إذ أن أصل السحر هو صناعة شياطين. وهذا بحسب الآية سيكون القدر المتيقن ويبقى أن (علم السحر) خاص بطبقة خاصة من شياطين الجن أم أنّه خاص بصنف هذا الحديث يحمل هذه الإشارة إلاّ أنها غير كافية للقطع بهذا الأمر.

ومن خلال تعدد الوصف يمكن لنا أن نفهم تعدد الأصناف والأجناس لكن لا ينطوي على وصف كامل بحيث نستطيع أن نكون صورة كاملة للجنس وقد ورد هذا الأمر فيمايلي:.

وروى الحاكم وابن حبّان ،عن أبي بن كعب أنّه كان له جرين تمر وكان يجده ينقص فحرسه ليلة فإذا هو بمثل الغلام المحتلم قال: فسلّمت فردّ عليّ السلام، فقلت: ما أنت ناولني يدك، فإذا يد كلب وشعر كلب، فقلت: أجنيّ، أم إنسيّ؟ فقال: بل جنيّ، قلت: إنّي أراك ضئيل الخلقة، أهكذا خلق الجنّ؟ قال: لقد علمت الجنّ أنّ ما فيهم أشدّ منّي فقلت: ما يحملك على ما صنعت؟ قال: بلغني أنّك رجل تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك، فقلت: فما يجيرنا منكم؟ قال: تقرأ آية الكرسي فإنّك إن قرأتها غدوة أجرت منّا حتّى تمسي، وإن قرأتها حين تمسي أجرت منّا حتّى تصبح، قال: فغدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: صدق الخبيث[٢].

فهنا الملفت للنظر هو أن هذا الجني عندما كان يسرق كان متخذاً شكل آدمي وأنّه على غير العادة اتخذ وضع الظهور بدلاً عن وضع الغياب، وهنا لابدّ من التساؤل حول مبررات هذا الظهور وخصوصاً في حال كحال

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٤٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣١٦ - ٣١٧.

السرقة، إذ أن الأولى الاستفادة من حالة الغياب لكي تنجح السرقة ولا يلقى القبض على السارق.

ثم أن الجني السارق يشبه الغلام الحدث أي أنَه غير ضخم الجثة، وهذا يخالف وصف ورد بأن الجان هم طوال القامة وقامة أحدهم كقامة نخل. ويمكن حمل هذا على أن كل وصف يخص جنس معين ثم أنَه لا يختلف عن الإنس إلا بكون يده لها حال كحال يد الكلب وله شعر كشعر الكلب، وهذا يذكرنا بوصف ورد حول أن بعض أجناس الجان هم كلاب، وهنا أيضاً يوجد فرق بين كون الجني كلب كامل وبين يديه فقط يد كلب ودون الإشارة إلى أقدامه مثلاً أو بقية معالم جسده. وما مرّ طبعاً هو وصف للغول التي ((تزعم العرب أنَه إذا انفرد الرجل في الصحراء ظهرت له في خلقة إنسان فلا يزال يتبعها حتّى تضلّه عن الطريق وتدنو له وتتمثّل له في صور مختلفة فتهلكه روعاً، وقالوا: إذا أرادت أن تضلّ إنساناً أوقدت له ناراً فيقصدها فيفعل ذلك، قالوا: وخلقتها خلقة إنسان ورجلاها رجلا حمار.

وقال القزويني: ورأى الغول جماعة من الصحابة منهم عمر حين سافر إلى الشام قبل الإسلام فضربها بالسيف، وذكر عن ثابت بن جابر الفهريّ أنه رأى الغول، وذكر أبياته النونيّة في ذلك.

وقال الدميريّ أيضاً: قطرب: طائر يجول الليل كلّه لا ينام، وقال ابن سيدة: إنَه الذكر من السعالي، وقيل: هم صغار الجنّ، وقيل: القطارب: صغائر الكلاب واحدها قطرب: دويبة لا تستريح نهارها سعياً، وقال محمّد بن ظفر: القطرب حيوان يكون بالصعيد في أرض مصر يظهر للمنفرد من الناس، فربما صدّه عن نفسه إذا كان شجاعاً وإلاّ لم ينته حتّى ينكحه، فإذا نكحه هلك، وهم إذا رأوا من ظهر له القطرب قالوا: أمنكوح أم مروع، فإن قال: منكوح يئسوا منه، وإن قال: مروع عالجوه، قال: وقد رأيت أهل مصر يلهجون بذكره.

ولنبيّن بعض ما ربما يحتاج إلى البيان: الحشاش مثلثة: حشرات الأرض، وفي النهاية: مستطير أي منتشر، متفرّق كأنّه طائر في نواحيها، ومنه حديث ابن مسعود فقدنا رسول الله ليلة فقلنا: اغتيل استطير أي ذهب به بسرعة، كأنَّ الطير حملته أو اغتاله أحد، والاستطارة والتطاير: التفرّق والذهاب، والاغتيال: أن يخدع فيقتل في موضع لا يراه فيه أحد، قوله: أو (فرما كان)، قال الآبي: الأظهر أنّه مما يبقى عليه بعد الأكل، ويحتمل أنّه تعالى يخلق ذلك عليها، والنّظر في أنه هل يستحبّ أن لا يستقصى العظام بتقشير ما عليها وهي يثاب مثله له، والأظهر أنّ انتفاعهم إنّما هو بالشم لأنّه لا يبقى عليه ما يقولون إَلا أن يكونوا في القوت بخلاف الإنس انتهى))[1].

وهنا نلاحظ الاتفاق حول التلون والايذاء والاضلال والترويع، أما الوصف فيبقى وصف انسان ولكن الأرجل مختلفة لأنّها أرجل حمار، وفي ما مضى ورد وصف الأيدي فقط وكانت أيدي كلب، فهل يمكن أن نجمع فنقول أن الهيكل هيكل إنسان والأيدي أيدي كلب والأرجل أرجل حمار؟ طبعاً لا يوجد ما يوجب هذا الجمع؛ لأنّ بدونه لابدّ لنا من افتراض أن كل منهما جنس برأسه وهو أيضاً لا مؤيد له؛ لأنّ ما ورد كان بصدد وصف حالة خاصة وليس بصدد بيان وصف لجنس معين، كما أنّه لا ينطوي حتى على وصف كامل لفرد لنفهم أنّه نموذج لجنس من أجناس الجن.

ثمّة أنّه يدل على أن ضرب الجن بالسيف يؤدي إلى قتله ،مثله مثل أي إنسان من لحم ودم وأغرب ما فيه ذكر (القطرب) وهو طائر يجول الليل كله لا ينام، وإنّه ربّما كان ذكر من السعالي أو أنه من صغار الجن، وربما هو من صغار الكلاب. وذهب البعض إلى أنّه حيوان يظهر للمنفرد من الناس، وربّما هذا الإنسان شجاعاً فيدفعه وإلاّ فإنه يكنحه فيموت بسبب ذلك ولا يوجد

---

(١) بحار الأنوار: ٦ / ٣١٧ - ٣١٨.

توضيح لسبب الوفاة. وكذلك لماذا هو موجود في صعيد مصر خاصة مع العلم أنّ كل الحيوانات صارت معروفة في هذا الزمن ولم يرد ذكر لهذا النوع من الحيوانات!! وإذا كان حيوان فإنّه لا موجب لعدّه من الجان إلاّ إذا قلنا أنه من الجان ولكنه دائم الظهور بهذه الصورة.

كما ورد أيضاً: في النهاية في صفة الجنّ: فإذا نحن برجال طوال كأنّهم الرماح مستثفرين ثيابهم، هو أن يدخل الرجل ثوبه بين رجليه كما يفعل الكلب بذنبه، وقال: العرج بفتح العين وسكون الراء: قرية جامعة من أعمال الفرع على أيّام من المدينة، وقال: اللغط: صوت وضجّة لا يفهم معناه، وقال: الجلس: كلّ مرتفع من الأرض، والغور: ما انخفض من الأرض. وقال: فيه ذكر عكاظ وهي موضع بقرب مكّة كانت تقام به في الجاهلية سوق يقيمون فيها أيّاماً، وقال: في حديث عمر أنه سأل رجلاً استهوته الجنّ فقال: ما كان طعامهم؟ قال: الفول وما لم يذكر اسم الله عليه، قال: فما كان شرابهم؟ قال: الجذف. الفول هو الباقلي والجذف بالتحريك: نبات يكون باليمن لا يحتاج آكله معه إلى شرب ماء، وقيل: هو كلّ ما لا يغطّى من الشراب وغيره قال القتيبيّ: أصله من الجذف: القطع، أراد ما يرمى به عن الشراب من زبد أو رغوة أو قذى كأنّه قطع من الشراب فرمي به، هكذا حكاه الهروي عنه، والذي جاء في صحاح الجوهريّ: أنّ القطع هو الجذف بالذال المعجمة، ولم يذكره في الدال المهملة، وأثبته الأزهريّ فيهما. وقال: تفلّت عليّ أي تعرض في صلاتي فجأة، وقال في ذعت؛ فأمكنني الله منه فذعته أي خنقته، والذعت والدعت بالذال والدال: الدفع العنيف، والذعت أيضاً: المعك في التراب.

وقال: وفيه ما من آدميّ إلاّ ومعه شيطان، قيل: ومعك؟ قال: نعم ولكنّ الله أعانني عليه فأسلم، وفي رواية: حتّى أسلم أي انقاد وكفّ عن وسوستي، وقيل: دخل في الإسلام فسلمت من شرّه، وقيل: إنّما هو فأسلم بضم الميم

على أنّه فعل مستقبل أي أسلم أنا منه ومن شرّه، ويشهد للأوّل الحديث الآخر: كان شيطان آدم كافراً وكان شيطاني مسلماً انتهى.

وأقول: قصّة سعد ممّا افترى على الجنّ، وإنّما قتله من بعثه عمر ليقتله كما ذكرناه في كتاب الفتن مفصلاً.

وفي النهاية: يقال: صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين غيره، وكانت العرب تسمّي النبيّ صلى الله عليه وآله الصابئ لأنّه خرج من دين قريش إلى دين الإسلام ويسمّون المسلمين الصباة بغير همز.

وقال: لهث الكلب وغيره يلهث لهثاً: إذا أخرج لسانه من شدة العطش والحرّ وقال الفهر: الحجر ملء الكف، وقيل: هو الحجر مطلقاً.

وفي القاموس: الغريف: صوت الجنّ وهو جرس يسمع في المفاوز بالليل، وكشداد رمل لبني سعد أو جبل بالدهناء على اثني عشر ميلاً من المدينة سمّي به لأنّه كان يسمع به غريف الجنّ، وأبرق الغراف: ماء لبني أسد، وقال: القعدة بالضمّ من الإبل: ما يقتعده الراعي في كلّ حاجة، واقتعده، اتخذه قعدة.

وفي النهاية: قال للجني: إنّي أراك ضئيلاً شخيتاً، الضئيل: النحيف الدقيق والشخت والشخيت: النحيف الجسم الدقيق.

وقال: إنّي منهم لضليع أي عظيم الخلق، وقيل: هو العظيم الصّدر الواسع الجبينين، وقال: الشظيّة: الفلقة من العصا ونحوها، وقال الفيروز آبادي: القطّ بالكسر السنّور.

وقال في النهاية: الحصاص: شدّة العدو وحدّته، وقيل: هو أن يمصع بذنبه ويصرّ بأذنيه ويعدو، وقيل: هو الضراط، وقال: السهوة: بيت صغير منحدر في الأرض قليلاً شبيه بالمخدع والخزانة وقيل: هو كالصفّة يكون بين يدي

البيت، وقيل: شبيه بالرَّف والطاق يوضع فيه شيء وقال: الجرين هو موضع تجويف التمر وهو له كالبيدر للحنطة[1].

وهكذا فإن ما مرّ تكرار لوصف صغر أبدان الجان بحيث أن الموصوف هو أعظمهم خلقة وبالطبع أن البقية هم أصغر منه في البنية.

وهذه التصورات عن الجن والتي نقلها عن كتب أهل الخلاف لا يعتمدها صاحب بحار الأنوار ونحن أوردناها تبعاً له وللاطلاع عليها. فهنا جملة أوصاف أحدها الطول في القامة وهو مما يلفت النظر للتشبيه بالرمح، ثم العودة إلى استحضار شيء من أوصاف الكلاب ولو كانت في طريقة لم الثياب وهو ما يبدو بعيداً عن التشبيهات السابقة بالكلب، ثم يأتي وصف لطعام الجن وهو «الفول» ولا يذكر هل هو الطعام الوحيد الذي تتغذى به هذه الفئة أم هوعام لجميع فئاتهم وأصنافهم؟ وكذلك بالنسبة للاستفادة من هذا النبات الذي يعوض عن شرب الماء فهل تم اللجوء إليه بدلاً عن الماء لعدم توفر الماء.

ثم هناك مواجهة لإشكال حول طبيعة التغذية عند الجن فهل هي مطابقة لنظام تغذية البشر، أم أن هذا الغذاء والماء حالة ثانوية بالنسبة للجن؟.

ونلاحظ أيضاً الإشارة إلى صوت الجن وهو شبيه بالجرس، وهو يعني أن الحنجرة التي تخرج الصوت تختلف عن حنجرة البشر، ولعلنا نستطيع تخيل أن نبرات الصوت ترتفع وتهبط بصورة ذبذبات وأن هذه النبرات عالية، وأن وصفها بالجرس جرياً على تشبيه الصوت العالي بالجرس بل أن له آثار خاصة على الإنسان كما ينقل الحديث التالي:

جاء عن محمّد بن حجرش قال: حدّثتني حكيمة بنت موسى عليها السلام قالت: رأيت الرضا عليه السلام واقفاً على باب بيت الحطب وهو يناجي، ولست أرى أحداً،

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣١٨ - ٣٢٠.

فقلت: يا سيّدي لمن تناجي؟ فقال: هذا عامر الزهرائي، أتاني يسألني ويشكو إليّ، فقلت: يا سيّدي أحبّ أن أسمع كلامه، فقال لي: إنّك إن سمعت كلامه حممت سنة، فقلت: يا سيّدي أحبّ أن أسمعه، فقال لي: اسمعي فاستمعت فسمعت شبه الصفير وركبتني الحمّى فحممت سنة.

بيان: لعلّ لخصوص المتكلّم أو السامع صنفاً أو شخصاً مدخلاً في الحمّى[1].

لا يوجد حديث يؤكدعلى وجه الدقة كون جميع الجن هم ذوي خلقة موحدة، وعلى العكس من ذلك توجد روايات أكدت أنهم مثل الملائكة تتفاوت أشكالهم وأحجامهم تفاوتاً هائلاً كما مرّ في البحث السابق، كما أنهم ليسوا كالبشر متحدين من حيث الشكل والوصف العام ،ويختلفون في بعض الملامح من حيث لون البشرة، وشكل الشعر، وفي لون العيون.

الأحاديث توحي أن الجن يشكلون حالة وسط بين عالم الملائكة وعالم الإنسان، فلا هم بنفس الكيفية من التفاوت مثل الملائكة، ولا هم بنفس الإتساق الذي يوجد في عالم الإنس مع إننا سنجد حالة من عدم الاتّساق في أوصافهم تؤكدها روايات كثيرة.

وفي النهاية ينفي هذه التصورات المستنتجة والتي مجرد محتملات وظنون لا أكثر، كما أن الآيات اكدت أن الجان أمم لكنها لم تشر إلى الأصناف، لذا سيصار في بيان ذلك بالاعتماد على الأحاديث التي أشارت إلى أنّهم ثلاثة، فقد تفاوتت أوصاف هذه الأصناف الثلاثة حتّى أننا لا نستطيع التوصل إلى ضوابط دقيقة تميز كل صنف عن الصنف الآخر، لأن الأحاديث ليست بصدد البحث في الجانب العلمي وبيان المميزات بل هي غالباً تكون في معرض بيان

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٧.

بعض الملامح ربما اجابة عن سؤال أو ترسيخ للتصورات الأخرى المتعلقة بالجانب الاعتقادي.

وإذا أردنا أن نضع تصنيفاً علمياً للجان فلابد أن نضع ضابطة معينة وبحسب اختلافها نميز كل صنف عن الأصناف الأخرى ،فلو اتخذنا من أدوات الحركة في الجان كالأجنحة مثلاً معياراً لتحديد الأصناف، فإننا عندئذ نقول الجان عديمي الأجنحة والجان أحاديي الأجنحة أو رباعي أو أي شيء آخر على هذا الغرارلكن الأحاديث لا تساعد على اعتماد أي ضابطة كأساس لعملية التصنيف.

وعلى هذا يمكن فقط من خلال التخمين الاشارة إلى وجود أصناف ولا يمكن تحديد عددها إلاّ بناءً على الأحاديث التي أشارت إلى أنها ثلاثة في أقل الفروض، وربّما أمكن أن يكون عددهم أكثر من ذلك وفي النهاية لا بدّ من ابقاء هذه الفرضية مفتوحة.

ثم أن كونهم أجناس لا يوجد من يجادل فيه غير أن طبيعة هذه الأجناس هي المثيرة للجدل لشدة اختلاف الأوصاف الواردة عنها، فقد جاء أن بعضهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون في الدنيا ولا يتوالدون، وهناك أجناس أخرى يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم الغيلان والقطارب والسعالي.

إلاّ أنّه سيبدو صعباً تصور نمطين للحياة في جنس واحد من الأحياء إذ كيف يتصور أن يكون للحيوان نمطين؟ فبعض الحيوانات مثلاً تتكاثر وبعضها لا يتكاثر مع العلم بأنه من الضروري لأي جنس من الأحياء وجود حد مشترك في البنية والغرائز، وإلى جانب هذا فإن ظواهر الآيات لا تؤيد وجود هذا الصنف من الجان، فكونهم أمماً بصريح القرآن يقتضي وجود الموت

والحياة، ثم أن عدم التوالد يقتضي تعدد الأصل فإذا كان أصل هؤلاء لا يتوالد فمن أين خلق هؤلاء؟ فلا بدّ أن يكونوا مخلوقون كخلق إبليس أي من غير رحم وهذا لا مؤيد له، إذ أن الاجماع قائم على وجود أصل واحد لجميع الجن إما إبليس أو الجان، ثم أن الجميع توالدوا عن هذا الأصل وإن كان هناك أصول عدة اقتضى التنويه ولا توجد اشارة إلى هذا الأمر.

كما أنه من جهة أخرى لابد من وجود إطار ما يسمح بوحدة الجماعة في مقابل وحدة الجماعات الأخرى، فيفضي إلى خلق ظروف تسمح للجماعة بأن تكون حيزاً داخلياً يعطي شعوراً بالحرية مع الفعالية ،وتضمن بقاء التبادل داخل الجماعة وزمانية خاصة (تشتمل على ماضٍ تشد منه أصلها ، ومستقبلها حيث تنوي تحقيق أهداف).

ويكون الغلاف الجماعي ،إذا اكتفى باللحمة والسدى ، نسقاً من القوانين يعمل مثلاً في كل منتدى ديني أو نفسي ـ اجتماعي ـ ومن هذا المنطلق تؤخذ حياة كل جماعة في لحمة رمزية ،تجعلها تدوم ،غير أن هذا ليس إلاّ شرطاً ضرورياً ولكنّه ليس بكاف ،وهكذا تستطيع جماعة ماتت حياتها النفسية أن تصمد ،وقد ضاعت اللحمة الحيّة من غلافها ولم يبقى سوى النسيج»[1].

فالجماعة تفرز من خلال آليات كثيرة ومعروفة تأثيرها القوي على الأفراد وربَما كان التأثير سلبياً أو إيجابياً، لأنّها تفرض عليهم نوع من التناسق والقبول ينزع رداء الفردية لصالح الانتماء ،وهذا مايجب ملاحظته في جماعات الجن وأخبارهم من خلال وحدة البناء والتركيب بين الإنس والجن

---

(١) راجع كتاب الجماعة واللا وعي: ٥.

ولو مع اختلاف في بعض الملامح، ولذلك نستطيع استنتاج ضعف فرضية تنوع أنماط الحياة في عالم الجن، أما بالنسبة لكونهم أمم فقد جاء مايلي:

قال تعالى : ﴿ ***أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين*** ﴾ [1].

وقال في قوله تعالى: ﴿ ***فحق عليهم القول*** ﴾ أي كلمة العذاب ﴿ ***في أمم*** ﴾ أي مع أمم ﴿ ***قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس*** ﴾ على مثل حالهم واعتقادهم.

قال قتادة: قال الحسن: الجنّ لا يموتون، فقلت: ﴿ ***أولئك الذين حق عليهم القول في أمم*** ﴾ الآية تدلّ على خلافه[2].

ويمكن أن يكون معنى أمم جماعات أو أجيال وهذا طبعاً يمكن أن ينطبق على كونهم أمم كأمم البشر وبالتالي فإنه يقوى إذ جمعنا إليه الآيات والأحاديث القائلة بوجود الذرية والقبيل بالإضافة إلى ما يؤكده مفهوم التماثل بين الجن والإنس في أغلب معالم الوجود.

فالتواجد في ظل جماعة يعطي الافراد طابعاً خاصاً ذلك: «أن الجماعة غلاف يضبط الافراد معاً ومن الممكن أن نجد ـ طالما هذا الغلاف غير متشكل تراكماً بشرياً وليس جماعة)). فما هي طبيعة هذا الغلاف؟ يشدد علماء الاجتماع والاداريون الذين أسسوها والمؤسسون الذين خلقوها على شبكة القوانين الضمنية، والظاهرة، والعادات المتبعة والطقوس، والأفعال والوقائع والتي تملك قيمة مرجعية، وعلى تخصيص الأماكن داخل الجماعة وعلى خصوصية اللغة المتبادلة هذه الشبكة، التي تحصر الأفكار والكلام والأفعال، تسمح للجماعة بأن تكون حيزاً داخلياً يعطي شعوراً بالحرية مع الفاعلية وتضمن:

---

(١) سورة الأحقاف: ١٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥٥.

## الهيكل والمظهر

قوله تعالى: ﴿ *طلعها كأنّه رؤوس الشياطين* ﴾[1]

((والشياطين العصاة من الجنّ وهم ولد إبليس ،والمردة اعتاهم وأغواهم وهم أعوان إبليس ينفذون بين يديه في الاغواء كأعوان الشياطين.

قال الجوهري: كل عات متمرد منّ الجنّ والإنس والدواب شيطان.

قال جرير:

أيام يدعونني الشيطان من غزل    وهن يهوينني إذ كنت شيطاناً

والعرب تسمّي الحية شيطاناً قال يصف ناقته:

تلاعب مثنى حضرمي كأنّه    تعمج شيطان بذي خروع قفر

وقوله تعالى: ﴿ *طلعها كأنه رؤوس الشياطين* ﴾ قال الفراء: فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن يشبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين لأنّها موصوفة بالقبح. والثاني: أن العرب تسمي به بعض الحيّات، والشيطان نونه أصلية قال أمية:

ايما شاطن عصاه عكاه    ثم يلقى في السجن والاغلال

ويقال أيضاً : أنها زائد فإن جعلته فيعالاً من قولهم: شيطن الرجل صرفته وإن جعلته من تشيطن لم تصرفه لأنّه فعلان.

وقال: أبو البقاء: الشيطان فيعال من شطن يشطن إذا بعد ،ويقال فيه شاطن وتشيطن، وسمي بذلك كل متمرد لبعد غوره في الشر، وقيل: هو فعلان من شاط يشيط إذا هلك، فالمتمرد هالك بتمرده ويجوز أن يكون سمي بفعلان لمبالغته في اهلاك غيره.

---

(١) سورة الصافات: ٦٥.

وقال القاضي أبو يعلى: الشياطين مردة الجن وأشرارهم ،وكذلك يقال في الشرير: مارد ،وشيطان من الشياطين، وقد قال تعالى: ﴿ *شيطان مارد* ﴾.

وقال الجوهري: شطن عنه بعد، واشطنه أبعده، وقال ابن السكّيت: شطنه يشطنه شطناً إذا خالف عن نيّة وجهه ،وبئر شطون بعيدة القعر، ونوى شطون بعيد))[1].

قال تعالى: ﴿ *طلعها كأنه رؤوس الشياطين* ﴾

قال البيضاويّ: «طلعها» أي حملها: مستعار من طلع الثمر لمشاركته إيّاه في الشكل أو لطلوعه من الشجر «كأنّها رؤوس الشياطين» في تناهي القبح والهول وهو تشبيه بالمتخيّل كتشبيه الفائق في الحسن بالملك، وقيل: الشياطين حيّات هائلة قبيحة المنظر لها أعراف، ولعلّها سميّت بها لذلك[2].

وفي هذا التفسير إشارة إلى أن للشياطين صورة قبيحة دون تحديد لمعالم القبح وبالتالي فإنّها تترك للخيال تصوّر معالم القبح هذه.

أمّا بالنسبة للآية التالية:

قوله تعالى: ﴿ *فلمّا رآها تهتز كأنّها جان ولى مدبراً ولم يعقب* ﴾ [3] فإنها تفيد أن الجان يهتزون بطريقة تؤدي إلى إصابة الرائي بالذعر، وهذا الأمر يبدو أحد الأوصاف التي قد تنطبق على الجن بناءً على كون الجان هو غير الجن وإنّهم جنس يضم الجن وعلى هذا الأساس ربّما كان هذا الوصف جامعاً لجميع الجان ،وبذلك نفترض أن الجنّ يهتزون وقد يكون هذا الاهتزاز صفة ملازمة لهم في جميع أحوالهم.

---

(١) غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسّنة : ٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٠.

(٣) سورة النمل: ١٠ ، سورة القصص: ٣١.

لكنّ ذلك يبقى لغزاً فكيف يكون الكائن الحي مهتزاً، وهل هذا الاهتزاز يشمل جميع أوصاله؟ بحيث أن الجسم يتردد بين نقطتين وبالتالي فإن نقطة ارتكازه ليست هي مركز واحد بل هي عبارة عن التردد بين مركزين، وهكذا فإن هاتين الآيتين حددتا معلمين من معالم شخصية الجن:

الأول: هو القبح الممعن في القبح ولسنا ندري هل أن هذا الوصف خاص بشياطين الجن أم شياطين الجن والإنس ويكون طبعاً وصفاً لحالهم في الآخرة وبعد الدخول في النار؟ وثم إنه يتضمن أن يكون وصفاً لبعض الجان بناءً على أن الشياطين هم من ذرية إبليس وبالتالي فإنّه يشمل بقية أفراد الجن.

غير أنّ هذا الوصف يمكن أن يكون وصفاً عاماً لجميع الجن، لأن الكفر والإيمان لا يغيرمن البنية والشكل والصورة، فتكون النتيجة أن القرآن أكد بشاعة خلقة الجن من وجهة النظر ومعايير الإنسان الجمالية.

أما الوصف الثاني: فهو الاهتزاز وهو شكل مرعب من أشكال الاهتزاز إذ أنه دفع الإنسان وهو في العادة يكون من أهل رباطة الجأش والشجاعة إلى الهرب، ولعل السبب هو المفاجأة وقد يكون نفس الاهتزاز باعث على الخوف.

ومن هنا فإن أبرز أوصاف الجن التي ذكرها القرآن هي أوصاف مخيفة وهما الاهتزاز والشكل البشع، أما بالنسبة للأوصاف الأخرى ،فقد جاء مايلي:

### وصف عام وخاص:

روي عن سلمان، قال: كان النبي ﷺ ذات يوم جالساً بالأبطح وعنده جماعة من أصحابه، وهو مقبل علينا بالحديث إذ نظرنا إلى زوبعة قد ارتفعت فأثارت الغبار، وما زالت تدنو والغبار يعلو إلى أن وقف بحذاء النبيّ ﷺ ثمّ برز منها شخص كان فيها.

ثمّ قال: يا رسول الله ﷺ إنّي وافد قومي استجرنا بك فأجرنا وابعث معي من قبلك من يشرف على قومنا، فإنّ بعضهم قد بغى علينا ليحكم بيننا وبينهم بحكم الله وكتابه، وخذ عليّ العهود والمواثيق المؤكّدة أن أردّه إليك سالماً في غداة غد إلاّ أن تحدث عليّ حادثة من عند الله.

فقال له النبيّ ﷺ: من أنت؟ ومن قومك؟ قال: أنا عرفطة بن شمراخ أحد بني نجاح، وأنا وجماعة من أهلي كنّا نسترق السمع، فلمّا منعنا من ذلك آمنّا ولمّا بعثك الله نبيّاً آمنّا بك على ما علمته وقد صدّقناك، وقد خالفنا بعض القوم واقاموا على ما كانوا عليه فوقع بيننا وبينهم الخلاف، وهم أكثر منّا عدداً وقوّة وقد غلبوا على الماء والمراعي وأضرّوا بنا وبدوا بنا، فابعث معي من يحكم بيننا بالحقّ.

فقال له النبيّ ﷺ: فاكشف لنا عن وجهك حتّى نراك على هيئتك التي أنت عليها، قال: فكشف لنا عن صورته فنظرنا فإذا شخص عليه شعر كثير، وإذا رأسه طويل، طويل العينين عيناه في طول رأسه، صغير الحدقتين، وله أسنان كأنّها أسنان السباع، ثمّ إنّ النبيّ ﷺ أخذ عليه العهد والميثاق على أن يردّ عليه في غد من يبعث به معه.

فلمّا فرغ من ذلك التفت إلى أبي بكر فقال له: صر مع أخينا عرفطة وانظر إلى ما هم عليه واحكم بينهم بالحقّ، فقال: يا رسول الله وأين هم؟ قال: هم تحت الأرض، فقال أبو بكر: فكيف أطيق النزول تحت الأرض؟ وكيف أحكم بينهم ولا أحسن كلامهم، ثمّ التفت إلى عمر بن الخطّاب فقال له: مثل قوله لأبي بكر، فأجاب مثل جواب أبي بكر، ثمّ أقبل على عثمان، وقال له: مثل قوله لهما، فأجابه كجوابهما.

ثمّ استدعى بعليّ عليه السلام وقال له: يا عليّ صر مع أخينا عرفطة وتشرف على قومه وتنظر إلى ما هم عليه وتحكم بينهم بالحقّ، فقام أمير المؤمنين عليه السلام مع

عرفطة وقد تقلّد سيفه. قال سلمان (رضي الله عنه): فتبعتهما إلى أن صارا إلى الوادي فلمّا توسّطا، نظر إليّ أمير المؤمنين وقال: قد شكر الله تعالى سعيك يا أبا عبد الله فارجع، فوقفت أنظر إليهما، فانشقّت الأرض ودخلا فيها وعدت إلى ما كنت ورجعت وتداخلني من الحسرة ما الله أعلم به كلّ ذلك إشفاقاً على أمير المؤمنين.

وأصبح النبيّ وصلّى بالناس الغداة وجاء وجلس على الصفا وحفّ به أصحابه، وتأخّر أمير المؤمنين وارتفع النهار وأكثر الكلام إلى أن زالت الشمس وقالوا: إنّ الجنّي احتال على النبيّ وقد أراحنا الله من أبي تراب وذهب عنّا افتخاره بابن عمّه علينا، وأكثروا الكلام إلى أن صلّى النبيّ صلاة الأولى وعاد إلى مكانه وجلس على الصفا، وما زال مع أصحابه بالحديث إلى أن وجبت صلاة العصر، وأكثروا القوم الكلام وأظهروا اليأس من أمير المؤمنين.

فصلّى النبي صلاة العصر وجاء وجلس على الصفا وأظهر الفكر في أمير المؤمنين وظهرت شماتة المنافقين بأمير المؤمنين وكادت الشمس تغرب فتيقّن القوم أنّه قد هلك، إذا وقد انشقّ الصفا وطلع أمير المؤمنين منه وسيفه يقطر دماً ومعه عرفطة.

فقام إليه النبيّ وقبّل بين عينيه وجبينيه، وقال له: ما الذي حبسك عنّي إلى هذا الوقت؟ قال: صرت إلى جنّ كثير قد بغوا إلى عرفطة وقومه من المنافقين، فدعوتهم إلى ثلاث خصال فأبوا عليّ، وذلك أنّي دعوتهم إلى الإيمان بالله تعالى، والاقرار بنبوّتك ورسالتك فأبوا، فدعوتهم إلى أداء الجزية فأبوا، فسألتهم أن يصالحوا عرفطة، وقومه فيكون بعض المرعى لعرفطة وقومه وكذلك الماء فأبوا ذلك كلّه، فوضعت سيفي فيهم وقتلت منهم ثمانين ألفاً، فلمّا نظروا إلى ما حلّ بهم طلبوا الأمان والصلح، ثمّ آمنوا وصاروا إخوانا

وزال الخلاف ومازلت معهم إلى الساعة، فقال عرفطة: يا رسول الله جزاك الله وأمير المؤمنين ﷺ عنّا خيراً[1].

وفي هذا الحديث دلالات منها:

١ ـ أن كل من الجن له اسم وينتمي إلى أسرة، وهذا يدل على وجود تشابه في نمط العلاقات الداخلية بين الإنس والجن.

٢ ـ أن الإيمان والكفر سبب لقيام نزاعات وصراعات بين بعض جماعات الجن، وأن هؤلاء المؤمنين أقلية ولا تستطيع الانتصار بدون دعم خارجي، وهذا يساوق مع القاعدة أو أن أكثرية الجنِ هم على الكفر.

٣ ـ والدلالة الهامة هنا هو وصف الجان وفيه تنعدم الدلالة على كون هذا الوصف هل هو خاص بفرد أو جنس أو هو عام لجميع أفراد الجن، وهو كالآتي:

١ ـ وجود شعر كثير.

٢ ـ رأس طويل.

٣ ـ عينان طويلتان بطول الرأس.

٤ ـ صغير الحدقتان.

٥ ـ أسنان كأسنان السباع.

ولم يرد ذكر طول القامة أو قصرها وورد وصف لطريقة الحركة التي تشبه الزوبعة ولا دلالة على أن هذه الزوبعة هي شكل حركة فرد أو جماعة.

وفي النهاية إن هذا الوصف فيه اغفال لوصف بعض المعالم التي تبدو ضرورية لتكوين صورة كاملة عن شكل الجان لكنّه وصف الرأس بصورة واضحة. وفي النهاية لابدّ من الخروج بهذه النتيجة من خلال جمع الأوصاف الواردة في أكثر من حديث.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٠ ـ ٩٣.

فقد ورد عن ضخامة الجثة وطول العمر الرواية التالية:

جاء عن سهل بن عبد الله قال: كنت في ناحية ديار عاد إذ رأيت مدينة من حجر منقور في وسطها قصر من حجارة تأويه الجنّ، فدخلت فإذا شيخ عظيم الخلق يصلّي نحو الكعبة وعليه جبّة صوف فيها طراوة، فلم أتعجّب من عظم خلقته كتعجبي من طراوة جبّته، فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام، وقال: يا سهل إنّ الأبدان لا تخلق الثياب وإنّما تخلقها روائح الذنوب ومطاعم السّحت، وإنّ هذه الجبّة عليّ منذ سبعمائة سنة لقيت بها عيسى ﷺ ومحمّداً ﷺ فآمنت بهما، فقلت له: ومن أنت؟ قال: أنا من الذين نزلت فيهم: ﴿ قل أوحي إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجن ﴾ [1].

وفي هذه الرواية دلالات منها:

١ ـ ضخامة البدن بشكل ملفت للنظر.

٢ ـ أن الجن يلبسون الملابس وهي تعمر مثلهم.

٣ ـ أنهم ذوي أعمار طويلة.

٤ ـ أنّهم يسكنون المدن أو البيوت المهجورة.

ولا يبدو في شيء مما مرّ غرابة ما عدا طول عمر الجبة وهو ربما أشار إلى وجود طريقة لديهم لحفظ الملابس أو أنّها من صوف خاص ذلك أنّها إذا كانت من ملابس الجن فكيف أن تكون غير مرئية وهي من هذا الصوف وهو مرئي بالنسبة للبشر أو ربما لبسها الجني لأنّه كان قاصداً للظهور منذ البداية.

وعن جعفر بن محمد ،عن آبائه ﷺ أن إبليس كان يأتي الأنبياء ﷺ من لدن أدم ﷺ إلى أن بعث الله المسيح ﷺ يتحدث عندهم ويسائلهم ولم يكن بأحد منهم أشد أنساً منه بيحيى بن زكريا ﷺ فقال له يحيى: يا أبا مرة إن لي إليك حاجة ،فقال له: أنت أعظم قدراً من أن أردك بمسألة ،فسلني ما شئت ،فإني

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٨.

غير مخالفك في أمرٍ تريده، فقال يحيى: يا أبا مرة أحب أن تعرض علي مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم ،فقال له إبليس: حباً وكرامةً ،وواعده لغد فلما أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الموعد وأغلق الباب اغلاقاً فما شعر حتى ساواه من خوخة كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير وإذا عيناه مشقوقتان طولاً وإذا أسنانه وفمه مشقوقاً طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية وله أربعة أيد، يدان في صدره ويدان في منكبه، وإذا عراقبته قوادمه وأصابعه خلفه وعليه قباء قد شد وسطه بمنطقة فيها خيوط معلقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان وإذا بيده جرس عظيم ،وعلى رأسه بيضة ،وإذا في البيضة حديدة معلقة شبيهة بالكلاب[1].

فهذا الوصف إذا حمل على ظاهره فإنّه وصف لأحد أفراد الجن، ولكن حينما تسير حتى نهاية الحديث نرى أنّه وصف رمزي وأن كل جزء يعبر عن شيء من خصائص الجن، وإذا افترضنا أن كل شطر من الحديث لا علاقة له بالآخر يمكن أن نحمل كل شطر بمفرده، وهكذا فإن هذا الوصف سيكون وصفاً حقيقياً وليس رمزاً، ومن غير ذلك فإن الوصف سيكون رمزياً أيضاً ولكن كان يفترض أن يأتي تأويله كما أول الشطر الأول وهو غير موجود.

((إنّ الله تعالى لما سخّر الجن لسليمان عليه السلام نادى جبرائيل ،أيتّها الجن والشياطين أجيبوا بإذن الله تعالى لنبيه سليمان بن داود ،فخرجت الجن والشياطين من المفازات ومن الجبال والاكام والأودية والفلوات والآجام، وهي تقول: لبيك لبيك، تسوقها الملائكة سوق الراعي غنمه، حتّى حشرت لسليمان طائعة ذليلة، وهي يومئذٍ أربعمائة وعشرون فرقة، فوقفوا بين يدي سليمان فجعل ينظر إلى خلقها وعجائب صورها، وهم بيض وسود وصفر

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/٢٢٤.

وشقر وبلق، على صورة الخيل والبغال والسباع ولها خراطيم وأذناب، وحوافر وقرون ،فسجد سليمان لله تعالى، وقال: اللهمّ ألبسني من القوة والهيبة ما أستطيع النظر إليهم فأتاه ،جبرئيل وقال: إن الله تعالى قوّاك عليهم قم من مكانك فقام والخاتم في إصبعه فخرت الجن والشياطين ساجدة ،ثم رفعت رؤوسها وقالت: يا بن داود إنّا قد حشرنا إليك وأمرنا لك بالطاعة، فجعل سليمانﷺ يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم وهم يجيبونه، فقال لهم: ما لكم صوركم مختلفة وأبوكم الجان واحد؟ فقالوا: إن اختلاف صورنا لاختلاف معاصينا، وطاعتنا لإبليس واختلاطه بنا ومناكحتنا معِ ذريته.

ولما رد الله تعالى على سليمانﷺ ملكه أمر الريح الصرصر ،حتى حشرت إليه شياطين الدنيا، فرآهم سليمانﷺ على صورة عجيبة، منهم من كانت وجوههم إلى أقفيتهم ويخرج النار من فيه، ومنهم من كان يمشي على أربع، ومنهم من كان له رأسان، ومنهم من كانت رؤوسهم رؤوس الأسد وأبدانهم أبدان الفيلة.

فرأى سليمانﷺ شيطاناً نصفه صورة الكلب ونصفه صورة السنور وله خرطوم طويل، فقال له: من أنت؟ فقال: أنا مهر بن هفان بن فيلان، فقال سليمان: ما عندك من الأعمال؟ فقال: عندي عمل الغناء وعصر الخمر وشربه ،وأزين الشرب والغناء لبني آدم، فأمر بتصفيده. ثم مر به آخر،أسود له سمج الكلاب ،والدم يقطر من كل شعرة على بدنه وهو قبيح الشكل جداً، فقال له: من أنت؟ قال: أنا الهلهال بن المحول، فقال له: ما عملك؟ فقال: سفك الدماء، فأمر بتصفيده، فقال: يا نبي الله لا تقيدني فإني أحشر إليك جبابرة الأرض، وأعطيك العهد والميثاق أن لا أفسد في مملكتك ،فأخذ عليه الميثاق وختم على عنقه وأطلقه.

ومرّ به آخر على صورة قرد له أظافر كالمناجل وهو قابض على بربط، فقال له: من أنت؟ فقال أنا مرة بن الحارث ،فقال له: ما عملك؟ فقال: أنا أول من وضع هذا البربط وحركها ،فلا يجد أحد لذة الملاهي إلا بي ،فأمر بتصفيده))[1].

وعلى هذا فإن مملكة الجان أشد تنوعاً من مملكة الحيوان، فكما أننا نجد حيواناً وحيد الخلية وحيواناً ضخماً كالديناصور والفيلة، وأشكال متنوعة المظاهر والأحجام، ومتنوعة أساليب التكاثر والتغذية فإن عالم الجن كذلك، كما يستفاد من هذه الأحاديث ولعل الحديث الوارد عن النبي الذي يقول: «خلق الله الجن خمسة أصناف صنف حيّات، وصنف عقارب، وصنف حشرات وصنف يطيرون في الهواء، وصنف كبني آدم»[2]، ربما يشير إلى هذا التنوع فهناك الزواحف {الحيّات] والحشرات [عقارب وحشرات] وصنف الطيور [يطيرون في الهواء] [وصنف كبني آدم] وهؤلاء ربّما أرقى هذه الأنواع. ويمكننا أن نفهم أن هذه الحيّات لها شبه بحيات [الحيوان] في بعض المظاهر ولكن لا يعني أنّها حيّات مثلها وكذلك البقية.

وإذا كان الأمر كذلك فإن عالم الجن سيكون عالماً بنفس الفناء وله وضعه الخاص في حياته وتغذيته، وكما أنه يشترك مع العالم الذي يعيش به الإنسان في نقاط الاشتراك، ولهذا لا بدّ لنا أن نحمل جميع ما مرّ على أنّها أوصاف تقريبية وليست أوصافاً دقيقة مع تفاوت كبير هو أن الجان يمتلك قدرة على الظهور بأكثر من شكل، وكما يبدو ليس جميع الجان هكذا بل بعضهم كما يمكننا أن نتصور أن هناك أجناس بائدة فبعض الأوصاف تأريخية خاصة بعصر سليمان عليه السلام وبعض آخر موجودة لحدّ الآن.

---

(١) عجائب الملكوت: ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

(٢) المصدر نفسه: ٣٩١.

ويورد المصنف هنا وصفاً للجن يمثل خلاصة آراء بعض العلماء وهي كمايلي:

اختلفوا في أنّ الجنّ هل يعلمون الغيب؟ وقد بيّن الله تعالى في كتابه أنّهم بقوا في قيد سليمان عليه السلام وفي حبسه بعد موته مدّة وهم ما كانوا يعلمون موته، وذلك يدلّ على أنّهم لا يعلمون الغيب، ومن الناس من يقول: إنّهم يعلمون الغيب، ثمّ اختلفوا فقال بعضهم: إنّ فيهم من يصعد إلى السماوات أو يقرب منها ويتلقّى بعض تلك الغيبوب على ألسنة الملائكة، ومنهم من قال: إنّ لهم طرقاً أخرى في معرفة الغيوب عن الله تعالى.

واعلم أن فتح الباب في مثل هذه المباحث لايفيد إلاّ الظنون والحسبانات، والعالم بحقائقها هو الله سبحانه وتعالى.

وقال أيضاً في تفسير سورة الجنّ: اختلف الناس قديماً وحديثاً في ثبوت الجنّ ونفيه، فالنقل الظاهر عن أكثر الفلاسفة إنكاره، وذلك لأنّ أبا عليّ بن سينا قال في رسالته في حدود الأشياء: الجن حيوان هوائي متشكّل بأشكال مختلفة، ثم قال: وهذا شرح للإسم.

فقوله: فهذا شرح للإسم، يدلّ على أنّ هذا الحد شرح المراد من هذا اللفظ وليس لهذه الحقيقة وجود في الخارج.

وأمّا جمهور أرباب الملل والمصدّقين للأنبياء عليهم السلام فقد اعترفوا بوجود الجنّ واعترف به جمع عظيم من قدماء الفلاسفة وأصحاب الروحانيات ويسمّونها بالأرواح السفليّة، وزعموا أنّ الأرواح السفليّة أسرع إجابة إلاّ أنّها أضعف، وأمّا الأرواح الفلكيّة فهي أبطأ إجابة إلاّ أنّها أقوى.

واختلف المثبتون على قولين: فمنهم من زعم أنّها ليست أجساماً ولا حالة في الأجسام بل هي جواهر قائمة بأنفسها، قالوا: ولا يلزم من هذا أن يقال: إنّها تكون مساوية لذات الله لأنّ كونها ليست أجساماً ولا جسمانيّة

سلوب، والمشاركة في السلوب لا تقتضي المساواة في الماهيّ، قالوا: ثمّ إنّ هـذه الذوات بعد اشتراكها في هذه السلوب أنواع مختلفة بالماهيّة كاختلاف ماهيّات الأعراض بعد استوائها في الحاجة إلى المحلّ، فبعضها خيّرة وبعضها شريرة، وبعضها كريمة حـرّة محبّة للخيرات، وبعضها دنيئة خسيسة محبّة للشرور والآفات، ولا يعرف عدد أنواعهم وأصنافهم إلاّ الله تعالى، قالوا: وكونها موجودات مجرّدة لا يمنع من كونها عالمة بالخيرات قادرة على الأفعال، فهذه الأرواح يمكنها أن تسمع وتبصر وتعلم الأفعال الخيّرة، فيفعل الأفعال المخصوصة، ولمّا ذكرنا أنّ ماهياتها مختلفة لا جرم لا يبعد أن يكون في أنواعها ما يقدر على أفعال شاقة عظيمة يعجز عنها قدرة البشر، ولا يبعد أيضاً أن يكون لكلّ نوع منها تعلّق بنوع مخصوص من أجسام هذا العالم، وكما أنّه دلت الدلائل الطبيعية على أنّ التعلق الأوّل للنفس الناطقة التي ليس للإنسان إلاّ هي، هي الأرواح وهي أجسام بخاريّة لطيفة تتولد من ألطف أجزاء الدم وتتكوّن في الجانب الأيسر من القلب، ثم بواسطة تعلّق النفس بهذه الأرواح تصير متعلّقة بالأعضاء التي تسري فيها هذه الأرواح ،لم يبعد أيضاً أنّه يكون لكلّ واحد من هؤلاء الجن تعلّق بجزء من أجزاء الهواء، فيكون ذلك الجزء من الهواء هو المتعلّق الأوّل لذلك الروح، ثمّ بواسطة سريان ذلك الهواء في جسم آخر كثيف يحصل لتلك الأرواح تعلّق وتصرف في تلك الأجسام الكثيفة، ومن الناس من ذكر في الجن طريقة أخرى فقال: هذه الأرواح البشرية والنفوس الناطقة إذا فارقت أبدانها، ازدادت قوة وكمالاً بسبب ما في ذلك العالم الروحاني من انكشاف الأسرار الروحانيّة فإذا اتّفق أن حدث بدن آخر مشابه لّما كان لتلك النفس المفارقة من البدن فبسبب تلك المشاكلة يحصل لتلك النفس المفارقة تعلق ما بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة كالمعاونة لنفس ذلك البدن في أفعالها وتدبيرها لذلك البدن، فإن الجنسية علّة الضم،

فإن اتفقت هذه الحالة في النفوس الخيرة سمّي ذلك المعين ملكاً وتلك الاعانة إلهاماً، وإن اتفقت في النفوس الشريرة سميّ ذلك المعين شيطاناً وتلك الإعانة وسوسة[١].

من الواضح إن بعض العلماء ورغم اعتقادهم بوجود الجن كان من الصعب عليهم الجمع بين القول بوجود ما هو غائب ولذلك عمدوا إلى الجمع بين الغياب والوجود عن طريق القول بأنّهم جواهر وليس أجسام وكأن القول بالجسمية سيقترن بالرؤية وبعد ذلك أثبتوا لها الصفات الواردة عن طريق الآيات والأخبار فهم يعترفون بعد نفي الجسمية بأن الجن أصناف وليس صنفاً واحداً وأنّها أيضاً عالمة بالخيرات قادرة على الأفعال، فهذه الأرواح يمكنها أن تسمع وتبصر غير أنّ هذا كله كما يبدو هروب من الخفي إلى الأخفى فالقول أنّهم أرواح تعريف بالأخفى لأن الروح شيء مجهول. فإن كانت الروح مجردة عن الجسم المادي فهل أنها مجردة عن جسم روحي أيضاً؟ أم أن ذلك لا يعد من الأجسام ؟ وأن هذا اللفظ خاص بالموجودات المادية ولكن الروح باعتبار أنّها قادرة على أداء فعاليات فهل أن هذه القدرة ناشئة عن تركز الطاقة في بؤر معينة وأنها مركبة من أجزاء باعتبار أن الحالة الصمدانية خاصة بالله تعالى وفي النتيجة لابدّ من افتراض نوع من العلائق الخاصة التي يمكن بشيء من التقريب اطلاق لفظة جسم [روحي] عليها.

وعلى هذا لا موجب لفرض نفي الجسمية بالنسبة لغير المرئيات ولو على غرار ما هو قائم لدى الملائكة مع تفاوت بالطبع باعتبار درجة التجرد، إذ لابد من افتراض وجود طبقات في الرقة واللطافة تفترض اختلاف أساسي بين المخلوقات الغيبية فضلاً عن الاختلافات في أصل التركيب، فمثلاً أن الملائكة عبارة عن قوة ادراك ولها جسم لأداء الفعاليات باعتبارها كائنات حيّة، أمّا

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٤٠ ـ ٣٤٢.

بالنسبة للجان فإنّها مركبة من عقل وشهوة وهذا يفترض كثافة أكبر لكي تكون هناك مراكز للشهوة كما هو موجود في أجسام البشر ثم ارتباط بين مراكز العقل ومراكز الشهوة في تناسق لكي تحصل وحدة البناء تشكيلاً لكل واحد هو جسم الجان.

وبدون هذه الفرضية لا يمكن لنا إلاّ أن نفترض وجود رابطة بين أجزاء الكائنات الغيبية وأن هذه الرابطة خاصة بالأجسام المادية كأجسام الحيوان، ولهذا فإننا نستطيع تخيل الشكل غير المادي للعقل + الشكل غير المادي + الشكل المادي لهما أي أن الحياة المادية هي عبارة عن طبقات ثلاثة طبقة الجسم المادي الكثيف وطبقة أقل كثافة ثم الطبقة الأقل وربما هنا طبقة الأخف من هذه للثلاثة وهي الروح بناء على أن الروح هي العنصر الذي أضيف إليها جميعاً منحها صفة الحياة ولكنها حياة تكتسي من كل طبقة عناصر جديدة وتفقد عناصر أخرى.

وهناك أيضاً القائلون بوجود الأجسام وجاء فيه مايلي:

والقول الثاني في الجنّ أنّهم أجسام، ثم القائلون بهذا المذهب اختلفوا على قولين: منهم من زعم أنّ الأجسام المختلفة في ماهيّاتها، إنّما المشترك بينها صفة واحدة وهي كونها بأسرها حاصلة في الحيّز والمكان والجهة، وكونها موصوفة بالطول والعرض والعمق، وهذه كلّها إشارة إلى الصفات، والاشتراك في الصفات لا يقتضي الاشتراك في تمام الماهيّة لما ثبت أنّ الأشياء المختلفة في تمام الماهيّة لا يمتنع اشتراكها في لازم واحد، قالوا: وليس لأحد أن يحتجّ على تماثل الأجسام بأن يقال: الجسم من حيث أنّه جسم له حدّ واحد وحقيقة واحدة، فيلزم أن لايصل التفاوت في ماهيّة الجسم من حيث هو جسم، بل إن حصل التفاوت حصل في مفهوم زائد على ذلك، وأيضاً فلأنه يمكننا تقسيم الجسم إلى اللطيف والكثيف والعلويّ والسفليّ، ومورد التقسيم

مشترك بين الأقسام فالأقسام كلّها مشتركة في الجسمية، والتفاوت إنّما يحصل بهذه الصفات وهي اللطافة والكثافة وكونها علويّة وسفليّة، قالوا: وهاتان الحجّتان ضعيفتان.

أمّا الحجّة الأولى فلأنا نقول: كما أنّ الجسم من حيث أنّه جسم له حدّ واحد وحقيقة واحدة، فكذا العرض من حيث أنّه عرض له حدّ واحد وحقيقة واحدة، فيلزم منه أن تكون الأعراض كلّها متساوية في تمام الماهيّة، وهذا مما لا يقوله عاقل، بل الحقّ عند الفلاسفة أنه ليس للأعراض البتّة قدر مشترك بينها من الذاتيّات، إذ لو حصل بينها قدر مشترك لكان ذلك المشترك جنساً لها، ولو كان كذلك لما كانت التسعة أجناساً عالية بل كانت أنواع جنس واحد.

إذا ثبت هذا فنقول: الأعراض من حيث أنّها أعراض لها حقيقة واحدة، ولم يلزم من ذلك أن يكون بينها ذاتيّ مشترك أصلاً، فضلاً عن أن تكون متساوية في تمام الماهيّة، فلم لا يجوز أن يكون الحال في الجسم كذلك، فإنّه كما أنّ الأعراض مختلفة في تمام الماهية، ثمّ إنّ تلك المختلفات متساوية في وصف عارض، وهو كونه عارضاً لموضوعاتها، فكذا من الجائز أن يكون ماهيّات الأجسام مختلفة في تمام ماهياتها، ثمّ إنّها تكون متساوية في وصف عارض وهو كونها مشاراً إليها بالحسن وحاصلة في الحيّز والمكان، وموصوفة بالأبعاد الثلاثة، فهذا الاحتمال لا دافع له أصلاً.

وأمّا الحجّة الثانية وهي قولهم: إنّه يمكن تقسيم الجسم إلى اللطيف والكثيف فهي أيضاً منقوضة بالعرض، فإنّه يمكن تقسيم العرض إلى الكيف والكم ولم يلزم أن يكون هناك قدر مشترك من الذاتي فضلاً عن التساوي في كل الذاتيات، فلم لا يجوز أن يكون الأمر هنا أيضاً كذلك؟ وإذا ثبت أنّه لا امتناع في كون الأجسام مختلفة ولم يدلّ دليل على بطلان هذا الاحتمال،

وحينئذ قالوا: لا يمتنع في بعض الأجسام اللطيفة الهوائيّة أن تكون مخالفة لسائر أنواع الهواء في الماهيّة، ثم يكون تلك الماهية تقتضي لذاتها علماً مخصوصاً وقدرة مخصوصة على أفعال عجيبة، وعلى هذا التقدير يكون القول بالجن ظاهر الاحتمال، وتكون قدرتها على الشكل بالأشكال المختلفة ظاهرة الاحتمال.

القول الثاني: قول من قال: الأجسام متساوية في تمام الماهيّة، والقائلون بهذا المذهب أيضاً فرقتان: الفرقة الأولى الذين زعموا أنّ البنية ليست شرطاً في الحياة وهذا قول الأشعريّ وجمهور أتباعه، وأدلّتهم في هذا الباب ظاهرة قويّة، قالوا: لو كانت البنية شرطاً في الحياة لكان إمّا أن يقال: إنّ الحياة الواحدة قامت بمجموع الأجزاء، أو يقال: قام بكلّ واحدة من الأجزاء حياة واحدة على حدة، والأوّل محال لأنّ حلول العرض الواحد في المحالّ الكثيرة دفعة واحدة غير معقول.

والثاني: أيضاً باطل لأنّ الأجزاء التي منها تألف الجسم متساوية والحياة القائمة بكلّ واحد منها متساوية للحياة القائمة بالجزء الآخر، وحكم الشيء حكم مثله، فلو افتقر قيام الحياة بهذا الجزء إلى قيام تلك الحياة بذلك الجزء يحصل هذا الافتقار من الجانب الآخر، فيلزم وقوع الدور، وهو محال، وإن لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ ثبت أنّ قيام الحياة بهذا الجزء لا يتوقّف على قيام الحياة الثّانية بذلك الجزء الثاني، وإذا بطل هذا التوقف ثبت أنّه يصح كون الجزء الواحد موصوفاً بالحياة والعلم وفي القدرة والارادة وبطل القول بأنّ البنية شرط، قالوا: وأمّا دليل المعتزلة وهو أنّه لابدّ من البنية فليس إلاّ الاستقراء، وهو أنّا رأينا أنّه متى فسدت البنية بطلت الحياة، ومتى لم تفسد بقيت الحياة، فوجب توقّف الحياة على حصول البنية، إلاّ أنّ هذا ركيك، فإن

الاستقراء لا يفيد القطع بالوجوب، فما الدليل على أنّ حال ما لم يشاهد كحال ما شوهد وأيضاً فلأنّ هذا الكلام إنّما يستقيم على قول من ينكر خرق العادات، أمّا من يجوزها فهذا لا يتمشّى على مذهبه، والفرق بينهما في جعل بعضها على سبيل العادة وجعل بعضها على سبيل الوجوب تحكّم محض لا سبيل إليه، فثبت أنّ البنية ليست شرطاً في الحياة وإذا ثبت هذا لم يبعد أن يخلق الله تعالى في الجوهر الفرد علماً بأمور كثيرة وقدرة على أشياء شاقّة شديدة وعند هذا ظهر القول بإمكان وجود الجنّ، سواء كانت أجسامهم لطيفة أو كثيفة، وسواء كانت أجرامهم كبيرة أو صغيرة.

القول الثاني: إنّ البنية شرط الحياة، وإنّه لا بدّ من صلابة في البنية حتّى يكون قادراً على الأفعال الشاقّة.

فهاهنا مسألة أخرى: وهي انّه هل يمكن أن يكون المرئي حاضراً، والموانع مرتفعة والشرائط من القرب والبعد حاصلة، و تكون الحاصلة سليمة، ثمّ مع هذا لا يحصل الادراك أو يكون هذا ممتنعاً عقلاً؟ أمّا الأشعري وأتباعه فقد جوّزوه، وأما المعتزلة فقد حكموا بامتناعه عقلاً، واستدلّ الأشعري على قوله بوجوه عقليّة ونقليّة أمّا العقليّة فأمران:

الأوّل: أنّا نرى الكبير من البعيد صغيراً، وما ذاك إلاّ أنّا نرى بعض أجزاء ذلك البعيد دون البعض، مع أنّ نسبة الحاسّة وجميع الشرائط إلى تلك الأجزاء المرئية كهي بالنسبة إلى الأجزاء التي هي غير مرئيّة، فعلمنا أنّ مع حصول سلامة الحاسة وحضور المرئي وحصول الشرائط وانتفاء الموانع لا يكون الإدراك واجباً.

الثاني: إنّ الجسم الكبير لا معنى له إلاّ مجموع تلك الأجزاء المتألفة، فإذا رأينا ذلك الجسم الكبير على مقدار من البعد فقد رأينا تلك الأجزاء، فأمّا أن تكون رؤية هذا الجزء مشروطة برؤية ذلك الجزء الآخر أو لا يكون، فإن كان

الأوّل لزم الدور، لأن الأجزاء متساوية، فلو افتقرت رؤية هذا الجزء إلى رؤية ذلك الجزء لافتقرت أيضاً رؤية ذلك الجزء إلى رؤية هذا الجزء، فيقع الدور، وإن لم يحصل هذا الافتقار فحينئذ رؤية الجوهر الفرد على القدر من المسافة تكون ممكنة.

ثمّ من المعلوم أنّ ذلك الجوهر الفرد لو حصل وحده من غير أن ينضم إليه سائر الجواهر فإنّه لا يرى، فعلمنا أنّ حصول الرؤية عند اجتماع جملة الشرائط لا يكون واجباً بل جائزاً.

وأمّا المعتزلة فقد عولّوا على أنّا إن جوزّنا ذلك لجوزّنا أن يكون بحضرتنا طبلات وبوقات ولا نراها ولا نسمعها، وإذا عارضناهم بسائر الأمور العادية وقلنا لهم فجوزّواأن يقال: انقلبت مياه البحار ذهباً وفضّة والجبال ياقوتاً وزبرجداً، وحصل في السماء حال ما غمضت العين ألف شمس وقمر، ثمّ كما فتحت العين أعدمها الله تعالى عجزوا عن الفرق، والسّبب في هذا التشويش أنّ هؤلاء المعتزلة نظروا إلى هذه الأمور المطّردة في مناهج العادات فزعموا أنّ بعضها واجبة، وبعضها غير واجبة، فلمّا لم يجدوا قانوناً مستقيماً ومأخذاً سليماً بين البابين تشوّش الأمر عليهم، بل الواجب أن يسوّي بين الكل فيحكم على الكلّ بالوجوب، كما هو قول الفلاسفة، أو على الكلّ بعدم الوجوب كما هو قول الأشعري، فأمّا التحكم في الفرق فهو بعيد.

إذا ثبت هذا ظهر جواز القول بالجنّ وأنّ أجسامهم وإن كانت كثيفة قويّة إلاّ أنّه لا يمتنع أن لا نراها وإن كانوا حاضرين، هذا على قول الأشعري فهذا هو تفصيل هذه الوجوه.

وأنا متعجّب من هؤلاء المعتزلة أنّهم كيف يصدّقون ما جاء في القرآن من إثبات الملك والجنّ مع استمرارهم على مذاهبهم، وذلك لأنّ القرآن دلّ على أنّ للملائكة قوّة عظيمة على الأفعال الشاقّة والجنّ أيضاً كذلك، وهذه القدرة لا تثبت إلاّ في الأعضاء الكثيفة الصلبة، فإذاً يجب في الملك والجنّ أن يكونوا

كذلك، ثمّ إنّ هؤلاء الملائكة حاضرون عندنا أبداً وهم الكرام الكاتبون والحفظة، ويحضرون أيضاً عند قبض الأرواح وقد كانوا يحضرون عند الرسول صلى الله عليه وآله، وإنّ أحداً من القوم ما كان يراهم، وكذلك الناس الجالسون عند من يكون في النزع لا يرون أحداً، فإن وجبت رؤية الكثيف عند الحضور فلم لا نراها؟ وإن لم تجب الرؤية فقد بطل مذهبهم، وإن كانوا موصوفين بالقوّة والشدّة مع عدم الكثافة والصلابة فقد بطل قولهم: إنّ البنية شرط الحياة، فإن قالوا: إنّها أجسام لطيفة ولكنّها للطافتها لا تقدر على الأعمال الشاقة، فهذا إنكار لصريح القرآن، وبالجملة فحالهم في الاقرار بالملك والجنّ مع هذه المذاهب عجيبة.

بيان: إنّما أوردت هذه الأقوال الركيكة لتطّلع على مذاهب جميع الفرق في ذلك، وقد عرفت ما دلّت عليه الآيات والأخبار المعتبرة، وأشرنا إلى ما هو الحقّ الحقيق بالاذعان ولم نتعرّض لتزييف الأقوال السخيفة حذراً من الأطناب.

قوله: فآذنوه ثلاثة أيّام، أي فأعلموه وأتمّوا الحجّة عليه، قال النووي: فإنّه إذا لم يذهب بالانذار علمتم أنّه ليس من عوامر البيوت ولا ممّن أسلم من الجنّ، بل هو شيطان فاقتلوه ولن يجعل الله له سبيلاً إلى الانتصار عليكم بثاره بخلاف العوامر وصفة الانذار ان يقول: أنشدكم بالعهد الذي اخذ عليكم سليمان أن تؤذونا وأن تظهروا لنا.

قالوا: لا تقتل حيّات المدينة إلاّ بالإنذار، وفي غيرها يقتل بغيره، بسبب أنّ طائفة من الجنّ أسلم بها، وقيل: النهي في حيّات البيوت في جميع البلاد، وما ليس في البيوت يقتل بدونه.

وفي بعض رواياتهم: «فليحرج عليها» قال في النهاية: قوله عليه السلام في قتل الحيّات: فليحرج عليها، هو أن يقول لها: أنت في حرج أي ضيق، إن عدت إلينا فلا تلومينا، إن ضيّق عليك بالتتبّع والطرد والقتل.

وقال النووي: يقول: أحرج عليك بالله واليوم الآخر أن لا تبدوا لنا ولا تؤذونا ولا تظهروا لنا . فإن لم يذهب أو عاد بعده فاقتلوه، فإنّه إمّا جنيّ كافر أو حيّة، وقوله: شيطان، أي ولد من أولاد إبليس أو حيّة[1].

وبدون الإطالة في هذا البحث لأنّه ثابت من خلال النصوص القرآنية إما مباشرة أو بالملازمة، ومن خلال الأوصاف التي ذكرها القرآن لهذه المخلوقات وهو أمر لا يحتاج إلى مزيد بيان، وهناك باقي معالم وجود الجان هي المهمة لأنّها تكمل تصورنا عن بناءه الجسمي وصفاته، ومنها ما قد ورد حول قدرة الجان على النفوذ وهو أمر يتوقف عليه نمط العلاقة بين الإنسان والجان ومنه مايلي:

## قدرة الجان على النفوذ:

المشهور أنّ الجنّ لهم قدرة على النفوذ في بواطن البشر، وأنكر أكثر المعتزلة ذلك، وأمّا المثبتون فقد احتجّوا بوجوه:

الأوّل: أنّه إن كان الجن عبارة عن موجود ليس بجسم ولا جسمانيّ، فحينئذ يكون معنى كونه قادراً على النفوذ في باطنه إنه يقدر على التصرف في باطنه ،وذلك غير مستبعد، وإن كان عبارة عن حيوان هوائيّ لطيف نفّاذ كما وصفناه كان نفاذه في باطن بني آدم غير ممتنع قياساً على النفس وغيره.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ *لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المس* ﴾[2].

الثالث: قوله ﷺ: إنّ الشيطان ليجري من بني آدم مجرى الدم.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٤٣ - ٣٤٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥.

أمّا المنكرون فقد احتجّوا بأمور: الأوّل قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي ﴾ (١) صرّح بأنّه ما كان له على البشر سلطان إلاّ من الوجه الواحد، وهو إلقاء الوسوسة والدعوة إلى الباطل.

والثاني: لا شكّ أنّ الأنبياء والعلماء المحققين يدعون الناس إلى لعن الشيطان والبراءة منه، فوجب أن تكون العداوة بين الشياطين وبينهم أعظم أنواع العداوة، فلو كانوا قادرين على النفوذ في بواطن البشر وعلى إيصال البلاء والشرّ إليهم لوجب أن يكون تضرّر الأنبياء والعلماء منهم أشدّ من تضرّر كلّ أحد، ولمّا لم يكن كذلك علمنا أنّه باطل(٢).

وهذا الأمر فيه خلاف أيضاً فالمجوز يرى أن الإنسان يمكن أن يكون مسكوناً من قبل الجن وهو أحد أوجه النفوذ، وهو يقضي أن جسم الجن يمكن أن يتداخل مع جسم الإنس دون أن يفقد أحدهما شيء من خصائصه، وهذا لابدّ أن يفهم بأن جسم الجان قادر على أن يتخلل جسم الإنسان وأن تتوزع مادته بين أجزاءه دون أن تفقد ترابطها، بحيث يتشظى وجود هذه القدرة يناقض ما مرّ من أن السيف قادر على بتر أعضاء الجان؛ لأن جسم الإنسان صلد بدرجة معينة مثل السيف ولو أنه حالة أقل، اللهم إلاّ أن نقول أن السيف يؤثر فيه لسرعة قاطعيته فيؤدي إلى انفصال الأجزاء وحاله حال النار التي تؤثر في أجسام الجان.

أما إذا قلنا أن النفوذية هذه رمزية بمعنى اطلاعه على نقاط تجعل من الشيطان قادر على اقناع الإنسان بأشياء يرفضها أصلاً ويعلم بأنها مضرّة وكأنّه قد سلبه العقل والإرادة، وهو أهم بعد من أبعاد الإنسانية في الإنسان وبذلك

---

(١) سورة ابراهيم: ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣١.

لا يكون نفوذاً حقيقياً بل أنه نفوذ من خلال رغبات الإنسان وأهواءه التي هي جزء من ذاته.

ومسألة التخلل يمكن تصورّها بناءً على أن المادة التي خلق منها الجان هي من قبيل الأشعة السينية أو أنواع أخرى من الأشعة التي تعبر الحواجز وهو ممكن طبعاً. وتوجد أحاديث مرت أشارت إلى أن الشيطان واعد يحيى عليه السلام ودخل عليه عبر النفوذ من الباب والجدار، فهذا الحديث من الأدلة على قدرة الشيطان على النفوذ عبر المواد الجامدة والإنسان أحدها، وبالتالي فإن قدرته على الوسوسة تكون أكبر لأنّه عندئذ سيكون كأنه الإنسان نفسه وليس شيء آخر من الخارج، ومن هنا فإن نفس النفوذ سيكون ذا مستويات فهو حيناً مجرد طرح ووسوسة لا يستجيب لها الإنسان بأي استجابة، وأحياناً استجابة ذات حد معين، وأحياناً الاستيلاء الكامل. وهناك حالة من حالات الاستيلاء الكامل هي حالة المس الذي تصفه الآية فتجعل الإنسان متخبطاً ولعلها هي حالة تخرج البشر عن حالة الاستواء وتجعله أقرب إلى حالة المرض، على أننا يجب أن لا ننسى أن أي درجة أخرى من درجات تسلط الشيطان هي أيضاً تعبر عن حالة مرضية جزئية ولذا يمكن أن نقول أن حالة المس هي حالة متدرجة، ولكنها تصل إلى أقصى مدياتها في وضع المس الموصوف بالتخبط.

غير أننا لا نعلم على وجه الدقّة كيفية حصول حالة المس أو الجنون وكيفية اختلافها عن حالات التسلط على شياطين الإنس رغم وجود أدعية وعوذات تمنع وقوع هذه الحالات عن طريق ابعاد الشيطان وشروره.

أما أسلوب النوم فقد جاء فيه:

في وصايا النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : يا عليّ النوم على أربعة: نوم الأنبياء على أقفيتهم، ونوم المؤمنين على أيمانهم، ونوم الكفّار والمنافقين على يسارهم، ونوم الشياطين على وجوههم[1].

وفي هذا الحديث بيان لطريقة نوم الشيطان ،وفي نفس الوقت يتضمن النهي عن اتّباع هذا الشكل من أشكال النوم ،ويدل قبل كلّ شيء على أنهم ينامون بمجرد الاقرار بهذه القضية ،فإنّه عنصر هام من عناصر التشابه مع البشر يتقرّر وهي قضية تعني الشيء الكثير ،فعلى صعيد العلاقات الداخلية فإنّ حياة الجن يجب أن تترتب بطريقة مشابهة لحياة البشر، أي أن جزء من الليل يخصص للنوم ثم يعني تعطل النشاط والحياة في هذا الجزء، وبالتالي فإن الشياطين لا بدّ لهم من العمل في نظام المناوبة ،فإن الشيطان الواحد لا بدّ أن يتخلّى عن قرينه ليأتي شخص آخر فيحل محله ،ويتم ترتيب الأمر بحيث يمارس كل منهما في فترة الاستراحة كافة فعاليات الحياة من الأكل والشرب والنوم والزواج والتوالد.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فمن وجدتم في الكتاب وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله؟ قال الهام بن ابليس: هو في التوراة «اليا» قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: هذا «اليا» هو عليّ وصيّي، قال الهام: يا رسول الله صلى الله عليه وآله فله اسم غير هذا؟ قال: نعم هو حيدرة، فلِمَ تسألني عن ذلك؟ قال: إنّا وجدنا في كتاب الأنبياء أنّه في الانجيل: «هيدارا» قال: هو «حيدرة» قال: فعلّمه عليّ عليه السلام سوراً من القرآن، فقال هام: يا عليّ يا وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله أكتفي بما علمتني من القرآن؟ قال: نعم يا هام قليل القرآن كثير، ثمّ قام هام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فودّعه فلم يعد إلى النبيّ صلى الله عليه وآله حتى قبض صلى الله عليه وآله[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٠.

بيان: قد يستدلّ بقوله: «قد أمرنا أن لا نكلّم» الخ، على أنّ ما يخبر به الناس من كلام الجنّ كذب ولا يسمع كلامهم غير الأنبياء والأوصياء ﷺ، وفيه نظر لأنّ كونهم مأمورين بذلك لا يدلّ على عدم وقوع خلافه، إذ الجنّ والشياطين ليسوا بمعصومين، مع أنّ في بعض روايات هذه القصّة «لا نطيع» مكان «لا نكلّم» وأيضاً الروايات الكثيرة ممّا أوردنا في هذا الباب وغيرها دلّت على وقوع التكلّم مع سائر الناس، فلابدّ من تأويل فيه، إمّا بحمله على الكلام على وجه الطاعة والانقياد أو معاينةً مع معرفة كونهم من الجنّ، أو بالتخصيص ببعض الأنواع منهم أو غير ذلك[1].

ولعل المراد بـ «لا نكلّم» أي الكلام في حال الظهور وليس الوسوسة والإيحاء إذ أن القرآن صريح بأنّ الجن يوحون للإنس وهي حالة عامة لجميع أفراد البشر ولا تختص بالأنبياء أو الأوصياء ﷺ، لأن الحالة التي بدأ فيها الكلام والسؤال كانت مع النبي ﷺ وحين حوله النبي إلى الإمام فإنّه لابدّ أن يبقى على نفس الحالة ولهذا جاء الاعتراض.

ثمّ إن صفة الطول المفرط كانت بارزة وهي شبيه بما مرّ في رواية سابقة [شبح عظيم الخلقة] الذي يتضمن الإشارة إلى الطول، وهذا يناقض أحاديث مرت من أنّهم صغار البنى. ويمكن رفع هذا التضاد إذا قلنا بوجود نوعين من البنى احداهما النوع الضخم والثاني النوع الصغير.

## طول عمر الجن:

ويدل عليه الحديث التالي:

قال أبو عبد الله ﷺ: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس، إذ أتاه رجل طويل كأنّه نخلة فسلّم عليه، فردّ عليه السلام وقال: يشبه الجنّ وكلامهم، فمن

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠١.

أنت يا عبد الله؟ فقال: أنا الهام بن الهيم بن لا قيس بن إبليس، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما بينك وبين إبليس إلاّ أبوان؟ فقال: نعم يا رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فكم أتى لك؟ قال: أكلت عمر الدنيا إلاّ أقلّه، أنا أيّام قتل قابيل هابيل غلام، أفهم الكلام وأنهى عن الاعتصام، وأطوف الأجسام وآمر بقطيعة الأرحام وأفسد الطعام، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس سيرة الشيخ المتأمّل والغلام المقبل.

فقال: يا رسول الله إنّي تائب، قال صلى الله عليه وآله: على يد من جرى توبتك من الأنبياء؟ قال: على يدي نوح عليه السلام وكنت معه في سفينته وعاتبته على دعائه على قومه حتّى بكي وأبكاني، وقال: لا جرم إنّي على ذلك من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين.

ثمّ كنت مع هود عليه السلام في مسجده مع الذين آمنوا معه فعاتبته على دعائه على قومه حتّى بكى وأبكاني، وقال: لا جرم إني على ذلك من النادمين وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ثمّ كنت مع إبراهيم عليه السلام حين كاده قومه فألقوه في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً، ثمّ كنت مع يوسف عليه السلام حين حسده إخوته فألقوه في الجبّ فبادرته إلى قعر الجبّ فوضعته وضعاً رفيقاً، ثمّ كنت معه في السّجن أؤنّسه فيه حتى أخرجه الله منه.

ثمّ كنت مع موسى عليه السلام وعلّمني سفراً من التوراة وقال: إن أدركت عيسى عليه السلام فاقرأه منّي السلام، فلقيته وأقرأته من موسى عليه السلام السّلام، وعلّمني سفراً من الإنجيل وقال: إن أدركت محمّداً صلى الله عليه وآله فاقرأه منّي السّلام، فعيسى عليه السلام يا رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ عليك السّلام، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: وعلى عيسى روح الله وكلمته وجميع أنبياء الله ورسله ما دامت السّماوات والأرض السّلام، وعليك يا هام بما بلغت السّلام، فارفع إلينا حوائجك.

قال: حاجتي أن يبقيك الله لأمّتك ويصلحهم لك ويرزقهم الاستقامة لوصيّك من بعدك، فإنّ الأمم السالفة إنّما هلكت بعصيان الأوصياء وحاجتي

يا رسول الله أن تعلَمني سوراً من القرآن أصلّي بها، فقال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: يا عليّ علِّم الهام وارفق به، فقال هام: يا رسول الله ﷺ من هذا الذي ضممتني إليه؟ فإنّا معاشر الجنّ قد أمرنا أن لا نكلّم إلاّ نبياً أو وصيّ نبي.

فقال له رسول الله ﷺ: يا هام من وجدتم في الكتاب وصيّ آدم؟ قال: شيث بن آدم، قال: من وجدتم وصيّ نوح؟ قال: سام بن نوح، قال: فمن كان وصيّ هود؟ قال: يوحنّا بن خزّان ابن عمّ هود، قال: فمن كان وصيّ إبراهيم؟ قال: إسحاق بن إبراهيم. قال: فمن كان وصيّ موسى؟ قال: يوشع بن نون، قال: فمن كان وصيّ عيسى عليه السلام؟ قال: شمعون بن حمون الصفا ابن عمّ مريم[1].

كما يلاحظ أن غلام الجن يولد ليمارس الضلال والإضلال وهو ما أشار إليه هذا الجني التائب في مطلع حياته وقبل التوبة.

ثم تأتي الدلالة الرئيسية وهي طول عمر هذا الجني لأنّه يقول: أكلت عمر الدنيا إلاّ قليل. وإنه عاصر عدد كبير من الأنبياء عليهم السلام وتعلّم منهم، وهذا يضعنا أمام تساؤل وهو هل أن طول العمر صفة عامة لجميع أفراد الجن أم أنه حالة خاصة مثل ما هو موجود عند البشر؟ حيث أن نوح عليه السلام كان من المعمرين وأن الإمام الغائب عجل الله فرجه كذلك معمر لكن معمر الجن يعمر إلى فترة طويلة كما عبّر عنها الحديث ويمكن أن نستفيد بأن عموم الجن أطول أعماراً من عموم الإنس وأن معمري الجن أطول أعماراً من معمري الإنس وبالتالي فإن ظاهرة وجود المعمرين من الجن أكثر بروزاً.

وفي النهاية فإن انكشاف الجن خاص ببعض الأنبياء وأوصياء الأنبياء عليهم السلام وهو يختلف عن حالة الظهور العابرة التي تحصل لبعض البشر في ظروف خاصة وربّما ظهر الجن للأنبياء فيتبعونهم ويتّبعون أوصياءهم من بعدهم.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٩ ـ ١٠٠.

أما القدرات البدنية فجاء فيها مايلي:

من الناس من أثبت لهذه الشياطين قدرة على الإحياء وعلى الإماتة وعلى خلق الأجسام وعلى تغيير الأشخاص عن صورتها الأصليّة وخلقتها الأوليَة ومنهم من أنكر هذه الأحوال. وقال: إنّه لا قدرة لها على شيء من هذه الأحوال، وأمّا أصحابنا فقد أقاموا الدلالة على أنّ القدرة على الإيجاد والتكوين والاحداث ليست إلا لله، فبطلت هذه المذاهب كلّها بالكليّة، وأمّا المعتزلة فقد سلّموا أنّ الإنسان قادر على إيجاد بعض الحوادث، فلا جرم صاروا محتاجين إلى بيان أنّ هذه الشياطين لا قدرة لها على خلق الأجسام والحياة، ودليلهم هو أنهم قالوا: الشيطان جسم، وكلّ جسم فإنّه قادر بالقدرة، والقدرة التي لنا لا تحصل لإيجاد الأجسام، فهذه مقدّمات ثلاث، فالمقدّمة الأولى أنّ الشيطان جسم، فقد بنوا هذه المقدّمة على أنّ ما سوى الله إمّا متحيّز وإمّا حال في المتحيّز، وليس لهم في إثبات هذه المقدّمة شبهة فضلاً عن حجّة.

وأمّا المقدّمة الثانية وهي قولهم: الجسم إنّما يكون قادراً بالقدرة، فقد بنوا هذا على أنّ الأجسام متماثلة، فلو كان شيء منها قادراً لذاته لكان الكلّ قادراً لذاته وبناء على هذه المقدّمة على تماثل الأجسام.

وأمّا المقدمة الثالثة وهي قولهم: هذه القدرة التي لنا لا تصلح لخلق الأجسام، فوجب أن لا تصلح القدرة الحادثة لخلق الأجسام وهذا أيضاً ضعيف، لأنّه يقال لهم: لم لا يجوز حصول قدرة مخالفة لهذه القدرة الحاصلة لنا، وتكون تلك القدرة صالحة لخلق الأجسام؟ فإنّه لا يلزم من عدم وجود الشيء في الحال امتناع وجوده[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ /٣٣٩-٣٤٠.

وجاء أيضاً في تفسير علي بن ابراهيم في قصة بلقيس قال: فارتحلت وخرجت نحو سليمان عليه السلام، فلما علم سليمان عليه السلام قدومها إليه قال للجن والشياطين: ﴿ *أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين ❖ قال عفريت من الجنّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنّي عليه لقويّ أمين* ﴾ [1] قال سليمان عليه السلام: أريد أسرع من ذلك فقال آصف بن برخيا: ﴿ *أنا آتيك به قبل أن يرتدّ إليك طرفك* ﴾ القصة[2].

ففي هذا الحديث دليل على أن الجن يمتلكون قدرات بدنية هائلة لكن لا يعلم إن كانت هذه القدرات خاصة بمن له علم من الكتاب - على قولٍ بأنه من الجن - أم أنّها مثل العمر الذي هو بصورة عامة أكبر من عمر البشر،وهناك أفراد من الجن لهم قدرات هائلة وأفراد تتضاعف قدراتهم بسبب الحصول على علم الكتاب.

## وصف عام

لا خلاف بين الإماميّة بل بين المسلمين في أنّ الجنّ والشياطين أجسام لطيفة يرون في بعض الأحيان ولا يرون في بعضها، ولهم حركات سريعة وقدرة على أعمال قويّة ويجرون في أجساد بني آدم مجرى الدم، وقد يشكّلهم الله بحسب المصالح بأشكال مختلفة وصور متنوّعة كما ذهب إليه السيّد المرتضى رضي الله عنه، أو جعل الله لهم القدرة على ذلك كما هو الأظهر من الأخبار والآثار.

قال صاحب المقاصد: ظاهر الكتاب والسنّة وهو قول أكثر الأمّة أن الملائكة أجسام لطيفة نورانيّة قادرة على التشكّلات بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقّة ـ وساق الكلام إلى قوله: ـ والجن أجسام

---

(١) سورة النمل: ٣٨-٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٠ ـ ٧١.

لطيفة هوائية متشكَل بأشكال مختلفة ويظهر منها أفعال عجيبة، منهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي والشّياطين أجسام نارية شأنها إلقاء النفس في الفساد والغواية بتذكير أسباب المعاصي واللذّات وإنساء منافع الطّاعات وما أشبه ذلك على ما قال تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿ **وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم** ﴾ [1] وقيل: تركيب الأنواع الثلاثة من امتزاج العناصر الأربعة إلاّ أن الغالب على الشيطان عنصر النار، وعلى الآخرين عنصر الهواء، وذلك أن امتزاج العناصر قد لا يكون على القرب من الاعتدال بل على قدر صالح من غلبة أحدهما، فإن كانت الغلبة للأرضية يكون الممتزج مائلاً إلى عنصر الأرض، وإن كانت للمائيّة فإلى الماء أو للهوائيّة فإلى الهواء أو للناريّة فإلى النار، لا يبرح ولا يفارق إلاّ بالاجبار، أو بأن يكون حيواناً فيفارق بالاختيار، وليس لهذه الغلبة حدّ معيّن بل تختلف إلى مراتب بحسب أنواع الممتزجات التي تسكن هذا العنصر، ولكون الهواء والنّار في غاية اللطافة والشفيف، كانت الملائكة والجنّ والشياطين بحيث يدخلون المنافذ والمضايق حتّى أجواف الإنسان ولا يرون بحسّ البصر إلاّ إذا اكتسبوا من الممتزجات الأخر التي تغلب عليها الأرضية والمائيّة جلابيب وغواشي فيرون في أبدان كأبدان الناس أو غيره من الحيوانات، والملائكة كثيراً ما تعاون الإنسان على أعمال يعجز هو عنها بقوّته كالغلبة على الأعداء والطّيران في الهواء والمشي على الماء، ويحفظه خصوصاً المضطرّين عن كثير من الآفات.

وأمّا الجنّ والشّياطين فيخالطون بعض الأناسيّ ويعاونونهم على السّحر والطّلسمات والنيرنجات، ثم تعرّض لدفع الشبهة الواردة على هذا القول وهي أنّ الملائكة والجنّ والشياطين إن كانت أجساماً ممتزجة من العناصر يجب أن

---

(١) سورة ابراهيم: ٢٢.

تكون مرئية لكلّ سليم الحسّ كسائر المركبات وإلاّ لجاز أن تكون بحضرتنا جبال شاهقة وأصوات هائلة لا نبصرها ولا نسمعها، والعقل جازم ببطلان ذلك على ما هو شأن العلوم العادية وإن كانت غلبته اللطيف بحيث لا تجوز رؤية الممتزج يلزم أن لا يروا أصلاً، وأن تتمزق أبدانهم وتنحلّ تراكيبهم بأدنى سبب، واللازم باطل لما تواتر من مشاهدة بعض الأولياء والأنبياء إيّاهم ومكالمتهم ومن بقائهم زماناً طويلاً مع هبوب الرّياح العاصفة والدخول في المضائق الضيّقة، وأيضاً لو كانوا من المركّبات المزاجيّة لكانت لهم صور نوعية وأمزجة مخصوصة تقتضي اشكالاً مختلفة كما في سائر الممتزجات، فلا يتصوّر لتصوّر بأشكال مختلفة.

والجواب: منع الملازمات: أما على القول باستناد الممكنات إلى القادر المختار فظاهر، لجواز أن يخلق رؤيتهم في بعض الأبصار والأحوال دون البعض، وأن يحفظ بالقدرة والإرادة تركيبهم ويبدّل أشكالهم.

وأمّا على القول بالإيجاب فلجواز أن يكون فيهم من العنصر الكثيف ما يحصل منه الرؤية لبعض الأبصار دون البعض ،وفي بعض الأحوال دون البعض، أو يظهروا أحياناً في أجسام كثيفة هي بمنزلة الغشاء والجلباب لهم فيبصروا ،وأن تكون نفوسهم أو أمزجتهم أو صورهم النوعيّة تقتضي حفظ تركيبهم عن الانحلال وتبدّل أشكالهم بحسب اختلاف الأوضاع والأحوال، ويكون فيهم من الفطنة والذكاء ما يعرفون به جهات هبوب الرّياح وسائر أسباب انحلال التركيب، فيحترزون عنها ويأوون إلى أماكن لا يلحقهم ضرر.

وأمّا الجواب بأنّه يجوز أن تكون لطافتهم بمعنى الشفافيّة دون رقّة القوام فلا يلائم ما يحكى عنهم من النفوذ في المنافذ الضيّقة والظهور في ساعة واحدة في صور مختلفة بالصغر والكبر ونحو ذلك.

ثمّ ذكر مذاهب الحكماء في ذلك فقال: والقائلون من الفلاسفة بالجنّ والشيطان زعموا أنّ الجنّ جواهر مجرّدة لها تصرّف وتأثير في الأجسام

العنصريّة من غير تعلّق بها تعلّق النفوس البشرية بأبدانها والشياطين هي القوى المتخيّلة في أفراد الإنسان من حيث استيلائها على القوى العقليّة وصرفها عن جانب القدس واكتساب الكمالات العقليّة إلى اتّباع الشهوات واللذات الحسيّة والوهميّة.

ومنهم من زعم أنّ النفوس البشرية بعد مفارقتها عن الأبدان وقطع العلاقة عنها إن كانت خيّرة مطيعة للدواّعي العقلية فهم الجنّ، وإن كانت شريرة باعثة على الشرور والقبائح معينة على الضلال والانهماك في الغواية فهم الشياطين. وبالجملة فالقول بوجد الملائكة والشياطين مما انعقد عليه اجماع الآراء ونطق به كلام الله تعالى وكلام الأنبياء﵈ وحكى مشاهدة الجنّ عن كثير من العقلاء وأرباب المكاشفات من الأولياء فلا وجه لنفيها كما لا سبيل إلى إثباتها بالأدلّة العقلية، ثمّ ذكر طريقة المتألهين من الحكماء وقولهم بالعالم بين العالمين وعالم المثال، وأنّهم جعلوا الملائكة والجنّ والشياطين والغيلان من هذا العالم[1].

## الشكل الثابت والمتغيّر

تشير بعض الآيات والأحاديث إلى أن للجن صوراً أصلية خلقهم الله بها وأنّها، ثابتة كجزء من وجودهم ولا يمكن أن يكون لموجود وجود ثابت بدون هذا الشكل حتى لو كان ثابتاً على التغير، كما في الغازات إذ أنّها تأخذ شكل الوعاء الذي توضع فيه وأنّها لو تركت حرة لتفرقت لعدم وجود رابطة تربط جزئيات الغاز بعضها بالبعض. أمّا بالنسبة للسوائل فإنّها كذلك تأخذ شكل الوعاء لكنّها أكثر تماسكاً من الغاز وأنّها أيضاً يمكن أن تتبدد إذا تركت بلا وعاء.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨٣ - ٣٨٥.

ولا يمكن لنا أن نفترض أن الجان يشبهون حالة الغازات أو حالة السوائل بل أنَهم أجسام، ولها أجهزة كالعقل والشعور والغرائز، ولهم نفوس تقترب كثيراً من نفوس البشر. وقد مرَ في بحث الجسميّة أنَهم أجسام ولابدَ من وجود روابط بين الأعضاء المختلفة وإلاّ انتفت حالة الجسمية.

غير أنّه وكما يبدو في الأحاديث أنّ الجن تمتلك قدرة على اختراق الحواجز، وهذا يعني عدم ثبات الشكل ولو لفترة قصيرة ثم توجد لها قدرة على الظهور بأشكال أخرى سوى الشكل الأصلي. وقد وردت نصوص تفيد أنَها تظهر بشكل حية ومنها ما يلي:

عن ابن عمر ،قال: كنت عند عثمان إذ جاءه رجل فقال: ألاّ أحدثك بعجب؟ قال: بلى. قال: بينما أنا بفلاة من الأرض رأيت عصابتين قد التقتا ثمّ افترقتا، قال: فجئت معتركهما قال: فإذا أنا من الحيات شيء ما رأيت مثله قطّ، وإذا ريح المسك أجده من حيّة منها صفراء دقيقة، وظننت أنّ تلك الرائحة لخير فيها فأخذتها فلففتّها في عمامتي ثمّ دفنتها فبينما أنا أمشي إذا منادياً ينادي: هداك الله إنّ هذين حيّان من أحياء الجنّ كان بينهما قتال، فاستشهدت الحيّة التي دفنت وهو من الذين استمعوا الوحي من رسول الله ﷺ[1].

فبحسب هذه الرواية أن النزاع بين طائفتين من الجنّ وأن أحد هذه الحيّات هي الحيّة التي أسلمت على يد رسول الله ﷺ ومن لفظ الشهادة نفهم أن المعركة بين الكفر والإيمان، وهذا يدل على أن الشكل الأصلي هو شكل الحيّة وهذا طبعاً لا يجوز؛ لأن الحيّة حيوان طيني ولا نستطيع ذلك إلا إذا قلنا أن عالم الجنّ فيه من الحيّات وحين رآها الراوي كانت قد اتخذت صورتها ولكنها غيرت الغياب إلى حضور وتحولت إلى حالة الظهور والشهود، وكما تدل الرواية التالية على نفس المضمون.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠١ - ٣٠٢.

عن صفوان بن المعطّل ،قال: خرجنا حجّاجا فلمّا كان بالعرج إذا نحن بحيّة تضطرب، فما لبث أن ماتت فلفّها رجل في خرقة فدفنها، ثمّ قدمنا مكّة فإنّا لبالمسجد الحرام إذ وقف علينا شخص فقال: أيّكم صاحب عمرو؟ قلنا: ما نعرف عمراً. قال: أيّكم صاحب الجان؟ قالوا: هذا، قال: أما إنّه آخر التسعة موتاً الذين أتوا رسول الله ﷺ يستمعون القرآن[1].

فالحيّة في حال النزع ثم ماتت ومن الواضح في حال من هذا النوع لابد للكائن من أن يظهر على صورته الحقيقية وهو يدلّ على نفس المضمون السابق.

كما أن المنع من الظهور بمظهر الحيّة يؤدي إلى اعتقاد البشر بأنّ هذه الحيّات هي ليست من الجنّ وأنّها من حيّات الطين. ومنعاً لهذه الاشكالات شرط الرسول ﷺ عليهم عدم الظهور كما في الحديث التالي:

عن عليّ بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :إذا رأيت حيّة في الطريق فاقتلها، فإنّي قد شرطت على الجنّ أن لا يظهروا في صورة الحيّات، فمن ظهر فقد أحلّ بنفسه.

بيان: قال في النهاية: فيه أحلّ بمن أحلّ بك، أي من ترك إحرامه وأحلّ بك فقاتلك فاحلل أنت أيضاً به وقاتله، وقيل: معناه إذا أحلّ رجل ما حرّم الله عليه منك فادفعه أنت من نفسك بما قدرت عليه، وفي كتاب أبي عبيد عن النخعي في المحرم يعدو عليه السّبع أو اللص أحل بمن أحلّ بك، وفيه أنت محلّ بقومك، أي أنّك قد أبحت حريمهم وعرّضتهم للهلاك[2].

أي أن عليهم الغياب أو الظهور بمظهر آخر لكي لا يقتلهم البشر إن كان بمقدورهم الظهور بمظهر آخر على أنّه كما يبدو أن هه الحالات قهرية وإلاّ فإن هؤلاء من مسلمي الجن وبالتالي فإنّهم سوف لا يخرقون شرطاً شرطوه

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٦.

للرسولﷺ ولذلك فإننا نجد أن ظهورهم بهذا المظهر جاء في حال معركة وقبل الوفاة وعند الطواف وهو ما دلّت عليه الرواية السابقة.

و ممّا يناسب ذلك ويؤيّده ماذكره شارح ديوان أمير المؤمنين في فواتحه حيث قال: نقل أستاذنا العلاّمة مولانا جلال الدين محمّد الدواني، عن الشيخ العالم العامل النقيّ الكامل السيّد صفيّ الدين عبد الرحمن الايجيّ أنّه قال: ذكر لي الفاضل العالم المتّقي شيخ أبو بكر، عن الشيخ برهان الدين الموصليّ، وهو رجل عالم فاضل صالح ورع، أنّا توجّهنا من مصر إلى مكّة نريد الحج، فنزلنا منزلاً وخرج علينا ثعبان فثار الناس إلى قتله، فقتله ابن عمّي: فاختطف ونحن نرى سعيه وتبادر الناس على الخيل والركاب يريدون ردّه فلم يقدروا على ذلك، فحصل لنا من ذلك أمرٌ عظيم.

فلمّا كان آخر النهار جاء وعليه السكينة والوقار فسألناه ما شأنك؟ فقال: ما هو إلاّ أن قتلت هذا الثعبان الذي رأيتموه فصنع بي ما رأيتم، وإذا أنا بين قوم من الجنّ يقول بعضهم: قتلت أبي، وبعضهم قتلت أخي، وبعضهم قتلت ابن عمّي، فتكاثروا عليّ وإذا رجل لصق بي، وقال لي: قل: أنا أرضى بالله وبالشريعة المحمديّة، فقلت ذلك، فأشار إليهم: أن سيروا إلى الشرع.

فسرنا حتّى وصلنا إلى شيخ كبير على مصطبة، فلمّا صرنا بين يديه قال: خلّوا سبيله وادّعوا عليه، فقال الأولاد: ندّعي عليه أنّه قتل أبانا، فقلت: حاش لله إنّا نحن وفد بيت الله الحرام نزلنا هذا المنزل فخرج علينا ثعبان فتبادر الناس إلى قتله فضربته فقتلته، فلمّا سمع الشيخ مقالتي قال: خلّوا سبيله، سمعت ببطن نخلة عن النبيّﷺ: من تزيّى بغير زيّه فقتل فلا دية ولا قود[1].

عن الشيخ الأجلّ البهيّ الشيخ بهاء الدين محمّد العاملي روّح الله روحه، عن المولى الفاضل جمال الدين محمود رحمه الله، عن أستاذه العلاّمة

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٦.

الدوّاني، عن بعض أصحابه أنه جرى عليه تلك الواقعة إلاّ أنّه قال: ذهبت إلى الخلاء فظهرت لي حيّة فقتلتها فاجتمع عليّ جمّ غفير وأخذوني وذهبوا إلى ملكهم وهو جالس على كرسيّ وادّعوا علي قتل والدهم وولدهم وقريبهم كما مرّ فسألني عن ديني فقلت: أنا من أهل الإسلام فقال: اذهبوا به إلى ملك المسلمين فليس لي أن أقضي عليهم بعهد من رسول الله.

فذهبوا بي إلى شيخ أبيض الرأس واللحية جالس على سرير، وقعت حاجباه على عينيه فرفعهما، ولمّا قصصنا عليه القصّة، قال: اذهبوا به إلى المكان الذي أخذتموه منه وخلّوا سبيله، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من تزيى بغير زيّه فدمه هدر، فجاءوا بي إلى هذا المكان وخلّوا سبيلي[1].

ولا تخرج عن هذه الدلالة الرواية التالية فإن الميت ظهر بصورة حيّة بينما زميله الآخر كلم الناس فقط ولم يظهر لهم. وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه.

## الظهور بمظهر حيّة

وذكر ابن أبي الدنيا عن رجل من التابعين أنّ حية دخلت عليه في خبائه تلهث عطشاً فسقاها ثمّ إنّها ماتت فدفنها، فأتي له من الليل فسلّم عليه وشكر وأخبر أنّ تلك الحيّة كانت رجلاً صالحاً من جنّ نصيبين اسمه زوبعة.

قال: وبلغنا من فضائل عمر بن عبد العزيز أنّه كان يمشي بأرض فلاة فإذا حيّة ميتة فكفّنها بفضلة من ردائه، فإذا قائل يقول: يا سرق أشهد لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لك: ستموت بأرض فلاة فيكفّنك ويدفنك رجل صالح، فقال: ومن أنت يرحمك الله؟ فقال: أنا من الجنّ الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وآله لم يبق منهم إلاّ أنا وهذا الذي قد مات.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٨.

وروى البيهقي في دلائله عن الحسن أنّ عمّار بن ياسر ،قال: قاتلت مع رسول الله ﷺ الإنس والجنّ فسئل عن قتال الجنّ فقال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى بئر أستقي منها فلقيت الشيطان في صورته حتّى قاتلني فصرعته ثم جعلت أدمي أنفه بفهر كان معي أو حجر فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: إنّ عمّاراً لقي الشيطان عند بئر فقاتله، فلمّا رجعت سألني فأخبرته الأمر، وكان أبو هيريرة يقول: إنّ عمّار بن ياسر أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ وهذا الذي أشار إليه البخاري بما رواه عن إبراهيم النخعي قال: ذهب علقمة إلى الشام فلّما دخل المسجد قال: اللهم ارزقني جليساً صالحاً، فجلس إلى أبي الدرداء ،فقال أبو الدرداء: ممن أنت؟ قال: من أهل الكوفة، قال: أليس فيكم أو منكم صاحب السرّ الذي لا يعلمه غيره؟ يعني حذيفة، قال: قلت: بلى، قال: أليس فيكم أو منكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيّه؟ يعني عمّاراً، قلت: بلى، قال: أليس فيكم أو منكم صاحب السوّاك أو السوار؟ قلت: بلى، قال: كيف كان عبد الله يقرأ: ﴿ ***والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلّى*** ﴾؟ قلت: ﴿ ***والذكر والأنثى*** ﴾ الحديث[1].

وجاء عن إبراهيم ،قال: خرج نفر من أصحاب عبد الله بن مسعود يريدون الحجّ حتّى إذا كانوا ببعض الطريق رأوا حيّة بيضاء تثني على الطريق يفوح منها ريح المسك، فقال: قلت لأصحابي: امضوا فلست ببارح حتّى أرى ماذا يصير إليه أمره، فما لبث أن ماتت فظننت به الخير لمكان الرائحة الطيّبة فكفنته في خرقة ثم نحّيتها عن الطريق وأدركت أصحابي في المتعشّى، قال: فو الله أنا لقعود إذ أقبل أربع نسوة من قبل المغرب، فقالت واحدة منهن: أيّكم دفن عمرو؟ فقلنا: من عمرو؟ فقالت: أيّكم دفن الحيّة؟ قال: قلت: أنا، قالت: أما والله لقد دفنت صوّاماً قوّاماً يؤمن بما أنزل الله، ولقد آمن بنبيّكم وسمع

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٠.

صفته في السّماء قبل أن يبعث بأربعمائة سنة، قال. فحمدت الله ثمّ قضينا حجّنا ثمّ مررت بعمر فأخبرته خبر الحيّة، فقال: صدقت سمعت رسول الله ﷺ يقول فيه هذا[١].

وهناك طائفة أخرى تفيد باتخاذ الجن أشكال ثابتة ظاهرة من أشكال الحيوانات وأبرزها شكل الكلب، فالرواية الأولى خصت السود منهم وفي الرواية الثانية عدد منها وهي مسوخ أو كما جاء في البيان أن أصل خلقتهم من الكلاب.

وهنا طبعاً نسأل إن كان الكلب من الجنّ فهل هناك كلاب من أصل حيواني كبقية المخلوقات أم أن جميع الكلاب هي من الجن؟ وهنا لابدّ أن يكون سبب معقول أدى إلى انعزال هذه المخلوقات عن بقية عالم الحيوان من أصل خلقته، وإن كان هناك أصل حيواني [تراب] وأصل جان [نار] فكيف حدث أن تحول الجان إلى هذا المظهر وأصبح شكلاً دائماً وتحوّل إلى مملكة التراب؟.

فهذه الأسئلة بمجموعها تبقى بلا أجوبة قطعية لأنّ الأحاديث لم تتضمن شرح، وهي كالعادة تبقى الكثير من الفراغات في كل ما تتعرض له. وفي النهاية لابدّ لنا من البناء على الفرضية السابقة وهي أن هذه المخلوقات هي من الجان وتظهر بصورتها الحقيقية القريبة من أشكال الحيوانات المعروفة كالحيّات والكلاب وهي طبعاً ليست حيات ولا كلاب ولكنها شبيهة بها. وبالنسبة للكلاب فقد جاء مايلي:

عن أبان عن زرارة عن أحدهما ﷺ قال: الكلاب السود البهم من الجنّ[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٣.

فهذا الحديث يشير إلى صنف من الكلاب بأنها من الجن .

وعن سالم بن أبي سلمة، عن أبي عبد الله ﷺ قال: سئل عن الكلاب فقال: كلّ أسود بهيم، وكلّ أحمر بهيم، وكلّ أبيض بهيم، فذلك خلق من الكلاب من الجنّ، وما كان أبلق فهو مسخ من الجن والإنس[1].

بيان: يحتمل أن يكون المعنى أن أصل خلق الكلب من الجنّ لما سيأتي أنّه خلق من بزاق إبليس، أو أنّه في الصفات شبيه بهم، أو أنّ الجنّ يتصوّر بصورتهم، أو أنّه لمّا كان الكلب من المسوخ فبعضهم مسخوا من الإنس وبعضهم من الجنّ.

فالحديث أشار إلى أن كل بهيم هو من الجنّ وأن هناك ما هو مسخ من البشر ومن الجان وفيه دلالة على أنه عودة بالكائن إلى حالة منحطة، فالبشر يمسخون إلى قردة وخنازير والجان أيضاً ينحطون إلى رتبة الكلاب الجنيّة وهي رتبة من الجن منحطّة. وهو ما يؤكّده الحديث التالي :

عن أبي عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الكلاب من ضعفة الجنّ فإذا أكل أحدكم طعاماً وشيء منها بين يديه، فليطعمه أو ليطرده، فإنّ لها أنفس سوء[2].

فهذا يشير إلى أنّها طبقة من طبقات الجن الضعيفة وأنّها تظهر بشكلها الحقيقي، وهي صورة الكلب الشبيه بالكلاب الطينية ولتعذر التميز بينهما كما في الحياة، فإننا لابد أن ننظر إلى الجميع بنفس النظرة من باب الاحتياط، غير أننا لابد أن نعلم أن المسوخ تموت بعد ثلاثة أيّام فإذا لم تمت فهذا ينقض الروايات التي تؤكد على أن المسوخ تموت وبالتالي فإنّها تبقى بشكلها الجديد وتتناسل.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٥.

وجاء عن أبي الربيع ،عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الأكراد حيّ من الجن كشف الله عنهم الغطاء فلا تخالطهم[١].

ومن الواضح أن هؤلاء هم قوم من الإنس ولكنهم لغلبة طباع الجن عليهم، وهو طبع العاطفة والعيش المنعزل إذ أنّهم يسكنون الجبال، إذ لا دلالة على أن زواج الإنس بالجن ينتج وإذا كان والدهم هو هبة الله بن آدم[٢] فهم يتّبعون أباهم لا أمهم وبالتالي فإنّهم بشر.

## التكاثر والحياة الجنسية

«يميز التكاثر المادة الحية عن المادة الجامدة»[٣] إذ أن الأحياء مزودة بآليات لتكرار إنتاج النوع، وهي عمليات تهدف إلى الحفاظ على البقاء ومنح النوع فرص أكبر للاستمرار من خلال زيادة عدد الأفراد بحيث تصمد من خلال الزيادة أمام عوامل الفناء، ثم أنها تعمل على انتاج النوع الأفضل الذي بدوره يؤدي إلى تحقيق أفضل فرص البقاء ومواكبة حركة الوجود وما يفرز من تغير عوامل الحياة والبيئة بما تعنيه في معناها الواسع.

وبمجرد أن تمتلك المادة آليات من هذا النوع فإنّها تدخل ضمن دائرة الحياة وتخرج عن دائرة الجماد، وبذلك تصبح آليات التكاثر ميزة رئيسية من مميزات الأحياء، إلاّ أن هذه الميزة ليست ذات نظام واحد، فإنّه يتفاوت بحسب طبيعة الكائن الحي مثلاً «عند الكائنات وحيدة الخلية يكون للانقسامات الخلوية هدف تكاثري بدرجة كبيرة أو صغيرة، وفي كل جيل فإنّ المعلومات الوراثية للبكتريا مثلاً والمتمثلة بخيط (DNA) الحاوي على عدة آلاف من

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٣.

(٢) راجع عجائب الملكوت: ٣٩٢.

(٣) مبادئ علم الوراثة: ٨.

المورثات (صبغي) يعاد استنساخها بموجب آلية خاصة ، ويتم تكاثر كثيرات الخلايا البسيطة بآليات مثل الانشطار أو البرعمة أو التوالد البكري أو غيرها مما ينضوي تحت اسم التكاثر غير الجنسي ،أما كثيرات الخلايا الراقية فتتكاثر بطريقة التكاثر الجنسي. وتستدعي هذه الطريقة تدخل آلية خاصة تدعى الإنقسام الخلوي المصنف الذي يعطي خلايا عروسية ذات صيغة صبغية أحادية ، ويتم التكاثر باندماج خليتين عروستين ،واحدة ذكرية وأخرى أنثوية [النطفة والبيضة] وتحمل كل عروس نفس العدد الصبغي»[1].

وعلى هذا الأساس يمكننا أن نفترض في البداية أن الجن ينتمون إلى طبقة الأحياء الراقية وبالتالي يفترض أن النظام التكاثري لها هو النظام الجنسي، وأن هناك أدلة نقلية تفيد أنّهم يتكونون من ذكور وأناث، كما توجد أدلة أخرى تؤكد على وجود أنظمة أخرى لتكاثر الجان. وهذا كله سنراه من خلال مايلي:

قال القمولي: لكن نقل في مناقب الشافعي: إنّه كان يقول: من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجنّ ردّت شهادته، وعزّر لمخالفته قوله تعالى: ﴿ ***إنّه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم*** ﴾[2] إلاّ أن يكون الزاعم نبيّاً، ويحمل قوله على من ادّعى رؤيتهم على ما خلقوا عليه، وقول القموليّ على ما إذا تصوروا صور بني آدم.

والمشهور أنّ جميع الجنّ من ذريّة إبليس، وبذلك يستدلّ على أنّه ليس من الملائكة، لأنّ الملائكة لا يتناسلون لأنّهم ليس فيهم إناث، وقيل: الجنّ جنس وإبليس واحد منهم، ولا شكّ أنّ لهم ذرية بنصّ القرآن ومن كفر من

---

(١) مبادئ علم الوراثة: ٨ - ٩.

(٢) سورة الأعراف: ٢٧.

الجنّ يقال له: شيطان، وفي الحديث: لمّا أراد الله تعالى أن يخلق لإبليس نسلاً وزوجة ألقى عليه الغضب فطارت منه شظيّة من نار فخلق منه امرأته.

ونقل ابن خلكان في تاريخه في ترجمة الشعبيّ أنّه قال: إنّي لقاعد يوماً إذ أقبل جمّال ومعه دنّ فوضعه ثمّ جاءني فقال: أنت الشعبيّ؟ قلت: نعم، قال: أخبرني هل لإبليس زوجة؟ فقلت: إنّ ذلك العرس ما شهدته، قال: ثمّ ذكرت قوله تعالى: ﴿أفتتّخذونه وذرّيّته أولياء من دوني﴾[1] فقلت: إنّه لا يكون ذريّة إلاّ من زوجة، فقلت: نعم، فأخذ دنّه وانطلق، قال: فرأيته يختبرني.

وروي أنّ الله تعالى قال لإبليس: لا أخلق لآدم ذريّة إلاّ ذرأت لك مثلها فليس أحد من ولد آدم إلاّ وله شيطان قد قرن به.

وقيل: إنّ الشياطين فيهم الذكور والإناث يتوالدون من ذلك[2].

فعلى هذا الأساس فإن كون الجن وإبليس جن آخر يحتمل اختلاف نظام التكاثر بين إبليس، وبين الجن أما إذا كانوا جميعاً جنساً واحد فإن نظام التكاثر سيكون موحداً بالنسبة لهم باعتبارهم إما جميعاً ذرية الجان أو جميعاً ذرية إبليس، وهناك عدد من التأويلات حول خلق زوجة إبليس هذا الذي ورد في النص أحدها، فهي مثل زوج آدم التي ورد أنّها خلقت من ضلعه، وهو كما يبدو فهم خاص للروايات بأن المرأة خلقت من ضلع اعوج فإن حاول تعديلها فإنه يؤدي إلى كسرها، وهو تصوير رمزي بخصوصية المرأة وليس بيان لمادة الخلق إذ أن القرآن سكت عن خلق حواء وبين كيفية خلق آدم عليه السلام ولهذا فإن خلق حواء ظل مورد بحث، وهذا نفسه بالنسبة لافتراض زوج الجان أو زوج إبليس، وبالتالي لا ندري هل أن هذه التفسيرات والروايات جاءت لعلاج هذه الثغرة أم أنّها أنظمة تكاثر متنوعة؟ وبناءً على

---

(١) سورة الكهف: ٥٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٥ - ٣٠٦.

كلّ من هذين الاحتمالين فإن الحالة تتفاوت. غير أنّ بعض الروايات بينت أن عملية الخلق كانت متساوية بالنسبة للذكور والإناث، وأن خلق زوج الجان كان مقارناً لخلق الجان نفسه ،ومنها مايلي: «سُئل الصادق عليه السلام عن خلق آدم كيف خلقه الله تعالى؟ قال: إن الله تعالى لما خلق السموم من نار لا حر لها ولا دخان ،فخلق منها الجان، فذلك معنى قوله تعالى : ﴿ *والجان خلقناه من قبل من نار السموم* ﴾ [١] سماه مارجاً ،وخلق منه زوجة سماه مارجة ،فواقعها فولدت الجان ،ولذا سمّاه الجن ومنه تفرعت قبايل الجن، ومنهم إبليس اللعين، وكان يولد للجان الذكر والأنثى ويولد الجن توأمين ، فصاروا تسعين ألفاً ذكراً وأنثى وازدادوا حتى بلغوا عدد الرمال، وتزوج إبليس بامرأة من الجان يقال لها لهاليا بنت روحا ابن سلساسل فولدت منه ببلقيس وطونه في بطن واحد، ثم فقطس وفقطسه في واحد ،فكثروا أولاد إبليس حتى صاروا لا يحصون»[٢].

ففي هذا النص تأكيد على أن الله خلق زوجاً بكيفية واحدة وأن هذا الزوج وقع بينهما اللقاء وتناسلا حتى كثرت ذريتهما، وهو الأرجح لولا وجود نصوص اخرى تؤكد على أن هناك نظام تكاثر [خنثوي] وهو الآتي:

وأمّا إبليس فإنّ الله تعالى خلق له في فخذه اليمنى ذكراً وفي اليسرى فرجاً، فهو ينكح هذه بهذا فيخرج له كلّ يوم عشر بيضات[٣].

وهذا ممكن بناءً على وجود أنظمة تكاثر متعددة لكن عليه عدة مواخذات، منها أن هذا النظام خاص بالكائنات المتدنية ثم يحتاج البيض إلى حضانة، وهذا يعني أنّه شبيه بحالة الطيور. وهو ما أكده المقطع الوارد في بحار الأنوار إذ جاء مايلي: «وأمهم طرطبه وقال النقاش: بل هي حاضنتهم ،ويقال

---

(١) سورة الحجر: ٢٧.

(٢) عجائب الملكموت: ٣٨٧.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٦.

أنَه باض ثلاثين بيضة: عشراً في المشرق ،وعشراً في المغرب ،وعشراً وسط الأرض، وأنّه خرج من كل بيضة جنس من الشياطين، كالعفاريت والغيلان والقطاربه والجان وأسماء مختلفة ،كلهم عدو لبني آدم»[١].

وهذا طبعاً ليس مستحيلاً إذا افترضنا أن إبليس هو أبو الجان وأنَه يمثل الحلقات المتدنية من نظام حياة الجن، وأنّه بالنسبة للجان كما هو الحيوان بالنسبة للإنسان، وهذا طبعاً يناقض كونه القطب المقابل لآدم وهو صاحب التكليف. بينما هناك أدلّة تشير إلى أن إبليس حلقة متقدمة من الجان وأنّه سبق آدم وأنّه ليس ابناً للجن، وذلك لأنّ الله نسبه إلى الجان بقوله إنّ إبليس كان من الجن ولم ينسب الجن إلى أحد بل نسبهم إلى النار مثلما نسب آدم إلى الطين، وهذا يدل عليه انه من الأجناس المتأخرة، وكما هو معروف أن الأجناس الخنثية هي غالباً موجودة لدى الديدان، منها دودة الأرض أو دودة «الوريقة الكبدية» وهو حيوان طفيلي.

إن «الوريقة الكبدية خنثوية تشتمل على أعضاء الجهاز الذكري والأنثوي»[٢]، غير أنّ هذا لا يعني أن كل حيوان يقوم بتلقيح نفسه بل يحتاج إلى حيوان آخر ليلقحه، فالأجهزة الذكرية يلقح المقابل الأنثوي والأجهزة الأنثوية تستقبل تلقيح المقابل الذكري، وبعدها توضع البيوض لتكمل دورة الحياة إما داخل الحيوان أو خارجه في الأرض أو في جسم الحيوان المضيف.

وإذا قبلنا هذا فهو يعني أن ذرية إبليس خنثوية وليست ذكرية وهي تتوالد بهذه الطريقة ولعل هذا النظام خاص به دون بقية الجان الذي وردت أدلّة تفيد أنّهم مكونون من إناث وذكور.

وبما في ذلك الجزء الذي أفاد بوجود حاضنة للبيضة وهي طرطية وهي من بنات إبليس، فوجود الحضانة وهو نظام متطور خاص بالطيور، وهي

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٧.

(٢) التطبيقات العملية في علم الحياة الحيوانية: ١٠٨.

حيوانات ثنائية الجنس وليست أحادية الجنس بينما النظام الخنثوي هو نظام أقل تطوراً خاص بالديدان.

ولا يمكن لنا افتراض هذه الأمور إلاَ بناءً على وجود تعدد في الأجناس وهو الذي أشار إليه المقطع الذي مرّ وقال: وأنّه خرج من كل بيضة جنس من الشياطين، وهو معناه أن جميع المذكورين هم من ذرية إبليس وأنّهم جميعاً شياطين، وأن إبليس بالتالي هو الذي له النظام المذكور من أنظمة التكاثر.

فمن المعلوم أن الأحياء المخلوقة من الطين تتكاثر بطريقتين وهما: طريقة التكاثر الجنسي والأخرى طريقة التكاثر اللا جنسي بما في ذلك الكائنات وحيدة الخلية.

فأما التكاثر اللاجنسي في وحيدة الخلية فيتم «بطريقة الانقسام الثنائي والانقسام المتعدد أو بالبرعمة».

فأما التكاثر الثنائي فتبدو فيه «وحيدات الخلية خلال الإنقسام النووي صبغيات نموذجية تنشطر طولانياً إلى جزئين متساويين، فيتضاعف عددها مما يؤدي إلى توزعها المتساوي على النواتين البنيتين الجديدتين».

والتكاثر المتعدد «تتجزأ النواة والعضيات الأخرى في الخلية مرات متعددة متتابعة، بينما تظل السيتوبلازم دون انقسام ،فيحصل بنتيجة هذه الانقسامات النووية المتتالية حيوانات وحيدة الخلية ذات نوى متعددة...».

أمّا البرعمة: وفيها تنقسم النواة إلى قسمين غير متساويين ثم يهاجر الجزء الصغير من النواة إلى المحيط ويدفع أمامه السيتوبلازم ،فيتكون على سطح الخلية انتفاخ يدعى بالبرعم، لا يلبث هذا البرعم أن ينفصل عن جسم الحيوان الأصلي وفي داخله النواة الصغيرة فينمو ويتحول تدريجياً إلى حيوان شبيه بالحيوان الأصلي.

وأخيراً هناك طريقة التغلف أو التكيس وهو يحصل «عندما تصبح الشروط غير ملائمة لحياة النوع، كالجفاف وتغير درجة الحرارة أو تشكل الأضداد في جسم المضيف بالنسبة لوحيدات الخلية الطفيلية ،ويطرح وحيد الخلية معظم مكتنفاته الغذائية ،فيجف السيتوبلازم فيه ويصغر حجمه، فيفرز حول جسمه مادة تشكل غلافاً لا يلبث أن يتصلّب فيعزل الحيوان تقريباً عزلاً عن الوسط الخارجي»[1].

وهنا يلاحظ أن طريقة التكاثر اللاجنسي خاصة بهذه الحيوانات البسيطة وكلما تنعدم الحيوانات في سلم التطور والتكامل، فإنّها تتجه إلى التكاثر الجنسي، يعتمد على اللقاح بين المولدات الأنثوية والذكرية.

وهذا طبعاً لا يلتقي مع كون إبليس أبو الجن المعاصرين أي الأجناس الأكثر تكاملاً منهم، ذلك أننا لا نستطيع أن نجمع بين الروايات التي تقول بأن إبليس أبو الجنّ وكون الجان أبو الجن أيضاً إلاّ باعتبار الجان أبوهم قاطبة، وأن إبليس أبو الجن الأكثر تكاملاً في سلسلة النار وهو يقابل آدم في تكامله، وهو المستفاد من كونهما ثقليّ الحياة وعليه لابدّ أن نفترض أن نظامه التكاثري هو نظام راقي وشبيه بما عند الإنسان.

وبالتالي إن له ذرية متولدة عن زوجة، وربّما هو ما ورد ذكره عن مجاهد أنّ من ذريّة إبليس لاقيس وولها وهو صاحب الطّهارة والصلاة، والهفاف وهو صاحب الصحارى، ومرّة وبه يكنّى، وزلنبور وهو صاحب الأسواق ويزيّن اللغو والحلف الكاذب ومدح السلعة، وبثر وهو صاحب المصائب يزيّن خمش الوجوه ولطم الخدود وشقّ الجيوب، والأبيض وهو الذي يوسوس للأنبياء ﷺ، والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة، وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلّم ولم يذكر اسم الله تعالى دخل معه ووسوس له فألقى الشرّ بينه وبين أهله، فإن أكل ولم يذكر اسم الله

---

(١) التطبيقات العملية في علم الحياة الحيوانية: ٧٤-٧٥.

تعالى أكل معه، فإذا دخل الرجل بيته ولم يسلّم ولم يذكر الله ورأى شيئاً يكره فليقل: «داسم داسم أعوذ بالله منه» ومطرش وهو صاحب الأخبار يأتي بها فيلقيها في أفواه الناس ولا يكون لها أصل ولا حقيقة.

والأقبض وأمهم طرطبة، وقال النقاش: بل هي حاضنتهم، ويقال: إنّه باض ثلاثين بيضة: عشراً في المشرق، وعشراً في المغرب، وعشراً في وسط الأرض، وإنّه خرج من كلّ بيضة جنس من الشياطين كالعفاريت والغيلان والقطاربة، والجان وأسماء مختلفة، كلّهم عدوّ لبني آدم لقوله تعالى: ﴿أفتتّخذونه وذرّيّته أولياء من دوني وهم لكم عدوّ﴾ [1] إلا من آمن منهم، وكنية إبليس أبو مرّة[2].

فهذه العدد من الذرية يشير إلى الكثرة وإلى نظام التخصيص على أساس الوظائف وليس على أساس اختلاف أنظمة الحياة، فهنا أبناء إبليس هم قد تخصصوا في أنواع الضلال والاضلال وكل منهم يدفع باتجاه نوع من المحارم، وقد ذهب إلى هذا آخرين:

قال القاضي عياض: الأكثر على أنّه أبو الجنّ كما أن آدم أبو البشر، والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب، قال تعالى: ﴿ما لهم به من علم إلاّ اتّباع الظنّ﴾ [3] والصحيح المختار على ما سبق عن النووي ومن وافقه، وعن محمّد بن كعب القرظي: إنّه قال: الجنّ مؤمنون والشياطين كفّار وأصلهم واحد، وسئل وهب بن منبّه عن الجنّ ماهم؟ وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون؟ فقال: هم أجناس، فأمّا الصّميم الخالص من الجن فإنّهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون في الدنيا ولا يتوالدون، ولهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون وهم السعالي والغيلان والقطارب وأشباه ذلك.

---

(١) سورة الكهف: ٥٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠/٣٠٦-٣٠٧

(٣) سورة النساء: ١٥٧.

وقال القرافي: اتّفق الناس على تكفير إبليس بقصّته مع آدم عليه السلام وليس مدرك الكفر فيها الامتناع من السجود وإلاّ لكان كل من أمر بالسجود فامتنع منه كافراً وليس كذلك، ولا كان كفره لكونه حسد آدم على منزلته من الله تعالى وإلاّ لكان كلّ حاسد كافراً، وليس كذلك، ولا كان كفره لعصيانه وفسوقه وإلاّ لكان كلّ عاص وفاسق كافراً، وقد أشكل ذلك على جماعة من الفقهاء فضلاً عن غيرهم، وينبغي أن يعلم أنّه إنّما كفر لنسبة الحقّ جلّ جلاله إلى الجور والتصرّف الذي ليس بمرضيّ، وأظهر ذلك من فحوى قوله تعالى: ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ [1] ومراده على ما قاله الأئمّة المحقّقون من المفسّرين وغيرهم: أن إلزام العظيم الجليل بالسجود للحقير من الجور والظلم، فهذا وجه كفره لعنه الله، وقد أجمع المسلمون قاطبة على أنّ من نسب ذلك للحق تعالى وتنزّه كافر [2].

إذا تم البناء على أن إبليس أبو الجن وهو كآدم فإننا نفترض أن ذرية إبليس كانت تتولد من إناث وذكور، وهنا اشارة إلى حصول إبليس على زوجة من نفس جنسه بطريقة شبيهة لما ورد عن ذكر زوجة آدم، وأن الله خلقها من نار الغضب. وفيه اشارة رمزية إلى حالة التجانس بين الذكر والأنثى كما في عالم البشر، وهو شبيه بما ورد بأن الله خلق لآدم زوجة من ضلعه. ويمكن أن يحمل ذلك على الرمزية حيث أن شخصية المرأة عند البشر أميل إلى العاطفة فإنّها أيضاً من عالم الجن مخلوقة من إحدى العواطف [ الغضب]، ويمكن أن نحمل وضع إبليس للبيض على الرمزية التي تتداولها الإنس من أن الشيطان باض وأفرخ من صدورهم، ولكن كونه باض فعلاً وأن تكاثره عن طريق وضع البيض لا يمتنع؛ لأن التكاثر هو بواسطة البيوض إذ أن

---

(١) سورة الأعراف: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠/٣٠٨-٣٠٩.

جميع المخلوقات تبيض سواء كانت داخل الأرحام أو خارجها، المهم أن ما يعرف بالولادة هو عبارة عن اكمال المراحل الجنينية داخل الأرحام، والبيض هو اكمال لتلك المراحل خارج الرحم، وهذا طبعاً ربما احتاج إلى حضانة كالطيور وربما لا يحتاج إذا كان مثل الأسماك.

وفي النهاية إن وضع البيض في شرق الأرض وغربها ووسطها يشير إلى استيعاب الأرض بذرية الشيطان، وهو يعادل ما ورد من أن لكل إنسان شيطان. وهذا كله يشير إلى حياة إبليس من زاوية علاقته بالإنسان ،أما حياته الخاصة أي خارج العلاقة لم ترد عنها معلومات كثيرة ،فإننا إذا افترضنا بأن إبليس وذريته قد خصص حياته لهدف رئيسي هو اضلال الإنسان، لكن لابدّ أن توجد فسحة لحياته الخاصة مهما كانت صغيرة خارج هذا الهدف الأمر الذي يجعلنا نتساءل عن طبيعة هذه الحياة.

## العلاقات الجنسية

مما لاشكّ فيه ودلّت عليه الأدلّة أن الجن يتكاثرون، واشارات القرآن واضحة الدلالة على هذا الأمر ،غير أن بعض الروايات أشارت إلى طرائق خاصة بالشيطان في هذا التكاثر ،وهي شبيهة بنظام الحيوانات. وقد ورد ما يدلّ على أن نظام التكاثر هو شبيه بنظام الإنسان وآية ﴿ ***لم يطمثهنّ إنسٌ قبلهم ولا جان*** ﴾ [1] صريحة في الدلالة عليه إذ أنّها أشارت إلى الثواب لهما وأنّه متماثل والتماثل في الثواب يدلّ على التماثل في نظام التعامل مع هذا الثواب والذي لا يكون إلاّ بوحدة الغرائز وطرائق الإشباع. وهناك أيضاً أحاديث ومنها: «أن إبليس لم يخرج من رحم» إذ أنه يدل على أن العادة في خروج الجان من أرحام، ومع وجود الآية وأدلّة التماثل في نمط الحياة بصورة عامة يمكننا الجزم

---

(١) سورة الرحمن: ٧٤.

على وجود هذه الحقيقة وثباتها ،بينما لا يكون الرأي الآخر مستحيلاً، لأنَ التكاثر وكما أسلفنا إنّما هو بالبيض سواء كان داخل الرحم أو خارجه، كما عند الأسماك أو عند السلاحف التي تدفن بيضها في الرمل ثم يفقس ويتجه غريزياً نحو البحر ويكبر بدون رعاية.

غير أنَ هذا الأمر بالنسبة لكائنات معقدة مثل الشيطان لايبدو مناسباً؛ لأنَ الذريّة تحتاج إلى تعلم أساليب الحياة والعادات والأفكار، وكل ذلك لا يمكن إلاَ إذا افترضنا أن حياة الجان هي حالة قريبة من الحالة الغريزية، وأنّها أرفع قليلاً من حياة الحيوان، وأنها شبيهة بحالة بعض البشر الذين يصفهم القرآن بأنهم كالأنعام. ذلك أن مستوى اهتمام هؤلاء بالغرائز يشكل حداً أقصى للاهتمام، وبالتالي فإن الجان يتجه تلقائياً نحو هذا الأفق ويهمل سواه، ولو فرضنا أن البشر جميعاً هم من هذه الطبقة لرأينا أن الحياة عبارة عن أي جماعة حيوانية كجماعات القرود، وربّما تكون عاجزة عن اقامة حضارات راقية؛ لأنّها في العادة تكون متدنية التفكير.

وكون الجن في هذا الأفق يعني أنّهم أكثر اعتماداً على الغريزة من العقل ويبدو هذا غير مستبعد، وأنّهم بالتالي سيمثلون رتبة من رتب الحياة ولا يتساوون مع الإنسان في الملكات فيكون التدرج هكذا:

عقل [الملائكة] وهو أول مخلوق ـ الرتبة الثالثة

غريزة [حيوان] وهو ثاني مخلوق ـ الرتبة الرابعة

عقل غريزة [جان] وهو ثالث مخلوق ـ الرتبة الثانية

غريزة عقل [إنسان] وهو رابع مخلوق ـ الرتبة الأولى.

وفي النهاية لا يمكن الجزم بأي من هذه المحتملات وربّما أمكن ترجيح نظام الأرحام.

## نظام البيض:

ويدل عليه مايلي: جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الآباء ثلاثة آدم ولد مؤمناً، والجان ولد كافراً، وإبليس ولد كافراً، وليس فيهم نتاج إنّما يبيض ويفرخ وولده ذكور ليس فيهم إناث[1].

ففي هذه الرواية دلالة على أن الجان هو سوى إبليس وهو ربّما كان جده البعيد وأنّه كافر، وهو يؤكد على نظام البيض في الولادة والتكاثر، وأن إبليس أحادي الجنس، وهذا يدل على تناقض مع قانون الزوجية الذي يعتمد عليه نظام الحياة، ويسوقنا إلى حالة تشابه مع نظام الملائكة فضلاً عن تناقضه مع الآية ﴿لم يطمثهنّ...﴾ وعدد من الروايات التي أشارت إلى وجود نساء الجن وتأكيد نظام التوالد ووحدة الجنس بالطبع يلغي نظام البيض، لأنّ البيض يحتاج إلى ذكر وأنثى ولا بدّ أن يتم استبداله بالانشطار، وهو النظام الذي ورد في الأحاديث عن تكاثر الملائكة مع أن الملائكة ليسوا إناثاً أو ذكوراً لأنّهم يقعون خارج دائرة الحياة الزوجية.

## طرائق تكاثر إبليس

روي عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ حين أمر آدم أن يهبط هبط آدم وزوجته، وهبط إبليس ولا زوجة له، وهبطت الحيّة ولا زوج لها، فكان أوّل من يلوط بنفسه إبليس، فكانت ذريّته من نفسه، وكذلك الحيّة، وكانت ذريّة آدم من زوجته فأخبرهما أنّهما عدوان لهما[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٦-٢٤٧.

وفي هذا الحديث إشارة إلى أن إبليس قادر على أن يلد من دون زوجة وإذا كان هذا الأمر ممكناً فلابدّ من حمله على حالة خاصة بإبليس؛ لأنّه سبق الإشارة إلى أن ذريّة إبليس كلّهم رجال وأنّه يبيض، وقد مرّ أنّه هناك نساء من الجن والأمر يحتاج إلى مزيد نظر، لأنّ الأحاديث التي نقلت أنّه يشارك الإنس في الذرية كثيرة، وهذا يعني أن أسلوب تكاثره شبيهة بهم .

وكون الشيطان يلوط في نفسه فيمكن فهمه على وجهين: الأول: بأنه يعني وجود أجهزة ذكرية وأخرى أنثوية، وهذا يعني أنه كائن خنثي والكائنات الخنثوية تحتاج في العادة إلىشريك خنثوي أيضاًلإتمام عملية التكاثر ،والثاني: أنه يتكاثر بالإنشطار وفي هذه الحالة لا توجد ذرية وهذا لا يمكن قبوله، لأنه كما قلنا أن إبليس وآدم متشابهان في نظام الحياة وفي الملكات ولهذا توجه لهما تكليف واحد وثواب واحد، ومن غير المعروف السبب الذي تم زج الحيّة بين الإنسان وبين الجان، وربّما كان ذلك عائداً إلى افتراض أنّها كانت في الجنّة معهما، ولا يوجد ما يدلّ على هذا الأمر إلاّ إذا افترضنا أن لكل حيوان جد كان في الجنّة ثم هبط إلى الأرض ولا دليل على هذا الأمر.

## الشرك في الذرية

ويدلّ عليه مايلي: ((جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: وإن الشيطان يجيئ، فيقعد كما يقعد الرجل، وينزل كما ينزل الرجل.

وفي رواية أخرى عن هشام، عنه عليه السلام في النطفتين اللتين للآدمي والشيطان إذا اشتركا، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ربّما خلق من أحدهما وربّما خلق منهما جميعاً))[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٧.

قال الصّادق عليه السلام: إذا أتى أحدكم أهله فليذكر الله ،فإنّ من لم يذكر الله عند الجماع ، فكان منه ولد كان شرك شيطان، ويعرف ذلك بحبّنا وبغضنا(١).

باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الرجل إذا أتى المرأة وجلس مجلسه حضره الشيطان فإن هو ذكر اسم الله تنحّى الشيطان عنه، وإن فعل ولم يسمّ أدخل الشيطان ذكره، فكان العمل منهما جميعاً والنطفة واحدة، قلت: فبأي شيء يعرف هذا جعلت فداك؟ قال: بحبّنا وبغضنا(٢).

باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام حيث علّمه الدعاء إذا دخلت عليه امرأته، وقال فيه: ولا تجعل فيه شركاً للشيطان، قال: قلت: وبأي شيء يعرف ذلك؟ قال: أما تقرأ كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿ ***وشاركهم في الأموال والأولاد*** ﴾ (٣) ثمّ قال: إنّ الشيطان ليجيء حتّى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها ويحدث كما يحدث وينكح كما ينكح، قلت: بأيّ شيء يعرف ذلك؟ قال: بحبّنا وبغضنا، فمن أحبّنا كان نطفة العبد، ومن أبغضنا كان نطفة الشيطان(٤).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ذات يوم جالساً على باب الدار معه عليّ بن أبي طالب عليه السلام إذ أقبل شيخ فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ انصرف فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام: أتعرف الشيخ؟ فقال له عليّ: ما أعرفه، فقال صلى الله عليه وآله: هذا إبليس، فقال عليّ عليه السلام: لو علمت يا رسول الله لضربته ضربة بالسيف فخلصت أمّتك منه، قال: فانصرف إبليس إلى عليّ عليه السلام فقال له: ظلمتني يا أبا الحسن، أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: ﴿ ***وشاركهم في الأموال والأولاد*** ﴾ فوالله ما شركت أحداً أحبّك في أمّه(٥).

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٢.

(٣) سورة الإسراء: ٦٤.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٧.

(٥) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٥-٢١٦.

ففي الرواية الأولى صراحة بأن الشيطان يماثل الإنسان في حياته الجنسية وأن له نطفة كنطفته، وهو طبعاً يعكس كون الطرف الثاني الأنثوي مماثل أيضاً. وفي الحديث الثاني زيادة على تأكيد ما مرّ فإنّه يدل على اشتراك الشيطان في ذرية الإنسان وهذا الأمر يحتاج إلى وقفة.

فمن الناحية البايلوجية فإن بنية الإنسان تعتمد على الكروموسومات ولا يستطيع أي كائن أن يتولد من نطفتين معاً إذ أن حيمن واحد يلقح بيضة واحدة فيتولد عنهما الإنسان أو الحيوان. ولذلك لابدّ لنا من حمل الحديث على أن الإنسان فيه الناحية الجسمية وهي تعتمد على نطفة الإنسان لكن الجانب الآخر غير المرئي [النفسي] هنا يمكن لنطفة الشيطان غير المرئية أن تزيح نطفة الإنسان وتساهم في تكوين نفسية الوليد الذي سيسلك في الناحية النفسية والخلقية كالشيطان؛ لأنّه ابنه ويتبعه من الناحية الوراثية وربّما حمل بعض صفاته لأنه اشترك مع الإنسان في هذه النطفة. وفي الحديث الثالث تأكيد لهذا الأمر وتقديم لسبيل الوقاية وهي ذكر الله عند الجماع . والدليل على معرفة كون الوليد سالماً أم لا، هو حب أهل البيت ﷺ وبغضهم، والأحاديث الأخرى تحمل نفس الدلالة، وأهم دليل على صدق هذا الأمر هو التجربة.

## التزاوج بين الإنس والجن:

جاء عن أبي جعفر ﷺ قال: ذكرت المجوس وإنّهم يقولون: نكاح كنكاح ولد آدم، وأنّهم يحاجّون بذلك، فقال: أما إنّهم لا يحاجّونكم به، لمّا أدرك هبة الله قال آدم: يا ربّ زوّج هبة الله، فأهبط الله له حوراء فولدت أربعة غلمة، ثمّ رفعها الله، فلمّا أدرك ولد هبة الله قال: يا ربّ زوّج ولد هبة الله، فأوحى الله إليه أن يخطب إلى رجل من الجنّ وكان مسلماً أربع بنات له على

ولد هبة الله، فزوّجهن فما كان من جمال وحلم فمن قبل الحوراء والنبوّة، وما كان من سفه أو حدّة فمن الجن[1].

وورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ آدم ولد له أربعة ذكور، فأهبط الله إليهم أربعة من الحور العين، فزوّج كلّ واحد منهم واحدة فتوالدوا، ثم إنّ الله رفعهن، وزوّج هؤلاء الأربعة أربعة من الجن فصار النسل فيهم، فما كان من حلم فمِن آدم، وما كان من جمال فمِن قبل الحور العين، وما كان من قبح أو سوء خلق فمِن الجن[2].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: إن الله تبارك وتعالى أنزل على آدم حوراء من الجنّة فزوّجها أحد ابنيه، وتزوّج الآخر ابنة الجانّ، فما كان في الناس من جمال كثير أو حسن خُلق فهو من الحوراء، وما كان من سوء خُلق فهو من ابنة الجان[3].

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: رأى أمير المؤمنين عليه السلام على بابه شيخاً فعرفه أنّه الشيطان فصارعه وصرعه قال: قم عنّي يا عليّ حتى أبشّرك فقام عنه فقال: بم تبشّرني يا ملعون؟ قال: إذا كان يوم القيامة صار الحسن عن يمين العرش والحسين عن يسار العرش، يعطيان شيعتهما الجواز من النّار. قال: فقام إليه وقال: أصارعك؟ قال: مرّة أخرى. قال: نعم، فصرعه أمير المؤمنين قال: قم عني حتّى أبشّرك، فقام عنه، فقال: لمّا خلق الله آدم خرج ذريّته من ظهره مثل الذرّ فأخذ ميثاقهم فقال: «ألست بربّكم قالوا بلى» قال: فأشهدهم على أنفسهم فأخذ ميثاق محمّد وميثاقك فعرف وجهك الوجوه وروحك الأرواح، فلا يقول لك أحد: أحبّك، إلاّ عرفته، ولا يقول لك أحد: أبغضك، إلاّ

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٦ - ٩٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٧.

(٣) المصدر نفسه: ٦٠/٩٧.

عرفته، قال: قم فصارعني، قال: ثلاثة. قال: نعم فصارعه فصرعه فقال: يا عليّ لا تبغضني وقم عنّي حتّى أبشّرك قال: بلى وأبرأ منك وألعنك، قال: والله يا بن أبي طالب ما أحد يبغضك إلاّ شركت في رحم أمّه وفي ولده، فقال له: أما قرأت كتاب الله ﴿ ***وشاركهم في الأموال والأولاد*** ﴾ الآية[1].

وفي جواز وطء الجن للإنس أو العكس أدلّة كثيرة وقد مرّ بعضها إلاّ أن الإشكال وقع في الذرية، ففي الروايات الأولى تأكيد على أن أصل الإنسان قد شرك فيه الجان وهذا يحتاج إلى بحث إذ قلنا أن وطء الجان للإنسان قد يساهم في جعله ذا ميول شيطانية، لكن زواج الإنسان من جان فهل يجعل في الذرية تابعة للإنسان؟ فهذا مورد نظر، إذ لابدّ من تأكيده في أرض الواقع وحصوله في عهد آدم عليه السلام لابدّ أن يسمح باستمراره في أجيال لاحقة، إذ أن نظام التكاثر هو نظام متواصل ولا يتغير لا عند الجان ولا عند الإنسان، وأقصى ما يمكن افتراضه هو أن الوليد سيتبع الإنسان في التفكير والخصائص النفسية إما ناحية البدن فلا بد أن يكون غير مرئياً إلاّ إذا قلنا أن هذه الحالة حدثت في بداية خلق الإنسان. وهو طبعاً مردود لأنّ الله تعالى يقول: ﴿ ***سنّة الله في الذين خلقوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تحويلا*** ﴾[2] فسنن الله ثابتة ولا تتبدل.

وعلى هذا الأساس لابدّ أن نفترض أن الشرك في الذرية سيكون من الجانب النفسي والأخلاقي بين العالمين وليس في البنية الجسدية؛ لأن الجانب القابل للاشتراك باعتباره غير مرئي لدى الطرفين، وإذا قلنا بذلك فهو يعني أن الإنسان مكوّن من تركيبة فيها شيء يطابق بناء الشيطان، هذا الشئ هو النفس أي أن بنية الإنسان هي عبارة عن بنية الشيطان مع إضافة وزيادة هي

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٦٢.

الجسم المادي وسيكون عندئذٍ التفاعل بين هذين الجزئين المتطابقين حاصلاً وممكناً وبالتالي ستكون ولادة الإنسان من أم جنية مستحيلة بينما تكون ولادته من أب جنّي وأم أنسية ممكنة لأن الأثر حينئذ نفسي، ولا بدّ حينئذ من وجود أب إنسي أيضاً إذ لو جاز من هذا الأمر لكان ممكناً أن تلد البواكر من النساء أولاداً وتنسبهم إلى الجان ثم يقبل منهن ذلك، ولا يقتصر هذا الأمر على المتزوجات نعم يمكن أن تقوم علاقات جنسية فينتج عن الإنسان أبناء جان بتبع الأم الجنيّة، وربما كان ذلك في الجانب النفسي فقط، وربّما يكون كاملاً؛ لأن الجنّ هم عبارة عن نفوس، وربّما يولد من شراكة بين إنسان وجان ذكرين و أم جنيَة وهو يعني مقلوب ما ذكرته الأحاديث.

وهذا طبعاً في الإطار المعروف وربّما كانت هناك آفاق مجهولة قد نرجع إليها ما لا نستطيع هضمه بناءً على معلوماتنا الحالية، وعليه فإن هذا هو حد علمنا الفعلي والمستقبل كفيل بفك الأسرار إن كانت هناك أسرار في هذا الخصوص.

ويأتي في هذا السياق أيضاً الحديث التالي: جاء عن سلمان الفارسي (رحمه الله) قال: مرّ إبليس (لعنه الله) بنفر يتناولون أمير المؤمنين(عليه السلام) فوقف أمامهم ،فقال القوم: من الذي وقف أمامنا؟ فقال: أنا أبو مرّة، فقالوا: يا أبا مرّة أما تسمع كلامنا،فقال: سوأة لكم تسبّون مولاكم عليّ بن أبي طالب؟ قالوا له: من أين علمت أنّه مولانا؟ قال: من قول نبيكم(صلى الله عليه وآله): [من كنت مولاه فعليّ مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله] فقالوا له: فأنت من مواليه وشيعته؟ فقال: ما أنا من مواليه ولا من شيعته، ولكنّي أحبّه، ولا يبغضه أحد إلاّ شاركته في المال والولد، فقالوا له: يا با مرّة فتقول في عليّ شيئاً؟ فقال لهم: اسمعوا منّي معاشر الناكثين والقاسطين

والمارقين، عبدت الله عزّ وجلّ في الجان اثني عشر ألف سنة فلمّا أهلك الله الجان شكوت إلى الله عزّ وجل الوحدة، فعرج بي إلى السّماء الدنيا فعبدت الله في السماء الدنيا إثني عشر ألف سنة أخرى في جملة الملائكة، فبينا نحن كذلك نسبّح الله عزّ وجلّ ونقدّسه إذ مرّ بنا نور شعشعانيّ فخرّت الملائكة لذلك النور سجداً فقالوا: سبّوح قدّوس هذا نور ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، فإذا بالنداء من قبل الله عزّ وجلّ: ما هذا نور ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، هذا نور طينة عليّ بن أبي طالب.

بيان: كأن اللعين ذكر ذلك لهم لتكون الحجّة عليهم أتّم وعذابهم أشد لعلمه بأنّهم لا يؤمنون بذلك[1].

وفي حديث عن الصادق جعفر بن محمّد قال: حدّثني أبي عن جدّي عن أبيه قال: قال رسول الله لمّا أسري بي إلى السماء حملني جبرئيل على كتفه الأيمن فنظرت إلى بقعة بأرض الجبل حمراء أحسن لوناً من الزعفران وأطيب ريحاً من المسك، فإذا فيها شيخ على رأسه برنس، فقلت لجبرئيل: ما هذه البقعة الحمراء التي هي أحسن لوناً من الزعفران وأطيب ريحاً من المسك؟ قال: بقعة شيعتك وشيعة وصيّك عليّ، فقلت: من الشيخ صاحب البرنس؟ قال: إبليس، قال: فما يريد منهم؟ قال: يريد أن يصدّهم عن ولاية أمير المؤمنين ويدعوهم إلى الفسق والفجور فقلت: يا جبرئيل أهو بنا إليهم، فأهوى بنا إليهم أسرع من البرق الخاطف والبصر اللامح، فقلت: قم يا ملعون فشارك أعداءهم في أموالهم وأولادهم ونسائهم فإنّ شيعتي وشيعة عليّ ليس لك عليهم سلطان، فسميّت قم[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٧ - ٢٣٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٨ - ٢٣٩.

وعن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ،قال: كنّا بمنى مع رسول الله ﷺ إذ بصرنا برجل ساجد وراكع ومتضرّع، فقلنا: يا رسول الله ما أحسن صلاته؟.

فقال ﷺ: هو الذي أخرج أباكم من الجنّة، فمضى إليه عليّ عليه السلام غير مكترث فهزّه هزّة أدخل أضلاعه اليمنى في اليسرى واليسرى في اليمنى، ثمّ قال: لأقتلنّك إن شاء الله تعالى، فقال: لن تقدر على ذلك إلى أجل معلوم من عند ربيّ، مالك تريد قتلي؟ فو الله ما أبغضك أحد إلاّ سبقت نطفتي إلى رحم أمّه قبل نطفة أبيه، ولقد شاركت مبغضيك في الأموال والأولاد، وهو قول الله عزّ وجلّ في محكم كتابه: ﴿ ***وشاركهم في الأموال والأولاد*** ﴾ [١] قال النبيّ ﷺ: صدق يا عليّ لا يبغضك من قريش إلاّ سفاحيّ ولا من الأنصار إلاّ يهوديّ ولا من العرب إلاّ دعيّ ولا من سائر الناس إلاّ شقيّ ولا من النساء إلاّ سلقلقيّة وهي التي تحيض من دبرها، ثمّ أطرق مليّاً ثم رفع رأسه فقال: معاشر الأنصار! اعرضوا أولادكم على محبّة علي، قال جابر بن عبد الله: فكنّا نعرض حبّ عليّ عليه السلام على أولادنا، فمن أحبّ عليّاً علمنا أنّه من أولادنا ومن أبغض عليّاً انتفينا منه[٢].

وهذه الأحاديث تصدق ما مرّ من امكان الشركة بين إبليس والإنس في الذرية، ولكنها ناظرة إلى الآثار التي أهمها بغض الإمام عليّ عليه السلام وهو الفيصل بين الكفر والإيمان.

وتعتبر آيات سورة الرحمن من أهم الأدلة على إمكان التزاوج بين الجن والإنس وقد جاء في تفسيرها مايلي:

وقال تعالى: ﴿ ***لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جان*** ﴾ [٣] في موضعين.

---

(١) سورة الإسراء: ٦٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

(٣) سورة الرحمن: ٥٦.

وقال عزّ وجلّ: ﴿ **يا معشر الجنّ والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان** ﴾ [١] وقال سبحانه: ﴿ **ولمن خاف مقام ربّه جنّتان** ﴾ [٢] وقيل: لثقلهما على الأرض أحياءً وأمواتاً، ومنه قوله تعالى: ﴿ **وأخرجت الأرض أثقالها** ﴾ [٣] أي أخرجت ما فيها من الموتى.

قوله تعالى: ﴿ **أن تنفذوا** ﴾ أي تخرجوا هاربين من الموت ﴿ **من أقطار السماوات والأرض** ﴾ أي جوانبهما ونواحيهما ﴿ **فانفذوا** ﴾ أي فاخرجوا فلن تستطيعوا أن تهربوا منه ﴿ **لا تنفذون إلاّ بسلطان** ﴾ أي حيث توجهتم فثمّ ملكي ولا تخرجون من سلطاني فأنا آخذكم بالموت.

وقيل: أي لا تخرجون إلاّ بقدرة من الله وقوّة يعطيكموها بأن يخلق لكم مكاناً آخر سوى السّماوات والأرض ويجعل لكم قوّة تخرجون بها إليه.

قوله تعالى: ﴿ **لم يطمثهنّ** ﴾ أي لم يفتضّهن، والافتضاض: النكاح بالتدمية أي لم يطأهنّ ولم يغشهن ﴿ **إنس قبلهم ولا جان** ﴾، فهنّ أبكار لأنّهن خلقن في الجنّة.

فعلى هذا القول هؤلاء من حور الجنّة.

وقيل: هنّ من نساء الدنيا لم يمسسهنّ منذ أنشأن خلق، قال الزجّاج: وفيها دلالة على أنّ الجنّي يغشى كما يغشى الإنسيّ، وقال ضمرة بن حبيب: وفيها دليل على أنّ للجن ثواباً وأزواجاً من الحور، فالإنسيّات للإنس والجنيّات للجنّ.

وقال البلخيّ: والمعنى أنّ ما يهب الله لمؤمني الإنس من الحور لم يطمثهنّ إنس، وما يهب الله لمؤمني الجنّ من الحور لم يطمثهن جانّ انتهى.

---

(١) سورة الرحمن: ٣٣.

(٢) سورة الرحمن: ٤٦.

(٣) سورة الزلزلة: ٢.

وقال الرازيَ في قوله تعالى: ﴿ *فبأي آلاء ربّكما* ﴾: الخطاب للإنس والجنَ أو الذكر والأنثى، أو المراد التكرار للتأكيد.

أو المراد العموم، لأنَ العام يدخل فيه قسمان كالحاضر وغير الحاضر، والسَواد وغير السَواد، والبياض وغيره وهكذا، أو القلب واللسان، فإنَ التكذيب قد يكون بالقلب وقد يكون باللسان، أو التكذيب للدلائل السمعية والعقليّة، والظاهر منها الثقلان لقوله: ﴿ *سنفرغ لكم أيّها الثقلان* ﴾ وقوله: ﴿ *يا معشر الجنّ والإنس* ﴾ وقوله: ﴿ *خلق الإنسان وخلق الجانّ* ﴾.

وقال في قوله تعالى: ﴿ *لم يطمثهنّ* ﴾ إلى آخره: ما الفائدة في ذكر الجانَ مع أنَ الجانَ لا يجامع؟.

يقول العلاّمة المجلسي تتَّئُّ: ليس كذلك بل الجنَ لهم أولاد وذريّة، وإنما الخلاف في أنَهم هل يواقعون الإنس أم لا؟ والمشهور أنَهم يواقعون، ولَما كانت الجنَة فيها الإنس والجنَ كانت مواقعة الإنس إيَاهنَ كمواقعة الجنَ، فوجبت الإشارة إلى نفيهما انتهى[1].

ومثله جاء أيضاً:

لِمَ قدَم الجنَ على الإنس في هذه الآية؟ فالجواب أن لفظ الإنس أخفَ لمكان النَون الخفيفة والسَين المموَسة وكان الأثقل أولى بأوَل الكلام من الأخفَ لنشاط المتكلم وراحته.

كان الشيخ عماد الدين يونس يجعل من موانع النكاح اختلاف الجنس ويقول: لا يجوز للإنسي أن يتزوَج جنيّة لقوله تعالى: ﴿ *ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودّة ورحمة* ﴾[2] فالمودّة الجماع، والرحمة الولد ونصَ على منعه جماعة من الحنابلة، وفي الفتاوى السراجيَة: لا يجوز

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥٩ - ٦٠

(٢) سورة الروم: ٢١، سورة النحل: ٧٢.

ذلك لاختلاف الجنس، وفي القنية: سئل البصريّ عنه فقال: يجوز بحضرة شاهدين، وفي مسائل ابن حرب عن الحسن وقتادة إنّهما كرها ذلك، ثمّ روى بسند فيه ابن لهيعة: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نهى عن نكاح الجنّ، وعن زيد العميّ أنّه كان يقول: اللهمّ ارزقني جنيّة أتزوّج بها تصاحبني حيثما كانت.

وذكر ابن عديّ في ترجمة نعيم بن سالم بن قنبر مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن الطحاويّ قال: حدّثنا يونس بن عبد الأعلى قال: قدم علينا نعيم بن سالم مصر فسمعته يقول: تزوّجت امرأة من الجنّ ولم أعد إلى ذلك.

وعن أبي هريرة ،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أحد أبوي بلقيس كان جنياً.

قال الشيخ نجم الدين القموليّ: وفي المنع عن التزويج نظر، لأنّ التكليف يعمّ الفريقين، قال: وقد رأيت شيخاً كبيراً صالحاً أخبرني أنه تزوّج جنية انتهى.

قلت: وقد رأيت أنا رجلاً من أهل القرآن والعلم تزوّج أربعاً من الجنّ واحدة بعد واحدة، لكن يبقى النظر في حكم طلاقها ولعانها والإيلاء منها وعدّتها ونفقتها وكسوتها والجمع بينها وبين أربع سواها وما يتعلّق بذلك، وكلّ ذلك فيه نظر لا يخفى.

قال شيخ الإسلام شمس الدين الذهبيّ: رأيت بخطّ الشيخ فتح الدين اليعمريّ يقول: وحدّثني عنه عثمان المقاتليّ قال: سمعت أبا الفتح القشيري يقول: سمعت الشيخ عزّ الدين عبد السلام يقول وقد سئل عن ابن عربي، فقال: شيخ سوء كذاب، فقال: وكذّاب أيضاً؟ قال: نعم تذاكرنا يوماً نكاح الجنّ فقال: الجنّ روح لطيف والإنس جسم كثيف فكيف يجتمعان؟ ثمّ غاب عنا مدّة وجاء وفي رأسه شجّة فقيل له في ذلك ،فقال: تزوّجت امرأة من الجنّ فحصل بيني وبينها شيء فشجّني هذه الشجّة ،قال الإمام الذهبي بعد ذلك: وما أظنّ عن ابن عربيّ تعمّد هذه الكذبة وإنّما هي من خرافات الرياضة[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/٣١١-٣١٢.

## العلاقات الجنسية

قال الدميري: لا تدخل الجنّ بيتاً فيه أترج، قال: وروي أنّ النبيّ ﷺ قال: إنّ الجن لا يدخلون داراً فيه فرس عتيق.

وأقول: قال: السعلاة: أخبث الغيلان وكذلك السعلاء يمدّ ويقصر والجمع السَّعالي.

قال الجاحظ: كان عمرو بن يربوع متولّداً من السعلاة والإنسان، قال: وذكروا أنّ جرهما كان من نتاج الملائكة وبنات آدم، قال: وكان الملائكة إذا عصى ربّه أهبط إلى الأرض في صورة رجل كما صنع بهاروت وماروت فولدت منهما جرهما.

قال: ومن هذا الضرب كانت بلقيس ملكة سبأ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أمّه آدميّة وأبوه من الملائكة، ولذلك لما سمع عمر رجلاً ينادي رجلاً: ياذا القرنين، قال: أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة، انتهى.

والحقّ في ذلك أنّ الملائكة معصومون من الصغائر والكبائر كالأنبياء عليهم السلام كما قاله القاضي عياض وغيره وما ذكروه من أمر جرهم وذي القرنين وبلقيس فممنوع، واستدلالهم بقصّة هاروت وماروت ليس بشيء فإنّها لم تثبت على الوجه الذي أرادوه بل قال ابن عبّاس: هما رجلان ساحران كانا ببابل.

وقال الجاحظ: وزعموا أنّ التناكح والتلاقح قد يقع بين الجنّ والإنس لقوله تعالى: ﴿ *وشاركهم في الأموال والأولاد* ﴾[1] وهذا ظاهر، وذلك أنّ الجنيّة إنّما تصرع رجال الإنس على جهة العشق في طلب السفاد وكذلك رجال الجنّ لنساء الإنس ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء، قال تعالى:

---

(١) سورة الإسراء: ٦٤.

﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جانّ﴾ [1] فلولا كان الجانّ تقتض الآدميّات ولـم يكـن ذلك في تركيبه لما قال الله تعالى هذا القول، وذكروا أنّ الواق واق نتاج ما بـين بعض النباتات وبعض الحيوان.

وقال السهيلي: السعلاة: ما يتراءى للناس بالنهار، والغول: الذي يتراءى بالليل.

وقال القزوينيّ: السعلاة نوع من المتشيطنة مغـاير للغـول، وأكثر مـا توجد السعلاة في الغياض إذا ظفـرت بإنسان ترقّصه وتلعب معه، كما يلعب القطّ بالفأر، وقال: وربما اصطادها الذئب بالليل فأكلـها فإذا افترسـها ترفـع صوتها وتقول: أدركوني فإنّ الذئب قد أكلني، وربما تقول: من يخلّصني ومعي ألـف دينار يأخذها؟ والناس يعرفون أنّه كلام السعلاة فلا يخلّصها أحد فيأكلها الذئب[2].

ويؤيده أيضاً: أنّ فاطمة بنت النعمان النجاريّة قالت: كان تابع من الجنّ وكان إذا اقتحم البيت الذي أنا فيـه اقتحاماً ،فجاءني يوماً فوقع على الجدار ولم يصنع كما يصنع، فقلت له: ما بـالك لـم تصنـع كما كنت تصنع صنعيك قبل؟ فقال: إنّه قد بعث اليوم نبيّ يحرّم الزنا[3].

وروي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: كان الحجّـاج ابن شيطان يباضع ذيالردهة، ثم قال: إنّ يوسـف دخـل على أمّ الحجاج فـأراد أن يصيبها، فقـالت: أليس إنّمـا عـهدك بذلـك السّـاعة؟ فأمسـك عنـها فولـدت الحجّاج[4].

---

(١) سورة الرحمن: ٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠/٣١٣-٣١٤.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٢.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٣.

بيان: يباضع أي يجامع، وذي الردهة نعت أو عطف بيان للشيطان إن لم يكن في الكلام تصحيف، قال في النهاية: في حديث عليّ عليه السلام أنه ذكر ذا الثديّة فقال: شيطان الردهة. والردهة: النقرة في الجبل يستنقع فيها الماء، وقيل: الردهة قلّة الرابية وفي حديثه: وأمّا شيطان الردهة فقد كفيته سمعت لها وجيب قلبه، قيل: أراد به معاوية لمّا انهزم أهل الشام يوم صفّين وأخلد إلى المحاكمة انتهى.

وقال ابن أبي الحديد: وقال قوم: شيطان الردهة أحد الأبالسة المردة من أعوان عدوّ الله إبليس، ورووا في ذلك خبراً عن النبيّ صلى الله عليه وآله وأنّه كان يتعوّذ منه، وهذا مثل قوله: هذا أزب العقبة أي شيطانها، ولعلّ أزب العقبة هو شيطان الردهة بعينه، وقال قوم: إنّه عفريت مارد يتصوّر في صورة حيّة ويكون في الردهة[1].

وفي هذه الرواية اشارة إلى نموذج من نماذج الظلمة في التاريخ الإسلامي وهو الحجاج الذي كان لا يتورع عن سفك الدماء، وهذه الجرأة على الله وعلى دماء المسلمين لا توجد إلاّ عند شيطان أو ذرية إبليس، وبالتالي فإنّ شخصاً كهذا لا يمكن التردد في كونه ذرية إبليس ومن الذين تولدوا عنه وبالتالي فهو أحد أصدق المصاديق للشراكة في ذرية بني آدم.

## العلاقات الانحرافية

وفي باب العلاقات المنحرفة فإننا لا نتردد في نسبها إلى إبليس، لأنّها تلتقي مع دوره على صعيد تكريس الإنحراف والخروج بالإنسان عن الحالة السوية. حيث تكون عملية الإشباع الغريزي هي حالة هادفة تهدف إلى تكثير النسل ثم الإتيان بالكائن الأكمل؛ لأنّ الصفات الضعيفة تتنحى والصفات القوية تظهر. وفي حال انحراف العملية الجنسية فإنّها تتحول إلى عملية اشباع للغريزة

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٦.

مجردة عن أية هدف، وأنها في أسوء حالاتها كاللواط والسحاق تؤدي إلى تغيير الأدوار بين الأجناس الذكرية والأنثوية وهو ضار جداً، لأنه يترتب عليه فساد كبير وتغيير في الطبيعة، إذ تتجه الإناث إلى الغلمة والذكورة في بعض وبقاء البعض الآخر على الأنوثة لكنها غير طبيعية؛ لأنها تتناسى وتكتفي بالإناث وفي الطرف الذكري تحصل حالة مشابهة. وفي هذا طبعاً تغيير لمسار الحياة من الناحية التناسلية والعاطفية إلى جانب الأضرار الجسمية التي ثبتت في هذا العصر من الأمراض التي تستعصي على العلاج. وقد ورد حول نسبة هذه الأحوال الشاذة إلى إبليس وذريته وهو الآتي:

## اللواط من إبليس

جاء عن أبي جعفر ﷺ: قال: كان قوم لوط من أفضل قوم خلقهم الله، فطلبهم إبليس الطلب الشديد، وكان من فضلهم وخيرتهم أنهم إذا خرجوا إلى العمل خرجوا بأجمعهم وتبقى النساء خلفهم، فلم يزل إبليس يعتادهم وكانوا إذا رجعوا خرب إبليس ما يعملون، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نرصد هذا الذي يخرب متاعنا، فرصدوه فإذا هو غلام أحسن ما يكون من الغلمان، فقالوا له: أنت الذي تخرب متاعنا مرّة بعد أخرى؟ فأجمع رأيهم على أن يقتلوه، فبيّتوه عند رجل فلمّا كان الليل صاح فقال له: مالك؟ فقال: كان أبي ينوّمني على بطنه، فقال له: تعال فنم على بطني، قال فلم يزل يدلك الرجل حتى علّمه أن يفعل بنفسه، فأوّلا علّمه إبليس، والثانية علمه هو، ثم انسلّ ففر منهم فأصبحوا فجعل الرجل يخبر بما فعل بالغلام ويعجبهم منه وهم لا يعرفونه، فوضعوا أيديهم فيه حتّى اكتفى الرجال بعضهم ببعض، ثمّ جعلوا يرصدون مارّة الطريق فيفعلون بهم حتّى تنكّب مدينتهم الناس، ثم تركوا نساءهم وأقبلوا على الغلمان، فلمّا رأى أنّه قد أحكم أمره في الرجال جاء إلى النساء فصيّر نفسه امرأة، ثم قال: إنّ رجالكنّ يفعل بعضهم ببعض؟ قالوا: نعم

قد رأينا ذلك، وكلّ ذلك يعظهم لوط ﷺ ويوصيهم وإبليس يغويهم حتّى استغنى النساء بالنساء الحديث الطويل.

بيان: يعتادهم أي يعتاد المجيء إليهم أو ينتابهم كلّما رجعوا أقبل اللعين، قال في القاموس: العود: انتياب الشيء كالاعتياد، وفي المحاسن: فلما حسدهم إبليس لعبادتهم كانوا إذا رجعوا، وفي ثواب الأعمال: «فأتى إبليس عبادتهم». «فأولاً علّمه» كذا في النسخ بتقديم اللام على الميم في الموضعين ولعل الأظهر تقديم الميم، أي أولاً أدخل إبليس ذكر الرجل، وثانياً أدخل الرجل ذكره، وعلى ما في النسخ كأنّ المعنى أنّه كان أولاً معلّم هذا الفعل حيث علّمه ذلك الرجل ثمّ صار الرجل معلّم الناس[1].

وروي عن عطيّة أخي أبي العرام ،قال: ذكرت لأبي عبد الله ﷺ المنكوح من الرجال ،قال: ليس يبلي الله عزّ وجلّ بهذا البلاء أحداً وله فيه حاجة إنّ في أدبارهم أرحاماً منكوسة وحياء أدبارهم كحياء المرأة، وقد شرك فيهم ابن لإبليس يقال له: زوال، فمن شرك فيه من الرجال كان منكوحاً، ومن شرك فيه من النساء كان من الموارد. الخبر.

بيان: الموارد: المجاري والطرق إلى الماء، جمع مورد من الورود استعير هنا للنساء الزواني اللاتي لا يمنعن ورود وارد عليهنّ[2].

## بنت إبليس السحاق

بإسناده عن يعقوب بن جعفر ،قال: سأل رجل أبا عبد الله ﷺ أو أبا إبراهيم ﷺ عن المرأة تساحق المرأة وكان متكئاً فجلس،فقال: ملعونة ملعونة الراكبة والمركوبة. وساق الحديث إلى أن قال ـ قاتل الله لاقيس بنت إبليس

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٨ ـ ٢٤٩.

ماذا جاءت به؟ فقال الرجل: هذا ما جاء به أهل العراق، فقال: والله لقد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله قبل أن يكون العراق الخبر[1].

## أولّ من لاط

((وفي الحديث التالي: بإسناده عن الصدوق قال: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم إبليس ما كان في السّماء؟ فقال: كان اسمه الحارث، وسأله عن أوّل من عمل عمل قوم لوط ،فقال: إبليس فإنّه أمكن من نفسه.

وعن أبي بصير ،عن أحدهم عليهم السلام في قول لوط: ﴿ ***أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ*** ﴾[2] فقال: إبليس أتاهم في صورة حسنة فيه تأنيث عليه ثياب حسنة، فجاء إلى شباب منهم فأمرهم أن يقعوا به، ولو طلب إليهم أن يقع بهم لأبوا عليه، ولكن طلب إليهم أن يقعوا به، فلما وقعوا به التذّوه، ثمّ ذهب عنهم وتركهم فأحال بعضهم على بعض))[3].

بإسناده عن عطيّة أبي العرام ،قال: ذكرت لأبي عبد الله عليه السلام المنكوح من الرجال فقال: ليس يبلي الله بهذا البلاء أحداً وله فيه حاجة إنّ في أدبارهم أرحاماً منكوسة وحياء أدبارهم كحياء المرأة قد شرك فيهم ابن لابليس يقال له: زوال فمن شرك فيه من الرجال كان منكوحاً، ومن شارك فيه من النساء كانت من الموارد والعامل على هذا من الرجال إذا بلغ أربعين سنة لم يتركه. الخبر[4].

وفي هذا دلالة على أن إبليس كان أوّل من علّم البشر هذا الانحراف وكما يبدو أنّه عرفه في عالمه ثم صار ينشره سواء في الرجال أو في النساء، كما

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٠.

(٢) سورة العنكبوت: ٢٨.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٤٧.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٩ - ٢٧٠.

أن هذا التعليم جاء بطريقة غير مباشرة وبدأ في الرجال؛ لأن ظهور الفاحشة في النساء أضعف منه عند الرجال وعندما يعزف الرجال عنهن فإن الاستعداد للانحراف يبدأ فيهن كما جاء في الروايات السالفة.

## التغذية والسكن

لابدّ لنا من التأمّل فيما ورد عن خالص الجنّ من أنّهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون؛ لأنّ هذا يتضارب مع صريح القرآن الذي أكّد أنّهم أمم خلت وأنّ لهم ذراري، وفي هذا أيضاً نسف لوحدة الأصل إذ كيف يكون الجان جداً لهؤلاء مع أنهم لا يتوالدون؟ ثم كيف أصبحوا كذلك مع أنّهم ولدوا عنه؟ فهل أنتج سلسلة عقيمة ولا تموت ولا تأكل بينما هو يأكل ويلد ويموت ؟ إن تغيير من هذا النوع يعني تغيير في كل أبعاد الحياة وإن كان ممكن الوقوع فلا بدّ أنّه يحتاج إلى عملية خلق جديدة ومع ذلك فإن نفي النكاح لا يعني نفي التناسل والتكاثر، وبالتالي لابدّ من وجود طريقة للبقاء وطريقة أخرى للتغذية حتى لو كانت بطريقة ليست من الأكل والشرب. وفي هذه الحالة لابدّ لنا أن نقول أن هذا الجن هو إما من الملائكة أو هو قريب من الملائكة، وبالتالي فإنّه جنس مغاير للجان في كامل أبعاد الوجود ولا يشتركون معهم إلاّ بالاسم، وبالتالي فإنهم يخرجون عن مدار اهتمامنا إذ أننا معنيون بالجنّ الذين هم ثقل الحياة المقابل للإنس، وهم يأكلون ويشربون ويتناكحون بل أنّهم ابناء إبليس الذين يخلقون التفاعل في الحياة والدائرة القريبة منهم من سائر الجنّ.

الروايات أكدت على أنّهم يشبهون البشر في نظام التغذية ولا يختلفون إلاّ بوجود أطعمة خاصة بهم، وقد أشارت إلى هذا الأمر روايات منها:

عن وهب أنّه سئل عن الجنّ هل يأكلون ويشربون، أو يموتون أو يتناكحون؟ قال: هم أجناس، أمّا خالص الجنّ فهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يموتون ولا يتوالدون.

ومنهم أجناس يأكلون ويشربون ويتناكحون ويموتون وهي هذه التي منها السعالي والغول وأشباه ذلك[١].

هذه الرواية تبين انقسام عالم الجن إلى قسمين رئيسين من ناحية تناول الطعام وعدمه، فالقسم الرئيسي منهم أو الذين يمثلون خالص الجنّ فهم حالة غامضة جداً ربما تعلقَت بأوضاع بعيدة عن تصوراتنا، ولذلك فإن هذه الطبقة إن وجدت من الجن فإنّها خارج عن مدار اهتمامنا وبالتالي ورد الاتفاق على أنّ جميع الجن يأكلون ويشربون كمايلي:

اتَفقوا على أنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، وأمّا الجنّ والشياطين فإنّهم يأكلون ويشربون، قال عليه السلام في الروث والعظم: إنّه زاد إخوانكم من الجنّ، وأيضاً فإنّهم يتوالدون،قال تعالى: ﴿*أفتتخذونه وذريّته أولياء من دوني*﴾[٢] والله أعلم[٣].

فالفئة التي تأكل وتشرب ربما تقتات بصورة خاصة على العظم والروث ولسنا ندري إن كان هذا العظم هو جميع أنواع العظام أم أنّه عظم خاص يؤخذ من بعض الحيوانات مأكولة اللحم كالأغنام والأبقار!! ويبدو أن العظام المخصوصة هي التي تأكلها الجان وإلاّ فإن عظام الحيوانات الأخرى تبقى على حالها وإلاّ كان يفترض أنّها تؤكل من قبل الجن، ويقوّي ذلك أنّ الذين أعطوا العظم هم من مسلمي الجن كمايلي:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن استنجاء الرجل بالعظم أو البعر أو العود؟ قال: أمّا العظم والروث فطعام الجنّ وذلك ممّا اشترطوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لا يصلح بشيء من ذلك[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٤ ـ ١١٥.

(٢) سورة الكهف: ٥٠.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٢.

فهنا ورد النهي عن الاستنجاء بالعظم أو البعر أو العود، وذلك لأنَ العظم والروث هو طعام الجن كما شرط لهم رسول الله ﷺ ومثل هذا ورد في ما يلي:

لا يجوز الاستنجاء بالروث والعظم، لأنَ وفد الجنَ جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله متّعنا، فأعطاهم الروث والعظم، فلذلك لا ينبغي أن يستنجي بهما[١].

وفي هذه الرواية نفس الدلالة السابقة فيكون العظم والروث طعام الجن الخاص ولا يشاركهم فيه البشر ولكنّهم يشاركون البشر في أطعمتهم. ففي الحديث الوارد في بحار الأنوار جاء أن الشيطان يدخل ،فيسرق الطعام متخذاً صورة فيل، وهو طبعاً طعام البشر[٢]. وورد أيضاً أنّه دخل على صورة نسر، وهو يدل على أنَ الجن يأكلون أطعمة البشر إلى جانب أكلهم لطعامهم الخاص [العظم والروث] وجاء أن «أكلهم وشربهم تشمم واسترواح لا مضغ وبلع»[٣] وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه لكنه معارض بعدد من الروايات التي تدل على أنّهم يأكلون مضغاً وبلعاً، وورد أيضاً أن الرسول ﷺ أعطاهم «كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في يد أحدهم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعر علف لدوابهم» وهذا يدل على أن طعام دوابّهم خاص أيضاً وهو الروث الذي لا تأكله الدواب المعتادة.

غير أنَ هناك رواية تقول: «فدعوت الله تعالى لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلاّ وجدوا عليها طعاماً»[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٢ ـ ٧٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ /١١٢/ح٧٨.

(٣) غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة: ٥٤.

(٤) المصدر نفسه: ٥٥.

وهذا أوفق لولا المؤاخذات على الرواية التي جاء فيها أن أبا هريرة حمل أحجاراً للرسول صلى الله عليه وآله وهو في الخلوة مع أنّه من الثابت أن الرسول صلى الله عليه وآله لم يرى على خلوة قط، وهذا مسلّم عند جميع المسلمين. وهكذا فإننا أمام الروث والعظم نرى ثلاث مفاهيم: الأول: هو أن الجن يتشممونها ولا يأكلونها، والثاني: أنّهم يجدون رزقاً عندها، والثالث: يأكلونها كما يأكلون الطعام.

على أننا نرى أنّ الله يعدهم في سورة الرحمن بجنات فيها من الطيبات ولا يعقل أن يختلف جزاءهم عن ما هو مألوف في دنياهم؛ لأنّ الله يقول: ﴿ *وأتوا به متشابهاً* ﴾ وأن هذا يشمل الجنّ والإنس معاً، وعمومات الأدلّة تدلّ على أنّ الجن كالإنس في الطعام والشراب. إلاّ أن هذا أيضاً معارض بحقيقة وهي أن الجنّ إن كانوا يأكلون طعام البشر فلا بدّ لهم من مزارع وبساتين وأن هذا لابدّ أن يظهر على سطح الأرض، وإذا كانت أعدادهم بالكثرة التي تصفها الروايات وأن أراضي خاصة بهم لا تستطيع رؤيتها، فمن أين إذاً تتم اعالة هذا العدد الهائل من الجان؟ وإذا كانوا يشاركون البشر في زرعهم فلابدّ أن يحصل نقص واضح في طعام البشر وهو لا أثر له في أرض الواقع، إلاّ إذا قلنا أن الجنّ يأكلون القليل جداً ومما لا يظهر له ضرر على طعام الناس كان يأكل جماعة حبة حنطة أو قليل من خبز. وبغير هذه الطريقة لا نستطيع أن نفهم الرواية التي وردت في بحار الأنوار[1] والتي تقول أن مسلمي الجن يشاركون مسلمي البشر في الطعام، ذلك أن الرواية كأنّها تقول أن كل عائلة من الجن تعال من قبل عائلة من الإنس ،وإذا كان الأمر كذلك فلابدّ لنا أن نفترض أن ما تأكله عائلة الجن نسبة غير محسوسة من الطعام وإلاّ كان هذا قد ظهر على شكل نقص حاد في أطعمة العوائل المسلمة. هذا إلى جانب ما ورد من روايات من أن الشياطين من الجن تنتظر السوانح لنهب طعام الناس.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/١١٥/ح٨٤.

وورد أيضاً حول نفس الموضوع الرواية التالية:

عن الزبيربن العوام قلت: يا رسول الله أرى سواداً كثيرة، فخفض رسول الله ﷺ رأسه إلى الأرض فنظم عظماً بروثة فرمى به إليهم، ثمّ قال: هؤلاء وفد جنّ نصيبين سألوني الزاد فجعلت لهم كلّ عظم وروثة.

قال الزبير: ولا يحلّ لأحد أن يستنجي بعظم ولا روثة، ثمّ روى أيضاً عن ابن مسعود قال استتبعني رسول الله ﷺ ليلة ،فقال: إنّ نفراً من الجنّ خمسة عشر بنو إخوة وبنو عمّ يأتون الليلة فاقرأ عليهم القرآن، فانطلقت معه إلى المكان الذي أراد فجعل لي خطّاً ثمّ أجلسني فيه وقال: لا تخرجنّ من هذا فبتّ فيه حتّى أتاني رسول الله ﷺ من السحر وفي يده عظم حائل وروثة وجمجمة، وقال: إذا اتيت الخلا فلا تستنج بشيء من هذا، قال: فلمّا أصبحت قلت: لأعلمنّ حيث كان رسول الله ﷺ فذهبت فرايت موضع سبعين بعيراً[1].

وفي كتاب خبر البشر بخير البشر للعلامّة محمّد بن ظفر،عن ابن مسعود أنّه قال: قال رسول الله ﷺ وهو بمكّة: من أحبّ منكم أن يحضر الليلة أ ـر الجن؟ فانطلقت معه حتّى إذا كنّا بأعلى مكّة خطّ لي خطّاً ثم انطلق حتّى قام فافتتح القرآن فغشيته أسود كثيرة فحالت بيني وبينه حتّى ما أسمع صوته، ثم انطلقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط، ثم أتى النبيّ ﷺ فقال: ما فعل الرهط؟ قلت: هم أولئك يا رسول الله، فأخذ عظماً وروثاً فأعطاهم إيّاه، ونهى أن يستطيب أحد بعظم أو روث، وفي إسناده ضعف، وفيه أيضاً عن بلال بن الحارث، قال: نزلنا مع النبيّ ﷺ في بعض أسفاره بالعرج فتوجهت نحوه فلمّا قاربته سمعت لغطا وخصومة رجال لم

---

(١) ٦٠/٢٩٤.

أسمع أحدً من ألسنتهم، فوقفت حتى جاء النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يضحك فقال: اختصم إليّ الجنّ المسلمون والجنّ المشركون وسألوني أن أسكنهم، فأسكنت المشركين الغور كلّ مرتفع من الأرض: جلس ونجد، وكلّ منخفض غور[1].

ففي هذه الرواية منع الرسول صلى الله عليه وآله الاستنجاء بالعظم والروث لأنهما من مخصوصات الجن، وفي نفس الوقت الذي يعني أن الجن تترك العظم والروث الذي يستنجى به. ولسنا ندري إن كان الطعام يتم تناوله بنفس الطريقة أم أن التغذية تتم بطرق بحيث لا تؤدي إلى فناء العظم وزواله؟ المهم إنّ هذه النقطة غامضة.

وفي الرواية أيضاً بيان أن الرسول صلى الله عليه وآله أسكن الجن في الأغوار والبعض الآخر في المرتفعات، وكما يلوح في روايات أخرى يحتلون مواضع خاصة من المناطق الخالية من السكان كما في هذه الرواية التالية :

عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: خرج أبو محمّد عليّ بن الحسين عليه السلام إلى مكّة في جماعة من مواليه وناس من سواهم، فلمّا بلغ عسفان ضرب مواليه فسطاطة في موضع منها، فلمّا دنا عليّ بن الحسين عليه السلام من ذلك الموضع قال لمواليه: كيف ضربتم في هذا الموضع؟ وهذا موضع قوم من الجنّ هم لنا أولياء ولنا شيعة، وذلك يضرّ بهم ويضيق عليهم.

فقلنا: ما علمنا ذلك، وعزموا إلى قلع الفسطاط، وإذا هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول: يا بن رسول الله لا تحوّل فسطاطك من موضعه فإنّ نحتمل لك ذلك، وهذا ألطف قد أهديناه إليك ونحبّ أن تنال منه لنتشرّف بذلك، فإذا جانب الفسطاط طبق عظيم وأطباق معه فيها عنب ورمّان وموز وفاكهة كثيرة، فدعا أبو محمّد عليه السلام من كان معه فأكل وأكلوا من تلك الفاكهة.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

بيان: يدلّ على جواز التصرَف فيما أتى به الجنّ كما يقتضيه الأصل[١].

فهنا تشير الرواية إلى أن للجان مواضع خاصة يتخذونها موطناً للعيش وأنّهم أيضاً يشتركون مع الإنس في مواضع أخرى بل أنّهم سكنوا نفس منازل الإنس كما في الرواية التالية:

عن يزيد بن جابر قال: ما من أهل بيت من المسلمين إلاّ وفي سقف بيتهم أهل بيت من الجنّ من المسلمين، إذا وضع غداؤهم نزلوا وتغدّوا، وإذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشّوا معهم[٢].

وهناك رواية تؤيد هذا المضمون فتقول أنّهم يسكنون في بيت العنكبوت إذا حملنا الرواية على الظاهر، أما إذا كانت رمزية فلربما اختلفت الدلالة وهي كما يلي:

قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: بيت الشيطان من بيوتكم، بيوت العنكبوت[٣].

وتتضافر الرواية التالية مع سابقاتها في بيان الحال المشتركة في السكن وهي: جاء عن أبي جعفر عليه السلام، أتى رجل فشكى إليه: أخرجتنا الجنّ من منازلنا، يعني عمّار منازلهم فقال: اجعلوا سقوف بيوتكم سبعة أذرع واجعلوا الحمام في أكناف الدار، قال الرجل: ففعلنا فما رأينا شيئاً نكرهه[٤].

وهكذا فإننّا نرى وجود مساكن مشتركة للجن والإنس وهي مواضع في الدور والمنازل، وفي العادة تسمي العرب هذا الصنف من الجنّ بالعمّار،فقد جاء أن أبو عمر بن عبد البر، قال: «الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٩ ـ ٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠/١١٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦ / ٢٦٠.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠/٧٤.

منزلون على مراتب ، فإذا ذكروا الجن خالصاً ،قالوا: جني ،فإن أرادوا أنّه ممكن يسكن مع الناس ،قالوا: عامر، والجمع عمّار،فإن كان ممن يعرض للصبيان ،قالوا: أرواح ،فإن خبث وتعزم فهو شيطان ،فإن زاد على ذلك فهو مارد ،فإن زاد على ذلك وقوى أمره ،قالوا: عفريت والجمع عفاريت والله تعالى أعلم بالصواب»[1].

وهناك روايات تشير إلى السكن الخاص فتؤكد أنّه بعضهم يعيش في الماء وبعض في طبقات الهواء، وبعض يعيش في القفار بالإضافة إلى القصور والأبنية المهجورة. وهذا طبعاً لا يعني أماكن التواجد، فالجان الذين منهم القرناء فإنّهم متواجدون باستمرار مع الإنس وإن كل انسي مع شيطان يغويه.

وعلى هذا فإن مناطق سكن الجنّ بعضها مشتركة وهي تشمل كل المناطق المأهولة وبالإضافة إلى المناطق غير المأهولة، وهذا يعني أنّهم متواجدون في كل مكان تقريباً، وأن رقعة انتشارهم أوسع من نقطة انتشار الإنس، فالإنس يعيشون في المناطق المأهولة وهي ستكون مناطق مشتركة لهما بينما ينفرد الجان في المناطق الأخرى من الأرض بالإضافة إلى الهواء والماء التي لا يعيش فيها إنسان قط.

---

(١) عجائب وغرائب الجن: ٢٥.

## الحياة الانفعالية

هذه مجموعة من الأحاديث تنقل لنا صوراً من انفعالات الجان وإن كانت تتحدث عن مردة الجن [الشياطين] ولذلك فإن أحزان الشياطين غالباً ما تكون عندما يقوم الإنسان بعمل الخير. وتقع حوادث الهداية بنزول الأنبياء عليهم السلام ووصول أخبار السماء، ولهذا فإن رنة الشيطان سمعت حين نزول الوحي وسماعها من قبل بعض البشر حاكي عن قوة الحزن، فهو ينفعل انفعالات عادية لكن هذه الانفعالات لا تسمع لكنها هذه المرة خرقت الحواجز والقيود المفروضة على الشيطان بحيث يعيش منفصلاً عن الإنسان ولا يقع تحت حواسه وهنا رنة الشيطان التقطتها آذان البشر.

وفي الحديث التالي فإن حالة مشابهة وقعت خلال تأريخ الجن وأصابتهم بنوع من النكبات التأريخية، وهذه الرنات الأربع لا تعني الحصر ولكنها تشير إلى مواضع الحزن الشديدة في نقاط خاصة من تأريخه، وهي يوم لعنه أي حكم الله عليه بالطرد من الرحمة، ويوم أبعد عن السماء وعاش في الأرض، ويوم بعث الرسول صلى الله عليه وآله بالهداية لبني الإنسان، ويوم الغدير حيث تبينت معالم الدين بعتيين الوصي عليه السلام .

وهناك أحزان للشيطان أقل من هذه الأحزان العظيمة والتي منها حزنه لطول سجود المسلم.

وهكذا فإن الأحاديث تشير إلى الحياة الإنفعالية بين الجان والإنسان متكافئة، ولكن الأحاديث أشارت إلى بعض مواضع الحزن التي تفيد حدّية الجان [الشيطان] في اضلال الإنسان، وبالتالي فإنّه في حزنه وفي فرحه ناظر إلى الهدف في صراعه مع الإنسان، وهو الجانب الأهم من وجوده منذ طرد من السماء وحتى نهاية حياته عليها. وهذا لا يعني عدم وجود أفراح وأحزان أقل

وربما لم تذكر لأنّها تخرج عن أهداف الروايات التي تريد أن تنبه الإنسان إلى ما يهمه من حياة الشيطان ومنها ما يلي:

بإسناده عن جعفر بن محمّد الخزاعي ،عن أبيه ،قال: سمعت أبا عبد الله﵇ يذكر في حديث غدير خم أنّه لما قال النبيﷺ لعلي﵇ ما قال وأقامه للناس صرخ إبليس صرخة فاجتمعت له العفاريت فقالوا: يا سيّدنا ما هذه الصّرخة؟ فقال: ويلكم يومكم كيوم عيسى، والله لأضلّن فيه الخلق، قال: فنزل القرآن: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين﴾ [1] فقال: فصرخ إبليس صرخة فرجعت إليه العفاريت فقالوا: يا سيّدنا ما هذه الصرخة الأخرى؟ فقال: ويحكم حكى الله والله كلامي قرآناً وأنزل عليه: ﴿ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه فاتّبعوه إلاّ فريقاً من المؤمنين﴾ ثمّ رفع رأسه إلى السماء ثمّ قال: وعزّتك وجلالك لألحقنّ الفريق بالجميع، قال: فقال النبيّﷺ: ﴿بسم الله الرّحمن الرحيم إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [2].

قال: ثمّ صرخ إبليس صرخة فرجعت إليه العفاريت فقالوا: يا سيّدنا ما هذه الصرخة الثالثة؟ قال: والله من أصحاب عليّ، ولكن وعزّتك وجلالك يا ربّ لأزيننّ لهم المعاصي حتّى أبغضهم إليك قال: فقال أبو عبد الله﵇: والذي بعث بالحقّ محمّداً، للعفاريت والأبالسة على المؤمن أكثر من الزنانبير على اللحم، والمؤمن أشدّ من الجبل، والجبل تدنو إليه بالفأس فتنحت منه، والمؤمن لا يستقلّ عن دينه[3].

وجاء عن أبي عبد الله﵇ قال: رنّ إبليس أربع رنّات: أوّلهن يوم لعن، وحين أهبط إلى الأرض، وحين بعث محمّدﷺ على حين فترة من الرسل،

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٦ - ٢٥٧.

(٢) سورة سبأ: ٢٠.

(٣) سورة الإسراء: ٦٥.

وحين أنزلت أمّ الكتاب، ونخر نخرتين: حين أكل آدم من الشجرة، وحين أهبط من الجنّة.

بيان: مخالفة الرنّة الرابعة لما سبق لا ضير فيها، لعدم التصريح فيهما بالحصر ، والنخير صوت بالأنف يصات به عند الفرح، والمرأة تفعله عند الجماع، ولذا تكرهه بعض العرب قال في القاموس: نخر ينخر وينخر نخيراً: مدّ الصوت في خياشيمه[1].

ففي الحديث الأول أشار إلى حزن الشيطان عند الأحداث الضخمة التي فجعته، وفي الرواية الأخرى موضع للحزن وآخر للفرح.

## نوح الشيطان

قال أمير المؤمنين عليه السلام: لقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه وآله، فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنّة؟ فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنّك لست بنبيّ ولكنك وزير وإنّك لعلى خير[2].

وجاء عن جعفر بن محمّد ،عن أبيه عليهما السلام قال: أنّ إبليس عدوّ الله رنّ أربع رنّات: يوم لعن، ويوم أهبط إلى الأرض ،ويوم بعث النبيّ صلى الله عليه وآله ويوم الغدير.

بيان: الرنّة بالفتح: الصوت ويطلق غالباً على ما يكون عند مصيبة أو داهية شديدة[3].

وروي عن زيد الشحام ،عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ العبد إذا سجد فأطال السّجود نادى إبليس: يا ويله أطاع وعصيت وسجد وأبيت[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٧-٢٤٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤١.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢١.

توضيح: قال في النهاية: في حديث أبي هريرة: إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ،ويقول: يا ويله.

الويل: الحزن والهلاك والمشقّة من العذاب وكلّ من وقع في هلكة دعا بالويل ومعنى النداء فيه: يا ويلي ويا حزني ويا هلاكي ويا عذابي احضر فهذا وقتك وأوانك فكأنّه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع والشدّة، وعدل عن حكاية قول إبليس يا ويلي، كراهة أن يضيف الويل إلى نفسه[1].

وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا ولد وليّ الله خرج إبليس لعنه الله فصرخ صرخة يفزع لها شياطينه ،قال: فقالت له: يا سيّدنا مالك صرخت هذه الصرخة؟ قال: فقال: ولد وليّ الله قال: فقالوا: وما عليك من ذلك؟ قال: إنّه إن عاش حتّى يبلغ مبلغ الرجال هدى الله به قوماً كثيراً، قال: فقالوا له: أولا تأذن لنا فنقتله؟ قال: لا، فيقولون له: ولم وأنت تكرهه؟ قال: لأنّ بقاءنا بأولياء الله، فإذا لم يكن في الأرض من وليّ قامت القيامة فصرنا إلى النار، فمالنا نتعجّل إلى النار[2]؟.

أمّا بالنسبة لجانب الفرح فإن الشيطان يفرح بنفس الطريقة التي يحزن فيها. وهناك أحاديث دلّت على ذلك هي:

## ابليس أوّل من تغنّى

روي عن جابر ،عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: كان إبليس أوّل من ناح وأوّل من تغنّى وأوّل من حدا، قال: لمّا أكل آدم من الشجرة تغنّى، فلما أهبط إلى الأرض حدا به، فلما استقرّ على الأرض ناح فأذكره ما في الجنّة، فقال آدم: ربّ هذا الذي جعلت بيني وبينه العداوة لم أقو عليه وأنا في الجنّة وإن لم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٤٩.

تعنّي عليه لم أقو عليه، فقال الله: السيئة بالسيئة والحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ،قال: رب زدني. قال: لا يولد لك ولد إلاّ جعلت معه ملكاً أو ملكين يحفظانه، قال: ربّ زدني، قال: التوبة مفروضة في الجسد ما دام فيها الروح، قال: ربّ زدني، قال: أغفر الذنوب ولا أبالي . قال: حسبي . قال: فقال إبليس: ربّ هذا الذي كرّمت عليّ وفضلّته وإن لم تفضّل عليّ لم أقو عليه ،قال: لا يولد له ولد إلاّ ولد لك ولدان، قال: ربّ زدني، قال: تجري منه مجرى الدم في العروق، قال: ربّ زدني، قال: تتخذ أنت وذريّتك في صدورهم مساكن . قال: ربّ زدني، قال: تعدهم وتمنيهم وما يعدهم الشيطان إلاّ غروراً[١].

وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من أحد يموت من المؤمنين أحبّ إلى إبليس من موت فقيه[٢].

وعن جابر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إبليس أوّل من تغنّى، وأوّل من ناح، لمّا أكل آدم من الشجرة تغنّى[٣].

وفي هذه الأحاديث اشارة إلى جانب الفرح في حياة الشيطان، إذ أنّه يفرح عندما يموت أحد المؤمنين سواء كان عالماً أو مؤمناً غير فقيه. وفي هذا دلالة على أنّه فرحاً جدياً يرتبط أيضاً بالعداء لبني آدم، لكن توجد اشارة إلى أسبقية في الجانب الانفعالي سواء كان من جانب الفرح أو الحزن.

وهناك دلالة خارجة عن المقام حيث يراعي الله موازين العدل في ابتلاء الإنسان بالشيطان وسنمر عليه في أبحاث لاحقة.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٩.

## الحياة العقلية

تعتبر الحياة العقلية وأنماط التفكير مـن أهـم عوامل الشخصية لأنّها التي يترتب عليها سلوكه وطريقة تعامله مع الواقع، وبحسب الرؤية الإسلامية فإنّها أهـم أهداف حركة التأريخ لأن سلامة العقل هي التي تجعل الإنسان يتخذ قراره بالانتماء إلى دائرة الإيمان أو دائرة الشرك. وهـو أمر قائم على العلم لأنّ الله قال: ﴿*إنّما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ*﴾ وعدم الخشية تنم عن الجهالة وعدم العلم أو إصابة العقل بلوثة واضطراب في التفكير. وقد وصف الله أهل المعاصي والمشركين بأنّهم مرضى القلوب ﴿*في قلوبهم مرض*﴾.

ومن خلال متابعة الروايات التي شرحت هذا الجانب في شخصية الجان فإننا نلاحظ هذه الحقيقة إلى جانب طغيان العاطفة التي تدفعه للنزق وسرعة اتخاذ القرارات، ثـم النـدم والبكاء على هـذه القـرارات الخاطئة بحيث أن بعض ما يعرفه الشيطان من حقائق عن نفسه وعن العالم لا تردعه عن ارتكاب الأخطاء التي تفرض هذه المعرفة عدم ارتكابها.

ومـن هنا فإننا نلاحظ جملة معالم منها قوة العاطفة وضعف الإرادة والانحراف في التفكير حتى تكون في النهاية أي معرفة مـن هـذا النوع مـن الشخصيات لا تؤدي إلا إلى تسخيرها في اطار الانحراف وهـو ما يحصل بالنسبة للجان.

لقد وردت عدد من الأحاديث تتحدث عن طبيعة عقل الشيطان [الجان] وأسلوبه في التفكير ومصادر معلوماته. وهـذه الأحاديث بيّنت أن الاستماع إلى السماء هو أحد االمصادر الهامة للحصول على المعلومات، والتي طبعاً يحاول الإفادة منها في اضلال الناس ويستخدمها إلى زرع اعتقادات خاطئة لدى أبناء البشر وبالتالي جرهم لاتباعه.

لكنه من جهة أخرى محدود المصادر وأنه لا يعلم الغيب، وأنّ وفاة نبي الله سليمان﵇ القريب من الشياطين عجزوا عن اكتشافها ولولا الأرضة لظلوا يعتبرونه حياً، وهذا يعكس بالطبع أن معلوماتهم محدودة.

أمّا من ناحية أسلوب التفكير فإن الشيطان مختل التفكير ويقوم باللجوء إلى قياسات خاطئة؛ لأنّه لا يستطيع النفوذ إلى العلل بل يعمد إلى المعلومات الناقصة كما فعل مع آدم﵇ ذلك أنّه لم يحاول معرفة علّة تكريم الله سبحانه. ولجأ إلى ما يعرفه عن الأصل، والأصل غير الكائن الذي ينتمي إليه.

## رمي الشهب ـ معلومات الجن

روى الزهريّ عن عليّ بن الحسين﵇ قال: بينا النبيّﷺ جالس في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم فاستنار ،فقال: ما كنتم تقولون في الجاهليّة إذا حدث مثل هذا؟ قالوا: كنّا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم، فقال النبيّﷺ: لا يرمى لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربّنا تعالى إذا قضى الأمر في السّماء سبّحت حملة العرش ثم سبّح أهل السّماء وسبّح كلّ سماء حتى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبر أهل السّماء حملة العرش: ماذا قال ربّكم؟ فيخبرونهم، ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء إلى سماء إلى أن ينتهي الخبر إلى هذه السماء، ويتخطّف الجن فيرمون، فما جاءوا به فهو حقّ ولكنّهم يزيدون[1].

وفي هذا الحديث اشارة إلى أن أحد مصادر المعلومات لدى الجن هو الاستماع إلى السّماء وإلى الوحي، وأن لديهم نتيجة لهذا الاستماع اطلاع على بعض الحقائق. وقد أوضحنا في كتاب الملائكة من هذه الموسوعة أن

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٩.

الوحي أوسع من الايحاء بالرسالات، وأنّه أيضاً يشمل الإيحاء بالحوادث اليومية والأرزاق والآجال والولادات والوفيات وكل ذلك معلومات، ويمكن أن تتركب منها معلومات أخرى بطريقة اللازم والملزوم والتراكم، وهذا يفتح للجان فرص للحصول على معلومات كثيرة أخرى، وفي نفس الوقت تفسير لما تقوم به الملائكة من رمي الشهب على الشياطين.

جاء عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر بن محمّد، عن أبيه جعفر عليه السلام قال: إنّ سليمان بن داود عليه السلام قال ذات يوم لأصحابه: إنّ الله تبارك وتعالى قد وهب لي مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعدي، سخّر لي الريح والإنس والجنّ والطير والوحوش، وعلّمني منطق الطير، وآتاني كلّ شيء، ومع جميع ما أوتيت من الملك ما تمّ لي سرور يوم إلى الليل، وقد أحببت أن أدخل قصري في غد، وأصعد أعلاه وأنظر إلى ممالكي، فلا تأذنوا لأحد عليّ لئلا يرد عليّ ما ينغّص عليّ يومي، قالوا: نعم.

فلمّا كان من الغد أخذ عصاه بيده وصعد إلى أعلى موضع من قصره، ووقف متكئاً على عصاه ينظر إلى ممالكه مسروراً بما أوتي، فرحاً بما أعطي، إذ نظر إلى شابّ حسن الوجه واللباس قد خرج عليه من بعض زوايا قصره.

فلمّا بصر به سليمان عليه السلام قال له: من أدخلك إلى هذا القصر وقد أردت أن أخلو فيه اليوم؟ فبإذن من دخلت؟ فقال الشاب: أدخلني هذا القصر ربّه وبإذنه دخلت، فقال: ربّه أحقّ به منّي، فمن أنت؟ قال: أنا ملك الموت، قال عليه السلام: وفيما جئت؟ قال: جئت لأقبض روحك، قال: امض لما أمرت به، فهذا يوم سروري، أبى الله عزّ وجلّ أن يكون لي سرور دون لقائه، فقبض ملك الموت روحه وهو متّكئ على عصاه.

فبقي سليمان متّكئاً على عصاه وهو ميّت ما شاء الله والناس ينظرون إليه وهم يقدّرون أنّه حي، فافتتنوا فيه واختلفوا فمنهم من قال: إنّ سليمان قد

بقي متكئاً على عصاه هذه الأيام الكثيرة ولم يتعب ولم ينم ولم يأكل ولم يشرب؟ إنّه لربّنا الذي يجب علينا أن نعبده، وقال قوم: إنّ سليمان ساحر، وأنّه يرينا أنّه واقف متكئ على عصاه يسحر أعيننا وليس كذلك، فقال المؤمنون: إنّ سليمان هو عبد الله ونبيّه يدبّر الله أمره بما شاء.

فلمّا اختلفوا بعث الله عزّ وجلّ الأرضة فدبّت في عصاه فلما أكلت جوفها انكسرت العصا وخرّ سليمان من قصره على وجهه، فشكر الجنّ للأرضة صنيعها فلأجل ذلك لا توجد الأرضة في مكان إلاّ وعندها ماء وطين، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ***فلمّا قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته*** ﴾ يعني عصاه ﴿ ***فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين*** ﴾[1].

ثمّ قال الصادق عليه السلام: والله ما نزلت هذه الآية هكذا، وإنّما نزلت «فلما خرّ تبينت الإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين»[2].

وهذا الحديث يحمل نفس المضمون السابق.

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إلى سليمان بن داود عليه السلام: أنّ آية موتك أنّ شجرة تخرج من بيت المقدس، يقال لها: الخرنوبة، قال: فنظر سليمان يوماً، فإذا الشجرة الخرنوبة قد طلعت في بيت المقدس، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرنوبة. قال: فولّى سليمان مدبراً إلى محرابه، فقام فيه متكئاً على عصاه، فقبض روحه من ساعته قال: فجعلت الإنس والجن يخدمونه، ويسعون في أمره كما كانوا، وهم يظنّون أنّه حيّ لم يمت،

---

(١) سورة سبأ: ١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٨ ـ ٨٠.

يغدون ويروحون وهو قائم ثابت، حتّى دنت الأرضة من عصاه فأكلت منسأته فانكسرت وخرّ سليمان إلى الأرض، أفلا تسمع لقوله عزّ وجلّ: ﴿ *فلمّا خرّ تبيّنت الجن* ﴾ الآية[١].

## طريقة تفكير الشيطان - أول من قاس

دخل أبو حنيفة على أبي عبد الله عليه السلام فقال له: يا أبا حنيفة بلغني أنّك تقيس؟ قال: نعم أنا أقيس، قال: ويلك لا تقس إنّ أوّل من قاس إبليس، قال: ﴿ *خلقتني من نار وخلقته من طين* ﴾ قاس ما بين النار والطين ولو قاس نوريّة آدم بنور النار عرف فضل ما بين النورين وصفاء أحدها على الآخر[٢].

وهذا فيه دلالة على أن إبليس قاس قياساً خاطئاً؛ لأنّه قاس على ظواهر النار والطين وما بينهما من فوارق ولم يستطع عقله الذهاب بعيداً للمقارنة بين الأحياء التي تنتمي إلى النار والطين، فالحي الذي أصله الطين لم يعد هو نفس الطين بعد أن حصلت تحولات جعلته طيناً حياً، وبالتالي لابدّ من المقارنة بين الأحياء نفسها وليس بين أصولها، وهذا يقتضي الإلمام بالأبعاد والعلل والغايات ومن ثم الخروج بالنتائج، ووجود معيار صادق يمكن الركون إليه في الوصول إلى صحة النتائج، وكل ذلك لم يقم به الشيطان ولهذا جاءت النتائج غير دقيقة، فأوقعته في اللعن والإبعاد ثم لم يتراجع.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٨ - ١٩٩.

## علم الشياطين

وفي رواية عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ سليمان بن داود عليهما السلام أمر الجنّ فبنوا له بيتاً من قوارير، فبينا هو متّكئ على عصاه ينظر إلى الشياطين كيف يعملون وينظرون إليه إذ حانت منه التفاتة، فإذا هو برجل معه في القبّة ففزع منه وقال: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أقبل الرشى ولا أهاب الملوك، أنا ملك الموت، فقبضه وهو متّكئ على عصاه فمكثوا سنة يبنون وينظرون إليه ويدأبون له ويعملون حتّى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته وهي العصا، فلمّا خرّ تبينت الإنس أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب ما لبثوا سنة في العذاب المهي،ن فالجنّ تشكر الأرضة بما عملت بعصا سليمان، قال: فلا تكاد تراها في مكان إلاّ وجد عندها ماء وطين، فلمّا هلك سليمان وضع إبليس السحر وكتبه في كتاب ثمّ طواه وكتب على ظهره: هذا ما وضع آصف بن برخيا للملك سليمان بن داود من ذخائر وكنوز العلم من أراد كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، ثمّ دفنه تحت السرير ثمّ استثاره لهم فقرأه فقال الكافرون: ما كان سليمان عليه السلام يغلبنا إلاّ بهذا، وقال المؤمنون: بل هو عبد الله ونبيّه[1].

وهنا من خلال النموذج العملي على أن معلومات الجن شبيهة بمعلومات الإنسان وإنها اكتسابية، وأحياناً تصل إلى الظواهر ولا تستطيع الوصول إلى واقع الأمور، ولهذا فإن موت سليمان عليه السلام ظل خافياً على الجن الذين يعملون له ولم يستطيعوا الاطلاع على مغادرة الروح لبدنه، ولكنه حين خرّ إلى الأرض عرفوا بالأمر وعندها أرادوا الإفادة في اضلال بعض الناس من خلال الكتاب الذي جمعوا فيه بعض المعلومات عن السّحر.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٩ - ٢٨٠.

## الحياة الدينية

إذا كان الدين هو عبارة عن شكل علاقة بالخالق تترتب عليها علاقة بالخلق [طبيعة أحياء] فإنّه من الطبيعي أن يعيش الجنّ هذا النوع من العلاقة بصورة أطول بحكم أسبقية الوجود التأريخي، وبالتالي فإننا نستطيع ارجاع جميع أشكال العبادة المنحرفة وديانات الضلال إلى الجان، وإنها ستكون نوعين: نوع يتم تسريبه عمداً ونوع آخر يتم بواسطة التأثر، إذ لا يكون علم الجان حائلاً دون وقوع الخطأ في التفكير والجنوح نحو أنواع من الديانات المنحرفة التي يعتقد بها الجان ثم ينقلها إلى الإنس، إذ أنّه كما يبدو أن موهبة إبليس الرئيسية هي قدرته على الوسوسة والإقناع بواسطتها. ويمكننا أن نفسر مجراه من دم الإنسان هو اطلاعه على أساليب تفكير الإنسان والإفادة منها في خلق قناعات خاطئة. وهو ما يعرف في عالم اليوم أساليب الإعلام والدعاية حيث يتم السيطرة على ملايين البشر وجرها إلى مواقف مخطط لها بطريقة من الإيحاء والتنويم الجماعي، وأنّها لا تكون قائمة على أساس الحساب الدقيق والمعرفة العلمية، بل لعل المواقف تتخذ مع وجود العلم بما يناقض هذا الموقف.

ومن هنا نستطيع القول بأنّ هذه الحالة موجودة بشيوع ورواج كبيرين في أوساط الجان وعلى أساسها تتأسس اعتقادات الجنّ. وقد مرّ بنا في الحياة العقلية حالة الانفصال بين العلم والسلوك، وقد أشار القرآن إلى نماذج من سلوكية بني إسرائيل ﴿ *يحاجّوكم به عند ربّكم* ﴾ وهو خارج الحياة الدينية موجود أيضاً، إذ أن ملايين البشر يعتقدون بضرر السكائر مثلاً لكن هذا الاعتقاد والعلم لا يستطيع أن يتحول إلى فعل هو تجنب التدخين والمخدرات وخصوصاً التدخين؛ لأنّه لا يجلب منفعة مثل المخدرات ولكنه مع ذلك يحظى بالإقبال.

وفي النتيجة أن العلم بحقيقة معينة لا يؤدي إلى العمل بها، ولهذا فإن اطلاع الجان على حقائق الآخرة لا يمنع من بروز الانحرافات في الاعتقاد والسلوك. ومن هناك يحدث التسريب إما عمداً وبقصد ايقاع الانحراف أي مع العلم كما في حالة إبليس أو نتيجة للتأثير والتأثر مع وجود انحراف.

ولهذا فإن الحياة الدينية عند الجان حياة معقدة وأنّها أول تجربة طاعة ارادية في الوجود، ولهذا فإنّها اقتضت مرحلة طويلة ربّما كانت لخلق الاستئناس لدى الجان بالعبادة، ولكي يعتادوا على الطاعة لمعادلة الدوافع الغريزية لديهم وذلك من خلال المعايشة مع الكائنات المطيعة طاعة كاملة وأن هذا استغرق فترات زمنية طويلة، وفي هذه الفترة لا توجد معصية بالمعنى المعروف أي الاقدام على العصيان مع الاصرار والعلم، وبذلك يكون النموذج القابل للاقتداء هو النموذج المطيع وكما هو معلوم أن نموذج الاقتداء هو الأقوى من ناحية التأثير.

وهذا طبعاً مجرد فهم ولا يوجد دليل عليه سوى ما نعلمه من أن الله سبحانه وتعالى لا يفعل شيء إلاّ ما يوجد له أسباب كافية تجعل منه ضرورياً، إذ لا عبث في أفعال الله أو فضول وزيادة بل إن كل شيء محسوب بدقة، ولهذا فإن وضع إبليس مع الملائكة لابدّ أن يكون له سبب وإلاّ كان بإمكان الله سبحانه وتعالى أن يجعل له مكاناً في هذا الكون الفسيح يفرد له فيه حيزاً للحياة والبلاء. وقد تناولت هذا الطور من حياة الجان أحاديث منها:

## طول سجود إبليس قبل الكفر

جاء عن عليّ بن عطيّة ،قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ إبليس عبد الله في السَماء سبعة آلاف سنة في ركعتين فأعطاه الله ما أعطاه ثواباً له بعبادته[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٠.

وعن الحسن بن عطيّة ،قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ إبليس عبدالله في السماء الرابعة في ركعتين ستّة آلاف سنة، وكان إنظار الله إيّاه إلى يوم الوقت المعلوم بما سبق من تلك العبادة[1].

وعن الحسن بن عطيّة ،قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: حدّثني كيف قال الله عزّ وجلّ لإبليس: ﴿ ***فإنك من المنظرين ❁ إلى يوم الوقت المعلوم*** ﴾ [2] قال: لشيء كان تقدّم شكره عليه، قلت: وما هو؟ قال: ركعتان ركعهما في السّماء في ألفي سنة أو في أربعة آلاف سنة[3].

بيان: يمكن رفع التنافي بين أزمنة الصّلاة والسجود بوقوع الجميع وبصدور البعض موافقاً لأقوال العامّة تقيّة.

وفي هذه الأحاديث جميعاً تأكيد على أن أسلوب عبادة إبليس مطابقة تماماً للروايات التي تحدثت عن طول سجود الملائكة، ولقد كان إبليس واحداً منهم، ولذلك فإنّه كان يؤدي عبادته بطريقة تشبههم، وهكذا فإن سبعة الآلاف سنة لا يعلم هل كانت من سني السماء أم من سني الأرض قطعها إبليس في ركعتين أو سجدتين؟.

ولما وقعت المعصية من إبليس فإنّه أحس بالندم وحاول الاستغفار ولكنه أراد أن يعفيه الله من السجود وهو ما ورد في الحديثين التاليين:

جاء عن الصّادق عليه السلام قال: أمر الله إبليس بالسجود لآدم ،فقال: يا ربّ وعزّتك إن أعفيتني من السجود لآدم لأعبدنّك عبادة ما عبدك أحد قطّ مثلها، قال الله جلّ جلاله: إنّي أحبّ أن أطاع من حيث أريد[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٤.

(٢) سورة ص: ٨٠-٨١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٠.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٠.

بإسناده عن عبد الحميد أبي العلاء، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال لي: يا أبا محمّد والله لو أن إبليس سجد لله بعد المعصية والتكبّر عمر الدنيا ما نفعه ذلك، ولا قبله الله عزّ وجلّ منه ما لم يسجد لآدم كما أمره الله أن يسجد له الحديث[1].

وهذا طبعاً شكل من أشكال الاضطراب الذي تعاني منه شياطين الجنّ فإنّها تريد أن تختار أسلوب الطاعة، وهو لا يؤدي الغرض من العبادة والغرض منها قبول الأوامر الالهية سواء كانت محبوبة أو مكروهة، ويمكننا أن نجد أن البشر يعيشون هذا النوع من الاضطراب حيث يربطون بين قبول العبودية إذا جاءت عن طريق الحس ويرفضون الإيمان بما لا يرون.

فهناك في كل عبادة وطاعة ملاك ومصلحة معينة وحين لا تمتثل فإن المصلحة تضيع على العبد، وهذا لا علاقة له بإدراك العبد لهذه المصلحة أو عجزه عنها إذ أن عدد من المصالح صعب ادراكها على العقول البسيطة. ولهذا فإن الله لا يسخّرها إلاّ بعد فترة ولنا في الأمر الصادر إلى الملائكة بالسجود نموذجاً لهذه الطاعة غير المربوطة بالعلم إنها طاعة في كل الأحوال.

## التكليف

وتبدأ مرحلة التكليف مع الحادثة الأولى وهي حادثة خلق آدم التي كفر معها إبليس، وقد اختلفوا هل كان قبل إبليس كافر أو لا؟ فقيل: لا وإنّه أوّل من كفر، قيل: كان قبله قوم كفّار وهم الجنّ الذين كانوا في الأرض.

وقد اختلفوا في كفر إبليس هل كان جهلاً أو عناداً؟ على قولين لأهل السنّة، ولا خلاف أنّه كان عالماً بالله تعالى قبل كفره، فمن قال: إنّه كفر جهلاً قال: إنّه سلب العلم الذي كان عنده عند كفره، ومن قال: كفر عناداً قال: كفر

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٨.

ومعه علمه، قال ابن عطيّة: والكفر مع بقاء العلم مستبعد إلاّ أنّه عندي جائز لا يستحيل مع خذلان الله تعالى لمن يشاء.

وذكر البيهقي في شرح الأسماء الحسنى في قوله تعالى: ﴿ ماكانوا ليؤمنوا إلاّ أن يشاء الله ﴾ [(١)] عن عمر بن ذرّ قال: سمعت عمر بن عبد العزيز يقول: لو أراد الله تعالى أن لا يعصى لم يخلق إبليس وقد بيّن ذلك في آية من كتابه وفصّلها علمها من علمها وجهلها من جهلها وهي قوله تعالى: ﴿ ما أنتم عليه بفاتنين ❖ إلاّ من هو صال الجحيم ﴾ [(٢)] ثمّ روى من طريق عمرو بن شعيب ،عن أبيه ،عن جدّه أنّ النبيّ ﷺ قال لأبي بكر: يا أبا بكر لو أراد الله أن لا يعصى ما خلق إبليس.

وقال رجل للحسن: يا أبا سعيد أينام إبليس؟ فقال: لو نام لوجدنا راحة، ولا خلاص للمؤمن منه إلاّ بتقوى الله تعالى.

وقال في الأحياء: من غفل عن ذكر الله تعالى ولو لحظة ليس له قرين في تلك اللحظة إلاّ الشيطان، قال تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهو له قرين ﴾[(٣)] [(٤)].

فكفر إبليس جاء أثر أول تكليف جاء عبر بلاء إبليس بآدم، وأثر فشله صار الضلال والاضلال للبشر مهمة رئيسية له. وقد كان هذا الأمر في يوم خاص كما في الرواية التالية:

---

(١) سورة الأنعام: ١١١.

(٢) سورة الصافات: ١٦٢-١٦٣.

(٣) سورة الزخرف: ٣٦.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٩-٣١١.

قال النبيّ صلى الله عليه وآله: الخميس يوم خامس من الدنيا ،وهو يوم أنيس ،لعن فيه إبليس ،ورفع فيه إدريس. الخبر[1].

فالمرحلة الأولى كانت بداية التكليف الذي يأخذ صورته الكاملة في المرحلة الثانية وعند النزول إلى الأرض. وقد تظافرت الأدلة عليها وجاء حولها مايلي:

((لا خلاف في أنّ الجنّ والشياطين مكلّفون، وأنّ كفارهم في النّار معذّبون، وأمّا أن مؤمنهم يدخلون الجنّة فقد اختلف فيه العامّة، ولم أر لأصحابنا فيه تصريحاً.

قال عليّ بن إبراهيم في تفسيره: سئل العالم عليه السلام عن مؤمني الجنّ يدخلون الجنّة؟ فقال: لا، ولكن لله حظائر بين الجنّة والنار يكون فيها مؤمنوا الجنّ وفسّاق الشيعة.

ولا خلاف في أنّ نبيّنا صلى الله عليه وآله مبعوث عليهم، وأمّا سائر أولي العزم عليهم السلام فلم يتحقّق عندي بعثهم عليهم نفياً أو إثباتاً، وإن كان بعض الأخبار يشعر بكونهم مبعوثين عليهم، و لابدّ في إثبات الحجّة عليهم من بعثة نبيّ عليهم منهم أو بعثة الأنبياء من الإنس عليهم أيضاً، وقد مرّ أنّه بعث فيهم نبيّ يقال له: يوسف، وقد مضى كلام الطبرسيّ رحمه الله والأقوال التي ذكرها في ذلك))[2].

وجاء أيضاً: وأجمع المسلمون على أنّ نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله مبعوث إلى الجنّ كما هو مبعوث إلى الإنس، قال الله تعالى: ﴿ ***وأوحي إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ*** ﴾[3] والجنّ بلغهم القرآن، وقال تعالى: ﴿ ***وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن*** ﴾[4]، وقال: ﴿ ***تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين*** 

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٩١.

(٣) سورة الأنعام: ١٩.

(٤) سورة الأحقاف: ٢٩.

*نذيراً* ﴾[١] وقال: ﴿ *وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين* ﴾[٢] وقال: ﴿ *وما أرسلناك إلّا كافّة للناس* ﴾[٣].

وقال الجوهري: الناس قد تكون من الجنّ والإنس، وقال تعالى خطاباً لفريقين: ﴿ *سنفرغ لكم أيّها الثقلان ❖ فبأي آلاء ربّكما تكذبان* ﴾[٤]، والثقلان: الجنّ والإنس، سميّا بذلك لأنّهما ثقلا الأرض، وقيل: لأنّهما مثقلان بالذنوب وقال: ﴿ *ولمن خاف مقام ربه جنّتان* ﴾[٥] ولذلك قيل: إنّ من الجنّ مقربين وأبراراً، كما أنّ من الإنس كذلك، وخالف في ذلك أبو حنيفة والليث فقال: ثواب المؤمنين منهم أن يجاروا من العذاب، وخالفهم الأكثرون حتّى أبو يوسف ومحمّد وليس لأبي حنيفة والليث حجّة إلاّ قوله تعالى: ﴿ *ويجركم من عذاب اليم* ﴾ وقوله: ﴿ *فمن يؤمن بربّه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً* ﴾[٦] فلم يذكر في الآيتين ثواباً غير النجاة من العذاب[٧].

## الحياة الدينية

والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الثواب مسكوت عنه.

والثاني: أن ذلك من قول الجنّ، ويجوز أن يكونوا لم يطّلعوا إلاّ على ذلك وخفي عليهم ما أعدّ الله لهم من الثواب، وقيل: إنّهم إذا دخلوا الجنّة لا

---

(١) سورة الفرقان: ١.

(٢) سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٣) سورة سبأ: ٢٨.

(٤) سورة الرحمن: ٣١-٣٢.

(٥) سورة الرحمن: ٤٦.

(٦) سورة الأحقاف: ٣١.

(٧) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٩٢-٢٩٣.

يكونون مع الإنس بل يكونون في ربضها، وفي الحديث عن ابن عبّاس: قال: الخلق كلّهم أربعة أصناف فخلق في الجنّة كلهم وهم الملائكة، وخلق في النار كلهم وهم الشياطين، وخلق في الجنّة والنار وهم الجنّ والإنس لهم الثواب وعليهم العقاب، وفيه شيء وهو أنّ الملائكة لا يثابون بنعيم الجنّة.

ومن المستغربات ما رواه أحمدبن مروان المالكيّ الدينوريّ ،عن مجاهد أنّه سئل عن الجنّ المؤمنين أيدخلون الجنّة، فقال: يدخلونها ولكن لا يأكلون فيها ولا يشربون بل يلهمون التسبيح والتقديس فيجدون فيه ما يجد أهل الجنّة من لذيذ الطعام والشراب.

ويدلّ على عموم بعثته ﷺ من السنّة ،أحاديث: منها ما روي عن مسلم عن ابي هريرة أنّ النبيّ ﷺ قال: أعطيت جوامع الكلم وأرسلت إلى الناس كافّة.

وفيه: من حديث جابر: وبعثت إلى كلّ أحمر وأسود.

وفيه: عن ابن مسعود قال: كنّا مع النبيّ ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، فلمّا أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرّ ليلة بات بها قوم، قال: أتاني داعي الجنّ فذهبت معه وقرأت عليهم القرآن فانطلق بنا فأرانا آثار نيرانهم، وسألوه الزاد فقال: لكم كلّ عظم ذكر اسم الله عليه تأخذونه فيقع في أيديكم أوفر ما كان لحماً، وكلّ بعر علف لدوابكم قال: فلا تستنجوا بهما فإنّهما طعام إخوانكم الجنّ.

وروى الطبراني بإسنادٍ حسن ،عن الزبير بن العوّام ،قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في مسجد المدينة فلمّا انصرف قال: أيّكم يتبعني إلى وفد الجنّ الليلة؟ فسكت القوم ولم يتكلّم منهم أحد، قال ذلك ثلاثاً، فمرّ بي يمشي فأخذ بيدي فجعلت أمشي معه حتّى يتباعد عنا جبال المدينة كلّها وأفضينا إلى أرض براز، وإذا رجال طوال كأنّهم الرماح مستثفري ثيابهم من

بين أرجلهم، فلمّا رأيتهم غشيتني رعدة شديدة حتّى ما تمسكني رجلاي من الفرق، فلمّا دنونا منهم خطّ لي رسول الله ﷺ بإبهام رجله في الأرض خطّاً وقال لي: اقعد في وسطه، فلما جلست ذهب عنّي كلّ شيء أجده من ريبة، وبقي ﷺ بيني وبينهم فتلا قرآناً رفيعاً حتّى طلع الفجر ثمّ أقبل حتّى مرّ بي فقال: الحق بي، فجعلت أمشي معه فمضينا غير بعيد فقال: التفت فانظر هل ترى حيث كان أولئك من أحد[1]؟.

وروى الشافعي والبيهقيّ أنّ رجلاً من الأنصار خرج يصلّي العشاء، فسبته الجنّ، وفقد أعواماً وتزوجت امرأته ثمّ أتى المدينة فسأله عمر عن ذلك فقال: اختطفتني الجنّ فلبثت فيهم زماناً طويلاً فغزاهم جنّ مؤمنون فقاتلوهم فظهروا عليهم فسبوا منهم سبايا وسبوني معهم فقالوا: نراك رجلاً مسلماً ولا يحلّ لنا سباؤك، فخيّروني بين المقام عندهم أو القفول إلى أهلي فاخترت أهلي، فأتوا بي إلى المدينة، فقال له عمر: ما كان طعامهم؟ قال: الفول وما لم يذكر اسم الله عليه، قال: فما كان شرابهم؟ قال: الجذف، وهو الرغوة لأنّها تجذف عن الماء، وقيل: نبات يقطع ويؤكل، وقيل: كلّ إناء كشف عنه غطاؤه.

وأمّا الإجماع فنقل ابن عطيّة وغيره الاتّفاق على أنّ الجن متعبّدون بهذه الشريعة على الخصوص، وأنّ نبيّنا محمّداً ﷺ مبعوث إلى الثقلين.

فإن قيل: لو كانت الأحكام بجملتها لازمة لهم لكانوا يترددون إلى النبيّ ﷺ يتعلّمونها، ولم ينقل أنّهم أتوه إلاّ مرّتين بمكّة، وقد تجدّد بعد ذلك أكثر الشّريعة.

قلنا: لا يلزم من عدم النقل عدم اجتماعهم به وحضورهم مجلسه وسماعهم كلامه من غير أن يراهم المؤمنون، ويكون ﷺ يراهم هو، ولا يراهم أصحابه، فإنّ الله تعالى يقول عن رأس وسيدهم الجنّ: ﴿ ***إنّه يراكم هو***

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٩٣ - ٢٩٤.

***وقبيله من حيث لا ترونهم*** ﴾ [١] فقد يراهم هو ﷺ بقوة يعطيها الله له زائدة على قوة أصحابه، وقد يراهم بعض الصحابة في بعض الأحوال كما رأى أبو هريرة الشيطان الذي يسرق من زكاة رمضان، كما رواه البخاري.

فإن قيل: فما تقول فيما حكي عن بعض المعتزلة أنه ينكر وجود الجنّ؟ قلنا عجب أن يثبت ذلك عمّن صدّق بالقرآن وهو ناطق بوجودهم، وروى البخاريّ ومسلم والنسائيّ عن أبي هريرة: إنّ النبيّ ﷺ قال: إن عفريتاً من الجنّ تفلّت علي البارحة يريد أن يقطع عليّ صلاتي فذعته ـ بالذال المعجمة والعين المهملة أي خنقته ـ وأردت أن أربطه في سواري المسجد فذكرت قول أخي سليمان عليه السلام. وقال: إنّ بالمدينة جنّاً قد أسلموا، وقال: لا يسمع نداء صوت المؤذّن جنّ ولا إنس ولا شيء إلاّ شهد له يوم القيامة[٢].

وقد جاءت أحاديث تؤكد أن الجان مكلفون بحيث صار من متبنيات العلماء الذي أثبته مصنف بحار الأنوار بقوله:

اعلم أنّ طوائف المكلفين أربعة: الملائكة والإنس والجنّ والشياطين، واختلفوا في الجنّ والشياطين فقيل: الشياطين جنس، والجن جنس آخر، كما أنّ الإنسان جنس والفرس جنس آخر، وقيل: الجنّ منهم أخيار ومنهم أشرار والشياطين اسم لأشرار الجنّ[٣].

## إرسال أنبياء من الجن

جاء عن الرضا ،عن آبائه عليهم السلام قال: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن اسم أبي الجنّ، فقال: شومان، وهو الذي خلق من مارج من نار، وسأله: هل بعث

---

(١) سورة الأعراف: ٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٩٦ ـ ٢٩٨.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣٠ ـ ٣٣١.

الله نبياً إلى الجن؟ فقال: نعم، بعث إليهم نبيّاً يقال له: يوسف، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ فقتلوه[١].

ففي هذا الحديث دلالة على أن إبليس أبو فئة من الجن لأن اسمه الحارث وإن قتل منهم أبوها هو شومان أو أن أحدهما أو الآخر، والشيء الآخر هو أن للجنّ أنبياء منهم وهذا الذي ذكره الحديث أحدهم، ذلك أننا يمكن أن نفهم من آيات كثيرة أن النبوة نوعان: نبوة محلية وأخرى عالمية وتعم الإنس والجن معاً: ﴿ **وإن من أمّة إلاّ خلا فيها نذير** ﴾[٢] ومن مجموع الأدلّة يفهم أن هناك أنبياء للإنس وحدهم، وهناك أنبياء للجنّ وحدهم، وهناك أنبياء للجن والإنس معاً. ولا يوجد لدينا أدلّة تؤكد على أن هناك نبوات عالمية بالنسبة للجن وأن منهم مبعوثون للثقلين معاً. وهذا قد يعود إلى أن الجنّ غير مرئيين بالنسبة للإنس ولا يمكن لهم أن يسمعوا أصواتهم إلاّ في ظروف خاصة تحتاج إلى شروط لا تعرف على وجه الدقة. وقد نقل مصنف بحار الأنوار الخلاف في هذا الأمر فقال:

((واختلفوا هل بعث الله إليهم من الجنّ رسلاً قبل بعثة نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله؟ فقال الضحاك: كان منهم رسل لظاهر قوله تعالى: ﴿ **يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسلٌ منكم** ﴾ [٣] وقال المحقّقون: لم يرسل إليهم منهم رسول ولم يكن ذلك في الجنّ قطّ، وإنّما الرسل من الإنس خاصّة، وهذا هو الصحيح المشهور، أمّا الجنّ ففيهم النذر، وأمّا الآية فمعناها من أحد الفريقين كقوله تعالى: ﴿ **يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان** ﴾ [٤] وإنّما يخرجان من المالح دون العذب.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٨.

(٢) سورة فاطر: ٢٤.

(٣) سورة الأنعام: ١٣٠.

(٤) سورة الرحمن:٢٢.

قال ابن مسعود: إنّ الذين لقوا النبيّ صلى الله عليه وآله من الجنّ كانوا رسلاً إلى قومهم، وقال مجاهد: النذر من الجنّ والرسل من الإنس، ولا شكّ أنّ الجنّ مكلّفون في الأمم الماضيّة كما هم مكلّفون في هذه الأمّة لقوله تعالى: ﴿**أولئك الذين حقّ عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس أنّهم كانوا خاسرين**﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿**وما خلقت الجنّ والإنس إلاّ ليعبدون**﴾ (٢) قيل: المراد مؤمنوا الفريقين فما خلق أهل الطّاعة منهم إلاّ لعبادته، ولا خلق الأشقياء إلاّ للشقاوة ولا مانع من إطلاق العامّ وإرادة الخاصّ، وقيل: معناه إلاّ لأمرهم بعبادتي وأدعوهم إليها، وقيل: إلاّ ليوحّدوني.

فإن قيل: لم أقتصر على الفريقين ولم يذكر الملائكة فالجواب أنّ ذلك لكثرة من كفر من الفريقين بخلاف الملائكة فإن الله تعالى عصمهم كما تقدّم(٣).

فالآيات والرواية السابقة تتظافران في تأكيد وجود الرسل وهم طبعاً أنبياء محليون وتأتي في طول الرسالات كمكمّلة لها، ويمكن تصورها كأنبياء القرى وأنها قليلة التأثير لأنّ الجن في الغالبية هم من الكفار.

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الآباء ثلاثة: آدم ولد مؤمناً، والجانّ ولد كافراً وإبليس ولد كافراً وليس فيهم نتاج، إنّما يبيض ويفرخ، وولده ذكور ليس فيهم إناث(٤).

وهنا أشار إلى ذرية آدم وذرية الجان وذرية إبليس، وهذا يؤكد على أن الجان هو أبو الجن عام وإبليس أبو فئة منهم، وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه إلى أن

---

(١) سورة الأحقاف: ١٨.

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣١٠ - ٣١١.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٣.

الجان فئة من الخلق تضم بينها أنواع عددية وأن النوع المتطور منهم هم ذرية إبليس، وبذلك تدعم نظرية تطور الجان التي مرَ ذكرها في الفصل الأول بهذا الدليل الجديد، مع العلم أن ذرية إبليس كانوا كفرة وكذلك ذرية الجان ولكن كل منهم يلد بعض المؤمنين، لكن ذرية آدم بدءاً كانوا مؤمنين وكان منهم كفرة وهذا الحديث يشير إلى الأجيال القريبة من آباءهم المذكورين وليس لعموم الذرية.

وفي قوله تعالى: ﴿ *والجان خلقناه من قبل من نار السّموم* ﴾ [1] قال: أبو إبليس، وقال: الجنّ من ولد الجانّ منهم مؤمنون وكافرون ويهود ونصارى، وتختلف أديانهم، والشياطين من ولد إبليس وليس فيهم مؤمنون إلاّ واحد، اسمه هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس، جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فرآه جسيماً عظيماً وامرءاً مهولاً، فقال له: من أنت؟ قال: أنا هام بن هيم بن لاقيس بن إبليس، كنت يوم قتل هابيل غلام ابن أعوام أنهى عن الاعتصام وآمر بإفساد الطعام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: بئس لعمري الشابّ المؤمّل والكهل المؤمّر، فقال: دع عنك هذا يا محمّد، فقد جرت توبتي على يد نوح، ولقد كنت معه في السفينة فعاتبته على دعائه على قومه، ولقد كنت مع إبراهيم حيث ألقي في النار فجعلها الله برداً وسلاماً، ولقد كنت مع موسى حين غرق الله فرعون ونجّى بني إسرائيل، ولقد كنت مع هود حين دعا على قومه فعاتبته، ولقد كنت مع صالح فعاتبته على دعائه على قومه، ولقد قرأت الكتب فكلّها تبشّرني بك والأنبياء يقرأونك السلام ويقولون: أنت أفضل الأنبياء وأكرمهم، فعلّمني مما أنزل الله عليك شيئاً.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام: علّمه فقال هام: يا محمّد إنّا لا نطيع إلاّ نبياً أو وصيّ نبيّ، فمن هذا؟ قال: هذا أخي ووصيّي ووزيري

---

(١) سورة الحجر: ٢٧.

ووارثي عليّ بن أبي طالب، قال: نعم نجد اسمه في الكتب إليا ،فعلّمه أمير المؤمنين، فلمّا كانت ليلة الهرير بصفّين جاء إلى أمير المؤمنين[1].

وهذا الحديث يشير إلى اشتراك بعض الجن في الديانات الكبرى التي تدين بها البشر وهو يقسم الديانات تقسيم عرفي، فإن الجان الذين هم الجنس الواسع والذي يضم أنواع من الجن فيهم يهود ونصارى وتختلف أديانهم وفيهم نوع يغلب عليه الكفر ولكن بعضهم يتوب ويؤمن بعد أن يمر عليه زمن في مهاوي الكفر وهؤلاء هم ولد إبليس وهذا الحديث لا يتناقض مع مضامين أحاديث أخرى فلو كان الجان هم ليسوا من ولد إبليس أي أنّهم منذ البدء كانوا في الأرض فهناك حديث أكد أن الأرض طهرت من الجنّ والنسناس وهذا بمعنى عزلهم عن بني البشر وأن تكون لكل منهم حياته الخاصة.

وهذه الرواية تحمل نفس الدلالة السابقة:

روي عن عبد الله بن الحسين المصيصيّ قال: دخلت على طرطوس فقيل له: ههنا امرأة يقال لها: نهوس رأت الجنّ الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله فأتيتها فإذا هي امرأة مستلقية على قفاها، فقلت: رأيت أحداً من الجن الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: نعم، حدّثني عليه بن سمحج وسمّاه النبيّ صلى الله عليه وآله عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من مريض يقرأ عنده يس إلاّ مات ودخل قبره ريّاناً وحشره يوم القيامة ريّانا.

وفي أسد الغابة: عن أنس بن مالك قال: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله خارجاً من جبال مكّة إذ أقبل شيخ متّكئ على عكازة فقال النبي صلى الله عليه وآله: مشية جنّي ونغمته قال: أجل، قال: من أي الجنّ؟ قال: أنا هامة بن الهيم ـ أو أبي هيم ـ بن لاقيس بن إبليس، قال: لا أرى بينك وبينه إلاّ أبوين، قال: أجل، قال: كم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٣ ـ ٨٤.

أتى عليك؟ قال: أكلت الدنيا إلاّ أقلّها، كنت ليالي قتل قابيل هابيل غلاماً ابن أعوام، فكنت أستوي على الآكام وأورّش بين الأنام، فقال: بئس العمل، فقال: يا رسول الله دعني من العتب فإني ممّن آمن بنوح وتبت على يديه، وإنّي عاتبته في دعوته فبكى وأبكاني، وقال: إني والله من النادمين، وأعوذ بالله أن أكون من الجاهلين، ولقيت هوداً وآمنت به ولقيت إبراهيم وكنت معه في النار إذ ألقي فيها، وكنت مع يوسف إذ ألقي في الجبّ فسبقته إلى قعره وكنت مع شعيب وموسى ولقيت عيسى بن مريم وقال لي: إن لقيت محمّداً فاقرأه منّي السلام، وقد بلّغت رسالته وآمنت بك، فقال رسول الله: وعلى عيسى وعليك السلام ما حاجتك يا هامّة؟ قال: إنّ موسى علّمني التوراة، وإنّ عيسى علّمني الإنجيل فعلّمني القرآن ،فعلّمه.

وفي رواية: علّمه عشر سور من القرآن، وقبض رسول الله ولم ينعه إلينا ،فلا نراه والله أعلم إلاّ حيّاً[1].

وفي الحديث التالي أيضاً تأكيد لهذا المضمون إلى جانب أن الجن يعيشون حالة من الاضطهاد، وأن بعضهم يحفظ ميراث الأنبياء ويعمل به ،فهم يعرفون الاخبارات وينتظرون النبوات والحديث هو:

جاء عن المفضّل قال: ركبنا في بحر الخزر حتّى إذا كنا غير بعيد لجج مركبنا وساقته الشمال شهراً في اللجة ثمّ انكسر بنا فوقعت أنا ورجل من قريش إلى جزيرة من جزائر البحر ليس بها أنيس، فجعلنا نطمع في الحياة وأشرفنا على هوّة فإذا بشيخ مستند إلى شجرة عظيمة، فلمّا رآنا تحسحس وأناف إلينا ففزعنا منه فدنونا فقلنا: السّلام عليك ورحمة الله وبركاته، فآنسنا به وجلسنا إليه فقال: ما خطبكما؟ فأخبرناه، فضحك وقال: ما وطئ هذه الأرض من ولد آدم قطّ أحد إلاّ أنتما، فمن أنتما؟ قلنا: من العرب، فقال:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

بأبي وأمّي العرب، فمن أيّهما أنتما، فقلت: أمّا أنا فرجل من خزاعة، وأمّا صاحبي فمن قريش، قال: بأبي وأمّي قريشاً وأحمدها، يا أخا خزاعة من القائل:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكّة سامرٌ؟

قلت: نعم ذلك الحارث ابن مصاص الجرهميّ، قال: هو ذلك، يا أخا قريش أولد عبد المطّلب بن هاشم؟ قال: قلت: أين يذهب بك يرحمك الله؟ فقال: أرى زماناً قد تقاربت أيّامه، أفولد ابنه عبد الله؟ قلت: إنّك تسأل مسئلة من كان من الموتى قال: فتزايد، ثمّ قال: فابنه محمّد الهادي ﷺ؟ قلت؛ مات رسول الله ﷺ منذ أربعين سنة، فشهق شهقة حتّى ظننّا أنّ نفسه خرجت، و انخفض حتّى صار كالفرخ فأنشأ يقول:

ولربّ راج حيل دون رجائه ومؤمّل ذهبت به الآمال

ثمّ جعل ينوح ويبكي حتّى بلّ دمعه لحيته، فبكينا لبكائه، ثمّ قلنا: أيّها الشيخ قد سألتنا فأخبرناك، فسألناك بالله إلاّ أخبرتنا من أنت؟ قال: أنا السفّاح بن زفرات الجنّي لم أزل مؤمناً بالله وبرسوله ومصدّقاً وكنت أعرف التوراة والإنجيل، وكنت أرجو أنّي أرى محمّداً، وإنّي لمّا تعفرتت الجنّ وتطلّقت الطوالق منها خبأت نفسي في هذه الجزيرة لعبادة الله وتوحيده وانتصار نبيّه محمّد ﷺ وآليت على نفسي أن لا أبرح ههنا حتّى أسمع بخروجه، ولقد تقاصرت أعمار الآدميين بعدي لما صرت في هذه الجزيرة منذ أربعمائة سنة، وعبد مناف إذ ذاك غلام يفع ما ظننت أنّه ولد له، وذلك أنا نجد علم الأحاديث ولا يعلم الآجال إلاّ الله.

وأمّا أنتما أيّها الرجلان فبينكما وبين الآدميين مسيرة أكثر من سنة ولكن خذ هذا العود ،وأخرج من تحت رجله عوداً فاكتفلاه كالدابّة فإنّه يؤديكما

إلى بلادكما، فاقرئا على رسول الله صلى الله عليه وآله مني السلام فإني طامع بجوار قبره، قال: ففعلنا ما أمرنا به فأصبحنا في آمد.

بيان: طرا أي أتى من مكان بعيد ولجّج تلجيجاً: خاض اللجّة وهي معظم الماء، وتحسحس أي تحرك، وأناف عليه: أشرف وكان فيه تضميناً، والعفريت بالكسر: الخبيث، والنافذ في الأمر المبالغ فيه مع دهاء، وقد تعفرت فهي عفريتة، وتطلّقت الطوالق أي نجت من الحبس وشرعت في الفساد. في القاموس: الطالقة من الإبل ناقة ترسل في الحيّ ترعى من جنابهم حيث شاءت.

وقال: الكفل بالكسر: مركب للرجال يؤخذ كساء فيعقد طرفاه فيلقى مقدّمه على الكاهل ومؤخّره مما يلي العجز، أو شيء مستدير يتّخذ من خرق وغيرها ويوضع على سنام البعير، واكتفل البعير: جعل عليه كفلاً، وقال: آمد: بلد بالثغور[1].

## الحشر والحساب

ومن الطبيعي أن يترتب على التكليف والحساب والحشر وقد دلّ عليه ما يلي:

قال تعالى: ﴿ ***ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجنّ قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربّنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجّلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلاّ ما شاء الله إنّ ربّك حكيم عليم ❖ وكذلك نولّي بعض الظّالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ❖ يا معشر الجنّ والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصّون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرّتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنّهم كانوا كافرين*** ﴾ [2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٨ - ١٣٠.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٨-١٣٠.

وفي قوله سبحانه: «ويوم يحشرهم جميعاً» أي جميع الخلق أو الإنس والجنّ «يا معشر الجنّ» أي يا جماعة الجنّ «قد استكثرتم من الإنس» أي من إغوائهم وإضلالهم، أو منهم بأن جعلتموهم أتباعكم فحشروا معكم «وقال أولياؤهم من الإنس» الذين أطاعوهم «ربّنا استمتع بعضنا ببعض» أي انتفع الانس بالجنّ بأن دلّوهم على الشهوات وما يتوصّل به إليها، والجنّ بالإنس بأن أطاعوهم وحصّلوا مرادهم وقيل استمتاع الإنس بهم أنّهم كانوا يعوذون بهم في المفاوز عند المخاوف واستمتاعهم بالإنس اعتراف بأنّهم يقدرون على اجارتهم «وبلغنا أجلنا الذي أجّلت» أي البعث «وكذلك نولّي بعض الظالمين بعضاً» أي نكل بعضهم إلى بعض، أو يجعل بعضهم يتولّى بعضاً فيغويهم أو أولياء بعض وقرنائهم في العذاب، كما كانوا في الدنيا.

وفي قوله تعالى: «ألم يأتكم رسل منكم» قال الطبرسيّ رحمه الله: قوله «منكم» وإن كان خطاباً لجميعهم والرّسل من الإنس خاصّة فإنّه يحتمل أن يكون لتغليب أحدهما على الآخر، كما قال سبحانه: «يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان» وإن كان اللؤلؤ يخرج من الملح دون العذب، وكما يقال: أكلت الخبز واللّبن، وإنّما يأكل الخبز ويشرب اللّبن، وهو قول أكثر المفسرين، وقيل: إنّه أرسل رسلاً إلى الجن كما أرسل إلى الإنس عن الضحّاك، وعن الكلبي: كان الرسل يرسلون إلى الإنس ثمّ بعث محمّد ﷺ إلى الإنس والجنّ وقال ابن عبّاس: إنّما بعث الرسول من الإنس ثمّ كان يرسل هو إلى الجنّ رسولاً من الجنّ، وقال مجاهد: الرّسل من الإنس والنّذر من الجنّ[1].

فهذه الآيات تؤكد تطابق الجن والإنس من ناحية التكليف وبالتالي فإن الحساب واحد، ولهذا فإن الحشر كان لهم جميعاً، وأن الرسل ترسل إليهم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/٤٨-٤٩.

معاً وأن لكل من الجن رسلهم الخاصة وللإنس رسل خاصة وهذا ما ذهب إليه بعض المفسرين.

## الثواب

وقد دلّ على حصول الثواب مايلي:

جاء عن ابن عباس ،قال: الخلق أربعة: فخلق في الجنّة كلّهم، وخلق في النار كلّهم، وخلقان في الجنّة والنار، فأمّا الذين في الجنة كلهم فالملائكة، وأمّا الذين في النار كلّهم فالشياطين، وأمّا الذين في الجنّة والنار فالجن والإنس لهم الثواب وعليهم العقاب[1].

العلّة في الجنّ أنّهم لا يدخلون الجنّة أنّهم خلقوا من النار، والجنّة هي نور، فلا تجتمع النار والنور، وسئل العالم عليه السلام ،فقيل له: فإذا لم يدخلوا الجنّة فأين يكونون؟ فقال: إنّ الله جعل حظائر بين الجنّة والنار يكونون فيها مؤمنوا الجن وفسّاق الشيعة[2].

وقال البيضاويّ في قوله تعالى: ﴿ *وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ* ﴾[3] جنّة للخائف الإنسي، والأخرى للخائف الجنيّ، فإنّ الخطاب للفريقين.

والمعنى لكل خائفين منكما، أو لكلّ واحد جنّة لعقيدته، وأخرى لعمله، أو جنّة لفعل الطاعات، وأخرى لترك المعاصي، أو جنّة يثاب بها، وأخرى يتفضل بها عليه، أو روحانيّة وجسمانية[4].

وبالنسبة للثواب فإن وحدة التكليف تقتضي بأن يكون الثواب واحداً فإذا لم يكن الجنّ قادرين على الدخول في الجنّة لأنّهم من نار وهو طبعاً مردود لأنّ كونهم من نار، فلا يعني هذا أنّهم باقون على صفة الاحراق، بل

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/١١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٥.

(٣) سورة الرحمن: ٤٦.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦١.

لأنهم لا يستسيغون ما يستسيغه الإنس مع أن أحاديث كثيرة تؤكد اشتراكهم في ما يستمتعون به، وفي النهاية لا مبرر لأن يدخل الإنس الجنّة ولا يدخلها الجان، وأن الفرضية التي تقول بأن مؤمني الجنّ مع فساق الشيعة فيها نظر فلا يمكن لله أن يساوي بين الفاسق والمؤمن سواء كان من الجنّ او الإنس بصريح القرآن الذي يقول: ﴿ افنجعل المؤمنين كالمجرمين ﴾ أو كما مرّ في الخطبة القاصعة التي طرد الله فيها إبليس بسبب عصيانه وطرد آدم بسبب عصيانه كذلك حتى لو كان يترك الأولى بناء على أن معصية الله ارشادية وليس لواجب ثم أن التساوي في جانب العقاب الذي تؤكده ما يأتي:

قال تعالى: ﴿ لأملأنّ جهنّم من الجنّة والنّاس اجمعين ﴾ [1]

قوله تعالى: «من الجنّة» يدلّ على أنّ الجنّ مكلّفون ومعذّبون بالنّار مع سائر الكفار[2].

يؤيد التساوي في جانب الثواب إذ ليس من العدالة أن يعذب الله سبحانه وتعالى الجن والإنس معاً ويحرم الجن من الثواب، إلا إذا قلنا بأن جنان الإنس هي غير جنان الجن وهذا أيضاً لا يؤيد التكافؤ في التكليف الذي أشرنا إلى معالم كثيرة.

وهناك رواية متعددة الدلالة جاءت في بحارالأنوار تدلّ أن إبليس مختل التفكير، هو طمعه في رحمة الله رغم أنه عاصي واصل كل الشرور التي تملأ العالم وهي الآتية:

روي عن إبراهيم بن زياد الكرخيّ ،قال: قال الصادق عليه السلام: إذا كان يوم القيامة نشر الله تبارك وتعالى رحمته حتّى يطمع إبليس في رحمته[3].

---

(١) سورة هود: ١١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥٢.

(٣) بحار الأنوار: ٢٣٦/٦٠.

## الديانة في زمن الإسلام

وتتميز الحياة الدينية في زمن الرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله بطابع خاص حيث أفرد القرآن لهم سورة تتحدث عن معالم الدين عند الجن وخصوصاً قضية الاستماع إلى القرآن التي تضم بعض المعالم لعالم الإيمان والدين، وتعد هذه الآيات هي الأساس لبناء تصوّر عن دخول الجن إلى الإسلام وقد ورد في تفسيرها مايلي:

وقال سبحانه: ﴿ ***وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلمّا قضي ولّوا إلى قومهم منذرين * قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدّقاً لما بين يديه يهدي إلى الحقّ وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين*** ﴾ [(١)].

قوله تعالى: «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ» قال الرازيّ في كيفية هذه الواقعة قولان: الأوّل: قال سعيد بن جبير: كانت الجنّ تستمع فلمّا رجموا قالوا: هذا الذي حدث في السّماء إنّما حدث لشيء حدث في الأرض، فذهبوا يطلبون السبب.

وكان قد اتّفق أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لّما آيس من أهل مكّة أن يجيبوه خرج إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام، فلمّا انصرف إلى مكّة وكان ببطن نخلة أقام به يقرأ القرآن، فمرّ به نفر من أشراف جنّ نصيبين كان إبليس بعثهم ليعرف السبب الذي أوجب حراسة السّماء بالرجم فتسمّعوا القرآن وعرفوا أنّ ذلك السبب.

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٩-٣٢.

الثاني: أنّ الله أمر رسوله أن ينذر الجنّ ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله تعالى إليه نفراً من الجنّ ليسمعوا القرآن وينذروا قومهم.

ويتفرّع على ما ذكرناه فروع:

الأوّل: نقل القاضي في تفسيره عن الجنّ: أنّهم كانوا يهوداً لأنّ في الجنّ مللاً كما في الإنس من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأوثان، وأطبق المحقّقون على أنّ الجنّ مكلّفون، سئل ابن عبّاس هل للجنّ ثواب؟ قال: نعم لهم ثواب وعليهم عذاب يلتقون في الجنّة ويزدحمون على أبوابها.

الثاني: قال صاحب الكشّاف: النفر: دون العشرة ويجمع أنفاراً، ثمّ روى ابن جرير الطبريّ عن ابن عبّاس أنّ أولئك الجنّ كانوا سبعة أنفار من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم.

وعن زرّ بن حبيش: كانوا تسعة أحدهم زوبعة.

الثالث: اختلفوا في أنّه هل كان عبد الله بن مسعود مع النبيّ ﷺ ليلة الجنّ أم لا؟ والروايات فيه مختلفة.

الرابع: روى القاضي في تفسيره عن أنس ،قال: كنت مع النبيّ ﷺ في جبال مكّة إذ أقبل شيخ متوكئ على عكازة فقال ﷺ: مشية جنّي ونغمته، فقال: أجل، فقال: من أي الجنّ أنت؟ فقال: أنا هامة بن هيم بن لاقيس بن إبليس، فقال: لا أرى بينك وبين إبليس إلا ابوين، فكم أتى عليك؟.

قال: أكلت عمر الدنيا إلاّ أقلها، وكنت وقت قابيل وهابيل أمشي بين الآكام وذكر كثيراً ممّا مرّ به، وذكر في جملته أن قال: قال لي عيسى: إن لقيت محمّداً ﷺ فاقرأه عنّي السلام، وقد بلغت سلامه وآمنت بك فقال: إنّ موسى عليه السلام علّمني التوراة وعيسى عليه السلام علمني الإنجيل، فعلّمني القرآن! فعلمه عشر سور، وقبض رسول الله ﷺ ولم تتمّه.

واختلفوا في تفسير قوله: «وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن» فقال بعضهم: لّما لم يقصد الرسول قراءة القرآن عليهم فهو تعالى ألقى في قلوبهم ميلاً إلى القرآن وداعية إلى استماعه، فلهذا السبب قال: ﴿ *وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ* ﴾.

قوله تعالى: «فلمّا حضروه» الضمير للقرآن أو للرسول «قالوا» أي قال بعضهم لبعض: «أنصتوا» أي اسكتوا مستمعين، فلمّا فرغ من القراءة « ولّوا إلى قومهم منذرين» ينذرونهم، وذلك لا يكون إلاّ بعد إيمانهم، لأنّهم لا يدعون غيرهم إلى استماع القرآن والتصديق به إلاّ وقد آمنوا بوعيده. « قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتابا» الخ وصفه بوصفين:

الأوّل: كونه مصدّقاً لكتب الأنبياء عليهم السلام، فهو يماثل سائر الكتب الإلهية في الدعوة إلى المطالب العالية الشريفة.

والثاني: أنّ هذه المطالب حقّة في أنفسها، يعلم كل أحد بصريح عقله كونها كذلك. وإنّما قالوا: «من بعد موسى» لأنّهم كانوا على اليهوديّة.

وعن ابن عبّاس: أنّ الجنّ ما سمعت أمر عيسى، فلذا قالوا: «من بعد موسى».

قوله تعالى: « أجيبوا داعي الله» أي الرسول، أو الواسطة الذي يبلغ عنه.

ويدلّ على أنّه كان مبعوثاً إلى الجن كما كان مبعوثاً إلى الإنس، قال مقاتل: ولم يبعث الله نبياً إلى الإنس والجنّ قبله.

واختلفوا في أنّ الجنّ هل لهم ثواب أم لا؟ قيل: لا ثواب لهم إلاّ النجاة من النّار، ثمّ يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم، واحتجّوا بقوله تعالى: ﴿ *ويجركم من عذاب اليم* ﴾ وهو قول أبي حنيفة، والصحيح أنّهم في حكم بني آدم فيستحقّون الثواب على الطاعة، والعقاب على المعصية، وهذا قول أبي

ليلى ومالك، وجرت بينه وبين أبي حنيفة في هذا الباب مناظرة، قال الضحّاك: يدخلون الجنّة ويأكلون ويشربون.

والدليل على صحّة هذا القول: كلّ دليل دلّ على أن البشر يستحقّون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حقّ الجنّ والفرق بين البابين بعيد جداً انتهى.

وقال البيضاوي في قوله: «يغفر لكم من ذنوبكم»: وهو بعض ذنوبكم وهو ما يكون في خالص حقّ الله، فإنّ المظالم لا يغفر بالإيمان. «ويجركم من عذاب أليم» هو معدّ للكفار «فليس بمعجز في الأرض» إذ لا ينجي منه مهرب «وليس له من دونه أولياء» يمنعونه منه «في ضلال مبين» حيث اعترضوا عن إجابة من هذا شأنه[1].

## الاستماع إلى الوحي

وفي هذه الآيات دلالة مشابهة وقد جاء في تفسيرها:

قال تعالى: ﴿ *قل أوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجنّ فقالوا إنّا سمعنا قرآناً عجباً* ﴾[2].

وقال في قوله تعالى: «أنّه استمع نفر من الجنّ»: النفر: ما بين الثلاثة والعشرة، والجنّ أجسام عاقلة خفيّة تغلب عليهم النارية أو الهوائيّة.

وقيل: نوع من الأرواح المجرّدة، وقيل: نفوس بشريّة مفارقة عن أبدانها، وفيه دلالة على أنّه ﷺ ما رآهم ولم يقرأ عليهم وإنّما اتّفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبر الله به رسوله، فقالوا: «إنّا سمعنا قرآناً» كتاباً «عجباً» بديعاً مبايناً لكلام الناس في حُسن نظمه ودقّة معناه، وهو

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥٦ ـ ٥٨.

(٢) سورة الجن: ١.

مصدر وُصف به للمبالغة، «يهدي إلى الرشد» إلى الحقّ والصّواب « فآمنا به» بالقرآن « ولم نشرك بربّنا أحدا» على ما نطق به الدلائل القاطعة على التوحيد.

قوله: « وأنّه تعالى جدّ ربّنا» قرأ ابن كثير والبصريّان بالكسر على أنه من جملة المحكي بعد القول وكذا ما بعده إلاّ قوله: « وأن لو استقاموا. وأنّ المساجد. وأنّه لما قام» فإنّه من جملة الموحى به، ووافقهم نافع وأبو بكر إلاّ في قوله: «إنّه لّما قام» على أنّه استئناف أو مقول، وفتح الباقون الكلّ إلاّ ما صدّر بالفاء على أنّ ما كان من قولهم فمعطوف على محلّ الجارّ والمجرور في «به» كأنّه قيل: صدّقناه وصدّقنا « أنّه تعالى جدّ ربّنا» أي عظمته، من جدّ فلان في عيني: إذا عظم أو سلطانه أو غناه، مستعار من الجدّ الذي هو البخت.

والمعنى: وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه أو لغناه، وقوله: « ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً» بيان لذلك « وأنّه كان يقول سفيهنا» إبليس أو مردة الجن ﴿ على بالله شططا ﴾ قولاً ذا شطط وهو البعد ومجاوزة الحد، أو هو شطط لفرط ما أشطّ فيه وهو نسبة الصاحبة والولد إلى الله تعالى.

﴿ وأنّا ظننّا ان لن يقول الإنس والجنّ على الله كذباً ﴾ اعتذار عن اتّباعهم للسفيه في ذلك لظنّهم أنّ أحداً لا يكذب على الله و﴿ كذباً ﴾ نصب على المصدر لأنه نوع من القول، أو الوصف بمحذوف أي قولا مكذوباً فيه.

﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجّن﴾ فإن الرجل كان إذا مشى بقفر قال: أعوذ بسيّد هذا الوادي من شر سفهاء قومه ﴿ فزادوهم﴾ فزادوا الجنّ باستعاذتهم بهم ﴿ رهقا ﴾ كبراً وعتواً، أو فزاد الجنّ الإنس غيّاً بأن أضلّوهم حتّى استعاذوا بهم، والرهق في الأصل: غشيان الشيء.

﴿ وأنهم ﴾ وأنّ الإنس ﴿ ظنوا كما ظننتم ﴾ أيها الجنّ أو بالعكس، والآيتان من كلام الجن بعضهم لبعض، أو استيناف كلام من الله، ومن فتح «أنّ»

فيهما جعلهما من الموحى به ﴿ أن لن يبعث الله أحدا ﴾ سادّ مسدّ مفعولي «ظنّوا».

﴿ وأنّا لمسنا السّماء ﴾ طلبنا بلوغ السّماء، أو خبرها، واللمس مستعار من المسّ للطلب كالحسّ يقال: لمسه وألمسه وتلمّسه، كطلبه وأطلبه وتطلّبه ﴿ فوجدناها ملئت حرساً شديداً ﴾ حرساً اسم جمع كالخدم ﴿ شديداً ﴾ قويّاً، وهم الملائكة الذين يمنعونهم عنها ﴿ وشهبا ﴾ جمع شهاب وهو المضيء المتولد من النار.

﴿ وأنّا كنّا نقعد منها مقاعد للسّمع ﴾ مقاعد خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرصد والاستماع ﴿ وللسمع ﴾ صلة ﴿ لنقعد ﴾ أو صفة ﴿ لمقاعد ﴾.

﴿ فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ﴾ أي شهاباً راصداً له، ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرجم، أو ذي شهاب راصدين على أنّه اسم جمع للراصد، ﴿ وأنّا لا ندري أشرّ أريد بمن في الأرض ﴾ بحراسة السّماء ﴿ أم أراد بهم ربّهم رشداً ﴾ خيراً ﴿ وأنّا منّا الصّالحون ﴾ المؤمنون الأبرار ﴿ ومنّا دون ذلك ﴾ قوم دون ذلك، فحذف الموصوف وهم المقتصدون ﴿ كنّا طرائق ﴾ ذوي طرائق، أي مذاهب أو مثل طرائق في اختلاف الأحوال، أو كانت طرائقنا طرائق ﴿ قِدداً ﴾ متفرّقة مختلفة جمع «قدّة» من قدّ: إذا قطع.

﴿ وأنّا ظننّا ﴾ علمنا ﴿ أن لن نعجز الله في الأرض ﴾ كائنين في الأرض أينما كنّا ﴿ ولن نعجزه هرباً ﴾ هاربين منها إلى السّماء أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمرا، أو لن نعجزه هرباً إن طلبنا ﴿ وأنّا لمّا سمعنا الهدى ﴾ أي القرآن ﴿ آمنّا به فمن يؤمن بربّه فلا يخاف ﴾ فهو لا يخاف ﴿ بخساً ولا رهقاً ﴾ نقصاً في الجزاء ولا أن ترهقه ذلّة أو جزاء نقص لأنّه لم يبخس حقّاً ولم يرهق ظلماً، لأنّ من حقّ الإيمان بالقرآن أن يجتنب ذلك.

﴿ *وأنّا منّا المسلمون ومنّا القاسطون* ﴾ الجائرون عن طريق الحقّ وهو الإيمان والطاعة ﴿ *فمن أسلم فأولئك تحرّوا رشداً* ﴾ توخّوا رشداً عظيماً يبلغهم إلى دار الثواب ﴿ *وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً* ﴾ توقد بهم كما توقد بكفار الإنس ﴿ *وأن لو استقاموا* ﴾ أي أنّ الشأن لو استقام الإنس أو الجنّ أو كلاهما ﴿ *على الطريقة لأسقيناهم ماءً غدقاً* ﴾ على الطريقة المثلى لوسّعنا عليهم الرزق، وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنه أصل المعاش والسعة، وعزّة وجوده بين العرب ﴿ *لنفتنهم فيه* ﴾ لنختبرهم كيف يشكرونه.

وقيل: معناه وأن لو استقام الجنّ على طريقتهم القديمة ولم يسلموا باستماع القرآن لوسّعنا عليهم الرزق مستدرجين بهم لنوقعهم في الفتنة، ونعذّبهم في كفرانهم ﴿ *ومن يعرض عن ذكر ربّه* ﴾ عن عبادته أو موعظته أو وحيه ﴿ *يسلكه* ﴾ أي يدخله ﴿ *عذاباً صعداً* ﴾ شاقاً يعلو المعذّب ويغلبه، مصدر وصف به ﴿ *وأن المساجد لله* ﴾ مختصّة به ﴿ *فلا تدعوا مع الله أحداً* ﴾ فلا تعبدوا فيها غيره.

وقيل: أراد بالمساجد الأرض كلها، وقيل: مسجد الحرام لأنّه قبلة المساجد ومواضع السّجود على أنّ المراد النهي عن السجود لغير الله، وأراد به السبعة والسجدات على أنّه جمع مسجد.

﴿ *وأنّه لما قام عبد الله* ﴾ أي النبيّ، وإنّما ذكر لفظ ﴿ *العبد* ﴾ للتواضع لأنّه واقع موقع كلامه عن نفسه والاشعار بما هو المقتضي لقيامه ﴿ *يدعوه* ﴾ يعبده ﴿ *كادوا* ﴾ كاد الجن ﴿ *يكونون عليه لبداً* ﴾ متراكمين من ازدحامهم عليه تعجّباً ممّا رأوا من عبادته وسمعوا من قراءته، أو كاد الإنس والجنّ يكونون عليه مجتمعين لإبطال أمره وهو جمع ﴿ *لبدة* ﴾ وهي ما تلبّد بعضه على بعض كلبدة الأسد[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦١-٦٤.

## إسلام الجن

أما بالنسبة للأحاديث فقد جاء:

في قوله تعالى حكاية عن الجنّ: ﴿ ***يا قومنا إنّا سمعنا*** ﴾ إلى قوله: ﴿ ***أولئك في ضلال مبين*** ﴾ فهو كلّه حكاية عن الجنّ.

وكان سبب نزول هذه الآية، أنّ رسول الله ﷺ خرج من مكّة إلى سوق عكاظ ومعه زيد بن حارثة، يدعو الناس إلى الإسلام، فلم يجبه أحد ولم يجد من يقبله ثمّ رجع إلى مكّة، فلمّا بلغ موضعاً يقال له: وادي مجنّة تهجّد بالقرآن في جوف الليل، فمرّ به نفر من الجنّ، فلمّا سمعوا قراءة رسول الله استمعوا له، فلمّا سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: «أنصتوا» يعني اسكتوا.

قوله تعالى: ﴿ ***فلمّا قضى*** ﴾ أي فرغ رسول الله ﷺ من القراءة ﴿ ***ولّوا إلى قومهم منذرين قالوا يا قومنا إنّا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به*** ﴾ إلى قوله: ﴿ ***أولئك في ضلال مبين*** ﴾ فجاءوا إلى رسول الله فأسلموا وآمنوا، وعلّمهم رسول الله ﷺ شرائع الإسلام.

فأنزل الله على نبيّه: ﴿ ***قل أوحي إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ*** ﴾[1] السورة كلّها، فحكى الله قولهم وولّى رسول الله ﷺ عليهم منهم، وكانوا يعودون إلى رسول الله ﷺ في كلّ وقت، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام أن يعلّمهم ويفقّههم فمنهم مؤمنون وكافرون وناصبون ويهود ونصارى ومجوس وهم ولد الجانّ.

وسئل العالم صلوات الله عليه عن مؤمني الجنّ: أيدخلون الجنّة؟ فقال: لا، ولكن لله حظائر بين الجنّة والنّار يكون فيها مؤمنو الجنّ وفسّاق الشيعة[2].

---

(١) سورة الجن: ١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨١ ـ ٨٢.

وهنا دلالة على أن بعضهم دخل في الإسلام عندما استمع بعضهم لآيات القرآن، وبذلك تعددت دياناتهم ثم أنهم ساروا مع تطورات الإسلام، إذ أن بعضهم نواصب ويهود ونصارى ومجوس فهذه طائفة تحدثت عن استماع الجن للقرآن.

وعن الزبير في قوله تعالى: ﴿ ***وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن*** ﴾[1] قال: بنخلة ورسول الله ﷺ يصلّي العشاء الآخرة ﴿ ***كادوا يكونون عليه لبداً*** ﴾[2].

وعن ابن مسعود قال: خرج رسول الله ﷺ قبل الهجرة إلى نواحي مكّة، فخطّ لي خطّاً ،وقال: لا تحدثنّ شيئاً حتّى آتيك ثمّ قال: لا يهولنّك شيء تراه فتقدّم شيئاً ثم جلس فإذا رجال سود كأنهم رجال الزطّ وكانوا كما قال الله: ﴿ ***كادوا يكونون عليه لبداً*** ﴾[3].

وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿ ***وأنّه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً*** ﴾[4] قال: لمّا سمعوا النبيّ ﷺ يتلوا القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه، فلم يعلم بهم حتّى أتاه الرسول فجعل يقرأ: ﴿ ***قل اوحي إليّ أنّه استمع نفرٌ من الجنّ*** ﴾[5].

وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿ ***وأنّه لّما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً*** ﴾ قال: لمّا أتى الجنّ على رسول الله ﷺ وهو يصلّي بأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده فعجبوا من طواعية أصحابه له، فقالوا لقومهم: ﴿ ***لّما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً*** ﴾[6].

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٣.

(٤) سورة الجن: ١٩.

(٥) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٤.

(٦) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٣.

وعن ابن مسعود قال: هبطوا على النبيّ عليه السلام وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلمّا سمعوه قالوا: «أنصتوا» وكانوا تسعة أحدهم زوبعة فأنزل الله ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً** ﴾ الآية[١].

وعن ابن مسعود أنّه سئل: أين قرأ رسول الله عليه السلام على الجنّ؟ قال: قرأ عليهم بشعب يقال له: الحجون[٢].

وعن عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿ **قل اوحي إليّ أنّه استمع نفر من الجن** ﴾ قال: كانا من جنّ نصيبين[٣].

وعنه أيضاً قال: صرفت الجنّ إلى رسول الله عليه السلام مرّتين وكانوا أشراف الجنّ بنصيبين[٤].

وعن ابن عبّاس قال: كانوا تسعة نفر من أهل نصيبين فجعلهم رسول الله عليه السلام رسلاً إلى قومهم[٥].

وعن جابر بن عبد الله قال: خرج رسول الله عليه السلام على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها فسكتوا، فقال: ما لي أراكم سكوتاً؟ لقد قرأتها على الجنّ ليلة الجنّ فكانوا أحسن مردوداً منكم، كلما أتيت على قوله: ﴿ **فبأي آلاء ربّكما تكذبان** ﴾ فقالوا: ولا بشيء من نعمك ربّنا نكذّب فلك الحمد[٦].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٦.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٨.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٦.

(٥) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٥ ـ ١١٦.

(٦) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٧.

## الحرص على الاستماع

عن ابن مسعود قال: انطلقت مع النبيّ صلى الله عليه وآله ليلة الجنّ حتّى أتى الحجون فخطّ عليّ خطّاً ثم تقدّم إليهم فازدادوا عليه، فقال سيّدهم يقال له: وردان: ألا أرحلهم عنك يا رسول الله؟ فقال: إنّه لن يجيرني من الله أحداً[1].

بيان: قال الفيروز آبادي: الإيم ككيس، الحيّة الأبيض اللطيف، أو عامّ كالإيم بالكسر، وقال: اشرأب إليه: مدّعنقه لينظر أو ارتفع، وقال: كوّم التراب تكويماً: جعله كومة كومة، بالضمّ: أي قطعة قطعة ورفع رأسها، وقال في النهاية: في حديث عمر: إذا أقيمت الصلاة ولّى الشيطان وله خبج، «الخبج» بالتحريك: الضراط، ويروى بالحاء المهملة، وفي حديث آخر: من قرأ آية الكرسي خرج الشيطان وله خبج كخبج الحمار.

وقال: الهويّ بالفتح: الحين الطويل من الزمان، وقيل: هو مختصّ بالليل «فتوسّطته» أي دخلت وقمت وسط البيت، وفي النهاية: المخدع هو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير وتضّم ميمه وتفتح.

وقال: فيه لا غول ولا صفر ولكنّ السعالي، هي جمع سعلاة وهم سحرة الجنّ أي أنّ الغول لا تقدر على أن تغوّل أحداً أو تضلّه، ولكن في الجنّ سحرة كسحرة الإنس لهم تلبيس وتخييل، وفي القاموس: الزوبعة «اسم شيطان أو رئيس للجنّ» ومنه سمّي الاعصار زوبعة، وقال: «الحجون» جبل بمعلاة مكّة[2].

وعن عليّ بن حسان الواسطيّ قال: أتت امرأة من الجنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فآمنت به وحسن اسلامها فجعلت تجيئه في كلّ أسبوع فغابت عنه

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٤ ـ ١٢٥.

أربعين يوماً ثمّ أتته ،فقال لها رسول الله ﷺ: ما الذي أبطأ بك يا جنيّة، فقالت: يا رسول الله أتيت البحر الذي هو محيط بالدنيا في أمر أردته، فرأيت على شطّ ذلك البحر صخرة خضراء وعليها رجل جالس قد رفع يديه إلى السّماء وهو يقول: «اللهم إنّي أسألك بحقّ محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين إلاّ ما غفرت لي» فقلت له: من أنت؟ قال: أنا إبليس، فقلت: ومن أين تعرف هؤلاء؟ قال: إنّي عبدت ربّي في الأرض كذا وكذا سنة، وعبدت ربّي في السماء كذا وكذا سنة، ما رأيت في السّماء اسطوانة إلاّ وعليها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين أيّدته به[1].

وهنا إلى استمرار دخول الجان نساءً ورجالاً في الإسلام وهو أيضاً يشير إلى أن هناك نساء في الجن، وليس كالحديث السابق الذي يقول أن جميع الجان رجال وأنّهم يبيضون، وهو مؤيد بالحديث الذي سبق أن مررنا عليه وقال أن إبليس لم يخرج من رحم وهذا يعني أن بقية الجان يخرجون من أرحام، وهو أيضاً مؤيد بكون الجان والإنس متماثلون في الخلقة وحتى من الناحية الجنسية.

ثم أن الجان يعيشون في أطراف الأرض وفي المناطق النائية وأن قضية ولاية الإمام علي عليه السلام مشهورة، أي درجة أن إبليس يعرفها من كثرة ما أطلع عليها.

وفي هذا الحديث دلالة اضافية ألا وهي دخول المساجد والصلاة فيها.

وعن سعيد بن جبير قال: قالت الجنّ للنبيّ ﷺ: كيف لنا أن نأتي المسجد ونحن ناؤون عنك؟ وكيف نشهد الصلاة ونحن ناؤن عنك؟ فنزلت: ﴿وأنّ المساجد لله﴾ الآية[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٣.

وعن الأعمش قال: قالت الجنّ: يا رسول الله أتأذن لنا فنشهد معك الصّلوات في مسجدك؟ فأنزل الله: ﴿ **وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً** ﴾ [١] يقول: صلّوا لا تخالطوا الناس[٢].

وهناك من أنكر إسلام الجن كما يأتي:

وهذا الحديث روته العامّة كما روته الخاصّة ولم يتناكروا شيئاً منه، والمعتزلة لميلها إلى مذهب البراهمة تدفعه، ولبعدها عن معرفة الأخبار تنكره، وهي سالكة في ذلك طريق الزنادقة فيما طعنت به في القرآن وما تضمنه من أخبار الجنّ وإيمانهم بالله ورسوله، وما قصّ الله تعالى من نبأهم في القرآن في سورة الجنّ وقولهم: ﴿ **إنّا سمعنا قرآناً عجباً** ﴾ إلى آخر ما تضمنّه الخبر عنهم في هذه السورة.

وإذا بطل اعتراض الزنادقة في ذلك مع إعجاز القرآن والأعجوبة الباهرة فيه كان مثل ذلك ظهور بطلان طعون المعتزلة في الخبر الذي رويناه لعدم استحالة مضمونه في العقول، وفي مجيئه من طريقين مختلفين وبرواية فريقين متباينين برهان صحّته وليس في إنكار من عدل عن الانصاف في النظر من المعتزلة والمجبّرة قدح فيما ذكرناه من وجوب العمل عليه، كما أنّه ليس في جحد الملاحدة وأصناف الزنادقة واليهود والنصارى والمجوس والصابئين، ما جاء في صحّته من الأخبار بمعجزات النبيّ صلى الله عليه وآله كانشقاق القمر وحنين الجذع وتسبيح الحصى في كفّه وشكوى البعير وكلام الذراع ومجيئ الشجرة وخروج الماء من بين أصابعه عليه السلام في الميضأة، وإطعام الخلق الكثير من الطعام القليل قدح في صحّتها وصدق رواتها وثبوت الحجّة بها.

وساق الكلام إلى قوله: ولا زال أجد الجاهل من الناصبة والمعاند يظهر التعجّب من الخبر بملاقاة أمير المؤمنين عليه السلام الجنّ وكفّه شرّهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة الجن: ١٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٣.

وأصحابه، ويتضاحك لذلك وينسب الرواية إلى الخرافات الباطلة، ويصنع مثل ذلك في الأخبار الواردة بسوى ذلك من معجزاته ﷺ ويقول: إنّها من موضوعات الشيعة وتخرّص من افتراه منهم للتكسّب بذلك أو التعصّب.

وهذا بعينه مقال الزنادقة وكافة أعداء الإسلام فيما نطق به القرآن من خبر الجنّ وإسلامهم وقولهم: ﴿ *إنّا سمعنا قرآناً عجباً* ﴾ إلى آخره، وفيما ثبت به الخبر عن ابن مسعود في قصّة ليلة الجن ومشاهدته لهم كالزطّ وفي غير ذلك من معجزات الرسول ﷺ فإنّهم يظهرون التعجّب من جميع ذلك ويتضاحكون عند سماع الخبر به والاحتجاج بصحّته، ويستهزؤن ويلغطون فيما يسرفون به من سبّ الإسلام وأهله ونسبتهم إيّاهم إلى العجز والجهل ووضع الأباطيل إلى آخر ما أفاده قدّس سرّه.

بيان: الشفير: ناحية الوادي، وغلوة السهم: مرماه، وتوغّل في الوادي: ذهب وبالغ وأبعد، وتضاءل: تصاغر، وانسرى الهمّ عنّي وسري: انكشف، كلّ ذلك ذكره الفيروز آبادي(١).

## لا يمكن تحمل الوحي

وقال سبحانه: ﴿ *فكبكبوا فيها هم والغاوون ❖ وجنود إبليس أجمعون* ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ *وما تنزّلت به الشياطين ❖ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ❖ إنّهم عن السّمع لمعزولون* - إلى قوله تعالى - *هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين ❖ تنزّل على كلّ أفاك أثيم ❖ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون* ﴾ (٣).

ثمّ لما بين سبحانه أنّ القرآن لا يصحّ أن يكون ممّا تنزّلت به الشياطين أكّد ذلك ببيان من تنزّلت عليه فقال: ﴿ *هل أنبئكم* ﴾ إلى قوله: ﴿ *على كلّ أفّاك أثيم* ﴾

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٨ - ٨٩.

(٢) سورة الشعراء: ٩٤-٩٥.

(٣) سورة الشعراء: ٢١٠-٢٢٣.

أي كذّاب شديد الإثم ﴿ يلقون السّمع وأكثرهم كاذبون ﴾ أي الأفّاكون يلقون السَمع إلى الشياطين فيتلقّون منهم ظنونا وأمارات لنقصان علمهم فيضمّون إليها على حسب تخيّلاتهم أشياء لا يطابق، كذا قيل.

وفي الكافي في خبر طويل عن الباقر عليه السلام قال: ليس من يوم وليلة إلاّ وجميع الجنّ والشياطين تزور أئمّة الضلال، ويزور أئمّة الهدى عددهم من الملائكة حتّى إذا أتت ليلة القدر، فهبط فيها من الملائكة إلى أولي الأمر خلق الله، أو قال: قيّض الله من الشياطين بعددهم ثمّ زاروا وليّ الضلالة فأتوه بالإفك والكذب حتّى لعلّه يصبح فيقول: رأيت كذا وكذا فلو سأل وليّ الأمر عن ذلك لقال: رأيت شيطاناً أخبرك بكذا وكذا حتّى يفسّر له تفسيراً ويعلّمه الضلالة التي هو عليها[1].

وفي هذه الآيات تأكيد لعزل الشياطين عن أخبار السماء كلياً وأنهم بناءً على ذلك لا يمكن لهم حمل الوحي والقيام بدور الملائكة لعدم تمتعهم بالأمانة الكافية، ولعلاقة العداء بينهم وبين بني آدم. وفي النهاية أنّهم لا يأزرون أهل الهدى لأنّ ذلك من فعل الملائكة وهذا طبعاً يقابل دور الشياطين الذين يأزرون أهل الضلال.

وفي أحاديث أخرى في بحار الأنوار جاء أن كتابة الوشم أو كتابته هي الوشم، ولعل هذا تصحيف في الحديث وقراءته الشعر ورسله الكهنة، وهذا يضيف اضافات هامة إلى حياة إبليس الدينية والعقلية[2].

روي عن ابن جبل ،عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كنّا ببابه فخرج علينا قوم أشباه الزّطّ عليهم أزر وأكسية، فسألنا أبا عبد الله عليه السلام عنهم، فقال: هؤلاء إخوانكم من الجنّ[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨١/ح١٧٢ و ح١٧٣.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٦.

وفي هذا الحديث اشارة إلى أن الاتصال بالنبوة ليس مقصوراً على عهد النبيّ ﷺ بل أن مؤمني الجنّ كانت لهم صلاة بالأئمة من أهل البيت عليهم السلام.

## صور وعباده

جاء عن طارق بن حبيب قال: كنّا جلوساً مع عبد الله عمرو بن العاص في الحجر، إذ قلص الظلّ وقامت المجالس إذا نحن ببريق أيّم طالع من هذا الباب يعني باب بني شيبة - والأيّم: الحيّة الذكر - فاشرأبت له أعين الناس، فطاف بالبيت سبعاً وصلّى ركعتين وراء المقام ،فقمت إليه ،فقلنا: أيّها المعتمر قد قضى الله نسكك، وإنّما بأرضنا عبيد وسفهاء، وإنّما نخشى عليك منهم، فكوّم برأسه كومة بطحاء فوضع ذنبه عليها فسما في السّماء حتّى ما نراه[1].

وفي هذا الحديث تأكيد على أنّ الجنّ يؤدون المناسك مثلهم مثل البشر، وكانت هذه المناسك هي من مناسك الحج ،ولا يذكر الحديث هل كان هذا واجباً أم كان عملاً مندوباً ؟ وبالتالي كان هذا الجني يؤدي حجاً واجباً. ثم أنّه كان قد أدى المناسك وهو بصورة حيّة ،والحديث أيضاً لا ينسى هل أن هذا هو الصورة التي له والتي لا يستطيع تغييرها أم أنه برز فيها لضرورة ؟ وأخيراً فإنه يستطيع الطيران في الهواء والاختفاء عن الأعين.

وعن عكرمة بن خالد قال: بينما أنا ليلة في جوف الليل عند زمزم جالس إذا نفر يطوفون عليهم ثياب بيض لم أرَ بياض ثيابهم بشيء قطّ، فلمّا فرغوا صلّوا قريباً منّي، فالتفت بعضهم فقال لأصحابه: اذهبوا بنا نشرب من شراب الأبرار فقاموا فدخلوا زمزم فقلت: والله لو دخلت على القوم فسألتهم، فقمت فدخلت فإذا ليس فيها أحد من البشر[2].

وفي هذا الحديث نفس الدلالة رغم اختلاف الصورة التي ظهروا بها إذ أنّهم ظهروا بصورة بشر هذه المرّة.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٥.

## الجوانب المشتركة بين الجنّ والإنس

وهناك جملة من الأحاديث أشارت إلى عناصر اشتراك بين الجنّ والإنس منها الملابس، ومن غير المعروف السبب في رغبة الجنّ للبس الملابس إذا نزعها الإنسان هل لأجل العيش المجرد أم أن هذا ليس له آثار سيئة على صحة الإنسان أو على روحه أو أي شيء آخر من هذا القبيل. فقد ورد التحذير ولا نعلم علة التحذير الحقيقية ولكنها لا بدّ أن تكون لدفع آثار سوء ومن هذه الروايات ما يلي:

بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا خلع أحدكم ثيابه فليسمّ، لئلا تلبسها الجنّ، فإنّه إن لم يسمّ عليها لبستها الجنّ حتّى تصبح[1].

ومثلها الرواية التالية: عن أبي عبد الله عليه السلام قال: اطووا ثيابكم بالليل فإنّها إذا كانت منشورة لبسها الشيطان[2].

وهناك رواية أو أكثر حول شرك الشيطان في الدابة تقول مايلي:

بإسناده عن أبي الحسن عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا ركب الرّجل الدّابّة فسمّى ردفه ملك يحفظه حتّى ينزل، وإذا ركب ولم يسمّ ردفه شيطان، فيقول له: تغنّ، فإن قال له: لا أحسن قال له: تمنّ ،فلا يزال يتمنّى حتّى ينزل[3].

أمّا بالنسبة لسرقة الطعام وتدل على اشتراك الجن مع الإنس في الطعام ومنها مايلي:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٩.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٤-٢٠٥.

جاء عن معاذ بن جبل قال: ضمّ إلي رسول الله ﷺ تمر الصدقة فجعلته في غرفة لي فكنت أجد فيه كلّ يوم نقصاناً فشكوت ذلك إلى رسول الله ﷺ فقال لي: هو عمل الشيطان فارصده، فرصدته ليلاً، فلمّا ذهب هويّ من الليل أقبل على صورة الفيل فلمّا انتهى إلى الباب دخل من خلل الباب على غير صورته فدنا من التمر فجعل يلتقمه، فشددت على ثيابي فتوسّطته فقلت: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، يا عدوّ الله وثبت إلى تمر الصدقة فأخذته وكانوا أحقّ به منك لأرفعنّك إلى رسول الله ﷺ فيفضحك، فعاهدني أن لا يعود.

فغدوت إلى رسول الله ﷺ فقال: ما فعل أسيرك؟ فقلت: عاهدني أن لا يعود؟ فقال: إنّه عائد فارصده، فرصدته الليلة الثانية ففعل مثل ذلك فعاهدني أن لا يعود فخلّيت سبيله، ثمّ غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: إنه عائد فارصده، فرصدته الليلة الثالثة فصنع مثل ذلك وصنعت مثل ذلك فقلت: يا عدوّ الله عاهدتني مرّتين وهذه الثالثة.

فقال: إنّي ذو عيال وما أتيتك إلاّ من نصيبين ولو أصبت شيئاً دونه ما أتيتك ولقد كنّا في مدينتكم هذه حتّى بعث صاحبكم فلمّا نزلت عليه آيتان نفرنا منها فوقعنا بنصيبين، ولا يقرأن في بيت إلاّ لم يلج فيها شيطان ثلاثا، فإن خلّيت سبيلي علّمتكهما، قلت: نعم، قال: آية الكرسي وآخر سورة البقرة: ﴿*آمن الرسول*﴾ إلى آخرها، فخلّيت سبيله، ثمّ غدوت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته بما قال، فقال: صدق الخبيث وهو كذوب، قال: فكنت أقرأهما عليه بعد ذلك فلا أجد فيه نقصاناً(١).

وعن ابن عبّاس قال: كان رسول الله ﷺ نازلاً على أبي أيّوب في غرفة وكان طعاماً في سلّة في المخدع، فكانت تجيء من الكوّة كهيئة السنّور تأخذ

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٢ - ١١٣.

الطعام من السلّة، فشكى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: تلك الغول، فإذا جاءت فقل: «عزم عليك رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا تبرحي» فجاءت فقال لها أبو أيّوب: «عزم عليك رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا تبرحي» فقالت: يا أبا أيّوب دعني هذه المرّة فو الله لا أعود، فتركها.

ثمّ قالت: هل لك أن أعلّمك كلمات إذا قلتهنّ لا يقرب بيتك شيطان تلك الليلة وذلك اليوم ومن الغد؟ قلت: نعم، قالت: اقرأ آية الكرسيّ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره فقال: صدقت وهي كذوب[1].

وجاء مثلها بالنسبة في الأموال الأخرى وهي مايلي:

## الشرك في المال

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ آدم عليه السلام لما هبط من الجنّة اشتهى من ثمارها فأنزل الله تبارك وتعالى عليه قضيبين من عنب فغرسهما فلمّا أورقا وأثمرا وبلغا جاء إبليس فحاط عليهما حائطاً، فقال له آدم: مالك يا ملعون؟ فقال له إبليس: إنّهما لي، فقال: كذبت، فرضيا بينهما بروح القدس فلمّا انتهيا إليه قصّ آدم عليه السلام قصّته فأخذ روح القدس شيئاً من نار فرمى بها عليهما فالتهبت في أغصانهما حتّى ظنّ آدم أنّه لم يبق منهما شيء إلاّ احترق وظنّ إبليس مثل ذلك قال: فدخلت النار حيث دخلت وقد ذهب منهما ثلثاهما وبقي الثلث، فقال الروح: أمّا ما ذهب منهما فحظّ إبليس لعنه الله وما بقي فلك يا آدم[2].

وهناك الكثير من جوانب الإشتراك ورد في موضعه من قبيل الإشتراك في الذرية، والاشتراك في كل مالم يذكر اسم الله عليه مما يخص الإنسان، ولهذا فإن الإنسان يحتاج إلى ذكر الله ليمنع شرك الشيطان.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٩-٢١٠.

## معالم منوعة

وهناك أيضاً معالم متنوعة من خصائص الجنّ هامة أيضاً نجمعها في هذه الصفحات وهي مايلي:

١ ـ التطفل.

٢ ـ الزينة.

٣ ـ الاختفاء والظهور.

٤ ـ وسائل الإتصال.

وهناك خصيصة غاية في الأهمية ألاَ وهي نزعة الشيطان إلى التطفل على الإنسان وجهده وتدل عليها الرواية التالية:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى لَمَا أهبط آدم عليه السلام أمره بالحرث والزرع وطرح إليه غرساً من غروس الجنّة فأعطاه النخل والعنب والزيتون والرمّان فغرسها لتكون لعقبه وذريّته فأكل هو من ثمارها، فقال له إبليس لعنه الله: يا آدم ما هذا الغرس الذي لم أكن أعرفه في الأرض وقد كنت بها قبلك؟ إئذن لي آكل منه شيئاً، فأبى أن يطعمه، فجاء عند آخر عمر آدم فقال لحوّا: إنّه قد أجهدني الجوع والعطش، فقالت له حواء: إنّ آدم عهد إليّ أن لا أطعمك شيئاً من هذا الغرس لأنّه من الجنّة ولا ينبغي لك أن تأكل منه فقال لها: فاعصري في كفّي منه شيئاً فأبت عليه، فقال: ذريني أمصّه ولا آكله، فأخذت عنقوداً من عنب فأعطته فمصّه ولم يأكل منه شيئاً، لما كانت حوّاء قد أكّدت عليه، فلمّا ذهب يعضه جذبته حوّاء من فيه فأوحى الله عزّ وجلّ إلى آدم عليه السلام إنّ العنب قد مصّه عدوّي وعدوّك إبليس لعنه الله وقد حرّمت عليك من عصيره الخمر ما خالطه نفس إبليس، فحرّمت الخمر لأنّ عدوّ الله إبليس مكر بحوّاء حتّى مصّ العنبة، ولو أكلها لحرمت الكرمة من

أوّلها إلى آخرها وجميع ثمارها وما يأكل منها، ثمّ إنّه قال لحوّاء: فلو أمصصتني شيئاً من هذا التمر كما أمصصتني من العنب، فأعطته تمرة فمصّها، وكانت العنبة والتمر أشدّ رائحة وأزكى من المسك الأذفر وأحلى من العسل، فلمّا مصّهما عدوّ الله ذهبت رائحتهما وانتقصت حلاوتهما.

قال أبو عبد الله عليه السلام: ثمّ إن إبليس الملعون ذهب بعد وفاة آدم عليه السلام فبال في أصل الكرمة والنخلة فجرى الماء في عروقهما ببول عدوّ الله، فمن ثمّ يختمر العنب والتمر فحرّم الله عزّ وجلّ على ذرية آدم كلّ مسكر لأنّ الماء جرى ببول عدوّ الله في النخلة والعنب وصار كلّ مختمر خمراً لأن الماء اختمر في النخلة والكرمة من رائحة بول عدوّ الله إبليس لعنه الله[1].

بيان : قوله عليه السلام: فمن ثمّ يختمر العنب، أي يغلي وينتن ويصير مسكراً.

قوله عليه السلام: لأنّ الماء اختمر في النخلة، أي غلى وتغيّر وأنتن من رائحة بول عدوّ الله.

قال الفيروز آبادي: الخمر بالتحريك: التغيّر عمّا كان عليه، وقال: اختمار الخمر: إدراكها وغليانها انتهى.

ويحتمل أن يكون المراد باختمار العنب والتمر: تغطية أوانيهما ليصيرا خمرا وكذا اختمار الماء المراد به احتباسه في الشجرة لكنّه بعيد.

أمّا خصوصيات الجن من جانب الزينة ،فقد جاء مايلي:

بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جعل الله الحديد في الدنيا زينة الجنّ والشياطين، فحرّم على الرجل المسلم أن يلبسه في الصّلاة إلاّ أن يكون المسلم في قتال عدوّ فلا بأس به[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٠-٢١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٣.

وهذا يدلّ على وجود زينة للجن كما هو موجود عند الإنس، وفي نفس الوقت أن الشرع يفرض على الإنس التمايز عنهم وعدم لبس الحديد كزينة.

كما أن للجن ساعات نشاط خاصة وهي ساعات طلوع الشمس وساعات غيابها، لأنّها ساعات غفلة ومن الواضح أن الشيطان يحاول الاستفادة من هذه الغفلة لايقاع الأذى ونشر الضلال ،والحديث هو:

جاء عن أبي جعفرعليه السلام قال: إنّ إبليس عليه لعائن الله يبثّ جنود الليل من حين تغيب الشمس وتطلع، فأكثروا ذكر الله عزّ وجلّ في هاتين الساعتين وتعوّذوا بالله من شرّ إبليس وجنوده، وعوّذوا صغاركم في هاتين الساعتين فإنّهما ساعتا غفلة[1].

وهذا يساوق ما قلنا سابقاً وأكدته الأحاديث من أنّ إبليس ينتهز أي غفلة من الإنسان لإيقاع الضرر فيه.

أما بالنسبة للظهور والاختفاء وهما حالتا الجن في علاقته بالإنسان ،فإن هناك آراء فيها منها أنهم مخيرين في الظهور متى شاءوا ،ورأي آخر يؤكد أنّهم لا يستطيعون ذلك إلاّ في ظروف خاصة ،لكنّهم بالنسبة للأنبياء والأئمةعليهم السلام فإنهم يظهرون قهراً كما ورد في بعض الروايات ومنها مايلي:

جاء عن عليّ بن أبي طالبعليه السلام قال: كنت جالساً عند الكعبة فإذا شيخ محدودب قد سقط حاجباه على عينيه من شدّة الكبر وفي يده عكازة وعلى رأسه برنس أحمر، وعليه مدرعة من الشعرن فدنا إلى النبيصلى الله عليه وآله والنبيّ مسند ظهره على الكعبة فقال: يا رسول الله ادع لي بالمغفرة، فقال النبيّصلى الله عليه وآله: خاب سعيك يا شيخ وضلّ علمك، فلمّا تولّآ الشيخ قال لي: يا أبا الحسن أتعرفه؟ قلت: لا، قال: ذلك اللعين إبليس، قال عليّعليه السلام: فعدوت خلفه حتّى لحقته وصرعته إلى الأرض وجلست على صدره ووضعت يدي في حلقه لأخنقه،

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٥٧.

فقال لي: لا تفعل يا أبا الحسن فإنّي من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم، والله يا عليّ إنّي لأحبّك جداً وما أبغضك أحد إلاّ شركت أباه في أمّه فصار ولد زنا، فضحكت وخلّيت سبيله.

بيان: في القاموس: الحدب محرّكة: خروج الظهر ودخول الصدر والبطن حدب واحدوب، وقال: العكاز: عصا ذات زجّ، وقال: البرنس بالضم: قلنسوة طويلة أو كلّ ثوب رأسه منه، وقال: المدرعة: كمكنسة: ثوب كالدرّاعة ولا يكون إلاّ من صوف[١].

ففي هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وآله رأى الشيطان وكذلك الإمام علي عليه السلام رآه ثم صرعه وقتله ما يلي:

وورد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يوم الأحد للجنّ ليس تظهر فيه لأحد غيرنا[٢].

وفي هذا تصريح بأنّ الجنّ لا تظهر في هذا اليوم إلاّ لأهل البيت عليهم السلام إلاّ أن هناك روايات مرت أشارت إلى أن الإمام علي عليه السلام يسمع الصوت ولا يرى الصورة.

وروي عن أبي حمزة الثماليّ، قال: كنت مع أبي عبد الله عليه السلام فيما بين مكّة والمدينة، إذا التفت عن يساره فإذا كلب أسود، فقال: مالك قبّحك الله ما أشد مسارعتك؟ فإذا هو شبيه بالطائر، فقلت: ماهو جعلت فداك؟ فقال: هذا عيثم بريد الجنّ، مات هشام الساعة فهو يطير ينعاه في كلّ بلدة[٣].

عن عبد الله بن السائب ،قال: لمّا قتل عثمان أتي حذيفة وهو بالمدائن فقيل: يا أبا عبد الله لقيت رجلاً آنفاً على الجسر فحدّثني أنّ عثمان قتل، قال:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٤-٢٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٧.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٤.

هل تعرف الرجل؟ قلت: أظنّني أعرفه وما أثبته، قال حذيفة: إنّ ذلك عيثم الجنّي وهو الذي يسير بالأخبار فحفظوا ذلك اليوم ووجدوه قتل في ذلك اليوم[1].

وهنا تاكيد على أن عنصر تشابه مهم بين حياة الجن الجماعية وحياة الإنس وذلك من خلال وجود وسائل اتصال. وفي الخبر الأوّل أنّه أحد أفرادهم متخصّص في أداء هذه المهمة ويقوم بنقل المعلومات بين جماعات الجن، على أن عملية الركض السريع للكلب لا توازي ما ورد من أن الجن هم من الكائنات التي تستطيع أن تجوب السماء بسرعة كبيرة، وأن بعض الجن قادرون على نقل عرش بلقيس بأقل من ثانية.

لكن الحديث الثاني أشار إلى انتقال الأخبار لكنه لم يبين الطريقة التي كانت سريعة.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٤ ـ ٩٥.

# الفصل الثالث

## العلاقات

- التصور الإسلامي للعلاقة
- الترابط بين الشخصيّة وطبيعة العلاقة
- التسلّط والسيطرة
- تسلّط الإنسان على الجان
- تسلّط سليمان عليه السلام على الشياطين
- رؤية في الطور الموجب أو سيطرة الإنس
- الطور السالب (تسلّط إبليس)
- أدوات السيطرة
- وسائل التسلّط
- ضعف الشيطان في تسلّطه

# العلاقات

## التصوّر الإسلامي للعلاقة [استقطاب]

إن الدخول في اتّساق العلاقات مع العالم يعني الاندماج في الحركة الكلية المتجهة إلى الكمال والتحول إلى جزء منها، وهو الذي وقع عندما نشأت العلاقة بين جنس الجان والإنس وصار كل منهما يمثل قطباً في عملية التطور الأخلاقي بعد أن أنجز الجنسان مراحل تكاملهما الجسمانية في الطور الأول من علاقة التكامل الوجودية، ثم وصلا إلى طور التكامل الأخلاقي وصار مطلوباً منهما معاً الوصول إلى أفضل حالة أخلاقية ممكنة خلال الفترة الزمنية الممنوحة لهما لإنجاز هذه العملية وهي التي تعرف عادة (بالتأريخ) أو بالمصطلح القرآني (الأجل).

وهذا يعني أن الحركة ستكون محددة في أفقين: الأول هو أفق الطاعة والذي معه تمارس الفضيلة الأخلاقية، وعليه فإن أعلى مستويات الفضيلة سيكون هو أعلى مستوى من مستويات الطاعة لله لأنّه هو الآمر بالفضيلة ذلك أنّ الإنسان لو ترك على وضعه فإنّه سوف يكون أسيراً لغرائزه وتبقى ارادته معطلة لانعدام أي أفق لحركتها، ولكنّ مع صدور الأمر الإلهي بعدم الانصياع للغريزة والإتجاه نحو أفق الفضيلة التي هي حدود ارادية يصل إليها الإنسان بالسيرة ضد الغرائز، فإنّ أفق الارادة المسير نحو الفضيلة، فتتجلى شخصية الإنسان والجان من خلال الطاعة المؤدية إلى أعمال الإرادة.

وعلى هذا الأساس فإن الفضيلة ستكون قطباً يمكن للكائن الاتجاه نحوه إذا سار وفق التعاليم التي يصدرها إليه الله؛ لأنّ ليس أي سير ضد الغريزة

يعني الفضيلة أو الخير بل ربّما أدى السير ضد أي أنواع من الشر، فالامتناع عن الزواج يؤدي إلى انقطاع النسل والشر، وكذلك الامتناع عن الأكل أو الامتناع عن الغضب؛ لأنّه يؤدي إلى ضعف الكائن ووقوعه تحت هيمنة الآخرين، فهنا الفضيلة خط معين لا ينال إلاّ بالطاعة لأوامر الله سبحانه وتعالى. وأن للشرّ طرق كثيرة تأتي من العصيان ولهذا فإنّ الشر في عالم الكائنات سيكون شراً أخلاقياً ناتج عن العصيان، وأن الخير هو خيراً أخلاقياً ينتج عن الطاعة، وأنّ لكل منهما بعده الخطير على تأسيس الحياة الاجتماعية، فالخير سينعكس على شكل نظام في حياة الجماعة ودوامه، وأن الشر سينعكس على شكل اضطراب فيها يؤدي إلى فسادها.

ولهذا فإن عملية التطور بدأت باستقطاب عندما اختار الشيطان العصيان وأصرّ عليه واختار آدم الطاعة، وهكذا فإنّ الشر هو العصيان والخير هو الطاعة وإنّهما يتصارعان ليتكاملا كما بينا في الفصول السابقة.

ومن هنا لابدّ لنا الفصل بين الشر الطبيعي الذي هو من حقيقته ليس شراً لأن انحباس المطر أو حدوث الزلازل سيكون شراً بالنسبة للإنسان لكنه عبارة عن عملية خير بالنسبة للنظام الكوني لأنّه يعني وصول الأرض إلى حالة من الاستقرار.

ولذلك فإن من الخطأ الحديث عن شرّ مطلق وخير مطلق، وهو الأمر الذي وقعت فيه الديانات القديمة عندما أساءت إلى فهم النصوص الإلهية التي أوحت بها السماء إلى الأنبياء ﷺ وهو بدأ عندما فهم الأقدمون مفهوم الزوجية في الوجود على أساس ثنوية أو تعدد في الألوهية التي كانت أحياناً تعني الإيمان بوجود إلهين وهما سوى الإله الواحد أو إلى ما إلى ذلك من الخلط. ولهذا فإن الإسلام قدم العقيدة النّقية حينما أقرّ بوجود الزوجية في

الوجود لكنّها زوجية طبيعية وليست هي كالثنوية التي تنقسم إلى ثلاث فئات:
١ ـ الثنوية المطلقة. ٢ ـ الثنوية الجذرية. ٣ ـ الثنوية المعتدلة.

تقول الثنوية المطلقة بوجود مبدأين أو أصلين أزليين مستقلين ومتعارضين»[1] وقد ردّ القرآن على هذا الرأي ،فنفاه بقوله: ﴿ ***ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون*** ﴾[2].

«أما الثنوية الجذرية فتقول بوجود مبدأين متساويين في القيمة النسبية وفي علاقتهما بالوجود، ولكن هذين المبدأين ليسا أزليين بل حادثين ومتولدين عن الإله الأزلي الواحد القديم، وهما في حالة صراع دائم منذ صدورهما»[3].

«أما الثنوية المعتدلة فتقول بمبدأ واحد وأصل واحد قديم وأزلي هو إله الأنوار الأعلى، ثم إنّ هذا الإله الأعلى قد خلق إلهاً أدنى منه مرتبة قام بدوره بخلق العالم المادي ،فالمادة شر بطبيعتها، ولا يمكن للإله الواحد الخير أن يخلق الشر أو يكون مسؤولاً عن وجوده»[4].

وهنا نلاحظ اختلاط في مفهوم الخير والشر ومفهوم الوحدانية والزوجية ومفهوم الألوهية والخلق فإن هذه الاختلاطات قادت في النهاية إلى نشوء معتقدات لا أصل لها.

ولهذا فإن الإسلام يختلف في كون الألوهية خاصة بالله سبحانه وهي الحاكمية على جميع الوجود كما أنّ الخالقية أيضاً من مختصاته سبحانه، ولهذا فإنّ الزوجية هي من طبيعة المخلوقات وأنّها تعني التركيب من أقطاب لا

---

(١) الرحمن والشيطان ـ الثنوية الكونية ولاهوت التأريخ في الديانات المشرقية: ١٢.
(٢) سورة المؤمنون: ٩١.
(٣) الرحمن والشيطان: ١٢.
(٤) المصدر نفسه: ١٢.

يكمل أي قطب بدون القطب الآخر. وهذا يعني قابلية محدودة للحركة لكنها قابلية تفويض وليست ذاتية كما فهمته الديانات القديمة وتفسيراتها، إلاّ أننا نرى أنّه ليس جميع الديانات وقعت في نفس الخطأ بل أن بعضها فهم الأمر على صورته القريبة من الوحي لكن الخطأ نشأ من مواضع أخرى، إذ أشارت بعض الديانات القديمة إلى القطبية، كما في الطاوية، إذ تم التميز«بينه وبين مفهوم القطبية الذي لا يتضمن معنى الصراع بقدر ما يتضمن معنى التكامل والتعاون. فالقطبية هي معتقد يقول بوجود ثنائية أصلية قوامها قطبان متعارضان ومتناقضان في كل شيء ،ولكنهما في الوقت نفسه متعاونان ولا قيام لأحدهما بدون الآخر ،وعن تناقضهما وتعاونهما تنشأ مظاهر الوجود المادي والحيوي وبهما تستمر»[1] .

وهذه الرؤية قريبة من التصور العلمي المعاصر حيث يطرح وجود الأقطاب في الموجودات الكهربية أو المغناطيسية ،وهذان يدخلان في أساس بنية الموجودات ، وهو أيضاً شبيه بالمفهوم الإسلامي للزوجية حيث يعلن القرآن ذلك ،بقوله: ﴿ *الذي خلق الأزواج كلها* ﴾[2].

إنّها حالة موجودة في كلّ شيء وأن شكلها في عالم الأحياء يأخذ صورة قطبية بين [الشيطان ـ الإنسان ] وبذلك يخرج الشر كمفهوم إلى مستوى أخلاقي، وهو ليس أصلياً كما هو في المبادئ والديانات الأخرى؛ لأنّه عبارة عن خيار للكائنات الحيّة العاقلة المريدة، وأنّه عبارة عن تأسيس لحالة الفساد التي تصيب الحياة الفردية والاجتماعية، أما بالنسبة للطبيعة فإن الشر فيها ليس

---

(١) الرحمن والشيطان: ١٣.

(٢) سورة يس: ٣٦، وسورة الزخرف: ١٢. واثبات عمومية وجود الأزواج في الكون راجع: «حركة التأريخ رؤية قرآنية» ـ سنة الزوجية: ٧٧-٨٣.

شراً لكنه لعله بالنسبة لبعض الكائنات كذلك لكنه في المال. والنتيجة يؤدي إلى الخير فهو تماماً مثل حقن المريض بالدواء لشفاءه لكنه يحتاج إلى مقدمة مؤلمة أو كانقاذ شخص ويحتاج إلى كسر الأبواب والنوافذ.

ولذلك فإن الشر سيكون حصراً في الجانب الأخلاقي، وهو عبارة عن خيار لكائنات المطلوب فيها أن تمارس عملية الخيار كعملية تمثل صلب وجودها، إذ أن النقلة أو حالة الكمال لدى هذه الكائنات في امتلاك العقل وهو بدوره الذي يعطي هذه الكائنات القدرة على ممارسة الخيار، ولهذا فإن خياراً فاشلاً يعني عقلاً فاشلاً، وهو يعني عدم أهلية الانتساب إلى هذه الطبقة التي ميزتها الرئيسية هي الحرية والقدرة على الاختيار، وبالتالي ضرورة أن يكون هذا الاختيار صحيحاً، إذ أن اختيار أي شيء لا يعني تحقيق أي نتيجة لأنّه عندئذ يشبه حالة فقدان المؤهل للخيار، وأن العملية برمتها تتم من خلال القطبية وأن الكمال للقطبين معاً، إذ أن عالم الجن شريك في التكامل حتى لو كان يمثل هالة للقطب (إبليس) وأن عالم الإنس مؤهل لكلا الحالين مثل الجن حتى لو كان يمثل هالة (لآدمعليه السلام) فهذه الحركة عند الجن والإنس لا تتم إلاّ من خلال عملية الإستقطاب بين الإنسان وبين الشيطان أي أنّها تعتمد على العلاقة بين إبليس وآدمعليه السلام فبدون هذه العلاقة فإن إبليس بمفرده كان منضماً إلى كيان الملائكة. وهذا الانضمام لا يعني إلاّ عدم احتلاله لموقعه الوجودي أي عدم لممارسته لدور الكائن الذي لديه غريزة ويطيع الله مع وجودها، ذلك أنّه قبل آدم كانت هذه الغرائز هامدة وغير محفزة. وبظهور آدم تحفزت الغرائز وانفصل إبليس عن الملائكة وأخذ موقعه الخاص في الكون وبدأت عملية الاستقطاب، فكل قطب يحاول أن يجر القطب الآخر إلى دائرته، فموقف إبليس كان موقفاً ارادياً اتّخذه استجابة لنوازع العاطفة، إذ أنها كانت

هي الغالبة على قوة العقل فنتج العصيان، بينما كان موقف آدم معاكساً إذ أعلن الطاعة وقبل بالعودة عن سلوك أو تفكير لا يلقى القبول من الله سبحانه.

ومن خلال هذين الموقفين الفرديين كانت اللبنة الأولى لعملية الشد وكان طبيعياً أن يكون إبليس هو العنصر المتحرك لأنّه القطب السالب، فنحن نلاحظ أن القطب السالب في الذرة هو المتحرك وهو الذي يدور حول النواة الموجبة بينما تكون النواة الموجبة مستقرة فيه تشده إليها.

ولعلنا نستطيع أن نرى أن إبليس انشدّ إلى آدم وحواء وصار يعرض لهما ويحاول أن ينقلهما إلى دائرة العصيان، لكن آدم عليه السلام حتى لو همّ باتباع إبليس فإنّه يسرع إلى طاعة الله وبالتالي فإنّه يظل ملازماً للنقطة التي عليها أي نقطة الطاعة، وهي طبعاً شكل من أشكال المكان لكنه مكان معنوي، إذ أننا سنفترض وجود فضاء معنوي موجب وهو مكان الطاعة يملئه آدم وذريته المطيعة، ويقابله في نفس الفضاء مكان معنوي آخر سالب وهو مكان العصيان يملئه إبليس وذريته.

وعلى هذا الأساس فإن هناك فضاء معنوي مقابل الفضاء المادي وفي هذا الفضاء تلتقي الأقطاب أي تتماس، فبدون هذه المماسة لا يمكن أن يحدث التأثير، وهذه الحالة هي التي كانت قبل تماس آدم بإبليس حيث كان تأثير إبليس يساوي تأثير أي ملاك، وعندما تماس إبليس بآدم برز الأثر وبدأت عملية الاستقطاب ليكون قطب العداء (السالب) إبليس بينما يكون آدم عليه السلام هو قطب الحب (الموجب).

ولم يكن متصوراً الحديث عن دائرة واسعة لهذا الاستقطاب قبل مرحلة التكاثر والذرية ،لكنّه بات حقيقة واقعة بعد أن صار آدم أسرة وصار إبليس أسرة مقابلة ، ذلك أننا نفترض أن كل إنسي له إبليس جني يقابله ،وهذا الأمر

يدلَّ عليه حديث مرَّ ذكره في الفصول السابقة بما في ذلك الأنبياءﷺ ومع كل أسرة جني تدخل الاستقطاب أسرة أنسية ،حتى صارت هناك جماعة من الإنس تقابلها جماعة من الجن ،ولهذا فإننا وبعد أن اتسعت دائرة الاستقطاب مرحلة الاستقطاب الجماعي ، فإن القوانين ستتغير وتكون هناك آفاق متعددة للعلاقات أولها:

١ ـ العلاقات الداخلية:

وتتفرَع هذه العلاقات إلى:

أ ـ علاقات الجن بالجن.

ب ـ علاقات الإنس بالإنس.

٢ ـ العلاقات الخارجية:

وتتفرَع إلى علاقات:

أ ـ علاقات الجن بالإنس.

ب ـ علاقات الإنس بالجن.

فهذه الأطر الأربعة للعلاقات نشأت مع بداية العلاقة بين الجن والإنس مع شيء من التفاوت في التأريخ، إذ أن الجان أسبق وجوداً من الإنس وبالتالي فإنهم عاشوا العلاقات الداخلية؛ لأنَّ الروايات تؤكد على أن الجان كانوا قبل ظهور الإنس، وأن النسناس وهي مخلوقات أرضية ولكنها غير معروفة الانتماء فهل تنتمي إلى سلسلة النار أو سلسلة الطين؟ وهي عاصرت تجربة الجن وقد صدر الحكم بإجلاءها من السيادة على الأرض مع الجن في أمر إلهي واحد.

وهي قطعاً لا تنتمي إلى سلسلة النار لأنَها إذن جزء من الجن وهي أيضاً ليست من سلسلة النور وإلاّ كانت من سلسلة الملائكة، والملائكة ليست أرضية فتنحصر في الطين ومشتقاته، ولهذا فإنها من الأرجح من أجداد الإنسان بناءَ

على نظرية الخلق التي تؤمن بها وهي نظرية الخلق التطوري، أي أن الله يخلق باستمرار مخلوقات أكمل من سابقاتها وهذه النظرية لها من يقول بها. فـ «إن الأكثرية العظمى من علماء الحياة يقولون بالتطور الذي يحدث بالإنتقال وبالإصطفاء الطبيعي معاً ،وتقول هذه النظرية الحديثة: إن انتقالاً بسيطاً ونافعاً على جسم ما، فيصبح هذا الجسم أقدر على الاستمرار في الحياة من غيره من أبناء جنسه، وهذا الانتقال ينتقل بالوراثة خلال أجيال كثيرة متتابعة، وخلال بضعة ملايين من السنين يحدث انتقال آخر نافع في النسل ذاته، وهكذا دواليك حتّى تنتهي الأجسام إلى أشكال مغايرة لأشكالها الأصلية»[1].

أي أنَّ هذه النقلات تأتي خارج السياق بالنسبة للجنس الواحد وهي تطورات نافعة، وبنفس الطريقة تظهر أجناس جديدة أي أكثر قدرة على البقاء بالمعنى الذي أشرنا إليه في فصل [العلاقة على ضوء القوانين العامة للحياة].

وإذا كان النسناس هم أجداد الإنسان أو المخلوقات التي تكون قريبة من الإنسان، فإن الإنسان والجان يكونان على منزلة واحدة من هذه الناحية أيّ أن أجداد إبليس من الجان عاصروا أجداد الإنس من النسناس، وعليه فإن مرحلة (إبليس ـ آدم) مرحلة خاصة؛ لأنّها تنتمي إلى رتبة خاصة من (الجن ـ الإنس) أي أنّها رتبة متطورة من الخلق تختلف عن سابقاتها، وهذا يشعر بأن الكائنات التي ستدخل حلبة البلاء متفاوتة في بعض المعالم حتى لو كانت متقاربة في أغلب معالمها.

ومن مجمل ما مرّ نفهم أن قطبي الحركة المعتمدين ليسوا هم الجن إنّما النوع المتفوق منهم وهو إبليس، فوصول إبليس إلى السيادة على مخلوقات النار يشبه سيادة آدم على مخلوقات الطين، وأن نسب الذرية إلى إبليس يصبح صحيحاً، لأنّ هذه المرحلة ستطبع الجن جميعاً بطابع إبليس بعد أن

---

(١) راجع كتاب خلق لا تطور: ٢٨.

يكون السيادة له عليهم، وهذا الحال يشبه حال آدم فإن كل منهما خلق خلقاً مباشراً ليشكل سلالة سائدة، وبذلك يكون آدم أباً لجميع البشر لأنّه أبو السلالة السائدة، وكذلك إبليس حتى لو كان ليس جميع الجن من صلبه بل أبناء عمومته الذين صار يصاهرهم ثم انتشرت صفاته فيهم بمرور الأجيال حتى صارت هي الغالبة.

وفي النهاية وبغض النظر عن صحة ما نفترضه هنا أو خطأه فإن النتيجة هي أن قطب آدم صار يقابل قطب إبليس، وأن الشخصية الفردية والجماعية لكل منهما كانت ستأخذ بعدها في حركة المرحلة القادمة، وأن التقابل بينهما كان تقابلاً في المواصفات فكل كائن سيقوم بدور معين تبعاً لما يحمله من صفات نفسية وبدنية.

ولذلك فإننا هنا لابدّ أن نلتفت إلى نوع من الإطار الموحد الذي سيؤلف بين هذين المخلوقين وهو ما سميناه الفضاء المعنوي، وفي ظل هذا الإطار لابدَ أننا نجد مثلاً نوع من وحدة المعايير ووحدة التكليف لكي يتاح في النهاية الخروج بأحكام موحدة أيضاً وهو طبعاً الهدف من عملية ابتلاءهما معاً.

وفي ظل هذه الوحدة يأتي مستوى التنوع لكي يتلائم مع الدور، فتكون النتيجة هي وجود عناصر من الوحدة منظمة إلى عناصر من التنوع لكي تمنح الاثنين حركة تأريخية مشتركة يؤسسانها معاً ويتكاملا من خلالها.

وإذا كان الدور التأريخي لا يعني سوى طبيعة الارتباط بالمخلوقات الأخرى، فإننا نستنتج أن ثمة ترابط بين شخصية المخلوق صاحب العلاقة وطبيعة العلاقة التي تربطه بسواه.

## الترابط بين الشخصية وطبيعة العلاقة

((تشترك عدّة عوامل في تكوين الشخصية، فالعامل المعرفي له السبق في هذ التكوين ويشتمل على العمليات: الذاكرة، الانتباه، التفكير، الادراك، الجوانب العاطفية الوجدانية (الحب والكراهية) وهو الذي يحدد السلوك للإنسان ،كيف يسلك سلوكاً ما وإلى جانب هذا العامل توجد عوامل أخرى من بينها المظهر الخارجي حيث يؤثر تأثيراً قوياً في تكوين طبيعة الشخصية))[1].

ومن هذه الناحية فإننا نرى أن الجن يتسمون بمظهر يميل إلى القبح وهو طبعاً أحد عناصر تكوين الشخصية السلبية وحتى لو قيل أن الجن ليسوا جنساً واحداً وأنّهم أجناس عديدة، فإن هذا العامل سيبقى قائماً لامتياز الجميع في اطار القبح، فبعض الجن مثلاً كما مرّ في أوصافهم أنّهم ضخام الجثّة طوال القامة وبعض آخر صغار، وكلا المظهرين بعيد عن حالة الوسط التي عليها الإنسان، حيث لا تتفاوت هياكل أفراده هذا التفاوت حتى لو وجد بعض أفراد البشر من الأقزام فإن أعدادهم ضئيلة في مجموع الكائنات البشرية.

وبالنسبة لبقية المعالم فإن عدم التوازن لا يزال قائماً، إذ ورد أن بعضهم ذوو أبدان مغطاة بالشعر وهو يكون أحياناً شبيه بشعر الكلب، وفي أحيان أخرى يكون كثيفاً كشعر الماعز.

وبالنسبة للأطراف فإنّها شبيهة بأطراف الإنسان مرّة وأخرى شبيهة بأطراف الكلب. وجاء أن البعض له أقدام حمار أو جاء أنّهم ذوي أيدٍ أربع ولم يأت وصف للأجنحة مع العلم أنّه قد ورد ذكرها أكثر من مرة.

---

(١) التداعيات النفسية والاجتماعية لظاهرة التعصب (التطرف) ـ مجلة النبا ـ العدد ٥٦ ـ ٢٠٠١م: ٤٩ ـ ٥٠.

أمّا بالنسبة للنفس فقد ورد التأكيد على وجود ميل للايذاء كما عند روايات الغيلان والسعالي أو الكائنات الأخرى التي مرّ ذكرها.

على أننا نستطيع الاشارة إلى أن الاجمال الذي تتميز به الآيات يؤكد على نواح مما يرد في الروايات إلاّ أنّه يبعد الصورة كثيراً عن الشبه بالإنسان، فالقباحة كوصف لإبليس قد وردت في الآيـة: ﴿ *طلعها كأنّـه رؤوس الشياطين* ﴾[1] إلاّ أن هـذا الوصـف يوحـي بحالـة مـن القبـح بعيـدة عـن الصـور المتعارفـة للإنسان، وكذلك بالنسبة لآية ﴿ *فلمّا رآها تـهتزّ كأنّـها جان* ﴾[2] أعطى انطبـاع مخيف مـن خلال ردّ الفعل وهو الهرب من حالة الاهتزاز في نفس الوقت الذي قدم وصفاً للجان مفاده أنّهم يهتزون بصورة مرعبة وهذا لم يرد في الأحاديث ولا مرّة.

وركّز القرآن على ميل إبليس وجنده على الجانب الأساسي من الميول النفسية للإيذاء ألاّ وهي التي ترتبط برغبته بإيصال الإنسان إلى الكفر، وهو طبعاً أشدّ أنـواع الأذى خطورة لكنـه ذكـر أنـواع الأذى الأخـرى في الآيـة «يتخبط» وفي مورد أيوب ﷺ ﴿ *مسّني الشيطان بنصب وعـذاب* ﴾[3]. ولا يعلم هنا هل هو أذى مباشر أم هو غير مباشر؟.

ولذلك فإن الخطوط العامة بين الآيات والروايات واحدة ولكن هناك تفاوت في التفصيل والإجمال، وأن بعض ما ذكر من الروايات لم يـردّ في الآيات والعكس أيضاً صحيح.

وفي النهاية تجمع الآيـات والروايات على أنّ الجان مثل الإنس تتساوى فيهم دوافع الطاعة والمعصية، إلاّ أنه بحكم بقاءهم كهالة للقطب السـالب [إبليس] ينخرطون في الحالة السلبية، على أننا يجب أن نشير إلـى أن هـذه

---

(١) سورة الصافات: ٦٥.

(٢) سورة النمل: ١٠، سورة القصص: ٣١.

(٣) سورة ص: ٤١.

السلبية ليست حالة ثابتة إذ تتفاوت وتتسع في زمن الفترات وتأخذ معها دائرة مشابهة من الإنس، وتتقلص في زمن الرسالات وسيطرة الأنبياء حتى تأخذ معها دائرة كبيرة من الجن، ولا يبقى سوى إبليس وأجناده المخلصون ممن يشكلون قطب الضلال، وهم طبعاً شخصيات سلبية عدوانية تعيش على الحقد والضغينة والميل القوي لايقاع الضرر بالآخرين، كما أنّهم يفتقرون إلى استقامة العقل وتسري بينهم المغالطة وإيهام النفس والاقدام على مصير بائس لصالح اشباع رغبة معينة. وهو يشبه ما وصفه الإمام علي ﷺ عند بعض البشر من وجود نفس تغلب صاحبها على ما تظن ولا يغلبها على ما يستيقن.

## علاقات الجن الداخلية

وعلى أساس ما قدمناه فإننا نفترض أن العلاقة بين الجن ليست واحدة إذ لابدّ من التمييز بين عموم الجن الذين هم جماعات مختلطة فيها الجماعات التي تؤمن بالديانات وجماعات أخرى ليست كذلك، وأهم هذه الجماعات هي جماعة «إبليس» وهي طبعاً جماعة تمثل القطب الذي يستمر تأريخياً كقطب ممثل للعصيان داعياً له في مقابل القطب الآخر الذي يستمر داعياً إلى الطاعة ولا يحيد عنها وهو طبعاً قطب [آدم].

وإذا كان الوضع الاجتماعي وإن كان له خصوصية فإنّه يمثل انعكاساً لطبيعة الأفراد، ولهذا فإنّه سيكون مجتمعاً «إبليسياً» بمعنى أنّه انعكاس لشخصية جماعية تحمل مواصفات الكائن المعقد الذي تنتابه حالات الندم مثلاً وحالات الغضب، وعدم امتلاك القيم الخيرة التي تؤدي إلى تماسك أي بنية اجتماعية تسود فيها وبالتالي فلابدّ من اقامة هذا التماسك من خلال قيم أخرى مضادة.

قد يكون متعذراً على جماعة [إبليس] الاستمرار في البقاء أو في تحقيق الهدف الرئيسي [اضلال البشر] ما لم تكن هناك علاقات بين بعضهم تمكن

هذه الجماعات من الحركة والتواصل من أجل تحقيق الهدف. وقد ورد في ثنايات الأحاديث نوع من العلاقة القاسية لأنَ مجتمع الجن مجتمع تسلطي يقوم على علاقات التسلط، فلربما رأينا أن جماعات الجن الضعيفة تكون عرضة للابتزاز والتسخير، وأنّه ستعتمد هذه الطبقات القوية على تسخير الطبقات الضعيفة في سوقها إلى انجاز مختلف الأغراض، ولعلنا نستطيع تخيل وجود مجتمعات عبودية قائمة على القهر بالنسبة للجماعات الكافرة.

ويقابلها مجتمعات مؤمنة تقوم بينها علاقات سليمة إلاّ أن هذه المجتمعات أو الجماعات عرضة للقوى الكافرة التي تحاول الإمساك بجميع جماعات الجن في الإطار المنحرف.

وعلى هذا الأساس فإن القاعدة النسبية ستكون هي قاعدة الارهاب والخوف، حيث لا يكون هناك وازع من شد هذه الجماعات إلاّ الخوف من الكبار وجنود إبليس ومنع هؤلاء من التمرد، بالإضافة إلى عنصر المصلحة وعوامل الإضلال التي تمارس طبعاً وبدءاً مع الجن ثم ليستفاد منه في الصراع مع الإنس. ومن هذه العوامل ما حددته الروايات التالية:

## أوصاف عامّة

جاء عن ابن عبّاس: قال: قال رسول الله ﷺ قال إبليس لربّه تعالى: يا ربّ قد أهبط آدم وقد علمت أنّه سيكون كتب ورسل، فما كتبهم ورسلهم؟ قال: رسلهم الملائكة والنبيّون، وكتبهم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، قال: فما كتابي؟ قال: كتابك الوشم، وقراءتك الشعر، ورسلك الكهنة، وطعامك ما لم يذكر اسم الله عليه وشرابك كلّ مسكر، وصدقك الكذب، وبيتك الحمّام، ومصائدك النساء، ومؤذّنك المزمار، ومسجدك الأسواق[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨١.

وعن قتادة: قال: لما هبط إبليس قال آدم: أي ربِّ قد لعنته فما علمه؟ قال: السحر قال: فما قراءته؟ قال: الشعر، قال: فما كتابته؟ قال: الوشم، قال: فما طعامه؟ قال: كلّ ميتة وما لم يذكر اسم الله عليه، قال: فما شرابه؟ قال: كلّ مسكر، قال: فأين مسكنه؟ قال: الحمّام، قال: فأين مجلسه؟ قال: الأسواق، قال: فما صوته؟ قال: المزمار، قال: فما مصائده؟ قال: النساء[1].

فهنا تصريح بأن الاعتماد على إلهاب العواطف [الشعر] والوشم بما هو الوشم المعروف أو هو شيء آخر، والكهانة هي أداة اقناع الناس بوجود حقائق في مقابل حقائق الرسالات وهي طبعاً تعتمد على بهر المستمع واشعاره بوجود قدرات، وذلك بالنسبة للطعام والمسكر هو الذي يسهل على الإنسان أو ربما الجان ارتكاب بعض ما لا يستطيعون ارتكابه في الأحوال العادية، وكذلك بالنسبة للكذب واغراء النساء والأدوات الموسيقية التي تخلق لدى الإنسان حالة من الانفعال ،والأسواق حيث ينهمك الإنسان في البحث عن الأرباح والمكاسب ويستغرق في هذا الأمر فكأنه يسجد للمال.

ومن كل ذلك تلوح حالة من التقابل في الأدوات والأهداف، فالدين يريد ايقاظ العقل والارادة، وإبليس لا يستطيع البقاء إلاّ بإيقاظ الغرائز والعواطف واطفاء العقل.

لقد أكدت الآيات والأحاديث على أن الجذر الأول للجان هو إبليس العاصي وهو شخصية معقدة، ولذلك فإنّه حينما ينتج ذرية فمن الطبيعي أن تكون هذه الذرية تحمل شخصية الأب بقوة أي أنها تميل إلى التمرد والعصيان. وأن الجماعة الأولى التي نشأت كانت جماعات تسود بينها علاقات تحمل سمات هذا التمرد أي أنّه يبدي ميلاً قوياً نحو التسلط وهي عقدة الخلافة التي حرم منها، ولهذا فإننا نتصور علاقة تعسفية لا تعرف

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨١.

المناقشة والمنطق لأنَ المنطق في العادة يقود إلى الحقائق والحقائق تؤدي إلى نسف البنيان، ولهذا فإن الشيطان كانت علاقته بمن دونه من أبناءه هي علاقة تجبر وتسلط لا يعرف أي نوع من الحوار ويطلب الخضوع التام مستنداً إلى الارهاب والمصالح المشتركة بين الجماعة، ولذلك فإننا لا نتوقع ظهور بؤر ايمانية في ذلك العالم إلاّ بصورة ضعيفة، لأنَ الشيطان الذي يحارب الإيمان وعالم الإنس فإنّه من الطبيعي يعمل على منع تواجده في قوة؛ لأنّه يشكل تهديداً إلاّ أن الأصل في هذه الحياة كان هو الكفر وان الإيمان هو حالة شاذة.

إلاّ أن الخلافات والصراعات التي ستكون جزءاً أصلياً من ذلك المجتمع سيؤدي إلى تمرد البعض على هذه الأجواء خصوصاً في الأدوار التي يكون فيها نموذج العلاقات داخل مجتمعات البشر نموذجاً نظيفاً وأخلاقياً تسود فيه علاقات الحب والتعاون فتفتح الأذهان إلى شكل غير معروف، ولهذا فإن الجان يرى في هذه العلاقات تهديداً لسلطة على الجن فيعمد إلى محاربتها بشتى الطرق والوسائل بل يعمد إلى تعميم نموذج العلاقات السلبية داخل جماعات الإنسان، ولهذا فإن أشكال علاقات التسلط والغاء العقل سرعان ما تظهر، ويمكننا أن نشير إلى النموذج الأقوى إذا كان نموذجاً تسلطياً يعتمد على القوة والغاء العقل الذي سربه إلى التجربة الإسلامية في التأريخ، وكانت بعد فترة بسيطة بعد ارساء الرسولﷺ لعلاقات التفاهم والحرية والحب وظهور أشكال عالية من المحبة والايثار خلدها التاريخ.

ويؤيد هذا الأمر الشواهد التأريخية التي تؤكد أن الجماعات البشرية عندما تبدأ في اطوارها الحضارية وهي أطوار تتبع ظهور الديانات، وما تمارسه من دور اصلاحي غالباً ما تكون أطوار سليمة ذلك أن «الثقافة حلقة وصل بين الدين والقيم الروحية من جهة ،والحضارة التي تمثل ناتج الثقافة في الزمان والمكان من جهة أخرى. ويشبه أحد الكتّاب ـ وضع الثقافة ـ بعلاقتها بغيرها

بالشجرة ،حيث تكون الجذور هي القيم الدينية والروحية ،وتمثل الثقافة الساق والأغصان ،وتمثل الحضارة الثمار والنتاج المادي»[١]. وبناءً على هذه الحقيقة فإننا نجد أن العلاقات العبودية والتسلطيّة تنشأ بعد فترة من ضمور الاصلاحات الدينية، ومثالها بالنسبة للدين الإسلامي الفترة الأموية حيث قفز النموذج التسلطي، وبالنسبة للتأريخ البعيد وفي حالة كالحضارة في وادي الرافدين حيث غلبت حالات الاستبداد: «قد يوحي الانطباع العام الذي نخرج به عن السلطات غير المحدودة للالهة والملوك، بأن الحياة في وادي الرافدين قد خلت في عصورها القديمة مما نسميه اليوم بـ «الديمقراطية» أو حكم الشورى... فهناك مصادر كثيرة تشير إلى أن هذه الحضارة قد عرفت صوراً من هذه النظم في فجر حياتها التأريخية والسياسية»[٢]. ولعل هذا الأمر يؤكد على أن العلاقات (الإبليسية) التسلطية تتسرب تدريجياً للتغير الاجتماعي والسياسي ولعلنا نستطيع أن ندرك ذلك أيضاً من الأساطير وبعد سيادة الوثنية حيث أنّ التصور الأولي لمجتمع الآلهة كان أضياً تشير إلى حالة من الديمقراطية، وأن هناك مجمع لها يتخذ القرارات لكن هذا المجمع بدوره تدب فيه الروح التسلطية إذ «يبدو أن أزمة الحكم الفردي وجبروت التسلط المطلق للملوك أصحاب الإمبراطوريات الكبرى بعد ذلك لم تكن في أحد جوانبها إلاّ انعكاساً لأزمة الحكم الإلهي نفسه»[٣].

وإذا كانت الأساطير تعكس أوضاع الناس فإنّها تشير إلى وضع سليم كان سائداً ثم انحرف إلى حالة من التسلط، إذ ليس من الضروري أن يكون الانحراف مفاجئاً وحاداً، إذ ربّما بدأ تدريجياً ثم يتفاقم حتى يصل إلى

---

(١) التبادل اللامتكافئ بين الثقافتين الغربية والعربية ـ مجلة المستقبل العربي ـ العدد٣٤١ لسنة ١٩٩٩: ١٤١.

(٢) جذور الاستبداد قراءة في أدب قديم ـ سلسلة عالم المعرفة ـ العدد ١٩٣: ٦٦.

(٣) جذور الاستبداد قراءة في أدب قديم ـ سلسلة عالم المعرفة ـ العدد ١٩٣: ٦٨.

أطوار شديدة الانحراف وهو الأمر الذي يهدف إلى ايجاده «ابليس» في المجتمع البشري؛ لأنّه الوضع الذي يمكن فيه الحصول على أعلى نسبة من الانحراف. ويؤيد هذا ما ذهب إليه {دور كيم} إذ ((تبين أن «اللامعيارية» في نظرية {دور كيم} تشير إلى «حالة اضطراب تصيب النظام أو حالة من انعدام الانتظام أو التسيب تنجم عن أزمات اقتصادية أو كوارث أسرية في نفس الوقت الذي تؤدي فيه إلى الانحراف»))[1].

وإذا كان المجتمع البشري في حالات انحرافه يتخذ هذا الوضع فإننا حينئذ نستطيع أن نتصور أنّه في هذا منتج على غرار العلاقات (الإبليسية) التي تعيشها مجتمعات (الشيطان) ثم يتم تصديرها إلى عالم البشر عبر الأفكار. لأن «البشر يعيشون داخل شبكة هائلة من العلاقات مع بعضهم البعض ويبذلون الجهد في سبيل فهم العالم الطبيعي والتعامل معه، وحسب هذا المنظور فإن الثقافة أو التصورات التمثيلية الجمعية قائمة في هذه العلاقات ومن خلالها، وأنّه لا سبيل إلى الفصل بين أهمية ودلالة التصوّرات الجمعية وبين العلاقات»[2].

وذلك أن «الكائنات البشرية على نقيض الحيوانات الاجتماعية الأخرى، لا تقنع فقط بمجرد الحياة في علاقات، بل أنّها تنتج العلاقات لكي تعيش وتبتكر على مدى وجودها سبلاً جديدة للفعل والفكر، لتفكر وتعمل سواء بالنسبة لبعضها البعض أو بالنسبة للطبيعة المحيطة بها ؛ومن ثم فإنّ البشر ينتجون الثقافة ويخلقون التأريخ»[3].

---

(١) الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي: ١٩.

(٢) لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية نشأتها وتنوعها: ٦٦.

(٣) لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافات البشرية نشأتها وتنوعها: ٥٨.

وتسريب الأفكار التي تسود في الثقافة ثم تصبح أساساً للعمل ثم تسود في الوجود الاجتماعي وتمتد معه تاريخياً من خلال قناة أكدها القرآن وهي: ﴿ *يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول* ﴾[1] كما يتم من خلال الدعم الذي تمارسه الشياطين الجنية لشياطين الإنس.

وهكذا فإن الأصل يأتي من جماعة (إبليس) الأمر الذي يجعلنا نستنتج أنه نمط العلاقات السائد في تلك الأوساط.

ينشأ عن طبيعة الشخصية وهي طبعاً شخصية معقدة تجنح إلى الهوى وتتأثر بالعقد، فإن العلاقات تتأسى على التنافر لأنّ كل فرد في الجماعات الكافرة يعمل على التمدد على حساب الآخرين، ولهذا فإن النظام لا يمكن له أن يستتب بدون قوة قهرية تستطيع انتاج تناسق ضروري، بالإضافة إلى قوة تنافر فعالة موجهة ضد الإنسان أو مؤمني الجن فإنها تعمل على تحكيم النظام فتكون النتيجة هي سيطرة كبار الأبالسة على الشياطين الأقل ،ولدينا نموذج من الأحاديث أشارت إلى هذه الحقائق فمنها ما أشارت إلى اسراع الشياطين لاجابة نداء إبليس حتى لو كان نداءً غير موجه لأحد فبمجرد أن يصرخ إبليس فإن الشياطين تتجمع، ثم أن الآيات أكدت وجود جنود إبليس وهو وصف يشير إلى نمط الهيمنة، لأنّ المجند هو الشخص الذي يكون في معرض الطاعة لمن صار جندياً عنده. أما بالنسبة لنوع الطاعة فقد وردت رواية أكدت أنّ الشيطان كان يعمد إلى ايذاء الشياطين الذين يعملون عند سليمان عليه السلام ويحملهم المزيد من الوظائف.

---

(١) سورة الأنعام: ١١٢.

## الأواصر

من الطبيعي لأي جنس أن يرتبط أفراده بروابط معينة ويمكن لنا أن نتخيل أنواع من هذه الروابط منها:

١ ـ القوى الجنسية: وهي قوة بايلوجية غريزية تؤدي إلى تشكيل الأسرة كمقدمة لتكاثر النوع، وتنشأ من خلالها أنواع أخرى من الروابط كالروابط الأسرية التي تنشأ بين أفراد الأسرة، ثم تتسع لتصبح رابطة بين الأقارب وهو الأساس الذي يربط بين أفراد القبيلة ويتسع أكثر ليصبح رابطة بين أفراد عرق معين، ومثل هذه الرابطة موجودة في جنس البشر وجنس الجان لأنَ كلا الاثنين مكونان من عنصر أنثوي وعنصر ذكري، وحتى بالنسبة للروايات التي أشارت إلى وجود نظم أخرى للتكاثر فإنها بالنتيجة تؤدي إلى قيام هذه الرابطة، رغم أن الرأي الأرجح هو أن الكائنات الراقية تتكون في العادة من إناث وذكور إلى جانب أدلة التماثل بين الجن والإنس التي تفيد أن نظام الحياة في عالم الجن هو نظام مماثل لنظام الحياة عند الإنس، وعليه فإن الأسرة ستكون هي الوحدة الأساسية في نظام العلاقات الداخلية.

((أطلق الغربيون كلمة (سكس) على الخصائص التي تميز كلاً من الذكر والأنثى في الأعضاء والوظائف والوجهات النفسية، وهذه كلمة مشتقة من فعل (سكار) اللاتيني غالباً ،ومعناه «قطع» إشارة إلى أن المرأة مقطوعة من ضلع الرجل ، وهم يعالجون قضايا المرأة والرجل تحت عنوانها وقد أحسنوا في ذلك لأنّها تشير إلى الجنسين في آن واحد ،وخير كلمة تترجم بها إلى العربية كلمة (شق) ومعناها في معاجم اللغة «الجانب الواحد من الإنسان» ومنها الشقيق بمعنى الأخ كأنهُ شق نسبه أو جسمه من أخيه))[1].

---

(١) القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي: ١٠.

كما أن «علائق النسب بين الأم وأبنائها وهي أقدم قرابة عرقية كانت الأساس الذي قامت عليه الرابطة الاجتماعية منذ انبثاقها فجر البشر، ولا تزال العامل الأكبر في تعيين الأخوة في الجماعات الابتدائية ،والذي أكسبها هذا الشأن في الأقوام على اختلافها ،حتى في الأقوام الراقية المعاصرة ،هو أن مهد القرابة في حجر الآباء والأمهات هو مهد الاتحاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي أيضاً»[١].

٢ ـ القوى النفسية: وهي أيضاً نمط من علاقات الاستيناس العامة التي يمكن أن تقوم بين أي فردين سواء كان بين فردين متحدي الجنس أو مختلفين جنساً، وهي طبعاً من العلائق التي غالباً ما تأتي من طول العلاقات الأخرى وبحكم الاحتكاك المباشر.

٣ ـ قوة العقائد: وهي من القوى المهمة التي تربط بين جماعات الإنسان أو الجان ذلك أنّها تتجاوز حدود اللغة وتتفوق في تأثيرها عليها «وإن نظرة واحدة اجمالية في تاريخ الدين تدل على الدور العظيم الذي مثلته العقائد الدينية على مسرح الحياة الاجتماعية ،ومن اللغو أن يحاول كاتب في التاريخ الحطّ من شأن العامل الديني في التطور الاجتماعي وأن يقتصر على العوامل الطبيعية وحدها ،لأن الدين قوة دافعة من أعظم القوى ،فقد ألفت هذه القوة الأمم وفرقتها»[٢].

على أننا نجد أن وحدة الاعتقاد أو وحدة الثقافة يمكن أن تشكل قاعدة قوية في تأسيس رابطة قوية؛ لأنَها تؤدي إلى عزلة بين أبناء الثقافة الواحدة والآخرين «ولا شك بأن الرجل الفيجي الشرس يرى أن افتراسه فريسة باسم أحد آلهته من أكلة اللحم البشري هو عمل مبرّر،في حين يرى أن جاره

---

(١) القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي: ١٠٩.

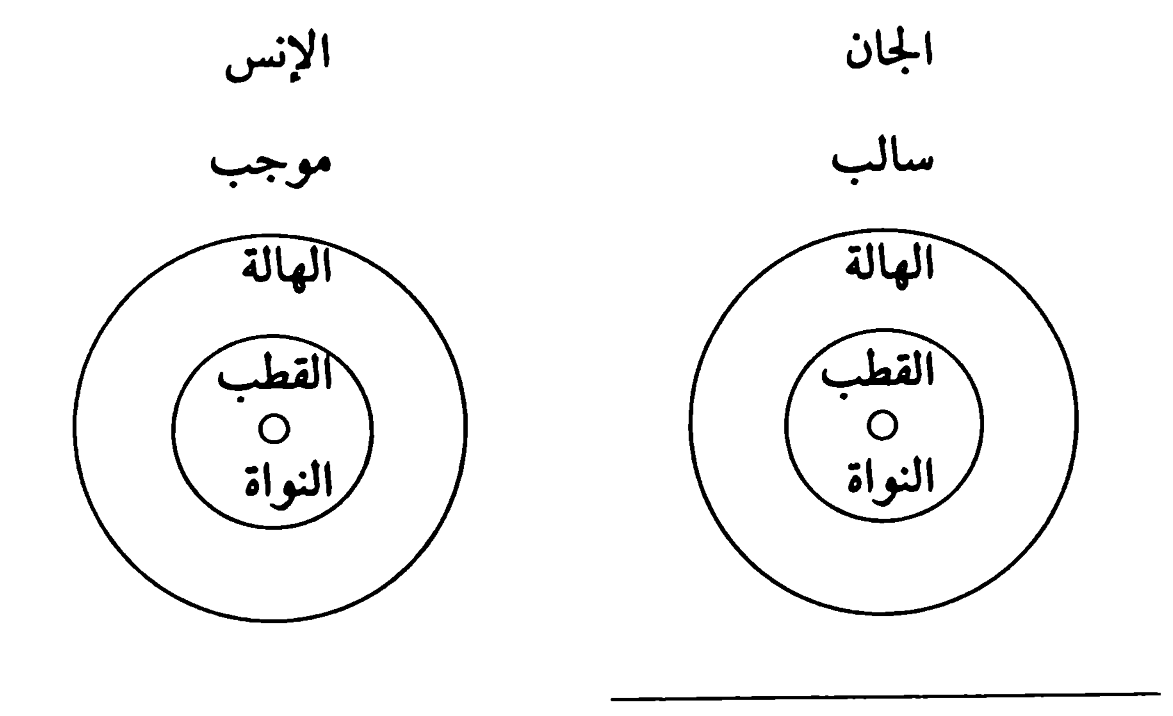
(٢) المصدر نفسه: ١٤٥.

الصاموي الذي لا يقدم قرباناً لهذه الآلهة ،بل يعدل في معاملته ويحسن إلى اخوانه يدل بعمله هذا على أن الدناءة وقلة دينه تسير كتفاً لكتف»[١].

ويرتعش الفيجيون من ذكر الصامويين لأنَهم ليس لهم دين يدينون به ولا عقيدة بإله من أمثال ما يؤمنون به. وفي أحد الأيام أظهر السائح «جكسون» شيئاً من قلة الاحترام لأحد آلهتهم ،فغضبوا عليه ولقبوه (الكافر الأبيض)[٢].

وهكذا يمكن تصور جملة روابط يمكن أن تربط بين الجن على غرار هذه الروابط السائدة بين بني البشر وهي بالطبع ليست على درجة واحدة، إذ أننا نلمس وجود أفراد يشكلون نواة القطب السالب (الجن) ومصدر قوته وبقاءه، وكلما ابتعدنا عن هذه النواة فإن حالة من تخلل القوى تظهر حتى تصل إلى أضعف حلقات الارتباط وهي آخر دوائر القوة الداخلية كلما ابتعدنا عن نقطة المركز.

ويمكن لنا أن نلاحظ هذا الرسم التوضيحي.




---

(١) القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي: ١٤٩.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٨.

فبالنسبة للدائرة الأولى هي دائرة إبليس والدائرة التي تليها هي دائرة الجن عموماً، والتي فيها يمكن للقطب الموجب أن يوقع تأثير بحيث يتحول أجزاء منها تبعاً للموجب وبالعكس أيضاً، وهذه الدائرة هي التي يكون قوس المحيط فيها ضعيف الارتباط بالمركز ويرتبط معه بروابط الانتماء إلى الجنس فقط، ويأتي ضعف الارتباط لوجود علاقات تنافر داخلية أيضاً، وهي علاقات تقوم على أساس غرائز الصراع على المصالح أو الاختلاف في الاعتقاد، وهي أيضاً تأتي من الطبقات الثلاثة السابقة الذكر أي التنافر النفسي والتكاثري والاعتقادي.

ومن خلال الصراع بين قوى التنافر الداخلية وقوى التجاذب الداخلية يتقرر موقع الفرد في دائرة القطب، وبالتالي يتهيأ للوقوع تحت تأثير قوة الآخر المقابل وهي قوة قابلة للتأثير على أي جسم قابل للتأثر.

## النظم

من خلال هذه الأواصر تتولد عملية تأطير للأواصر ضمن نظم أو شبكة العلاقات الداخلية، وهي طبقاً لما ورد الحديث عنها والإشارة إليها في جملة أحاديث في بحار الأنوار[1] حيث جاء أن إبليس يصرخ فتأتي الشياطين مسرعة، الأمر الذي يوحي بوجود نظام معين ورابطة تقضي بوجود الاستجابة السريعة وإذا ضممنا ذلك إلى ما ورد في الآية: ﴿ ***وجنود إبليس*** ﴾ أو ﴿ ***واستفزز من استطعت منهم واجلب عليهم بخيلك ورجلك*** ﴾[2].

وما ورد من ذكر الولاية والسلطان فإننا نفهم وجود أنظمة تفرض نوع من السلطة والتسلط بين إبليس (أمام زمان الشر) على أولياءه، وهي طبعاً

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/٢٥٦/ح١٢٥. و٢٤٩/ح١٠٥.

(٢) سورة الإسراء: ٦٤.

ولاية سلبية تقوم لتحقيق أهدافه وتأسيس القوة الجماعية للعصيان، والتي عبر عنها الله سبحانه وتعالى بالظلم بقوله: ﴿ *ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين* ﴾[1]. فهنا ظلم بعصيان الأمر الإرشادي الذي أصدره الله لآدم لأن الضرر حينئذ سيعود على آدم نفسه. وهكذا فإن الله سمى عملية العصيان من خلال أكبر آثارها وهو الظلم، فالعصيان له آثار عملية هي الظلم بأنواعه ﴿ *وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون* ﴾[2] سواء ظلم النفس أو ظلم الآخرين؛ لأنه يفرز نمط علاقات ظالمة لأنه يؤدي إلى حالة الاستقطاب في اطار الظلم على أساس تولي بعض الظلمة للبعض الآخر ﴿ *وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا* ﴾[3].

فالظلم يولد أواصره الخاصة وبالتالي حتى وإن بدا حالة خاصة إلاَ أنه يمتلك قابلية الامتداد والتحول إلى حالة جماعية تمتد أفقياً لتشمل أجزاء كبيرة من الوسط المحيط بالظالم، وتمتد عمودياً لتنتشر في الأجيال القادمة وهو طبعاً اكثر تجلي في عالم (إبليس) الذي هو المصدر للظلم.

فإبليس الذي هو قطب العصيان سيقيم نظام العصيان وهو نظام لا يمكن أن يقوم على قيم سليمة، وقد قال القرآن ﴿ *بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلاَ غروراً* ﴾[4]. وهكذا يمكن تصور النظام الاجتماعي السالب الذي يقوم على الخداع والارهاب والمحاصرة واستلاب الإرادة لتحقيق أكبر مقدار من الطواعية. وستأتي تفصيلات أدوات السيطرة في المجتمع السالب في موضعها، ويمكننا أيضاً أن نتخيل أنه نظام لا يهدف إلى تحقيق البناء؛ لأنه نظام هامشي

---

(١) سورة البقرة: ٣٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٩.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٩.

(٤) سورة فاطر: ٤٠.

يأتي على هامش الحياة الاجتماعية البشرية بل ربّما قاد إلى الاحتفاظ بها في مستويات غاية في التدني من ناحية الحضارة والمدنية والرقي ومحاربة العلم، لأنّ ذلك يؤدي إلى خلق أجواء الانحراف والتردي وبالتالي فرض لتكريس العصيان وسيادته، وإذا شئنا أن نضرب مثلاً لهذه النماذج من الأنظمة فإننا يمكن نضرب مثلاً (الفيجيون) [1] الذين هم: ((آكلة اللحم البشري ،فهؤلاء لا يكترثون لحياة الناس ويعيشون في خوف دائم بعضهم من بعض، ويحسبون البوق (وهو الغدر) من الشمائل الكريمة، وليس سفك الدم في نظر الفيجي جناية بل شرفاً ،فهم يقتلون المقعدين والعجزة والمرضى ونحو ثلثي مواليدهم، ومن بقي منهم حيّاً فأول درس يتلقنه أن يضرب أمّه ،ومن خصالهم الحث على الانتقام وإثارة الغضب وقتل من كان أدنى منهم مرتبة بمجرد اهماله تأدية السلام على الأصول ،وهم يئدون العبيد بجانب القوائم التي يبنى عليها بيت مليكهم ،ويذبحون عشرة منهم أو أكثر على ظهر ركوة ـ زورق ـ جديدة ينزلونها إلى الماء تعميداً لها بدمائهم ،ويخنقون نساء الأمير وحجابه وأمناءه عند موته تشريفاً لهم وتكريماً ،وعادة أكل اللحم البشري منتشرة عندهم إلى حد أن أميراً من أمرائهم رثى ابنه ،فقال في ختام رثائه أنه لا يحجم عن قتل نسائه وأكلهن إذا ما أغضبنه ،وهم في بعض الأحيان يشوون فرائسهم البشرية أحياءاً قبل أن يبتلعوهم ،وقطع (طانوا) أحد أمرائهم ذراع ابن عم له ولعق الدم السائل منه ،ثم طبخ الذراع وأكلها في حضرته وبعد ذلك قام فمزقه إرباً إرباً ،أما آلهتهم ـ وقد وصفوا بأوصافهم وطبعوا على غرارهم ـ فكانوا يرتكبون هذه الأعمال نفسها، لا جرم أنهم يعيشون على أرواح الفرائس التي

---

(١) الفيجيون: قوم من الوثنيين من آكلة لحوم البشر من سكان جزائر المحيط الهادي، جزيرة فيجي. أما الصاميون: فهم سكان جزيرة صامو.

يفترسها الناس بشيّهم هذه الأرواح على النار أولاً ،وليست هذه الأرواح في الواقع إلا «قرائن» الفرائس أو نسخة ثانية عنها.

ويصف الفيجيون هذه الآلهة بأنها محتالة متكبرة منتقمة تتحارب وتتقاتل ويأكل بعضها بعضاً ،ومن أسماء التمجيد التي يكرم بها الإله الفيجي قولهم «الزاني» و«خاطف المرأة» وآكل الدماغ و«القاتل»))(١).

ويمكننا أن نعرف من خلال قاعدة تسريب التأثير بين جماعة الجن وجماعة الإنس، أن كل الأشكال المرضية للأنظمة أصلها في جماعة الجن بحكم سلبيتها وأنها تمتاز بخصوصية الطغيان والخداع، فالتأمل في أشكال الطغيان وأعتاها أنّها تقوم على أساس خدعة كبرى وهي ادعاء الحاكم على أنه ابناً للآلهة أو ممثل لها، والآلهة هي بدورها كذبة تم انتحال أبناء لها كذبة أخرى. وهي غالباً ما تستظل بالديانات بعد تحريفها و((من الأفضل أن نستخدم لفظة «الحكم الثيوقراطي» بدلاً عن الحكم الديني، ذلك لأننّا نظلم الدين كثيراً عندما ننسب إليه مثل هذا الحكم المطلق الذي يأخذ برقاب الناس بإسم الإرادة الإلهية، فليس ثمة دين من الديانات السماوية الكبرى يذهب إليه ويتمسك به. وإنّما ظهرت في كل عصر مجموعة من اتّباع هذا الدين أو ذاك تلجأ إلى تأويل النصوص الدينية وتقدم اجتهادات وتفسيرات ذاتية تمكنها من الوصول إلى السلطة، فتكون لها مقاليد الأمور وهي تستخدم أحط السبل كالدسائس، والقتل، والرشوة، واستمالة الأشخاص بالمال أو الارهاب، والنفاق والكذب على الله))(٢).

وبالنسبة لإبليس فإن أصل عصيانه كان عبارة عن الاعتقاد بالتفوق العرقي، وهو ممكن يطور بواسطة أنواع الخداع ليكون أساس لخدعة كبيرة

---

(١) القضايا الإجتماعية الكبرى في العالم العربي: ١٤٨

(٢) راجع كتاب الطاغية: ٦١.

تسوق شياطين الجن إلى نوعٍ من الخضوع والتآزر على اضلال البشر ذوي الأصل الطيني المتدني، ولعل لنا حالات تسريب لهذه النوع من الأباطيل في المجتمع البشري من ادعاء التفوق العنصري سواء بالإنتماء إلى الأصل الإلهي أو الأسر الشريفة أو العرق النقي، كما في العقيدة النازية وعموم الشعوب البيضاء التي تؤمن بأنّها من أصل أرقى من بقية الأجناس.

وإن تسويق هذه الأفكار الخاطئة غالباً ما يقوم على عمليات الخداع والتضليل. وقد عرفها «ايلفاين» بأنها «توجيه للإنسان سواء أحدثته ضغوطات الأشياء أو المصالح الطبقية والسيادية المنظمة أو البنية الاقتصادية»[1]. فيكون التضليل: «تلك العملية الهادفة إلى دفع الإنسان بطرائق ملائمة سيكولوجية اجتماعية، سيكولوجية جماهيرية، لانتهاج سلوك معين في اتجاه معين»[2].

وعليه يفهم من تضليل «أن كتلة غير مدربة وعاجزة سياسياً توجه إلى حيث يراد لها أن تصل ،دون أن تكون في وضع يمكنها من البت بما إذا كان توجهها في صالحها أم لا»[3].

وأن العملية برمتها تعتمد على سلاح إبليس الرهيب وهو الإيحاء «يوحون» «حيث تؤثر في وعي البشر تأثيراً يجعلهم يتصرفون وفق أنماط من السلوك لا تتطابق مع الوضع الاجتماعي الواقعي ،ويدفعهم لصرف النظر عن الحقائق المتعارضة معها ، والنابعة من منظومة وقائع مغايرة للتسميات التي يستخدمها التضليل ،من وجهة نظر المعرفة لا تنطلق أنماط السلوك ،هذه من الحقيقة الموضوعية بل من عالم المشاعر والانفعالات المهيجة بالكلمات»[4].

---

(١) لغة السياسة: ٦١.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٧١.

(٤) المصدر نفسه: ١٨١.

ولعل في ما مرّ من الروايات اشارة دقيقة إلى هذه القضية حيث سردت الروايات أن الشعر والوشم والكهانة.. الخ هي المقابل الذي لدى إبليس في مقابل أدوات القطب الموجب، وهذه الأدوات طبعاً مستخدمة في خداع الجن قبل الإنس؛ لأنّ أصل بناء قطب السلب مؤسس على هذه الخدع.

ولما كان الهدف الاضلال فإن كل الجهد المتاح سيقع على ملازمة البشر وبالتالي لا يتاح فرص لأعمال بنّاءة، ولهذا فإن الروايات نصت على أن إبليس والجان يشاركون الإنسان في غذائه وفي لباسه وفي مسكنه وفي نكاحه ويسرقون طعامه، وغير ذلك مما يتسم به طابع القطب السالب الذي بالنتيجة لا ينتج حضارة أو مدنية إنّما ينتج خيرات سالبة تتطور باستمرار مع تطور القطب الموجب ورسوخه، ولذلك فإننا يمكن أن نتصور وجود خبرات واسعة لعلنا نرى بعض أشكالها عند البشر من أولياء الشيطان.

**العلاقات الخارجيّة:**

ومن هنا فإننا سنتصور شبكة من القوى النفسية والعقلية والبدنية تكون المركب الحيوي الذي يوحد أجزاء كل قطب ثم يمتد للتأثير على القطب الآخر وطبعاً هذا ناشئ عن حالة التركيب، فكما أن القطب الواحد مركب من أجزاء وتعمل في داخله قوى التنافر والتجاذب فإن نفس هذه القوى تمتد لتعمل في المركب الحيوي الكبير [الجن ـ الإنس ] لتؤلف جسماً واحداً تماماً جسم الفرد الإنساني الواحد الذي هو مركب من [جسم مادي مرئي ـ جسم غير مادي] [الجسم ـ النفس] فإن المركب الكبير مركب من [جسم مادي مرئي [جسم + نفس] ] + [جسم غير مرئي [جسم + نفس ] ] ذلك أن إبليس يلازم الإنسان في جميع حالاته حتى يبدو مثله وهذا طبعاً أحد الفوارق بين المركب الصغير [الإنسان] أو [الجان] وبين المركب الكبير [الإنسان + الجان] ذلك أن

المركب الصغير تكون أجزاءه مترابطة ترابطاً غير قابل للتفكك إلاّ في حالة الموت، بينما بالنسبة للمركب الكبير فإن الانفصال ممكن ولا يؤدي إلى الموت، ثم أن عمل إبليس يشبه عمل النفس بالنسبة للمركب الصغير فالنفس سلبية ﴿ *إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ* ﴾[1] وأن إبليس لا يأمر إلاّ بالسوء فهكذا نلاحظ التشابه في دور الأجزاء المرئية في تركيب المجاميع الحية الصغيرة والكبيرة.

ومن خلال هذه التراكيب نتخيل عمليات التأثير، فالمركب الصغير إذا تأثر بالنفس صار كله سلبياً، والمركب الكبير إذا تأثر بإبليس صار كذلك كلّه سلبياً.

فالعلاقة بين (إبليس) و (آدم) ناشئة من خلال عملية التركيب، ولهذا فإننا سنتخيل أنماط من العلاقات (التأثير) هي كالآتي:

العلاقات بين الجنسين وهي أيضاً علاقات تجاذب وتنافر فهناك تجاذب غريزي ونفسي وتجاذب عقلي وديني وتنافر بين كل جنس وتنافر عقيدية.

فهناك علاقة تنافر وعداء كلية تفرض العزلة على الجن والإنس.

وهناك علاقة تجاذب بين أفراد الجن المؤمنين وأفراد الإنس المؤمنين.

وهناك علاقة تنافر بين أفراد المؤمنين وأفراد الإنس.

وهناك علاقة تجاذب بين أفراد الجن المؤمنين.

وهناك علاقة تجاذب بين أفراد الإنس المؤمنين.

ويمكن رسم نموذج للعلاقة بالصورة التالية:

---

(١) سورة يوسف: ٥٣.

تجاذب جنسية

| مؤمنين | تنافر<br>جن | تنافر وتجاذب<br>شياطين |
|---|---|---|

| تجاذب | تنافر | تجاذب |
|---|---|---|
| مؤمنين | انس<br>تجاذب جنسية | شياطين |

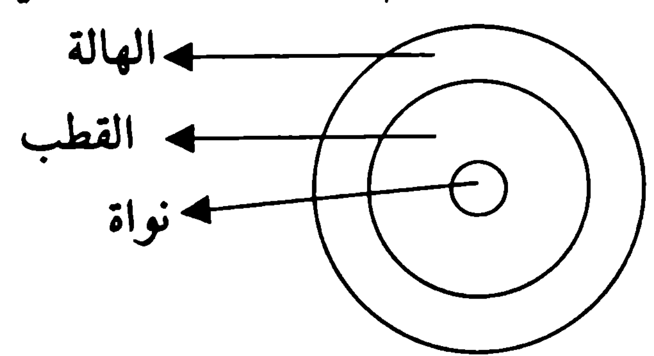
وهكذا نلاحظ أن الجماعات المؤمنة تضعف في داخلها قوى التنافر، بينما يمكن لجماعات الشياطين أن تختلط بينها علاقات التجاذب والتنافر، وهذا يجعل حالة من الفوضى هي السائدة بين ما يسود الانتظام من الطرف الآخر لوحدة النوازع الناشئة نتيجة لقوة العقيدة.

وفي النهاية فإن العلاقة بين الجن والإنس هي عبارة عن محاولات سعي لسيطرة قوى الإيمان والكفر داخلياً في اطار نفس النوع أولاً ثم بين السعي للسيطرة على النوع الآخر، ولذلك فإن العلاقة ستترجم إلى اطارين هما:

أ ـ علاقة تسلط في إطار الإيمان.

ب ـ علاقة تسلط في إطار الكفر.

ويمكن لنا أن نرسم العلاقة بالشكل التالي:



## التسلّط

تأخذ عملية الاستقطاب شكلها العملي في سعي القطبين إلى نوعين من المساعي: النوع الأول يتجلّى بالسعي في طرف الجان للسيطرة على الإنس وضمهم إلى القطب السالب عبر التحول إلى أقطاب صغيرة تستقطب بدورها مزيداً من أفراد الإنس، ولهذا فإن الرواية التي سبق التعرض لها حددت درجات متفاوتة في تبعية هؤلاء إلى القطب السالب:

١ ـ رفض التبعيّة.

٢ ـ تبعية جزئية.

٣ ـ تبعية كلية.

فأما الحالة الأولى فهي تعني الانتماء إلى القطب الموجب، كما أنّ الحالة الثالثة تعني الانتماء إلى القطب السالب، والحالة الثانية هي التي تكون ذات سيطرة مشتركة ويعمل كلا القطبين على الاستحواذ عليهما، غير أنّ هذا الاستحواذ يتفاوت حيث يقع البعض في الدائرة القريبة من السلب، ثم تأتي الدرجات تباعاً حتى تصل إلى أقصى دائرة في بعدها عن السلب وبالتالي فهي الأقرب إلى دائرة الإيجاب.

أمّا النوع الثاني فهو السعي الموجب للسيطرة على البشر ومنه تتسرب السيطرة على الجن، وهو طبعاً ينقسم إلى نفس التقسيمات السالبة لكن من زاوية الإيجاب على أننا لا بدّ لنا أن نلاحظ وجود تفاوت بين طبيعة القطب السالب والقطب الموجب، ذلك أنّنا نفترض وجود اتباع للقطب الموجب في دائرة الجن يعملون كأرضية لنشر حالة الإيجاب في أوساطهم غير أنّهم لا يشكلون إلاّ نسبة قليلة بحكم أصل انتماءهم إلى وسط سالب بينما لا يكون الأمر كذلك بالنسبة للإنس بحكم الانتماء إلى الإيجاب فضلاً عن وجود الرسالات الكبرى دائماً في طرف البشر مما يعطيهم صفة الإيجاب.

وعلى هذا الأساس فإن هناك حالة نبضية في الإيجاب والسلب، ففي زمن الفترات فإن الدائرة الوسطى تميل بشدة إلى السلب وفي زمن الرسالات تميل إلى حالة الايجاب، وأن هذه الذبذبة تحصل في دائرة الجن بنفس الكيفية في دائرة الهالة التي هي بدءاً هالة رغم سعتها، فإن نواة القطب السالب فيها تأخذ حيزاً مهماً بحيث يحقق في أضعف حالاته وجود قطب سالب مفرد مقارن لكل قطب بشري سواء كان سالباً أو موجباً.

وعليه فإن حالة السيطرة تعتمد على عاملين:

١ ـ عامل عددي.

٢ ـ عامل درجة.

فكلما ازداد عدد الأفراد المطيعين أو التابعين للقطب الموجب فإن الحالة تتهيأ للإيجاب، وكلما ازدادت درجة التبعية فإنّها أيضاً تتهيأ كذلك، ولكن في بعض الأحيان تتوافر درجة عالية من التبعية ولا تتوفر الوفرة العددية، فعند ذلك لا تخرج من الحالة الفردية لتصب في خانة الحالة الجماعية ذلك أن السيطرة تحتاج إلى التحول إلى سيطرة جماعية، لأنّها عندئذ تصل إلى أعلى درجات التحكم وتستطيع بعد ذلك منع القطب المقابل من الفعالية، ولهذا فإن السماء تتدخل في أحيان كثيرة لإبادة الجماعات البشرية التي تتحول إلى جماعات مقفلة، لأنّها عندئذ تنافي قانون الاختيار إذ قال الله: ﴿ *إنّك إن تذرهم يضلّوا عبادك ولا يلدوا إلاّ فاجراً كفّاراً* ﴾[1] ففي مجتمع سالب مغلق لا توجد فسحة للإيجاب، ولهذا فإن الأجيال تولد سالبة ولهذا فإن الله سبحانه يتدخل بإرسال الرسل لفسح فسحة للإيجاب وفي حال رفض الطاعة فإن فرصة البقاء تنعدم ولهذا يأتي الأمر بالفناء.

بينما لا يكون الأمر كذلك في حالة سيطرة القطب الموجب لأنّه يكتفي بإزالة المعوقات وأساليب القهر ويكتفي بإيصال الهدى إلى الناس، وبالتالي

---

(١) سورة نوح: ٢٧.

يترك لهم المقارنة وحرية الاختيار. وهو طبعاً يكون واثقاً من النتيجة من اختيار الإيجاب بحكم النفور الفطري من النموذج السالب الذي غالباً ما يسوق الناس في اتجاهات ترفضها الفطرة، ويعافها الذوق الإنساني، وينتهي إلى اقامة نماذج لمجتمعات تقهر الإنسان وتدوسه إما في جميع جوانب وجوده وإما في بعض الجوانب.

ويمكن تخيل أنواع من النماذج للأنظمة السالبة التي تتراوح بين الأنظمة العبودية التي تعمل طبقة معينة فيها على اضطهاد الأكثرية بعد أن تقسمها إلى شرائح وصولاً إلى الأشكال الراقية من أنظمة السلب التي توفر الرفاه للإنسان ولكن في مقابل العصيان. ويضرب الله مثلاً لهذه الأنظمة بأنظمة فرعون العبودية وأنظمة (عاد وثمود) التي قال فيها: ﴿ *ألم تر كيف فعل ربك بعاد* ❁ *إرم ذات العماد* ❁ *التي لم يخلق مثلها في البلاد* ❁ *وثمود الذين جابوا الصخر بالواد* ❁ *وفرعون ذي الأوتاد* ﴾[1] فهذه الأنظمة ورغم التفاوت الظاهري في مستوى الرفاه ومستوى الحقوق الممنوحة للأفراد، فإنها تقوم على أرضية سالبة لأنها جميعاً تقوم على العبث بالفطرة. ولذلك وردت الرواية التفسيرية التالية:

### أمر الشيطان:

في حديث عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿ *ولآمرنهم فليغيرن خلق الله* ﴾[2] قال: أمر الله بما أمر به.

وعن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: ﴿ *ولآمرنهم فليغيرن خلق الله* ﴾ قال: دين الله.

بيان: فسّر عليه السلام في الخبر الأوّل خلق الله بأمر الله وفي الثاني بدين الله، وقال الطبرسي رحمه الله: قيل: يريد دين الله وأمره ،عن ابن عبّاس وإبراهيم

---

(١) سورة الفجر: ٦ - ١٠.

(٢) سورة النساء: ١١٩.

ومجاهد والحسن وقتادة، وهو المرويّ عن أبي عبد الله ﷺ، ويؤيّده قوله سبحانه: ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ [١] وأراد بذلك تحريم الحلال وتحليل الحرام، وقيل: أراد الخصاء، وقيل: إنّه الوشم، وقيل: إنه أراد الشمس والقمر والحجارة عدلوا عن الانتفاع بها إلى عبادتها[٢].

فالشيطان هنا نصب مساعيه، ليكون آمراً في البدء ثم ليأمر من يأتمرون بأمره بتغيير خلق الله على تعدد معاني خلق الله كما مرّ في الحديث، وهكذا فإن الهدف سيكون سعياً للتسلط على الإنسان وهو كما مرّ سابقاً بأن الشيطان لا ييأس من تجنيد أي إنسان سواء كان فرداً عادياً أم نبياً، ولهذا فإنّه لا يسعى ليأخذ منهم ولو القليل وبالنسبة لمن يرفضون طاعته في الأشياء الكبيرة.

فالفطرة التي فطر الناس عليها هي التوازن والميل إلى الخير، ولكن تغيرها طبعاً بأمر الشيطان يعني خلق الظروف التي تقود إلى الخروج من التوازن وهذا الخروج يستدعي تداعيات متواصلة بدءاً بالقليل وتنتهي إلى الكثير.

وهو لا يتم طبعاً بدون الوصول إلى حالة الآمرية أو التسلط، فالشيطان لا يملك سلطة إلاّ أنّه يواصل عملية الوسوسة حتى تحصل الاستجابة ولو بدرجات بسيطة، كأن تكون الزهد في عمل خير وهو يهدف إلى اضعاف درجة الإيجاب ولو بنسبة قليلة وأن الاستجابة هنا تعني الطاعة للشيطان .

وعليه فإننا نستطيع تخيل حالات من السيطرة الأولى منها هي سيطرة الجن على الإنس، والثانية سيطرة الإنس على الجن وبالنسبة لكل منهما أدواتها وأهدافها وحالاتها الفرعية.

أمّا سيطرة الإنس على الجن فإنّها تتم وفق نوعين: النوع الأول ما تمّ في اطار الكفر وهي التي يستطيع بها الإنسان تسخير بعض الجن لمصالحه الخاصة

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٩.

وتحقيق منافع غالباً ما تكون غير مشروعة لأنّها تأتي من باب ﴿ ***ربّنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا*** ﴾[1].

وهناك سيطرة أنسية في اطار الإيمان حيث تتم بتفويض إلهي وتكون عامة كما في حالة سليمان عليه السلام أو تكون سيطرة مقصورة على مؤمني الجن ومثالها ما ورد عن سيطرة الرسول والأئمة عليهم السلام وتفصيلها فيمايلي:

## تسلّط الإنسان على الجان :

يأتي في أكثر من صيغة تسلط الإنسان على الجان وتعد الحالة التي أكدها القرآن من أبرزها وأجلى مصاديقها، فسليمان عليه السلام تسلط على الجان وقد ذكرت النصوص أنّه تسلّط على الشياطين، وبعضها ذكر الجن بصورة عامة وهذا يوحي امكان تسلطه على كفار الجن ومؤمنيهم، ومن الواضح أن الله سبحانه وتعالى قد منح سليمان عليه السلام أدوات قهر يستطيع بواسطتها من انزال العقوبة فيمن لا يعمل بأمر نبي الله أو يحاول الهروب، ويمكننا تخيل وجود عدة وسائل لهذا التسلط الأول وبالنسبة للمؤمنين أنهم وبحكم إيمانهم يطيعون ويأتمرون بأمره وإلا لم يكونوا مؤمنين، غير أن الأشكال تقع بالنسبة للعتاة من الجن والمردة، فهؤلاء يحتاجون إلى أدوات قهر ولا بد حينئذ من الإفادة إما من الجن المؤمنين الذين يتمكنون من مطاردة هؤلاء وفرض الطاعة عليهم، أو أن الملائكة هم الذين يؤدون الدور لصالح النبي، أو أن النبي أوتي قوة من نوع خاص كما ورد في بعض الروايات التي تشير إلى الخاتم المعروف، وقد أشار القرآن إلى أن العصاة ينالهم عذاب الحريق وهو كما يلوح ليس العقاب الأخروي بل هو العقاب الدنيوي، وكما يبدو أن الذي يتمرد ولا

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٨.

ينصاع يتعرض لعقوبة قاسية هي الحرق، ولهذا فإن الجن خضعوا جميعاً لارادة سليمان عليه السلام وقد جاء في التفسير مايلي:

قال تعالى : ﴿ *وحشر لسليمان جنوده من الجنّ والإنس والطّير فهم يوزعون* ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ *قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإنّي عليه لقويّ أمين* ﴾ (٢).

قوله تعالى: «قال عفريت» قال البيضاويّ: خبيث مارد «من الجن» بيان له لأنّه يقال للرّجل الخبيث المنكر المعفر أقرانه وكان اسمه ذكوان أو صخر «قبل أن تقوم من مقامك» مجلسك للحكومة، وكان يجلس إلى نصف النهار «وإنّي عليه» على حمله «لقويّ أمين» لا أختزل منه شيئاً ولا أبدّله. انتهى(٣).

في هذه الآية اشارة إلى حالة تسلط الإنسان على الجان وهي حالة خاصة بالنبي وبتفويض الهي إلاّ أنها تعطي دلالة على امكانية هذا التسلط، وأن يسوق الإنسان الجن قهراً وطوعاً لصالح الهداية؛ لأنّ بعض النصوص أشارت إلى أن الشياطين يعملون لسليمان عليه السلام وفي هذه الآية صرّحت بلفظ الجن مما يمكن أن يفهم منه أن الجن وإن كانوا كفاراً فإنهم يستفاد منهم في تحقيق مصالح الإيمان، ذلك أن النبي حينما يوجهها فإنّه يوجهها باتجاه أهداف الرسالة وهي أهداف إيمانية. ولا يمكن أن نفترض أن جميع الجن صاروا تحت امرة النبي لأنّ هذا يعني انتهاء الفتنة وهو أمر غير ممكن؛ لأن كل إنسان في كل زمان ومكان له شيطان يدعوه إلى الضلال وهؤلاء طبعاً خارج دائرة التسخير، لأنّ تسخيرهم يؤدي إلى تعطيل هذا الدور، وبالتالي فإن المسخَّرين

---

(١) سورة النمل: ١٧.

(٢) سورة النمل: ٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥٢.

هم من خير هؤلاء حتى لو كانوا شياطين أو على الأقل نفترض أن هناك حالة تناوب وهو صعب لأنَ سليمان ﷺ كان يسجن هؤلاء أو يسخّرهم.

قال تعالى: ﴿ ***فسجدوا إلاّ إبليس*** - إلى قوله تعالى - ***فوسوس إليه الشيطان*** ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ ***ومن الشّياطين من يغوصون لـه ويعملـون عمـلاً دون ذلـك وكنّـا لـهم حافظين*** ﴾[2].

قوله سبحانه: ﴿ ***ومن الشّـياطين مـن يغوصـون لـه*** ﴾ قال الرازيّ: المراد أنّهم يغوصون لـه في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلـك إلى الأعمال المهينة وبناء المدن والقصور واختراع الصنائع العجيبة كما قال: ﴿ ***يعملون لـه ما يشاء من محاريب وتماثيل*** ﴾ وأمّا الصناعات فكاتخاذ الحمّام والنّورة والطواحين والقوارير والصّابون، وليس في الظاهر إلاّ أنّه سخّرهم، لكنه قـد روي أنّـه تعالى سخّر كفّارهم دون المؤمنين، وهو الأقرب من وجهين:

أحدهما: إطلاق لفظ الشياطين، والثاني: قوله: ﴿ ***وكنّا لـهم حـافظين*** ﴾ فإنَ المؤمن إذا سخّر في أمر لا يجب أن يحفظ لئلاّ يفسد، وإنّما يجب ذلـك في الكافر.

وفي قوله: «وكنّا لهم حافظين» وجوه:

أحدها: أنّه تعالى وكل بهم جمعاً من الملائكة أو جمعاً من مؤمني الجنّ.

وثانيها: سخّرهم الله تعالى بأنَ حبّب إليهم طاعته وخوّفهم من مخالفته.

وثالثها: قال ابن عبّاس: يريد وسلطانه مقيم عليهم يفعل بهم ما يشاء.

فإن قيل: وعن أيّ شيء كانوا محفظين؟.

قلنا فيـه ثلاثـة أوجه: أحدهـا: أنّه تعـالى كـان يحفظهم عليه لئلا يذهبوا ويتركوا، وثانيها: كـان يحفظهـم من أن يهيّجوا أحداً في زمانه، وثالثها: كان

---

(١) سورة طه: ١١٦ و١٢٠.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٢.

يحفظهم من أن يفسدوا ما عملوا وكان دأبهم أنّهم يعملونه في النهار ثمّ يفسدونه في الليل، وسأل الجبائيّ نفسه وقال: كيف يتهيأ لهم هذه الأعمال وأجسامهم رقيقة لا يقدرون على عمل الثقيل، وإنّما يمكنهم الوسوسة؟ وأجاب ،بأنه سبحانه كثّف أجسامهم خاصّة وقوّاهم وزادهم في عظمهم فيكون ذلك معجزة لسليمانﷺ، فلمّا مات سليمانﷺ ردّهم إلى الخلقة الأولى لأنّه تعالى لو أبقاهم على الخلقة الثانية لصار شبهة على الناس، ولو ادّعى متنبئ النبوّة ،وجعله دلالة لكان كمعجزات الرسل، فلذلك ردّهم إلى خلقهم الأولى.

واعلم أنّ هذا الكلام ساقط من وجوه: أحدها لم قلت: إنّ الجن من الأجسام ولم لا يجوز وجود محدث ليس بمتحيّز ولا قائم بالمتحيّز ويكون الجنّ منهم؟

فإن قلت: لو كان الأمر كذلك لكان مثلاً للباري تعالى.

قلت: هذا ضعيف لأنّ الاشتراك في اللوازم السلبيّة، سلّمنا أنّه جسم لكن لم لا يجوز حصول القدرة على هذه الأعمال الشاقّة في الجسم اللطيف؟ وكلامه بناء على أنّ البنية شرط وليس في يده إلاّ الاستقراء الضعيف، سلّمنا أنّه لابدّ من تكثيف أجسامهم لكن لم قلت: إنّه لابدّ من ردّها إلى الخلقة الأولى بعد موت سليمانﷺ وقوله: لأنّه يفضي إلى التلبيس، قلنا: التلبيس غير لازم لأنّ المتنبّئ إذا جعل ذلك معجزة لنفسه فللمدعوّ أن يقول: لم لا يجوز أن يقال: إن قوّة أجسادهم كانت معجزة لنبيّ آخر قبلك؟ ومع قيام هذا الاحتمال لا يتمكن المتنبئ من الاستدلال به[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٠-١٨٢.

## تسلّط سليمان عليه السلام على الشياطين

قال تعالى: ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ [(١)].

وقال تعالى: ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [(٢)].

وقال: «والشياطين» عطف على الريح ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ بدل منه ﴿وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ عطف على «كلّ» كأنّه فصّل الشياطين إلى عملة استعملهم في الأعمال الشاقة كالبناء والغوص، ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليكفّوا عن الشرّ، ولعلّ أجسامهم شفّافة صلبة فلا ترى، ويمكن تقييدها، هذا والأقرب أنّ المراد تمثيل كفّهم عن الشرور بالاقران في الصفد وهو القيد.

وقال الرازي: وههنا بحث وهو أنّ هذه الآيات دالّة على أنّ الشياطين لها قوّة عظيمة وبسبب تلك القوة قدروا على بناء الأبنية القوية التي لا يقدر عليها البشر، وقدروا على الغوص في البحار، واحتاج سليمان عليه السلام إلى قيدهم، ولقائل أن يقول: هذه الشياطين إمّا أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة، فإن كان الأوّل وجب أن يراهم من كان صحيح الحاسّة، إذ لو جاز أن لا نراهم مع كثافة أجسادهم فليجز أن يكون بحضرتنا جبال عالية وأصوات هائلة لا نراها ولا نسمعها، وذلك دخول في السفسطة فإن كان الثاني: وهو أن أجسادهم ليست كثيفة بل لطيفة رقيقة، فمثل هذا يمتنع أن يكون موصوفاً بالقوّة الشديدة، وأيضاً لزم أن تتفرّق أجسادهم وأن تتمزّق بسبب الرياح القويّة وأن يموتوا في الحال، وذلك يمنع وصفهم بالآلات القويّة.

---

(١) سورة ص: ٣٧-٣٨.

(٢) سورة ص: ٤١.

وأيضاً الجنّ والشياطين إن كانوا موصوفين بهذه الشدة والقوّة فلم لا يقتلون العلماء والزهاد في زماننا؟ ولم لا يخربون ديار الناس مع أنّ المسلمين مبالغون في إظهار لعنتهم وعداوتهم، وحيث لا يحسّ شيء من ذلك علمنا أنّ القول بإثبات الجنّ والشياطين ضعيف.

واعلم أنّ أصحابنا يجوّزون أن تكون أجسامهم كثيفة مع أنّا لا نراها، وأيضاً لا يبعد أن يقال: أجسامهم لطيفة بمعنى عدم اللون، ولكنّها صلبة بمعنى أنّها لا تقبل التفرّق، وأمّا الجبائي فقد سلّم أنّها كانت كثيفة الأجسام، وزعم أنّ الناس كانوا يشاهدونهم في زمن سليمان عليه السلام، ثمّ إنّهم لمّا توفي سليمان عليه السلام أمات الله تلك الجنّ والشياطين وخلق نوعاً آخر من الجنّ والشياطين، والموجود في زماننا ليس إلاّ من هذا الجنس والله أعلم انتهى.

قال الطبرسي رحمه الله: «وآخرين» أي وسخّرنا له آخرين من الشياطين مشدّدين في الاغلال والسلاسل من الحديد، وكان يجمع بين اثنين وثلاثة منهم في سلسلة لا يمتنعون عليه إذا أراد ذلك بهم عند تمرّدهم.

وقيل: إنّه إنّما كان يفعل ذلك بكفارهم فإذا آمنوا أطلقهم.

قوله تعالى: «بنصب وعذاب» أي بتعب ومكروه ومشقّة وقيل: بوسوسة، فيقول له: طال مرضك ولا يرحمك ربّك انتهى[1].

قوله تعالى: ﴿ *ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربّه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير * يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليلٌ من عبادي الشكور * فلمّا قضينا عليه الموت ما دلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته فلمّا خرّ تبيّنت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين* ﴾[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٠ - ١٩١.

(٢) سورة سبأ: ١٢-١٤.

قوله تعالى: «ومن الجنّ من يعمل بين يديه بإذن ربّه» قال الطبرسي رحمه الله: المعنى: وسخّرنا له من الجن من يعمل بحضرته وأمام عينه ما يأمرهم به من الأعمال كما يعمل الآدمي بين يدي الآدمي بأمر ربّه تعالى، وكان يكلّفهم الأعمال الشاقة مثل عمل الطين وغيره:

وقال ابن عبّاس: سخّرهم الله لسليمان وأمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، وفي هذا دلالة على أنه قد كان من الجنّ من هو غير مسخّر له.

قوله تعالى: ﴿ *ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير*﴾ أي ومن يعدل من هؤلاء الجنّ الذين سخّرناهم لسليمان عمّا أمرناهم به من طاعة سليمان ﴿ *نذقه من عذاب السعير*﴾ أي عذاب النار في الآخرة عن أكثر المفسّرين.

وفي هذا دلالة على أنّهم قد كانوا مكلفين.

وقيل: معناه: نذيقه العذاب في الدنيا، وأنّ الله سبحانه وكّل بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه ضربة أحرقته.

﴿ *يعملون له ما يشاء من محاريب*﴾ وهي بيوت الشريعة. وقيل: هي القصور والمساجد يتعبّد فيها، وكان ممّا عملوه بيت المقدس ﴿ *وتماثيل*﴾ يعني صوراً من نحاس وشبه، وزجاج، ورخام، كانت الجنّ تعملها.

وقال بعضهم كانت صوراً للحيوانات.

وقال آخرون: كانوا يعملون صور السّباع والبهائم على كرسيّه ليكون أهيب له.

قال الحسن: ولم يكن يومئذ التصاوير محرّمة، وهي محظورة في شريعة نبيّنا صلى الله عليه وآله.

وقال ابن عبّاس: كانوا يعملون صور الأنبياء والعبّاد في المساجد ليقتدي بهم، وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: والله ما هي تماثيل الرجال والنساء، ولكنّها الشجر وما أشبهه.

قوله: ﴿ *وجفان كالجواب* ﴾ أي صحاف كالحياض يجبى فيها الماء أي: يجمع.

وقيل: إنّه كان يجتمع على كلّ جفنة ألف رجل يأكلون بين يديه ﴿ *وقدور راسيات* ﴾ أي ثابتات لا تزلن عن أمكنتهنّ لعظمتهنّ ﴿ *فلما قضينا عليه الموت* ﴾ أي فلمّا حكمنا على سليمان بالموت.

وقيل: معناه أوجبنا على سليمان ﴿ *ما دلّهم على موته إلاّ دابّة الأرض تأكل منسأته* ﴾ أي ما دلّ الجنّ على موته إلاّ الأرضة، ولم يعلموا موته حتّى أكلت عصاه فسقط فعلموا أنّه ميت.

وروى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ سليمان أمر الشياطين فعملوا له قبّة من قوارير فبينما هو قائم متكئ على عصاه في القبّة ينظر إلى الجنّ كيف يعملون وهم ينظرون إليه لا يصلون إليه إذا رجل معه في القبّة، فقال: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أقبل الرّشى، ولا أهاب الملوك، فقبضه وهو قائم متكئ على عصاه في القبّة، قال: فمكثوا سنة يعملون له حتّى بعث الله الأرضة فأكلت منسأته.

وفي حديث آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: فكان آصف يدبّر أمره حتّى دبّت الأرضة ﴿ *فلمّا خرّ* ﴾ أي سقط سليمان ميتاً ﴿ *تبيّنت الجنّ* ﴾ أي ظهرت الجنّ فانكشفت للنّاس ﴿ *أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين* ﴾ معناه في الأعمال الشاقة.

وقيل: إنّ المعنى تبيّنت عامّة الجنّ وضعفاؤهم أنّ رؤساءهم لا يعلمون الغيب لأنّهم كانوا يوهمونهم أنّهم يعلمون الغيب.

وقيل معناه: تبيّنت الإنس أنّ الجنّ كانوا لا يعلمون الغيب فإنّهم كانوا يوهمون الإنس أنّا نعلم الغيب، وإنّما قال: ﴿ *تبيّنت الجنّ* ﴾ كما يقول من يناظر غيره ويلزمه الحجّة: هل تبيّن لك أنّك باطل؟.

ويؤيّده قراءة عليّ بن الحسين، وأبي عبد الله ﷺ، وابن عبّاس، والضحّاك، ﴿تبيّنت الإنس﴾.

وأمّا الوجه في عمل الجنّ تلك الأعمال العظيمة، فهو أنّ الله تعالى زاد في أجسامهم وقوّتهم وغيّر خلقهم عن خلق الجن الذي لايرون للطافتهم ورقّة أجسامهم على سبيل الإعجاز الدال على نبوّة سليمانﷺ، فكانوا بمنزلة الأسراء في يده، وكانوا يتهيأ لهم الأعمال التي كان يكلّفها إيّاهم، ثمّ لّما ماتﷺ جعل الله خلقهم على ما كانوا عليه فلا يتهيأ لهم في هذا الزمان من ذلك شيء[1].

أما بالنسبة لتأثير الخاتم فقد ورد مايلي:

بإسناده، عن الرضاﷺ قال: كان نقش خاتم سليمان بن داود: سبحان من ألجم الجنّ بكلماته[2].

ومهما يكون السبب فإنّه في النهاية يدلّ على تفويض الله سبحانه وتعالى عبر احدى الوسائط لعبده بالتسلط على الجان.

ومن مجمل من الآيات نفهم مايلي:

أن حالة سليمانﷺ حالة خاصة لأنّ الله سخّر له الكثير من قوى الطبيعة كالوحوش والطّير والريح، ومن جملة ما سخّر له الجان فضلاً عن الحالات التي جاء فيها نقل العرش سواء كان الفاعل إنسياً أو جنياً، المهم أنّها حالة امتلاك لنوع خاص من القوى الطبيعية التي تمثل وسيلة نقل لأثقال كبيرة ولمسافات طويلة في سرعة زمنية تقرب من سرعة الضوء.

وهذا يمكن أن يفهم بأنّ الجن دخلوا في حالة عامة شملت الكثير من القوى، ولهذا فإنها ليست حالة تسلط على خصوص الجن بل يأتي التسلط

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥٢ ـ ٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٠.

على الجنّ في عرضها، ولذلك فإننا نفترض أن سلطة سليمان عليه السلام تتحقق بواسطة الاشراف على الملائكة المسخّرين على كل شيء، وهذا يعني أن التسلط لا يمتد إلى درجة الغاء التكليف الذي يستند أصلاً على حرية الاختيار. ولهذا فإننا نستطيع تصور سيطرته كانت على أبدان الشيطان، ولذلك فإن وصفهم بأنهم شياطين يتضمن بقاء الكفر أو أن هذه السيطرة تحدث أثناء عملية الصراع بين قوى الإيمان والعصاة والمردة، ويتم أثناء المعارك أسر جماعة منهم فيصفد النبي جماعة ويستعمل جماعة أخرى في البناء والغوص والنقل كجزء من ممتلكات مملكة سليمان التي حاز عليها في حرب مقدسة بين الكفر والإيمان، ولعلّه استطاع الإفادة من قوة مؤمني الجن الذين كما أسلفنا سابقاً يكونون كفاراً مع ظهور النبوات وانتشار نور الهداية.

وعلى هذا الأساس فإن سيطرة سليمان عليه السلام كانت على جزء من الجان [مؤمني الجان + كفار الجان أسرى] ولهذا فإن وفاة النبي أعادت الأمور إلى نصابها وعادوا إلى أوطانهم، ولعل الوصف بقوله ما لبثوا في العذاب المهين يشير إلى حالة الأسر وذلّ القيد والحبس.

ذلك أن الفرضيات الأخرى تتناقض مع أساس كون الجان مخلوقات موازية للإنسان، وأنّها مكلفة مثله وأن التكليف لا يلتقي مع القهر، فالإيمان لا يقبل إذا جاء بواسطة الاجبار بل إن مهمة قوى الإيمان تنحصر بالتبليغ. وقد جاءت النصوص القرآنية بوفرة لتؤكد على أن الرسول صلى الله عليه وآله منذر وإذا كان الرسول قد دخل في حرب فذلك لأنّ قوى التسلط تخشى انتشار الهدى وتعمل على منعه، ومنها فإن الرسول صلى الله عليه وآله سيكون مجبراً على الدخول في نزاع لتحطيم الطواغيت التي تحول دون وصول البلاغ، وبمجرد تحطيم الطواغيت وافساح المجال للناس للاستماع بحرية للوحي وحقائق الرسالة فإن الالتحاق بالرسول وعدم الالتحاق يبقى من مختصات الناس.

أمّا بالنسبة للنبوات الأخرى فإن حالات من التسلط قد وقعت كما مرّ بأن الجن دخلوا في ديانات الأنبياء في رواية الجني المعمر الذي عاصر ديانة نوح عليه السلام وما بعده حتّى أنّه دخل في الإسلام، فهذه الحالة كما يبدو على القاعدة إذ أن النبوات تؤدي إلى دخول عدد من الجن في الطاعة والتحول إلى حالة الإيجاب.

إلاّ أن هذه الحالة كما يبدو ليست متساوية فبعض النبوات استطاعت أن تحقق مستوى واسع من السيطرة على الجنّ، بينما لا تستطيع نبوات أخرى الاضطلاع بدور من هذا النوع. ويدلّ على هذا الأمر الحديث المروي عن الإمام علي عليه السلام حيث عقد عملية تفاضل بين نبوة النبي سليمان عليه السلام وبين نبوة الرسول صلى الله عليه وآله حيث فاقت سواها وإن استطاعت، كما تدل الرواية على تحقيق مستوى قبول كبير من خلال الأرقام التي وردت في متن الرواية وهي الآتية:

في أجوبة أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل اليهوديّ في فضل محمّد صلى الله عليه وآله على جميع الأنبياء ـ إلى أن قال: ـ قال له اليهودي: فإنّ هذا سليمان سخّرت له الشياطين يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل.

قال له عليّ عليه السلام: لقد كان كذلك، ولقد أعطي محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من هذا، إنّ الشياطين سُخّرت لسليمان وهي مقيمة على كفرها، ولقد سخّرت لنبوّة محمّد صلى الله عليه وآله الشياطين بالإيمان، فأقبل إليه الجنّ التسعة من أشرافهم، من جنّ نصيبين واليمن من بني عمرو بن عامر من الأحجة منهم شصاه، ومصاه، والهملكان، والمرزبان، والمازمان، ونضاه، وهاصب، وهاضب، وعمرو، وهم الذين يقول الله تبارك اسمه فيهم: ﴿ ***وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن*** ـ وهم تسعة ـ ***يستمعون القرآن***﴾ فأقبل إليه الجنّ والنبيّ صلى الله عليه وآله ببطن النخلة، فاعتذروا بأنّهم ظنّوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً.

ولقد أقبل إليه إحدى وسبعون ألفاً منهم فبايعوه على الصوم والصلاة والزكاة والحجّ والجهاد ونصح المسلمين، واعتذروا بأنّهم قالوا: على الله

شططا، وهذا أفضل ممّا أعطي سليمان، سبحان من سخّرها لنبوّة محمّدﷺ بعد أن كانت تتمرّد وتزعم أنّ لله ولداً، فلقد شمل مبعثه من الجنّ والإنس ما لا يُحصى[1].

وهنا ذكرت الرواية أسماء هؤلاء الذين حضروا واستمعوا ثم ولوا منذرين فعادوا بسبعين ألفاً من قومهم. والروايات التالية تسير إلى نفس المضمون وهي:

جاء عن كعب الأحبار قال: لمّا انصرف النفر التسعة من أهل نصيبين من بطن نخلة جاؤوا قومهم منذرين، فخرجوا بعد وافدين إلى رسول اللهﷺ وهم ثلاثمائة فانتهوا إلى الحجون فجاء الأخضب فسلّم على رسول اللهﷺ فقال: إنّ قومنا قد حضروا الحجون يلقوك، فواعده رسول الله لساعة من الليل بالحجون[2].

وفي الرواية التالية إشارة إلى أن الجن يؤدون فروض ولاء الحب للرسولﷺ وآله عليهم السلام حتى لو لم يطلب منهم ذلك:

وعن زيد الشحّام ،عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه مرض النبيﷺ، وأنّه عاده الحسنان عليهما السلام، فافتقدهما وطلبهما حتّى أتى حديقة بني النجّار، فإذا هما نائمان قد اعتنق كلّ واحد منهما صاحبه، وقد اكتنفتهما حيّة لها شعرات كآجام القصب، وجناحان: جناح قد غطّت به الحسن، وجناح قد غطّت به الحسين عليهما السلام.

فلمّا أن بصر بهما النبيّﷺ تنحنح فانسابت الحيّة وهي تقول: اللهم إنّي أشهدك وأشهد ملائكتك أنّ هذين شبلا نبيّك قد حفظتهما عليه ودفعتهما إليه سالمين صحيحين.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٧ - ٩٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٦ - ١١٧.

فقال لها النبيّ: أيتها الحيّة فمن أنت؟ قالت: أنا رسول الجنّ إليك، فقال: وأي الجنّ؟ قالت: جن نصيبين نفر من بني مليح، نسينا آية من كتاب الله عزّ وجلّ، فبعثوني إليك لتعلّمنا ما نسينا من كتاب الله.

فلمّا بلغت هذا الموضع سمعت منادياً ينادي: أيتّها الحيّة إنّ هذين شبلا نبيّك فاحفظهما من العاهات والآفات، ومن طوارق الليل والنهار، وقد حفظتهما وسلّمتهما إليك سالمين صحيحن، وأخذت الحيّة الآية وانصرفت. الخبر.

بإسناده عن أمّ سلمة زوجة النبيّ ﷺ قالت: ما سمعت نوح الجنّ منذ قبض النبيّ ﷺ إلاّ الليلة، ولا أراني إلاّ وقد أصبت بابني، قالت: وجاءت الجنيّة منهم تقول:

ألا يا عين فانهملي بجهد فمن يبكي على الشهداء بعدي؟
على رهط تقودهم المنايا إلى متجبّر في ملك عبد[1]

فالحيّة التي هي رسول الجان بعد إسلامهم قامت بحراسة الحسنين عليهما السلام تطوعاً ووفاءً، وهو ما يجب أن يقوم به أي مؤمن ومسلم آمن وحسن إيمانه، هذا مضافاً إلى قيامهم بالنوح على الرسول ﷺ تماماً كبقية مسلمي الإنس، وهذا طبعاً يشير إلى استواء المؤمنين جناً وإنساً في واجبات الإيمان ،لأنها تخلق لدى المسلمين جميعاً شعوراً داخلياً يدفع لآداء الوظائف.

وهذا الحديث شبيه بالحديث السابق مع فارق كون الذي حضر اجراءه:

روي عن سهيل بن غزوان البصريّ، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ امرأة من الجنّ كان يقال لها: عفراء وكانت تنتاب النبيّ ﷺ فتسمع من كلامه، فتأتي صالحي الجنّ فيسلمون على يديها، وإنّها فقدها النبيّ ﷺ فسأل عنها جبرئيل، فقال: إنّها زارت أختاً لها تحبّها في الله.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٤ ـ ٦٥.

فقال النبيﷺ: طوبى للمتحابين في الله، إن الله تبارك وتعالى خلق في الجنّة عموداً من ياقوتة حمراء عليه سبعون ألف قصر، في كلّ قصر سبعون ألف غرفة خلقها الله عزّ وجلّ للمتحابّين والمتزاورين في الله، ثم قال: يا عفراء أيّ شيء رأيت؟ قالت: رأيت عجائب كثيرة، قال: فأعجب ما رأيت؟ قالت: رأيت إبليس في البحر الأخضر على صخرة بيضاء، ماداً يديه إلى السماء وهو يقول: إلهي إذا بررت قسمك وأدخلتني نار جهنّم، فأسألك بحقّ محمّد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، إلاّ خلّصتني منها وحشرتني معهم.

فقلت: يا حارث ما هذه الأسماء التي تدعو بها؟ قال لي: رأيتها على ساق العرش من قبل أن يخلق الله آدم بسبعة آلاف سنة، فعلمت أنّهم أكرم الخلق على الله عزّ وجلّ، فأنا أسأله بحقّهم، فقال النبيّﷺ: والله لو أقسم أهل الأرض بهذه الأسماء لأجابهم.

بيان: قال في القاموس: انتابهم انتياباً أتاهم مرّة بعد مرّة، لو أقسم أهل الأرض أي جميعهم[1].

وفي هذه الرواية اشارة إلى وحدة التكليف ووحدة الثواب، وأن مؤمني الجن يصبحون أداة تبليغ في أوساط الجن تماماً مثل مؤمني الإنس، كما يتضمن شاهده من إبليس بحق محمّدﷺ وآل محمّدﷺ وأنّه منذ أن كان مع الملائكة كان يرى أسماءهم مكتوبة على العرش .

أمّا الحديث التالي فإنّه يشير إلى ولاء الجان للأئمةﷺ كما كانوا يوالون الرسولﷺ وهو يدلّ على حالة التماثل في الإيمان، هذا إذا لم نلتفت إلى الظهور بمظهر الحيّات وهو ما جرى بحثه سابقاً.

وهنا أيضاً نكرر الدلالة السابقة:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٨٠ ـ ٨١.

عن يعقوب بن إبراهيم الجعفري ،قال: سمعت إبراهيم بن وهب وهو يقول: خرجت وأنا أريد أبا الحسن بالعريض، فانطلقت حتّى أشرفت على قصر بني سراة، ثمّ انحدرت الوادي فسمعت صوتاً لا أرى شخصه، وهو يقول: يا أبا جعفر: صاحبك خلف القصر عند السدّة فاقرأه منّي السلام.

فالتفتُ فلم أر أحداً، ثمّ ردّ عليّ الصوت باللفظ الذي كان، ثمّ فعل ذلك ثلاثاً، فاقشعر جلدي، ثمّ انحدرت في الوادي حتّى أتيت قصد الطريق الذي خلف القصر ثمّ أتيت السدّ نحو السّمرات، ثمّ انطلقت قصد الغدير، فوجدت خمسين حيّات روافع من عند الغدير.

ثمّ استمعت فسمعت كلاماً ومراجعة، فطفقت بنعلي ليسمع وطئي، فسمعت أبا الحسن عليه السلام يتنحنح، فتنحنت وأجبته. ثمّ هجمت فإذا حيّة متعلّقة بساق شجرة، فقال: لا تخشي ولا ضائر، فرمت بنفسها ثمّ نهضت على منكبه، ثمّ أدخلت رأسها في أذنه فأكثرت من الصفير، فأجاب: بلى قد فصلت بينكم، ولا يبغي خلاف ما أقول إلاّ ظالم، ومن ظلم في دنياه فله عذاب النار في آخرته مع عقاب شديد، أعاقبه إيّاه وآخذ ماله إن كان له حتّى يتوب.

فقلت: بأبي أنت وأمّي ألكم عليهم طاعة؟ فقال: نعم والذي أكرم محمّداً صلى الله عليه وآله بالنبوّة، وأعزّ عليّاً عليه السلام بالوصيّة والولاية، إنّهم لأطوع لنا منكم يا معشر الإنس وقليل ما هم.

بيان: السراة بالفتح اسم جمع للسريّ بمعنى الشريف، واسم لمواضع «والسمرة» بضمّ الميم شجرة معروفة، «روافع» بالفاء والعين المهملة، أي رفعت رؤوسها، أو بالعين المعجمة من الرفع، وهو سعة العيش أي مطمئنّة غير خائفة، أو بالقاف والعين المهملة أي ملوّنة بألوان مختلفة.

ويحتمل أن يكون في الأصل بالتاء والعين المهملة، أي ترتع حول الغدير «فطفقت» بنعلي أي شرعت أضرب به، والظاهر: أنّه بالصاد كما في بعض النسخ.

والصفق: الضرب يسمع له صوت، «لا تخشي ولا ضائر» أي لا تخافي فإنّه ليس هنا أحد يضرّك، يقال: ضارّه أي ضرّه، وفي بعض النسخ «لا عسى» وهو تصحيف «وقليل ما هم» أي المطيعون من الإنس، أو من الجنّ بالنسبة إلى غيرهم من المخلوقات[1].

وفي هذه الرواية دلالة على المضمون السابق إلاّ أن هناك أشكال في عدم معرفة الإمام لخليفته على الجنّ ثم تبيّن أنّه ابن الخليفة وجاء يطلب الخلافة فأعطيت له:

بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: بينما أمير المؤمنين على المنبر إذ أقبل ثعبان من ناحية باب من أبواب المسجد، فهمّ النّاس أن يقتلوه، فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام أن كفّوا، فكفّوا.

وأقبل الثعبان ينساب حتّى انتهى إلى المنبر فتطاول فسلّم على أمير المؤمنين فأشار أمير المؤمنين عليه السلام إليه: أن يقف حتّى يفرغ من خطبته، ولمّا فرغ من خطبته أقبل عليه، فقال: من أنت؟ فقال: أنا عمرو بن عثمان خليفتك على الجنّ، وإنّ أبي مات وأوصاني أن آتيك فأستطلع رأيك، وقد أتيتك يا أمير المؤمنين، فما تأمرني به؟ وما ترى؟.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أوصيك بتقوى الله، وأن تنصرف فتقوم مقام أبيك في الجنّ، فإنّك خليفتي عليهم، قال: فودّع عمرو أمير المؤمنين عليه السلام وانصرف فهو خليفته على الجنّ، فقلت له: جعلت فداك فيأتيك عمرو، وذاك الواجب عليه؟ قال: نعم[2].

والمهم بالنسبة لبحثنا، اشتراك الإنس مع الجن في ولاية الأئمّة عليهم السلام وأن لهم خلفاء ولعل هذا الإشكال وقع عندما استخدم الراوي ألفاظه فقال: إنّه ينتظر أن يولى مكان أبيه.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٧ - ٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٦.

وهنا أيضاً تكرر نفس الحالة إلاّ أنها أدلّ على استخدام الإمام للجني في قضاء بعض المهام.

جاء عن المفضّل بن عمر،قال: حمل إلى أبي عبد الله عليه السلام مال من خراسان مع رجلين من أصحابه لا يزالا يتفقّدان المال حتّى مرّا بالري فدفع إليهما رجل من أصحابهما كيساً فيه ألف درهم فجعلا يتفقّدان في كلّ يوم الكيس حتّى دنيا من المدينة، فقال أحدهما لصاحبه: تعال حتّى ننظر ما حال المال، فنظرا فإذا المال على حاله ما خلا كيس الرازيّ، فقال أحدهما لصاحبه: الله المستعان، ما نقول السّاعة لأبي عبد الله عليه السلام؟ فقال أحدهما: إنّه كريم، وأنا أرجو أن يكون علم ما نقول عنده، فلمّا دخلا المدينة قصدا إليه فسلّما إليه المال، فقال لهما: أين كيس الرازيّ؟ فأخبراه بالقصّة، فقال لهما: إن رأيتما الكيس تعرفانه؟ قالا: نعم، قال: يا جارية عليّ بكيس كذا وكذا، فأخرجت الكيس فرفعه أبو عبد الله عليه السلام إليهما، فقال: أتعرفانه؟ قالا: هو ذاك، قال: إنّي احتجت في جوف الليل إلى مال فوجّهت رجلاً من الجنّ من شيعتنا فأتاني بهذا الكيس من متاعكما[1].

وهنا أيضاً تتأكد التبعية من خلال الاستفتاء.

وعن سعد الاسكاف قال: طلبت الأذن على أبي جعفر عليه السلام مع أصحاب لنا لندخل عليه فإذا ثمانية نفر كأنّهم من أبٍ وأمّ عليهم ثياب زرابيّ وأقبية طاقية وعمائم صفر دخلوا فما احتبسوا حتّى خرجوا، فقال لي: يا سعد رأيتهم؟ قلت: نعم جعلت فداك من هؤلاء؟ قال: إخوانكم من الجنّ، أتونا يستفتونا في حلالهم وحرامهم كما تأتونا وتستفتونا في حلالكم وحرامكم، فقلت: جعلت فداك ويظهرون لكم؟ قال: نعم[2].

وهذا الحديث كذلك مثل سابقه:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٣.

عن عمّار بن عاصم السجستانيّ ،قال: جئت إلى باب أبي عبد الله وأردت أن لا أستأذن عليه فأقعد فأقول: لعلّه يراني بعض من يدخل فيخبره فيأذن لي، قال: فبينا أنا كذلك إذ دخل عليه شباب آدم في أزر وأردية ثمّ لم أرهم خرجوا، فخرج عيسى شلقان فرآني فقال: يا أبا عاصم أنت ههنا؟ فدخل فاستأذن لي فدخلت عليه، فقال أبو عبد الله﵇: منذ متى أنت ههنا يا عمّار؟ قال: فقلت: من قبل أن يدخل عليك الشباب الأدم، ثمّ لم أرهم خرجوا، فقال أبو عبد الله﵇: هؤلاء قوم من الجنّ جاؤوا يسألون عن أمر دينهم[1].

والأحاديث التالية تكرر نفس الدلالة السابقة مع بعض التفاوت في التفاصيل حيث تنسب إلى أئمّة مختلفين مع وقائع متفاوتة:

(( جاء عن عمّار السجستاني ،قال: كنت لا أستأذن عليه، يعني أبا عبد الله﵇ فجئت ذات يوم وليلة فجلست في فسطاطه بمنى، قال: فاستؤذن لشباب كأنّهم رجال الزطّ، فخرج عيسى شلقان فذكرنا له فأذن لي.

قال: فقال لي: يا أبا عاصم متى جئت؟ قلت: قبل أولئك الذين دخلوا عليك وما رأيتهم خرجوا، قال: أولئك قوم من الجنّ فسألوا عن مسائلهم ثمّ ذهبوا.

وعن سعد الاسكاف ،قال: أتيت أبا جعفر﵇ أريد الأذن عليه فإذا رواحل على الباب مصفوفة، وإذا أصوات قد ارتفعت، فخرجت علَي قوم معتمون بالعمائم يشبهون الزطّ.

قال: فدخلت على أبي جعفر﵇ فقلت: جعلت فداك يا بن رسول الله أبطأ إذنك اليوم؟ وقد رأيت قوماً خرجوا علَيّ معتمّين بالعمائم فأنكرتهم،

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٨.

فقال: أو تدري من أولئك يا سعد؟ قال: قلت: لا، قال: إخوانك من الجنّ يأتوننا يسألوننا عن حلالهم وحرامهم ومعالم دينهم))[١].

روي عن معتّب مولى أبي عبد الله، قال: إنّي لواقف يوماً خارجاً من المدينة، وكان يوم التروية، فدنا منّي رجل فناولني كتاباً طينه رطب، والكتاب من أبي عبد الله وهو بمكّة حاج، ففضضته وقرأته فإذا فيه «إذا كان غدا افعل كذا وكذا» ونظرت إلى الرجل لأسأله متى عهدك به فلم أر شيئاً، فلمّا قدم أبو عبد الله سألته عن ذلك، فقال ذلك من شيعتنا من مؤمني الجنّ إذا كانت لنا حاجة مهمّة أرسلناهم فيها[٢].

وعن سدير الصيرفيّ ،قال: أوصاني أبو جعفر بحوائج له بالمدينة، فبينا أنا في فجّ الروحاء على راحلتي إذا إنسان يلوي بثوبه، قال: فقمت له وظننت أنّه عطشان فناولته الأداوة فقال: لا حاجة لي بها، وناولني كتاباً طينه رطب، فنظرت إلى الخاتم فإذا خاتم أبي جعفر، فقلت له: متى عهدك بصاحب الكتاب؟ قال: الساعة.

قال: فإذا فيه أشياء يأمرني بها، قال: ثمّ التفتَ فإذا ليس عندي أحد، قال: فقدم ابو جعفر فلقيته فقلت له: جعلت فداك رجل أتاني بكتاب وطينه رطب، فقال: إذا عجل بنا أمر أرسلت بعضهم يعني الجنّ، وفي رواية أخرى: إنّا أهل البيت أعطينا أعواناً من الجنّ إذا عجلت بنا الحاجة بعثناهم فيها[٣].

ومن خلال كلّ ما مرّ يتضح أن عنصر الإيجاب بدا يتحرك تصاعدياً حتى وصل إلى حالة من الكمال غير المتوقع بالنسبة لإبليس، لذلك فإننا

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٢ - ١٠٣.

نلاحظ أنه (رن) أي صرخ وهذا الصراخ ناتج عن شدّة الألم لأنّ ملامح الانهيار صارت قريبة وواضحة، وأنّ هذا الخط ظل يتواصل بعد وفاة الرسول ﷺ ويستمر من خلال موالاة الأئمة عليهم السلام فبينما كان النبيّ سليمان عليه السلام يستخدم الشياطين جاءت الرسول ﷺ جموع الجان طوعاً تعلن الإيمان والولاء، وحتى لو أن القطب السالب لم تتغير قطبيته إلاّ أن طبيعة الرسالة وأثرها في بنية التأريخ حيث أعلن الرسول ﷺ أن أحد الأسباب التي جعلت الشيطان يطلق هذه الصرخة هو احتباسه؛ ذلك أن الأوضاع السلبية التي سادت بعد رسالة الرسول ﷺ تختلف في طابعها كلياً؛ لأنّها تمثّل الحلقة الأخيرة في انهيار مملكة الشيطان، وأنّ الفتن هذه التي أعقبت الرسالة هي آخر ما في جعبة الشيطان قبل النهاية.

ومن الواضح أنّ الناس عندما بعث الله الرسالة، رفض بعضهم الرسالة وبعد استتباب الأمر رفضوا الولاية فقط، ولذلك فإن المقطع القادم وبعد قبولهم للرسالة سوف لن يكون أمامهم إلاّ قبول الولاية تماماً كما حصل مع الرسالة. وهذا نفسه عين التكامل إذ صار إبليس يتراجع بخطوات واسعة، فبعد انكار الألوهية قبل الناس بإله ولكنهم أشركوا معه إله شركاء، وفي خطوة لاحقة تخلوا عن الآلهة المتعددين وصاروا يؤمنون بإله واحد ولكنه صاحب ولد، وعندما جاء الإسلام قبلوا التوحيد والنبوة ورفضوا الولاية وهكذا لم يبق أمامهم إلاّ الحلقة الأخيرة التي سيتمها الإمام المهدي عجل الله فرجه عندما يعيد الدين إلى نصابه.

ولقد كانت علاقة الزوال بالنسبة لإبليس تحول خط الإيجاب داخل جنس الجن إلى حالة من الثبوت بعدما كانت حالة طارئة ومتذبذبة صارت تتشكل تدريجياً، ثم لتصل حالة من الثبات والاستقرار وأخيراً بلغت حداً من

الاتساع الذي يهدد بانقلاب قريب الوقوع، وطبعاً إبليس يعرفه أكثر مما نعرفه نحن.

ومما يدلّ على هذا الأمر قوله وأنّهم لا طوع منكم لنا فإذا كانت مستوى الإيجابية قد بلغ هذا النصاب فإن أوضاعاً جديدة يمكن أن تقع، ويدلّ عليها الحديث الوارد عن إمام الزمان والذي أشار بأن إمام الزمان سيتشكل جيشه من الملائكة ومن نقباء البشر ومن مؤمني الجن الذين سيكون عددهم كبيراً في معركة الفوز الأخير، حيث تذل معاقل الكفر في الأرض لكن لا يجب أن تتصور زوال القطب السالب بل أنّه سيصل إلى أضعف حالاته؛ لأنّ زواله يعني تغير بنية هذا العالم وهو لا يحصل قبل يوم القيامة.

ويقوي ما ذهبنا إليه الروايات الواردة التي تدلّ على أنّ صالحي الجن يعينون المسلمين من البشر في مواضع منها مايلي:

(( جاء عن عمر بن يزيد ،قال: ضللنا سنة من السنين ونحن في طريق مكّة، فأقمنا ثلاثة أيّام نطلب الطريق فلم نجده، فلمّا كان في اليوم الثالث وقد نفذ ما كان معنا من الماء عمدنا إلى ما كان معنا من ثياب الإحرام ومن الحنوط فتحنّطنا وتكفنّا بإزار إحرامنا.

فقام رجل من أصحابنا فنادى: يا صالح يا أبا الحسن، فأجابه مجيب من بعد فقلنا له: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا من النفر الذي قال الله في كتابه: ﴿ *وإذ صرفنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآن* ﴾ [1] إلى آخر الآية، ولم يبق منهم غيري فأنا مرشد الضالّ إلى الطريق، قال: فلم نزل نتّبع الصوت حتّى خرجنا إلى الطريق.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر قال: إذا ضللت في الطريق فناد: يا صالح، يا أبا صالح ارشدونا إلى الطريق رحمكم الله، قال عبيد الله: فأصابنا

---

(١) سورة الأحقاف: ٢٩.

ذلك فأمرنا بعض من معنا أن يتنحّى وينادي كذلك قال: فتنحّى فنادى ثمّ أتانا فأخبرنا أنّه سمع صوتاً برز دقيقاً يقول: الطريق يمنة، أو قال: يسرة، فوجدناه كما قال.

وحدّثني به أبي أنّهم حادوا عن الطريق بالبادية، ففعلنا ذلك فأرشدونا، وقال صاحبنا: سمعت صوتاً دقيقاً يقول: الطريق يمنة، فما سرنا إلاّ قليلاً حتّى عارضنا الطريق.

بيان: في القاموس: «الرز» بالكسر: الصوت تسمعه من بعيد أو الأعمّ))[1].

(( روي عن الفضيل بن يسار، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ نفراً من المسلمين خرجوا إلى سفر فضلّوا الطريق فأصابهم عطش شديد فتكفّنوا ولزموا أصول الشجر، فجاءهم شيخ عليه ثياب بيض، فقال: قوموا فلا بأس عليكم، فهذا الماء، فقاموا وشربوا وارتووا، فقالوا: من أنت يرحمك الله؟ فقال: أنّا من الجنّ الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله» فلم تكونوا تضيّعوا بحضرتي.

بيان: «فتكفّنوا» أي لفّوا أثوابهم على أنفسهم بمنزلة الكفن، ووطّنوا أنفسهم على الموت، وفي بعض النسخ بتقديم النون على الفاء، أي ذهب كلّ منهم إلى كنف وجانب))[2].

ومثله مايلي:

وجدت في كتاب أخبار الجنّ للشيخ مسلم بن محمود من قدماء المخالفين روى بإسناده ،عن دعبل بن عليّ الخزاعيّ، قال: هربت من الخليفة

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ٦٠ / ٧١.

المعتصم فبتّ ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبد الله بن طاهر في تلك الليلة، وإنّي لفي ذلك إذ سمعت والباب مردود عليّ: السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته ألج، يرحمك الله، فاقشعرّ بدني من ذلك ونالني أمر عظيم، فقال: لا ترع عافك الله فإنّي رجل من الجنّ إخوانك ثمّ من ساكني اليمن، طرأ إلينا طاريء من أهل العراق وأنشدنا قصيدتك وأحببت أن أسمعها منك فأنشدته.

| | |
|---|---|
| مدارس آيات خلت من تلاوةٍ | ومنزل وحي مقفر العرصات |
| أناس عليّ الخير منهم وجعفرٌ | وحمزة والسجّاد ذو الثفنات |
| إذا فخروا يوماً أتوا بمحمّدٍ | وجبريل والفرقان والسّورات |

فأنشدته إلى آخرها، فبكى حتّى خرّ مغشياً عليه ثمّ قال: رحمك الله ألا أحدّثك حديثاً يزيد في نيّتك ويعينك على التمسّك بمذهبك؟ قلت: بلى قال: مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمّد عليه السلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدّثني أبي ،عن أبيه ،عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: عليّ وأهل بيته الفائزون، ثمّ ودّعني لينصرف، فقلت: رحمك الله إن رأيت أن تخبرني بإسمك، قال: أنا ظبيان بن عامر[1].

جاء عن أبي حمزة الثّمالي قال: كنت عند حوض زمزم فأتاني رجل، فقال لي: لا تشرب من هذا الماء يا أبا حمزة، فإنّ هذا يشترك فيه الجنّ والإنس وهذا لايشترك فيه إلاّ الإنس.

قال: فتعجّبت من قوله وقلت: من أين علم هذا؟ قال: ثمّ قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما كان من قول الرجل لي، فقال: إنّ ذلك رجل من الجنّ أراد إرشادك[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧١.

وهناك أيضاً الصنف الثاني من العلائق بين الجن والإنس وهو تسلط الإنس على الجان، ولكن دون أن تكون الرابطة إيمانية إنّما تكون لدوافع نفسية وارتباطات مصلحية وبغض النظر عن أنّها كبعض الحالات تقود صاحبها إلى الإيمان أو تقود الإثنين إليه، كما في الروايتين التاليتين حيث كان الجني هو السبب يدفع صاحبه إلى الإيمان بالرسالة، وهذه الرابطة كانت قد وقعت في زمن الجاهلية وكان الرجل كاهناً يأتيه الجن ببعض الأخبار. والروايتين كما يلي:

## كاهن بجنّي

وجدته في كتاب مسلم بن محمود مرويّاً ،عن ابن عبّاس، قال: وفد سوادة بن قارب على عمر بن الخطّاب وسلّم عليه فردّ عليه السلام وقال عمر: يا سوادة ما بقي من كهانتك؟ فغضب وقال: ما أظنّك استقبلت بهذا الكلام غيري، فلمّا رأى عمر الكراهة في وجهه قال: يا سوادة إنّ الذي كنّا عليه من عبادة الأوثان أعظم من الكهانة، فحدّثني بحديث كنت أشتهي أن أسمعه منك، قال: نعم بينا أنا في إبلي بالسّراة وكان لي نجيّ من الجنّ يأتيني بالأخبار، وإنّي لنائم ذات ليلة إذ وكزني برجله، فقال: قم يا سوادة فقد ظهر الداعي إلى الحقّ، وإلى طريق مستقيم، فقلت: أنا ناعس، فرجع عنّي وهو يقول:

عجبت للجنّ وتسيارها ... وشدّها العيس بأكوارها

إلى قوله: وأحجارها، فلمّا كان في الليلة الثانية أتاني فقال لي: مثل ذلك فقلت: أنا ناعس فولّى عنّي وأنشأ يقول:

عجبت للجنّ وقطرابها ... وحملها العيس بأقتابها

إلى قوله:

مـــــن هاشـــــــم ليــس أقدامـــها كأذنابـــها

فلمّا كانت في الليلة الثالثة، قال لي: مثل مقالته الأولى فقلت: أنا ناعس فتولّى عنّي وهو يقول:

عجبـت للجـنّ وتحساسـها وشـدّها العيـس بأحلاسـها

إلى قوله: إلى رأسها.

فلمّا أصبحت أنفذت إلى راحلة من إبلي فركبت عليها حتّى أتيت رسول الله ﷺ فمثلت بين يديه وأنشأت أقول:

أتـاني نجـيّ بعـد هـدء ورقـدة ولم يك فيمـا قد عهدت بكـاذب

إلى قوله: غالب.

فشمّرت عن ساقي الأزار وأرفلت بي الذعبل الوجناء بين السباسب

فمرني بما أحببت يا خير مرسل ولو كان فيما قلت شيب الذوائب

إلى قوله:

لا ذو شـــــــفاعة سواك بمغنٍ عن سـواد بن قـارب[1]

وقد وردت نفس الرواية أيضاً بهذه الصورة:

روي عن الأصبغ بن نباتة، قال: كنّا مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ يوم الجمعة في المسجد بعد العصر إذ أقبل رجل طوال كأنّه بدويّ فسلّم عليه، فقال له عليّ ﷺ: ما فعل جنيّك الذي كان يأتيك؟ قال: إنّه ليأتيني إلى أن وقف بين يديك يا أمير المؤمنين، قال عليّ ﷺ: فحدّث القوم بما كان منه، فجلس وسمعنا له فقال: إنّي لراقد باليمن قبل أن يبعث الله نبيّه ﷺ، فإذا

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٧ - ١٠٨.

جنّي أتاني نصف الليل فرفسني برجله وقال: اجلس، فجلست ذعراً، فقال: اسمع، قلت: وما أسمع؟ قال:

عجبت للجنّ وإبلاسها ... وركبها العيس بأحلاسها
تهوي إلى مكّة تبغي الهدى ... ما طاهر الجنّ كأنجاسها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... وارم بعينيك إلى رأسها

قال: فقلت: والله لقد حدث في ولد هاشم شيء أو يحدث وما أفصح لي، وإنّي لأرجو أن يفصح لي، فأرقت ليلتي وأصبحت كئيباً، فلمّا كان من القابلة أتاني نصف الليل وأنا راقد فرفسني برجله وقال: اجلس فجلست ذعراً، فقال: اسمع ،فقل: وما أسمع؟ قال:

عجبت للجنّ وأخبارها ... وركبها العيس بأكوارها
تهوي إلى مكّة تبغي الهدى ... ما مؤمنو الجنّ ككفّارها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... بين روابيها وأحجارها

فقلت: والله لقد حدث في ولد هاشم أو يحدث، وما أفصح لي وإنّي لأرجو أن يفصح لي، فأرقت ليلتي وأصبحت كئيباً، فلمّا كان من القابلة أتاني نصف الليل وأنا راقد فرفسني برجله وقال: اجلس فجلست وأنا ذعر، فقال: اسمع، قلت: وما أسمع؟ قال:

عجبت للجنّ وإلبابها ... وركبها العيس بأقتابها
تهوي إلى مكّة تبغي الهدى ... ما صادقو الجنّ ككذّابها
فارحل إلى الصفوة من هاشم ... أحمد إذ هو خير أربابها

قلت: عدوّ الله أفصحت، فأين هو؟ قال: ظهر بمكّة يدعو إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، فأصبحت ورحلت ناقتي ووجهّتها قبل

مكّة فأوّل ما دخلتها لقيت أبا سفيان، وكان شيخاً ضالاً فسلمت عليه وسألته عن الحيّ، فقال: والله إنّهم مخصبون إلاّ أنّ يتيم أبي طالب قد أفسد علينا ديننا، قلت: وما اسمه؟ قال: محمّد، أحمد، قلت: وأين هو؟ قال: تزوّج بخديجة ابنة خويلد فهو عليها نازل فأخذت بخطام ناقتي ثمّ انتهيت إلى بابها فعقلت ناقتي ثمّ ضربت الباب فأجابتني: من هذا؟ فقلت: أنا أردت محمّداً، فقالت: اذهب إلى عملك، فقلت: يرحمك الله إنّي رجل أقبلت من اليمن وعسى الله أن يكون منّ عليّ به فلا تحرميني النظر إليه، وكان صلى الله عليه وآله رحيماً فسمعته يقول: يا خديجة افتحي الباب، ففتحت، فدخلت فرأيت النور في وجهه ساطعاً نور في نور ثمّ درت خلفه فإذا أنا بخاتم النبوّة معجون على كتفه الأيمن فقبّلته، ثمّ قمت بين يديه وأنشأت أقول:

أتاني نجيّ بعد هدء ورقدة ... ولم يك فيما قد تلوت بكاذب
ثلاث ليالٍ قوله كلّ ليلة ... أتاك رسول من لوءيّ بن غالب
فشمرت من ذيلي الأزار ووسّطت ... بي الذعلب الوجناء بين السباسب
فمرنا بما يأتيك يا خير قادر ... وإن كان فيما جاء شيب الذوائب
وأشهد أنّ الله لا شيء غيره ... وأنّك مأمون على كلّ غائب
وأنّك أدنى المرسلين وسيلة ... إلى الله يا بن الأكرمين الأطائب
وكن لي شفيعاً يوم لا ذو شفاعة ... إلى الله يغني عن سواد بن قارب

وكان اسم الرجل سواد بن قارب، فرحت والله مؤمناً به صلى الله عليه وآله ثمّ خرج إلى صفّين، فاستشهد مع أمير المؤمنين عليه السلام(١).

وفي هذا الإطار تقع علاقة الكهانة التي جاء في تفسيرها مايلي:

عن هشام بن الحكم فيما سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام قال: فمن أين يصل الكهانة؟ ومن أين يخبرالناس بما يحدث؟ قال: إنّ الكهانة كانت في

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٤-١٠٧.

الجاهليّة في كلّ حين فترة من الرسل، كان الكاهن بمنزلة الحاكم يحتكمون إليه فيما يشتبه عليهم من الأمور بينهم فيخبرهم بأشياء تحدث، وذلك في وجوه شتّى من فراسة العين، وذكاء القلب، ووسوسة النفس وفطنة الروح، مع قذف في قلبه لأنّ ما يحدث في الأرض من الحوادث الظاهرة فذلك يعلم الشيطان ويؤدّيه إلى الكاهن ويخبره بما يحدث في المنازل والأطراف.

وأمّا أخبار السّماء فإنّ الشياطين كانت تقعد مقاعد استراق السمع إذ ذاك وهي لا تحجب ولا ترجم بالنجوم، وإنّما منعت من استراق السّمع لئلا يقع في الأرض سبب يشاكل الوحي من خبر السّماء ولبّس على أهل الأرض ما جاءهم عن الله لاثبات الحجّة ونفي الشبه.

وكان الشيطان يسترق الكلمة الواحدة من خبر السّماء بما يحدث من الله في خلقه فيختطفها ثمّ يهبط بها إلى الأرض فيقذفها إلى الكاهن، فإذا قد زاد كلمات من عنده فيختلط الحقّ بالباطل، فما أصاب الكاهن من خبر ممّا كان يخبر به فهو ما أدّاه إليه شيطانه ممّا سمعه، وما أخطأ فيه فهو من باطل ما زاد فيه، فمذ منعت الشياطين عن استراق السّمع انقطعت الكهانة.

واليوم: إنّما تؤدّي الشياطين إلى كهّانها أخباراً للناس ممّا يتحدّثون به وما يحدثّونه، والشياطين تؤدي إلى الشياطين ما يحدث في البُعد من الحوادث من سارق سرق، ومن قاتل قتل، ومن غائب غاب، وهم بمنزلة الناس أيضاً صدوق وكذوب.

فقال: كيف صعدت الشياطين إلى السّماء، وهم أمثال الناس في الخلقة والكثافة وقد كانوا يبنون لسليمان بن داودﷺ من البناء ما يعجز عنه ولد آدم؟ قال: غلظوا لسليمان كما سخّروا، وهم خلق رقيق غذاؤهم التنسّم، والدليل على ذلك صعودهم إلى السّماء لاستراق السمع، ولا يقدر الجسم الكثيف على الارتقاء إليها إلاّ بسلّم أو سبب[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٦ - ٧٧.

فهناك إذن حالات تسلط بشرية تقع في إطار الإيمان أحياناً، وأحياناً تقع في إطار العلاقات المصلحية، وهي طبعاً تقود ذوي الشأن أحياناً إلى الإيمان أو أحياناً تقي من دائرة الكفر؛ لأنّ الكهانة تقوم على هذه العلاقة وهي طبعاً تؤدي إلى الاضلال والتوهم واقناع العوام بوجود قدرات خاصة لدى الكاهن.

## رؤية في الطور الموجب «أو سيطرة الإنس»

من الطبيعي أن تكون العلاقة التي تكون فيها للإنس هي الطور الإيجابي لأننا بدءاً افترضنا أنّ حركة التأريخ هي حركة تصاعدية نحو الكمال الأخلاقي باعتباره الحلقة الأهم من حلقات التطور، إذ بواسطتها تستطيع الكائنات الحيّة [الجن ـ الإنس] اثبات أهليتها للدخول في الطور القادم للبقاء بناءً على أن الوجود يسير سيراً تصاعدياً نحو مزيد من الكمال الذي قدره الله له، وأن بعض أشكال الحيّاة أو الخلق بما يعني أعم من الحياة سوف لن تكون موائمة لشكل الكمال القادم، ولهذا فإنّه لا يوجد خيار أمامها سوى التوائم مع التطور القادم بحيازة الكمال المطلوب أو الزوال.

ولهذا فإن التأريخ الذي يبدأ بخلق آدم وينتهي بيوم القيامة سيكون هو الفرصة الممنوحة [الأجل] للكائنات العاقلة لانجاز تكاملها والتأهل للدخول في طور ما بعد القيامة، ولهذا فإن الكائنات التي لا تستطيع انجاز هذا التطور سيكون مصيرها النار، وهي الصيغة التي اختارها لحفظ هذه الكائنات غير المتطورة، إما لإعادة تفكيكها لأنّ الله ليس انتقامياً أو لأنّ كمالها يقتضي هذه الطريقة من التطهير، وعلى أية حال ومهما كان السبب الفعلي فإن الله حكم عليهم بهذه النهاية.

والتأريخ [الأجل] بدوره ليس حلقة واحدة بل مكَون من مقاطع تتناوب فيها سيطرة السلب والايجاب، فكلما جاء [قطب الطاعة] بوحي يستوعب المرحلة تحرك القطب السالب باتجاه تحديث أدواته وآلياته من أجل اعادة السيطرة.

وعلى هذا الأساس فإن حالة سيطرة الإنسان هي حالة إيجابية لأنها تأتي في ظل الإيمان وتكرس طاعة الأحياء لله، ولهذا فإن أهم ميزاته ما أوردته الآية التالية: ﴿ ***الذين يتّبعون الرسول النبي الأميّ الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحلّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتّبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون*** ﴾[1]. ففي هذه الآية وصف لجملة معالم تضطلع بها الرسالة المحمدية، ومن مفهوم الآية نفهم أن الوضعية كانت معكوسة بما وصفته الآية فهناك اغلال وخبائث وظلمة وأمر بالمنكر، وقد جاء في تفسير هذه الآية مايلي:

((وصف سبحانه الذين يتقون بصفة أخرى فقال: ﴿ ***الذين يتّبعون الرسول النبي*** ﴾ أي يؤمنون به ويعتقدون بنبوته يعني نبينا محمّد (الأمي) ذكر في معناه أقوال: (أحدها) أنّه الذي لا يكتب ولا يقرأ (ثانيها) أنّه منسوب إلى الأمّة والمعنى أنّه على جبلة الأمة قبل استفادة الكتابة وقيل: أن المراد بالأمة العرب لأنّها لم تكن تحسن الكتابة (وثالثها) أنّه منسوب إلى الأم و المعنى أنه على ما ولدته أمه قبل تعلم الكتابة (ورابعها) أنّه منسوب إلى أم القرى وهي مكّة وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام: ﴿ ***الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل*** ﴾ معناه يجدون نعته وصفته مكتوباً في الكتابين لأنّه مكتوب في التوراة في السفر. الخامس: إني سأقيم لهم نبياً من أخوتهم مثلك واجعل كلامي فيه فيقول لهم

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

كل ما أوصيته به. وفيها أيضاً مكتوب: وأما ابن الأمة فقد باركت عليه جداً جداً وسيلد اثنى عشر عظيماً وأوخر لأمه عظيمه وفيها أيضاً : أتانا الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال قاران وفي الإنجيل بشارة بالفارقليط في مواضيع منها نعطيكم فارقليط آخر يكون معكم آخر الدهر كله. وفيه أيضاً قول المسيح للحواريين: أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه إنه نذيركم بجميع الحق ويخبركم بالأمور المزمعة ويمدحني ويشهد لي. وفيه أيضاً أنّه إذا جاء منذ أهل العالم ﴿ ***ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر*** ﴾ يجوز أن يكون هذا مكتوباً في التوراة والإنجيل ويكون وصفاً لما قبله وبياناً لمن يكتب له رحمة الولاية والمحبة. ويجوز أن يكون ابتداء من قول الله تعالى مدحاً للنبي ﷺ والمعروف الحق والمنكر الباطل؛ لأنّ الحق معروف الصحة في العقول والباطل منكر الصحة في العقول وقبل المعروف مكارم الأخلاق وصلة الأرحام، والمنكر عبادة الأوثان وقطع الأرحام عن ابن عباس وهذا القول داخل القول الأول ﴿ ***ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الميتة والدم ولحم الخنزير*** ﴾ وما ذكر معها ﴿ ***ويضع عنهم إصرهم*** ﴾ أي ثقلهم شبه ما كان على بني إسرائيل من التكليف الشديد بالثقل، وذلك أنّ الله سبحانه جعل توبتهم أن يقتل بعضهم بعضاً وجعل توبة هذه الأمة الندم بالقلب حرمة للنبي ﷺ عن الحسن: الأصر هو العهد الذي كان الله سبحانه وأخذه على بني إسرائيل أن يعملوا بما في التوراة عن ابن عبّاس والضحاك والسدي. ويجمع المعنيين قول الزجاج: الأصر ما عقدته من عقد ثقيل ﴿ ***والأغلال التي كانت عليهم*** ﴾ معناه يضع عنهم العهود التي كانت في ذمتهم وجعل تلك العهود بمنزلة الأغلال التي تكون في الأعناق للزومها، كما يقال: هذا طوق في عنقك. وقيل: يريد بالأغلال ما امتحنوا من قتل نفوسهم في التوبة وفرض ما يصيبه البول في أجسادهم وما أشبه ذلك في تحريم السبت، وتحريم العروق والشحوم وقطع الأعضاء الخاطئة، ووجوب القصاص دون الديّة عن أكثر المفسرين.

﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ أي بهذا النبي وصدقوه في نبوته ﴿ وَعَزَّرُوهُ ﴾ أي عظموه ووقروه ومنعوا عنه أعداءه ﴿ وَنَصَرُوهُ ﴾ عليهم ﴿ وَاتَّبَعُوا النُّورَ ﴾ معناه القرآن الذي هو نور في القلب كما أن الضياء نور في العيون ويهتدي به الخلق في أمور الدين كما يهتدي بالنور في أمور الدنيا))[1]. وإذا كانت هذه الآية تتحدث عن نبوة محمدﷺ فإنها تنطبق على كافة النبوات حيث أنها جميعاً تهدف إلى تحرير الخلق من عبادة العبيد لتعيد عبوديتهم لله سبحانه وتعالى.

ذلك أن الطور السالب يعيد بناء العلاقات لتكون بالصورة التي تحقق سيطرة الشيطان على الجن وبعدها على الإنس، ثم يأتي الطور الموجب ليفكك هذه السيطرة ويعيد بناء العلاقات بالشكل الإيجابي على قاعدة أصلية وهي العودة إلى الفطرة التي أهم معالمها حرية الاختيار، ذلك أن ميزة المخلوقات المتطورة هي حرية الاختيار، فالعودة إلى الفطرة لا تعني إلا رفع العلاقات التي تحسب الفطرة بالإستفادة من القهر السياسي والاقتصادي والنفسي، وهذه جميعها تتأسى طبعاً على قاعدة القهر الاعتقادي.

وحين تتحطم أنواع القهر فإن الإنسان يجد متسعاً لممارسة الفعاليات والنشاط ، فموضوع الحرية «شديد اللصوق بوجود الإنسان ككائن متغذ وكائن مفكر، وبين هذين الوجودين لحمة لا تنفصل، بل جدلية كانت هي الأصل في مبدأ التطور الإنساني، فللحياة وجهان: أحدهما الاغتذاء والهضم، والآخر الانتاج والخصب، والواقع والمثل الأعلى متفاهمان في الحياة الإنسانية كما يقول غيو، لأن الحياة على وجه العموم كائنة وفي حالة الصيرورة في آن واحد، ومن يقل الحياة يقل التطور.

وإن كانت الحياة الإنسانية تخضع في جانبها العضوي لحتمية القانون الطبيعي في الولادة والنمو والموت ،فإنها في جانبها العقلي المتصل بالحياة

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٤٨٧/٣، تفسير سورة الأعراف: الآية ١٥٧.

الاجتماعية ، والاقتصادية ،والأخلاقية ،والفلسفية تخضع لقانون آخر هو الحتمية التاريخية ،وما تقتضيه من وجود الحرية ونموها كمحرك حقيقي لا مندوحة عنه في تاريخ التطور الإنساني»[١].

وعلى هذا الأساس فإننا نرى أن الحضارات وهي الشكل الإيجابي لعملية رقي الإنسان ،تأتي في أعقاب ما تمارسه الديانات على أوضاع البشرية، حيث كما قلنا تعيد الحرية وهي الفطرة حيث تشكل الحرية أرضية لولادة الثقافة التي تفسح للحياة فرص النماء ،وهي تولد «في اللحظة التي تستيقظ فيها روح عظيمة نابعة من روح الإنسان الأولية التي تبدو دوماً كالطفل، وتفصل نفسها مكونة شكلاً من اللاشكل، ثم أنها تموت عندما تكون هذه الروح قد حققت مبتغاها كاملاً على شكل شعوب ولغات ومعتقدات وفنون ودول وعلوم، حيث تتراجع إلى نفسها الأولية ولكن وجودها الحي ذلك التتابع من الحقب العظيمة التي تحدد وتبين مراحل التحقيق»[٢].

وهذا يعني أن الثقافة التي هي وجه الحضارة تنطلق لتؤسس مقدمات البعثة الحضارية، ولا بد أن تكون هذه الثقافة تحريرية تهيئ للإنسان فرص الانتاج والإبداع بعيداً عن أنواع القهر الذي يكون أوله القهر الذي يمارس على الفكر، ويسوق العقل الإنساني إلى سجون خاصة، ويمنعه من السياحة خارجها، وهو في النهاية يعني سلبه روح التواصل والنماء وبعبارة أخرى عودة السيطرة السلبية.

على أننا لا نفترض أن العلاقات السالبة تنتج السالب الخالص بل أنها قد تكون ايجابية لكنها في اطار السلب، فإن حضارة عظيمة يمكن أن تحقق للإنسان العديد من الرفاه والرخاء والعمران، وهذه جميعها من معالم القطب الموجب إلاّ أنها لن تكون كذلك لأنّها مؤسسة على قاعدة السلب (العصيان).

---

(١) بحوث في الفكر القومي العربي ـ اشكاليات نظرية: ٢/٧١-٧٢

(٢) التغيير الاجتماعي: ـ مصادره ـ نماذجه ـ نتائجه: ١/٤٦.

وهذه الحالات كما أسلفنا ليست مقتصرة على العصر الحاضر بل إن حضارة عاد وثمود وهي حضارات وصلت إلى درجات عالية من التطور لكنّها كانت عبارة عن حضارات سالبة حتى لو كانت أغلب أبعد معالمها إيجابية.

فمن المعروف أن الشيطان حين يندحر بعد تدخل السماء بإرسال الرسل وتقوم الرسالة بدفع الحضارة الإنسانية نحو آفاق جديدة، فإن الشيطان لن يستطيع استعادة سيطرته ما لم ينتج تطوراً في أساليبه وفق الوضع النامي الجديد، ذلك أن يتحرك إلى الأمام ولا يعود إلى الوراء. ولهذا يمكننا أن نسجل وجود حضارات سالبة لكنها متقدمة ووجود حضارات سالبة ولكنها غاية في البدائية.

لكن من المؤكد أن أغلب أطوار التأريخ هي الأطوار التي تكون فيها عملية الصراع محتدمة بين الطرفين، فإذا كانت السيادة للقطب الموجب فإن القطب السالب يستنفر كل جهوده ليعود إلى السيطرة وبالمقدار الذي يستطيع فيه الزحف في طيات حالات الإيجاب، فإنّه يخلق الحالة المشتركة التي يمكن أن تنتهي إلى عودة سيطرته أي الحالة التي يتمكن فيها من نسف الأسس.

وإذا وضعنا الحضارة الإسلامية أمام هذا المعيار فإننا نستطيع أن نضع لحظة انتصار الرسالة في زمن الرسول ﷺ هي لحظة انتصار كامل لحالة الإيجاب. لكن بعد هذا الانتصار عمل (إبليس) باتجاه الزحف لنسف التجربة، حيث أعاد انتاج الجاهلية ولكن بعد تغليفها بالإسلام. واستمر في صراعه حتّى استطاع في العهد الأموي والعبّاسي من تحويل القيادة إلى قيادة (إبليسية) لأنّها كانت قهرية، لكن القطب الموجب تحول إلى المعارضة وبقي المجتمع المسلم في إطار الإيجاب حتى انطلقت الحضارة الغربية التي هي حضارة «إبليس كاملة» لأنّها اعتمدت الأدوات «القهر العسكري والاقتصادي والتقني» وحاولت إلغاء كل الحضارات الأخرى.

وعليه فإن وجود القطبين معاً في صراع متواصل هو الأساس الذي تعتمد عليه عملية النماء وعملية انتاج الحضارات المتطورة، ولكن عبر حالات منها:

١ـ حالات سيادة كاملة لأحد الأقطاب كما حصل في زمن الرسالة المحمدية.

٢ـ حالات سيادة كاملة مقابلة كما في نموذج الحضارة الغربية.

وهناك حالات مشتركة كما في الحضارة الإسلامية في العهد العبّاسي والأموي حيث كانت القيادة (إبليسية) والشعب فيه مستوى عالي من الإيجاب مع وجود القطب الموجب الفاعل متمثلاً بالأئمّة ﷺ والمصلحين من أتّباعهم.

وقد أشارت النظريات الصراعية إلى هذه الحقيقة من خلال قاعدة افتراضية وهي:

١ـ في كل مجموعة منسقة بالأمر، يشكل أصحاب أدوار السيطرة الموجبة والسالبة شبه مجموعتين، لهما مصالح كامنة متعاكسة، ونحن ندعوهما «شبه مجموعتين» لأنّنا نتعامل هنا مع تجمعات مجردة ،لا وحدات منظمة ،وإننا نتكلم عن المصالح الكامنة لأنّ المعارضة في وجهة النظرليس من الضروري أن تكون ملموسة في هذا المستوى ،إذ يمكن أن توجد فقط على شكل توقعات مقترنة بأوضاع معينة ، ولمعارضة المصالح هنا معنى شكلي تماماً وأعني به، التوقع بأن المصلحة في حفظ الوضع الراهن تكون مقترنة بأدوار السيطرة الموجبة ،والمصلحة في تغيير الوضع الراهن تكون مقترنة بأدوار السيطرة السالبة.

٢ـ إن حاملي الأدوار الموجبة والسالبة أي أعضاء أشباه المجموعات المتعارضة ، ينظمون أنفسهم في مجموعات ذات مصالح ظاهرة، ما لم تعترضهم ظروف متغيرة بشكل تجريبي (ظروف التنظيم)، إن مجموعات

المصالح بالمقارنة بأشباه المجموعات، هي كيانات منظمة، كالأحزاب واتحاد الحرفيين ،والمصالح الظاهرة هي برامج وعقائد موضوعة.

٣ ـ مجموعات النفوذ التي تتكون بهذه الطريقة في حالة صراع دائم من أجل حفظ أو تغيير الوضع الراهن، هذا ويقرر شكل الصراع وشدته الظروف المتغيرة على نحو تجريبي (ظروف صراع).

٤ ـ إن الصراع بين مجموعات النفوذ ـ بالمعنى الموجود في هذا النموذج ـ يؤدي إلى تغيرات في تركيب علاقاتها الاجتماعية، خلال التغيرات في علاقات السيطرة، وإن نوع، وعمق، وسرعة هذا التطور يعتمد على الظروف المتغيرة تجريبياً[1].

فما نريد الإشارة إليه هو شيء قريب من هذا النموذج ولكن الموجب هو المؤسس على علاقات الطاعة، والسالب هو المؤسس بناء على علاقات العصيان. وبغض النظر عن مستوى التقدم الحضاري أو حتى مع وجود الحرية لأنَّ الحرية التي نقصدها هي حرية الطاعة والعصيان وليست الحرية بالمعنى السياسي المتداول، لأنّه تختلف عن الحرية التي أرادها الله وهي: «ما وهبه الله من وعي ومن حرية وتحمل مسؤولية هذه الهبة ،وما عليه سوى السير في درب التأريخ الشاق ليثبت أهليته لعطية ربّه»[2] فهذه الحرية بهذه الكيفية لا توجد إلاّ في حال وجود نظام مقام على أساس الطاعة بل إننا نرى أن الإسلام يعمم الحالة حتى بالنسبة للأفعال الفردية فمهما كانت ايجابية أو خيرة فإنّها غير ذات قيمة إلاّ إذا جاءت وفق قاعدة الطاعة حتى لو كانت صياماً أو صلاة أو شك أو صدقة أو بناء مسجد ومستشفى لابدّ من قصد القربة.

---

(١) التغيير الاجتماعي: ـ مصادره ـ نماذجه ـ نتائجه: ١/١٩٠-١٩١.

(٢) الرحمن والشيطان الثنويه الكونية ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقية: ٢٧٩.

ولذلك فإن سيطرة الإنسان على عالم غير مرئي سوف تكون طوعية أي أنها تأتي من خلال نفس الأدوات التي يعتمدها القطب الموجب، فهو يمنح الحرية للمرئيين من البشر ولغير المرئيين من الجن لاتّباع الحق عن قناعة ورضى ولا يعتمد القهر حتى في فرض الحق، أنّه يكتفي بالقضاء على العقبات التي تمنع وصول البلاغ مع النظم والجماعات.

ولهذا فإننا نعلم بأن القطب الموجب ستكون أدواته وأهدافه موجبة، وأنها تفرز أشكال حضارية وثقافة متنورة تعتمد على تطور أخلاقي والتزام بالمضامين السامية التي تجد قبولاً لدى مختلف (الجن والإنس).

وأن القطب الموجب موجود في دائرة الجن كما هو موجود في دائرة الإنس لكنه في حال ذبذبة، إذ تتسع دائرته وتضيق بحسب الأدوار التأريخية حيث تقوى في بعض الأطوار ولكنها في المآل تتجه إلى الرسوخ، فإنها بعد كل مرحلة ضعف وتراجع تعود أقوى وأرسخ؛ لأن معنى التكامل يقع في طرف الإيجاب وأن حركة التأريخ تعني الوصول إلى أفضل حالات الإيجاب مع وجود عوامل الإعاقة السلبية.

# الطور السالب

## تسلط إبليس

لاشك بأن الميزة التي تمّيز سيطرة إبليس عن سيطرة آدم تتجلى في تقابل الصفات بينهما فإبليس مكّون مثل آدم من عقل «القوة التي تمكنه من ادراك العالم وتكوين انطباعات عنه» ثم من الإرادة «وهي القوة التي بواسطتها يتم السّماح بالصور والرغبات إلى أفعال ووقائع» ثم الغريزة «وهي القوة الوجودية التي تساهم في دفع الإنسان نحو تحقيق متطلبات الوجود» والعاطفة «وهي الجزء الشعوري الملازم للغرائز والذي يساهم في حركة الكائن كالحب والكره والخوف والقلق» غير أن التقابل بينهما في سيطرة الغريزة الإرادة حيث تكون السيطرة الإيجابية هي بالترتيب التالي: «الإرادة ـ عقل ـ غريزة» بينما تكون حالة إبليس (السلبية) هي «غريزة ـ عقل ـ ارادة» فيكون العقل في الحالة السلبية هو أداة منفذة للغريزة أي أنّه يقرر الطرق والسبل التي يمكن للغريزة بواسطتها من التوصل إلى حالات الاشباع، وتقف العواطف مع الغريزة على نفس المستوى لأنّها محلقة بها وتدور مدارها، وبالتالي فإن العواطف السامية لن تجد فرصة للظهور في حالة السيطرة السلبية، بينما في حالة آدم فإن الإرادة هي التي تكون مسيطرة على العقل وعلى الغريزة والعواطف ليحتفظ بها في حالة ضبط وتوجيه طبقاً للأوامر والنواهي الإلهية، فتتجه القوى العقلية باتجاه انتاج وتقرير السبل التي بواسطتها يتم الاقتصار على وضع الغريزة في الدائرة التي تمنح الحياة أكبر فرصة للانطلاق، ذلك أن الغرائز لو تركت بلا ضبط فإنّها تصطدم وتخلق حالات التنافس الشديد على

المصالح والرغبات، ثم أنّها في النهاية ستؤدي إلى تفتيت الروابط الاجتماعية. ولهذا فإن المجتمعات تعمد إلى تقييد المجالات التي يجوز للأفراد الحركة فيها من أجل تحقيق مصالحهم واشباع حاجاتهم ورغباتهم من أجل الحفاظ على وحدة الوجود الاجتماعي.

ومن هنا ينشأ التفاوت بين حالة تسلط إبليس وحالة تسلط آدم إذ يعمد إبليس إلى محاولة طبع الكائنات الحيّة (الأفراد) بطابعه كخطوة أولى بهدف تحول الجماعات إلى جماعات سلبية.

فإذا استطاع (إبليس) أن يستخرج من كل فرد القوى السلبية عن طريق حثها واثارتها فإنّه بذلك يطلق الطاقات السلبية لدى الجماعة، وفي نفس الوقت الذي يكون (آدم) قد أثار القوى الموجبة وأن يسير بها إلى أقصى درجات الاثارة، فإننا عند إذن نصل إلى تصور عالم مشحون من طرفيه الموجب والسالب، فتكون الارادة في حالة السلب موجهة لوضع السلب موضع الفعلية بينما تكون في حالة الايجاب موجهة لوضع الإيجاب موضع الفعلية.

وإذا تصورنا بأن كلّ فرد في المجتمع فيه استعدادات سلبية وأخرى إيجابية فإننا سنرى بأن كل فرد سيكون مساهم في إيجاد السلب في الجانب السلبي لديه كل هذا الجانب أو أكثر، كما أنّه مساهم في إيجاد الإيجاب من خلال الجانب الموجب لديه كذلك، ولذلك فإننا يمكن أن نتخيل وجود جماعة سلبية إذا استطاعت حث الجانب السلبي في كل الأفراد ورصّه على شكل أواصر تحاصر الإيجاب وتتغلب عليه، وعلى العكس فإن الجماعة الموجبة التي كانت هي القادرة على حث عناصر الإيجاب لدى كافة الأفراد ورصها ضمن أواصر تعمل على تكريس الإيجاب.

فأي جماعة بعد تشكلها فإنها تعمل على إيجاد عوامل ضبط التي جاء في تعريفها «في معجم العلوم الاجتماعية يراد به القوى التي يمارسها المجتمع

للتأثير على أفراده من أعراف وتقاليد وأجهزة، يستعين بها على حماية مقوماته والحفاظ على قيمه ومواصفاته بها عسى أن يتطرق إليها من عوامل الانحراف ومظاهر العصيان»[١].

فقوى الضبط هي الأواصر السلبية التي يحثها إبليس داخل الجماعة وعلى هذا الأساس فإن «إبليس» لا يقوم إلاّ بالتحرك ضمن إطار الامكانات الموجودة لدى الأفراد أي أنه ليس قادراً على خلق السلب بل أنه يعمد على دفع هذا الموجود باتجاه البروز والظهور وتتحدد مسوؤليته كما يقول القرآن على لسانه ﴿ *وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي* ﴾[٢].

فإبليس لا يخلق السلبيات بل يستفيد من وجودها أما وجودها فهو يخرج عن نطاق بحثنا فهو يتبع عوامل كالوراثة والبيئة السلبية وغيرها، ولذلك فإن السلب بالشكل المشار إليه يكون جزءاً من ذات الأشياء ومن طباعها لكنه أصلاً موجود ليؤدي دور وجودي خاص، ولهذا لابدّ من حبسه في إطاره وأنه مثل أي قوة أخرى لا بد أن يتحدد بمقدار معين، فإن قل عن هذا الحد قاد إلى فساد وإن زاد عن ذلك الحد انتهى أيضاً إلى الفساد، وأن أي إفراط أو تفريط يؤدي إلى فساد. ومن هنا فإنه ينشأ المأزق الموجود أي مأزق تعيين الأقدار والحدود فالله سبحانه وتعالى هو وحده العالم بهذه الأقدار والحدود، بينما يأتي الكائن الحي سواء كان جناً أم إنساً ليريد أن يغير هذه الاقدار مدعياً علماً وهو في الحقيقة لا يريد إلا التمدد على حساب الحدود التي حددها علاّم الغيوب، وهذا الادّعاء طبعاً محفز بضغط الغرائز ولا يستند إلى علم «فإبليس» قادته نرجسيته وحبه لذاته أن يحدد لها قدراً

---

(١) الضوابط الاجتماعية وسلوك الأفراد في النظريات الاجتماعية ـ مجلة المعرفة: العدد ٢٧٧ ـ ١٩٩٥: ٣٧

(٢) سورة إبراهيم: ٢٢.

يختلف عن القدر الذي حدّده الله مدّعياً علمه بأنّه أفضل، فالسلب وتبعاً لطبعه كسلب يريد أن يتمدد لأنّه لا يفهم الحدود والمقادير. إن مثل أي غاز يتمدد في أي فضاء يسمح له الانتشار فيه ولا يقف إلاّ أن توجد قوة معينة تحد من قوته وتوقفه عند حده وهذا هو دور القطب الموجب ، وبذلك يحصل التكامل بدلاً عن حصول الفساد، والفساد لا يعني سوى الاضطراب والتصادم ،وهو خطر لأنّه يؤدي إلى تهديد أصل الحياة وتدميرها، وهكذا نلاحظ أن قوة الحياة تتحول إلى قوة مضادة للحياة ،فالغريزة التي هي قوة حياة تتحول إلى قوة افناء الحياة إذا لم يتم ضبطها، فالسالب بدون موجب يؤدي إلى الدمار ونفس الشيء بالنسبة للإيجاب.

ولهذا فإن انتظام الحياة وهو يعني دوامها يقع دائماً في الطرف المضاد للسلب أي دائرة الإيجاب وهو يعادل عملياً عصيان السالب ،ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى حذر من اطاعة الشيطان وبين خطورة هذا الأمر، فالشيطان يأمر باطاعة الهوى وهو يعني انفاذ الدوافع الغريزية وبغض النظر عن أية حسابات أو تقديرات لقضية الصلاح والفساد مما يسفر بشكل تلقائي عن تنحية العقل الذي مهمته اعطاء صورة عن الفساد والصلاح للإرادة ،وبعد انتهاء مهمة العقل تبدأ الإرادة بتحويل الصورة إلى فعل وواقع.

وعندما يتم التعاطي المباشر مع الغريزة ،فإن الارادة ستكون هي الغريزة، أي أنّها والعقل ستكون موجودة ومعطلة ،لأنّ دورها ايقاف الغريزة عن تصريف دوافعها بواسطة الخيارات الفاسدة أو المنهي عنها.

فالقطب السالب هو في الأصل قطب معطل الإرادة أيّ أنه قطب قريب من الحيوان تنعكس فيه التركيب إذ تصبح الإرادة والعقل تحت سلطة الغريزة، فالعقل ينشط في اكتشاف الأساليب التي يمكن من خلالها للغريزة التوصل إلى أعلى اشباع وتعمل الارادة على تحويلها من صورة نظرية إلى أشكال عملية

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى نهى عن اطاعة الشيطان والهوى، لأنّ دور الشيطان مكمل لدور الهوى وهذا النهي جاء تهيأ عن اطاعة كل الجن لأن العبادة ليست سوى الطاعة.

وقال سبحانه: ﴿ ***بل كانوا يعبدون الجنّ أكثرهم بهم مؤمنون*** ﴾[1].

وفي قوله تعالى: «بل كانوا يعبدون الجن» بطاعتهم إيّاهم فيما دعوهم إليه من عبادة الملائكة.

وقيل: المراد بالجنّ إبليس وذريّته وأعوانه. «أكثرهم بهم مؤمنون» مصدّقون بالشياطين مطيعون لهم[2].

ومن هذا النص توضيح للحالة المضادة ،فهنا الجن يتسلّطون على الإنس، وقد وصف القرآن لنا هذه الحالة التي تقوم على الطاعة دون تخصيص لهم بإبليس وذريته ،ولعل في هذا دلالة على اطاعة بعض جهلاء الجن من قبل بعض البشر،أو ربّما يراد افادة عدم صحة اطاعة الجن سواء كانوا مؤمنين أو غير ذلك ولو كان ذلك من خلال الاشارة إلى أسوء المصاديق وهو مصداق الجن الذين يأمرون بالباطل وينهون عن الحق ،وهذه الحالة التي أشارت إليها كافة الآيات والأحاديث لأنّها هي منبع الخطر على الإنسان.

فالطاعة هنا مقترنة مع الإيمان وهو عبارة عن الاقتناع بالمقولات والتأويلات التي يعدها الشيطان لتسويغ الرضى بأوامره ،وقد قدم لنا القرآن نموذجاً لهذا الإيمان عندما صدق آدم قول الشيطان ،فأكل من الشجرة ،أو التبريرات التي تدفع بالناس ﴿ ***فليغيرنّ خلق الله*** ﴾[3] وما سوى ذلك من أشكال الانحراف الذي نراه في تاريخ الإنسانية.

---

(١) سورة سبأ: ٤١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥٤.

(٣) سورة النساء: ١١٩.

ويؤكد هذا الأمر الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿ *يا أبت لا تعبد الشيطان إنّ الشيطان كان للرحمن عصيّا ◆ يا أبت إنّي أخاف أن يمسّك عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان وليّاً* ﴾ [١].

وقال تعالى: ﴿ *فوربّك لنحشرنّهم والشياطين ثمّ لنحضرنّهم حول جهنّم جثيّاً* ﴾ [٢].

وقال تعالى: ﴿ *ألم تر أنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزّاً* ﴾ [٣].

قوله تعالى: ﴿ *لا تعبد الشيطان* ﴾ أي لا تطعه في عبادة الآلهة، ثمّ علل ذلك بأنّ الشيطان عاص لله والمطاوع للعاصي عاص، «وليّاً» أي قريناً في اللعن أو العذاب تليه ويليك، أو ثابتاً في موالاته فإنّه أكبر من العذاب كما أنّ رضوان الله أكبر من الثواب.

قوله: «والشياطين» قال البيضاوي: عطف أو مفعول معه لما روي أنّ الكفرة يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين أغووهم كلّ مع شيطانه في سلسلة «جثيّاً» على ركبهم لما يدهمهم من هول المطّلع، أو لأنّه من توابع التواقف للحساب.

قوله: « إنّا أرسلنا الشياطين على الكافرين» قال الطبرسيّ: أي خلّينا بينهم وبين الشياطين إذا وسوسوا عليهم ودعوهم إلى الضلال حتى أغووهم ولم يحل بينهم وبينهم بالالجاء ولا بالمنع، وعبّر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز والتوسّع، وقيل: معناه سلّطناهم عليهم ويكون في معنى التخلية أيضاً « تؤزّهم أزّاً» أي تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية ،عن ابن عبّاس. وقيل: تغريهم إغراء بالشيء تقول: امض في هذا الأمر حتّى توقعهم في النار،عن ابن جبير[٤].

---

(١) سورة مريم: ٤٤-٤٥.

(٢) سورة مريم: ٦٨.

(٣) سورة مريم: ٨٣.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٠.

ففي الآية نهي عن عبادة الشيطان لأن اطاعة العاصي عصيان، وأن استمرار الطاعة تنقل الإنسان إلى درجة الولاية أي التحول إلى جزء من القطب السالب أي تخرجه من دائرة الاشتراك وتحوله إلى دائرة السلب. وهؤلاء طبعاً سيكون مصيرهم النار لاستحالتهم إلى حالة السلب الكامل التي تصورها الآية ﴿ تؤزهم أزّا ﴾ ففيها معنى أن الشياطين مطلقة في التحكم بهؤلاء الذين رضوا بالولاية وأنهم يحركونهم بسرعة باتجاه ما يريدون، بل ففيه معنى الأمر العنيف الذي يلقى الطاعة رغم ما فيه من عنف وعدم احترام ﴿ أزّا ﴾ وهو كناية عن درجة الطاعة التي يبلغها هؤلاء التي قد تكون أحياناً طاعة ولكن مع اصدار الأمر باحترام، وأحياناً تتسم بالنهر والتفرعن وفرض الأمر مع الاذلال .

قال تعالى: ﴿ هل أنبئكم على من تنزّل الشياطين ❁ تنزّل على كلّ أفّاك أثيم ❁ يلقون السّمع وأكثرهم كاذبون ﴾ [1].

قوله: «هل أنبئكم» قال البيضاوي: لما بين أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلت به الشياطين أكد ذلك بأن بين أن محمداً ﷺ لا يصح أن يتنزلوا عليه من وجهين أحدهما أنه إنما يكون على شرير كذاب كثيرالإثم فإن اتصال الإنسان بالغائبات لما بينهما من التناسب والتواد، وحال محمد ﷺ على خلاف ذلك، وثانيهما قوله: « يلقون السمع وأكثرهم كاذبون» أي الأفاكون يلقون السمع إلى الشياطين فيتلقون منهم ظنوناً وأمارات لنقصان علمهم فينضمون إليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطابق أكثرها كما جاء في الحديث: الكلمة يختطفها الجني فيقرؤها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد ﷺ فإنه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها.

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٣.

وقد فسّر الأكثر بالكلّ، كقوله «كلّ أفاك» والأظهر أنّ الأكثرية باعتبار أقوالهم على معنى أنّ هؤلاء قلّ من يصدق منهم فيما يحكي عن الجنّي وقيل: الضمائر للشّياطين أي يلقون السّمع إلى الملأ الأعلى قبل أن يرجموا فيختطفون منهم بعض المغيبات.

قوله: «يوحون إلى أوليائهم» أي يلقون مسموعهم منهم إلى أوليائهم « وأكثرهم كاذبون» فيما يوحون به إليهم إذ يسمعونهم لا على نحو ما تكلّمت به الملائكة لشرارتهم أو لقصور فهمهم أو ضبطهم أو إفهامهم[1].

الآية تدل على نفي حاسم لقدرة الشياطين على حمل الوحي لأنّ الوحي أصلاً لا ينسجم مع دور الشياطين في الوجود، لأنّهم لا يريدون للهدى الانتشار ثم أنهم لا يقيمون رابطة مع الخيرين من البشر ولا يستطيعون اقامة الروابط إلاّ مع الكذابين وأهل الإفك والكذب، لأن هؤلاء يتوافقون مع الشياطين في الطبع والأهداف، فهو تأكيد على ضرورة وجود التناسب في الطباع في أي لقاء يمكن أن يحصل، إذ أن التسلط في طرف الباطل قائم على وجود معطيات خاصة بين طرفي العلاقة. وهذا يلقي الضوء على الحالات النفسية للجان من خلال التعرف على أقرانهم، وفي النهاية فإنّ الايحاء يهدف إلى الاضلال وهو كذب.

وأمّا النص التالي:

جاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان سليمان عليه السلام يأمر الشياطين فتحمل له الحجارة من موضع إلى موضع فقال لهم إبليس: كيف أنتم؟ قالوا: مالنا طاقة بما نحن فيه، فقال إبليس: أليس تذهبون بالحجارة وترجعون فراغاً؟ قالوا: نعم قال: فأنتم في راحة، فأبلغت الريح سليمان ما قال إبليس للشياطين، فأمرهم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٥١ ـ ٥٢.

يحملون الحجارة ذاهبين ويحملون الطين راجعين إلى موضعها، فتراءى لهم إبليس فقال: كيف أنتم؟ فشكوا إليه فقال: ألستم تنامون بالليل؟ قالوا: بلى، قال: فأنتم في راحة، فأبلغت الريح ما قالت الشياطين وإبليس، فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فما لبثوا إلاّ يسيراً حتّى مات سليمان عليه السلام[1].

فإنّه يدل عدم اكتراث إبليس بمعاناة أتباعه وهو على عكس الرسول صلى الله عليه وآله الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم مما يلقي الضوء على طبيعة العلاقات داخل القطب السالب حيث تتحكم القساوة وعدم الاكتراث للمآل. وهذه طبعاً أكدتها آيات كثيرة سوى هذه الرواية مما يدل على أن الحياة تصل إلى درجة من القساوة التي لا تطاق عندما يتحكم القطب السالب، ولعلّ الحياة في الجانب البشري الملحق بالقطب السالب تكون أقل قساوة لأنها حتى لو كانت واقعة كملحق بالسلب إلاّ أنّها قريبة من دائرة الموجب. ومع ذلك فإننا نشاهد ألوان من الفضائح التي ارتكبت مما يصيب الإنسان بالذهول كما في العهد الروماني أو العهد الأموي أو في جرائم الأوربيين بحق الشعوب أو جرائم النازية وما سوى ذلك وهو طبعاً ليس سوى انعكاس لحالة القطب الأصلية.

وهناك النوع الآخر من السيطرة التي تكون للجن والذي تدل عليه مجموعة روايات منها :

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الجنّ: ﴿ *وأنّه تعالى جدّ ربّنا* ﴾ فقال: شيء كذبه الجنّ فقصّه الله تعالى كما قال.

وعن زرارة، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿ *وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقاً* ﴾[2] قال: كان الرجل ينطلق إلى الكاهن الذي يوحي إليه الشيطان فيقول: قل لشيطانك: فلان قد عاذ بك.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٥.

(٢) سورة الجن: ٦.

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله: ﴿ *وأنّه كان رجال* ﴾ الآية، قال: كان الجنّ ينزلون على قوم من الإنس ويخبرونهم الأخبار التي يسمعونها في السّماء من قبل مولد رسول الله ﷺ، فكان الناس يتكّهنون بما خبّرهم الجنّ، وقوله: ﴿ *فزادوهم رهقاً* ﴾ أي خسراناً، وقال: البخس: النقصان، والرهق: العذاب، وقوله: ﴿ *كنّا طرائق قدداً* ﴾ أي على مذاهب مختلفة[١].

وهذه الرواية حاولت أن تفسر الآية التي نقلتها وهي أن بعض الجن يسيطرون على بعض الإنس فيحتمون بهم، وهي سيطرة لا تتضمن أي أفق اعتقادي بل هي ربّما تكون مقطعية أو لمصلحة أو لحالات نفسية، وقد نهى القرآن عنها كما بيّن، لأنّها تعني الخسران أو العذاب وبالتالي فإنّها تدل على وجود الضرر في هذه العلاقة، مما يدفعنا القول إلى أن أي ارتباط بالجن خارج علاقات الإيمان يؤدي إلى الضرر سواء كان عابراً ومقطعياً أو كان طويل الأمد ولتحقيق مصالح ذلك أنها علاقة مع طرف غير مرئي، ويمكن أن تتحول إلى علاقة مرهقة للإنسان لأنّ هناك استحقاقات تترتب عليها وخصوصاً أن الطرف صاحب العلاقة طرف هوائي وغير مأمون النزوات.

ويؤكد هذا الأمر جملة روايات أخرى منها:

جاء عن ابن عبّاس أنّ رجلاً من بني تميم كان جريّاً على الليل والرّمال وأنّه سار ليلة ، فنزل في أرض مجنّة فاستوحش فعقل راحلته ثمّ توسّد ذراعها وقال: «أعوذ بأعزّ أهل هذا الوادي من شرّ أهله» فأجاره شيخ منهم وكان فيهم شابّ وكان سيّداً في الجن فغضب الشاب لما أجاره الشيخ، فأخذ حربة له قد سقاها السم لينحربها ناقة الرجل، فتلقّاه الشيخ دون الناقة، فقال:

يا مالك بن مهلهل مهلا ... فذلك محجري وإزاري
عن ناقة الإنسان لا تعرض لها ... فاكفف يمينك راشداً عن جاري

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٨ - ٩٩.

تسعى إليه بحربة مسمومة     أفّ لقربك يا أبا القيطار

وأنشد أبياتاً أخر في ذلك، فقال الفتى:

أردت أن تعلو وتخفض ذكرنا     في غير مرزية أبا الغيراري
فاحرل فإن المجد للمراري     متنحّلاً أمراً لغير فضيلة
من كان منكم سيّداً في ما مضى     إنّ الخيار هم بنو الأخيار
كان المجير مهلهل بن دياري     فاقصد لقصدك يا معيكر إنما

فقال الشيخ: صدقت كان أبوك سيّدنا وأفضلنا، دع هذا الرجل لا أنازعك بعده أحد ، فتركه فأتى الرجل إلى النبيّ ﷺ وقصّ عليه القصّة، فقال رسول الله ﷺ: إذا أصاب أحداً منكم وحشة أو نزل بأرض مجنّة فليقل: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر من شرّ ما يلج في الأرض وما يخرج منها ومايىنزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل ومن طوارق النهار إلاّ طارقاً يطرق بخير» فأنزل الله في ذلك: ﴿ **وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقا** ﴾ [1].

قال أبو نصر: غريب جداً لم نكتبه إلاّ من هذا الوجه[2].

وعن كردم بن أبي السائب الأنصاريّ ،قال: خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أوّل ما ذكر رسول الله ﷺ بمكّة، فآويت إلى راعي غنم فلمّا انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملاً من الغنم فوثب الراعي فقال: يا عامر الوادي جارك فنادى منادٍ لا نراه: يا سرحان أرسل، فأتى الحمل يشتدّ حتّى دخل في الغنم، وأنزل الله على رسوله بمكّة ﴿ **وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ** ﴾ الآية[3].

---

(١) سورة الجن: ٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٩-١٢٠.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٨.

((وعن سعيد بن جبير أنّ رجلاً من بني تميم يقال له: رافع بن عمير حدّث عن بدء إسلامه قال: إنّي لأسير برمل عالج ذات ليلة إذ غلبني النوم فنزلت عن راحلتي وأنختها ونمت قد تعوّذت قبل نومي، وقلت: «أعوذ بعظيم هذا الوادي من الجنّ» فرأيت في منامي رجلاً بيده حربة يريد أن يضعها في نحر ناقتي، فانتبهت فزعاً فالتفت يميناً وشمالاً فلم أرَ شيئاً، فقلت: هذا حلم، ثمّ عدت فغفوت فرأيت مثل ذلك فانتبهت فدرت حول ناقتي فلم أرَ شيئاً، فإذا ناقتي ترعد، ثمّ غفوت فرأيت مثل ذلك.

فانتبهت فرأيت ناقتي تضطرب، والتفتُ فإذا برجل شاب كالذي رأيته في المنام بيده حربة، ورجل شيخ ممسك بيده يردّه عنها، فبينما هما يتنازعان إذا طلعت ثلاثة أثوار من الوحش، فقال الشيخ للفتى: قم فخذ أيّها شئت فداءً لناقة جاري الإنسي فقام الفتى فأخذ منها ثوراً وانصرف، ثمّ التفت إليَّ الشيخ وقال: يا هذا إذا نزلت وادياً من الأودية فخفت هوله فقل: «أعوذ بالله ربّ محمّد صلى الله عليه وآله من هول هذا الوادي» ولا تعذ بأحد من الجنّ فقد بطل أمرها، فقلت له: ومن محمّد هذا؟ قال: نبيّ عربيّ لا شرقيّ ولا غربيّ بعث يوم الاثنين، قلت: فأين مسكنه؟ قال: يثرب ذات النخل.

فركبت راحلتي حين ترقى لي الصبح، وجددت السير حتّى أتيت المدينة فرآني رسول الله صلى الله عليه وآله فحدثني بالحديث قبل أن أذكر له منه شيئاً. ودعاني إلى الإسلام فأسلمت، قال سعيد بن جبير: وكنّا نرى أنّه هو الذي أنزل الله فيه ﴿ ***وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقا*** ﴾.

وعن ربيع بن أنس: ﴿ ***وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقا*** ﴾ قال: كانوا يقولون: فلان ربّ هذا الوادي من الجنّ، فكان أحدهم إذا دخل ذلك الوادي يعوذ بربّ الوادي من دون الله فيزيده بذلك رهقا، أي خوفاً.

وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿ **وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال مـن الجـن** ﴾ قال: كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهليّة فيقول: «أعوذ بعزيز هذا الوادي» فزادوهم رهقا.

وعن الحسن في قوله: ﴿ **وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن** ﴾ قال: كان أحدهم إذا نزل الوادي قال: «أعوذ بعزيز هذا الوادي من شرّ سفهاء قومه» فيأمن في نفسه يومه وليلته))[1].

وفيه أيضاً أنّ عمر بن الخطّاب قال ذات يوم لابن عبّاس: حدّثني بحديث تعجبني به، فقال: حدّثني خريم بن فاتك الأسديّ أنّه خرج يوماً في الجاهليّة في طل بإبل له قد ضلّت فأصابها في إبرق الغراف وسمّي بذلك لأنّه يسمع به غريف الجنّ قال: فعقلتها وتوسّدت ذراع بكر منها ثمّ قلت: أعوذ بعظيم هذا المكان، وفي رواية: بكبير هذا الوادي، وإذا بهاتف يهتف ويقول:

تعـــوذّن بـــالله ذي الجـــلال ... مـــنزّل الحـــرام والحـــلال
ووحـــــدّ الله ولا تبـــــال ... ما هول ذي الجنّ من الأهوال

فقلت:

يـا أيّـها الداعـي مـا تخيـل ... أرشـد عنـك أم تضليـلّ؟

فقال:

هــذا رســول الله ذو الخـيراتِ ... جــاء بياســين وحاميمــاتِ
وســور بعـــد مفصّـــلاتِ ... يدعــو إلــى الجنّــة والنجــاة
يـــأمر بـــالصّوم وبـــالصّلاةِ ... ويزجـر النـاس عـن الـهنات

قال: فقلت: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا مالك بن مالك، بعثني رسول الله ﷺ على جنّ أهل نجد، قال: فقلت: لو كان لي من يكفيني إبلي

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٠ ـ ١٢٢.

هذه لأتيته حتّى أؤمن به، قال: أنا أكفيكها حتّى أؤدّيها إلى أهلك سالمة إن شاء الله فاقتعدت بعيراً منها حتّى أتيت النبيّ بالمدينة فوافقت الناس يوم الجمعة وهم في الصّلاة فإني أنيخ راحلتي إذ خرج إليّ أبو ذر فقال لي: يقول لك رسول الله: ادخل فدخلت، فلمّا رآني قال: مافعل الشيخ الذي ضمن لك أن يردّ إبلك إلى أهلك؟ أما إنّه قد أدّاها إلى أهلك سالمة، فقلت: رحمه الله، قال رسول الله: أجل رحمه الله فأسلم وحسن إسلامه[1].

وقال عبد الله بن مسعود: لقي رجل من أصحاب رسول الله رجلاً من الجنّ فصارعه فصرعه الإنسيّ فقال له الإنسي: إنّي أراك ضئيلاً شخيتاً كأنّ ذراعيك ذراعا كلب فكذلك أنتم معشر الجنّ أم أنت من بينهم كذلك؟ قال: لا والله إنّي من بينهم لضليع، ولكن عاودني الثانية فإن صرعتني علّمتك شيئاً ينفعك، قال: نعم، قال: فعاوده فصرعه فقال له: أتقرأ: ﴿ *اللّه لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم* ﴾ قال: نعم، قال: فإنّك لا تقرأها في بيت إلاّ خرج منه الشّيطان له خبج كخبج الحمار ثمّ لا يدخل حتّى يصبح.

قال الدارميّ: الضئيل: الرقيق. والشخيت: المهزول، والضليع: جيّد الاضلاع، والخبج: الريح. قال أبو عبيدة: الخبج: الضّراط.

ثمّ قال الدميريّ: يصحّ انعقاد الجمعة بأربعين مكلّفاً، سواء كانوا من الجن أو من الإنس أو منهما[2].

وفي المآل النهائي فإن العلاقة بين الإنس والجن إذا كانت السيطرة فيها للجن فإنّها ضارة حتى لو وجدت فيها بعض المنافع الوقتية؛ لأنّها تقوم مع طرف سالب يشكل السلب جزءاً من ذاته حتّى لو كان في درجات متفاوتة

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٠٤ ـ ٣٠٥.

تقع فيها العلاقة المبنية على أساس العصيان هي الأخطر؛ لأن ضررها يؤدي إلى استحالة الإنسان إلى الجزء الآخر المضاد لطبعه أو لفطرته التي فطره الله عليها باعتباره ابناً لآدم الذي أراد الله له أن يلعب دورإيجابي في هذا العالم وأن يكرّس الإيجابية في ذاته وعند الآخرين، لكنّه يخرج عن ذلك ليصبح سلبياً فينقلب إلى الطرف الآخر ويتحول إلى جزء منه حتّى لو كان هذا الانقلاب جزئياً أي في بعض صفات الإنسان وخصائصه. ولهذا فإن العلاج الذي يفرضه الله لهذه الحالة هو العصيان لأنّ سلب السلب ينتج الإيجاب.

## أدوات السيطرة

إذا كانت السيطرة هي الهدف الذي يسعى وراءه إبليس فإنّه يلجأ إلى استخدام طرق وأدوات للإبقاء على هذه السيطرة ثم ادامتها وتوسيعها، وأن الدائرة التي يبدأ فيها هذه السيطرة هي الدائرة الفردية، فإنّه أولاً دائم التربص ودائم العرض للجنوح، وكلّما رفض الإنسان الغواية فإنّه يعيدها بانتظار أن يقبل، فإن قبل فإنّه يطلب إليه تكرار المعصية، ولربّما زهد في فعل الخير وليس معصية. ولهذا فإن الأحاديث تأمر الناس بعدم الحوم حول الحرمات لأنّه يسهل الوقوع فيها.

وبالطبع إن الخطوة الأولى تتمثل في الحفاظ على أولياءه في دائرة السلب عن طريق شحن عواطفهم بمشاعر رفض الهدى والتمنع عليه، وخصوصاً أولئك الذين يجعل منهم منتفعين من بقاء الضلال، ونحن نلاحظ والد إبراهيم‬ﷺ الذي كان يعيش على صناعة الأصنام، وأبو سفيان الذي كان منتفعاً من وجود الأصنام في مكة لأنّه يحفظ لقريش الهيئة وبالتالي سيادة أبا سفيان على قريش والعرب عموماً.

وهؤلاء طبعاً يشكلون أرضية القطب السالب وبقاءهم في دائرة السلب ويتيح لقوى السلب استئناف الدور في الأطوار القادمة من خلالهم. وهذا

ما حصل فعلاً إذ أن آل أبي سفيان قلبوا الإسلام إلى ملكية وراثية وأعادوا العصبية القبلية وخاضوا صراعات كبيرة حتّى حققوا هذا الأمر.

ومن هنا فإن إبليس ينجح في البدء بتمرير خيط ثم لا يلبث أن يوسع هذا الخيط عن طريق جمع الأنصار والاستفادة من الأخطاء ونقاط الضعف لتكريس الوجود السالب؛ لأنّه يعمل على ايقاع العصيان عند كل فرد ثم يعمل على إيصاله إلى أقصى حالاته وأطولها في الامتداد الزمني، ثم يعمل اجتماعياً على صناعة تكتلات من هؤلاء الأفراد ليحصن بهم حيلة حفاظاً على الامتداد التاريخي .

ومن الطبيعي أن تكون سيطرة إبليس ضعيفة لأنّها أصلاً قائمة على خيارات الإنسان، لكن هذا الضعف يتراوح بين نقطة عليا ونقطة صغرى لكنه دائماً يبقى في دائرة الضعف، لأنّ الإنسان يتحول إلى دائرة خارج سلطة الشيطان بمجرد أن يرفض طاعته، ولذلك نلاحظ أن اصرار الأنبياء عليهم السلام وهم أفراد يقوض مملكة الشيطان بسهولة لأنّها قائمة أساساً بالاعتماد، ولذا فإن مجرد انتصار الإنسان على ضعفه ونطقه بكلمة ( لا للشيطان) فإنّه ينتقل فوراً خارج دائرة سلطة الشيطان.

وعلى هذا الأساس فإن سلطة إبليس تقوم على تجميع الضعف البشري وتنظيمه ليصبح هيكلاً، ولذلك فإنّ الله يصفه بالضعف لأنّ كلمةً (لا واحدة) كافية لهدمه حتى لو بدا في بعض حالاته مهولاً ورهيباً، وسنلاحظ وكما سيأتي اعتماده على الأدوات التي سنرى أنّها عين الضعف، فهو مثلاً على الصعيد الاجتماعي يقيم نمط من العلاقات بين الأفراد الذين استحوذ عليهم وبذل قصارى جهده من خلال الوسوسة لإبقاءهم في هذا الضعف حتى يصبح بمرور الزمن عادة وجزء من شخصية الفرد ،يستمرأها هؤلاء ويألفونها وينسون الصورة السليمة فإذا بلغت درجتها القصوى في الجانب الاجتماعي ،

فإن الله سبحانه وتعالى يتدخل بتدميرها. لأنَها عندئذ تكون قادرة على القضاء على أية حالة ايجابية وعلى محاولات الاصلاح في مهدها وقبل انطلاقها، وطبعاً في مثل هذه المجتمعات فإن إبليس يصبح جباراً تقوم سلطته في عالم الانسان من خلال هيمنته على عدد من جبابرة الإنس في سلسلة من سلاسل الاستعباد حيث يكافح الإنسان للخلاص منها دون جدوى، لكنَها كما أسلفنا تقوم على أساس ترتيب الضعف حيث يكون الأضعف في القمة ثم الأقل ضعفاً فالأقل حتى يتم ترتيب هرم يكون أسفله الصالحين الذين يصبح دورهم قريب من الصفر بسبب الطبقات الهائلة التي يتم رصفها لمقاومتهم، وهذا الهرم طبعاً يعاكس الهرم الموجب إذ أن الصالحين سيكونون في قمم الهرم ثم الأصلح فالأصلح حتى يصبح الفاسدين والسلبيين قاعدة الهرم.

ولعلنا نستطيع استنتاج أن وجود هرم الطاعة بهذه الصورة المثالية لم يحصل تاريخياً لأنه حينئذٍ سيؤدي إلى انعدام فرص انتاج السلبيين، كما أن حصوله في طرف العصيان يقود إلى صدور حكم الله بالإبادة، وما دام هناك فسحة لظهور الخير والصلاح ولوعلى طريقة آسيا بنت مزاحم فإن الحكم بالإبادة لا يصدر من الله، إذ أن وجودها يعني توفر فرصة انقلاب العلاقات ووقوع التغير الإيجابي الذي يعادل استمرار حركة التاريخ .

في البداية يعمد إبليس إلى جمع المفردات في الأفراد من خلال الاستفادة من بعض الأدوات التي أشار إليها النص التي يعد أهمها هي:

الوسوسة: وهي شكل من أشكال الإيحاء، وقد دلّت النصوص أنّها المنفذ الوحيد لإبليس لجر الإنسان إلى الضلال والانحراف، وأنّه قبل الاستماع إلى هذه الوسوسة لا تقع تحت أي سلطة أو نفوذ شيطاني، وبالتالي فإن إبليس يعمد إلى محاصرة الإنسان بأكثر من سبيل لجره للخضوع بعد الإيحاء إلى

شياطين الإنس لجر الفرد المطلوب إلى المعصية، أحدها هو الإيحاء غير المباشر كما أن هناك الإيحاء المباشر الذي يقوم به الشيطان «*القرين*» بصورة متواصلة عبر التكرار والإعادة.

وقد ثبت أن هذا الايحاء من أهم الوسائل التي يتمكن بواسطته السيطرة على بعض البشر وطبعاً كما قلنا أنّهم من ذوي الإستعداد. وقد تمت الإفادة من أحد أشكاله في العلاجات وهو التنويم المغناطيسي الذي ينتهي إلى سلب إرادة الشخص النائم بصورة كليّة عبر اتّباع خطوات معلومة، وقد «أكد علماء النفس أن التنويم عبارة عن عملية ايحاءات يستخدمها المنوِّم لإعطاء الأوامر أثناءها للمنوَّم، لذلك أصبح من الضرورة بمكان اختبار الأفراد بالنسبة لقابليتهم للتنويم ،وهو اختبار يجب القيام به قبل تجربة التنويم الفعلي، ويهدف إلى معرفة قابلية هؤلاء للإيحاء وتقبلهم إياه»[(١)].

وإذا كانت الوسوسة هي نوع شبيه بعملية التنويم المغناطيسي فإنّها لا تقوم على مبدأ سلب الإرادة، إنّما تقوم على تقوية الشهوة وتهييج العواطف وبالتالي تسخير الإرادة لهما. ولهذا فإنّ الله أكد على أن عملية طرد آدم ﷺ من الجنة بعد سيطرة إبليس عليه بواسطة الوسوسة، ولذلك فإنّها سلطان إبليس على الناس كما يصرح بذلك الحديث التالي:

عن المفضّل بن عمر،قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: جعلت فداك ما لابليس من السلطان؟ قال: ما يوسوس في قلوب الناس، قلت: فما لملك الموت؟ قال: يقبض أرواح الناس، قلت: وهما مسلّطان على من في المشرق ومن في المغرب؟ قال: نعم، قلت: فما لك أنت جعلت فداك من السلطان؟ قال: أعلم ما في المشرق والمغرب وما في السماوات والأرض وما في البرّ والبحر وعدد ما فيهنّ، وليس ذلك لإبليس ولا لملك الموت[(٢)].

---

(١) التنويم المغناطيسي: ٤١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٥ - ٢٧٦.

وهنا يبين الإمام تعدد السلطات بحسب سؤال السائل، وقد بيّن أن سلطة الإمام عليه السلام هي في علم واسع يشمل العلم بما في المشرق والمغرب، وما في السماوات والأرض، وما في البر والبحر وعدد ما فيهن، وهو طبعاً يشير إلى عنصر تفوق على علم الملائكة بما فيهم ملك الموت الذي هو أحد الملائكة المقربين، وعلم الشيطان الذي ينتفع منه في الوسوسة فكل خبرات الشيطان ينتفع منها في انجاح وسوسته للناس.

وبهذا يكون الإمام عليه السلام قد أكّد لنا بأن سلطة الشيطان هي الوسوسة لأنّها أساس سيطرته على الأفراد الذين منهم يبدأ سلطته على الجماعات، فإذا تم ردم هذه الهوة فإن الشيطان سوف لن يتمكن من بلوغ مرامه بتحويل سلطته في الإطار الفردي إلى الإطار الجماعي وهذا يعني العجز التام.

جاء عن ابن عبّاس في قوله: ﴿ *من شرّ الوسواس الخنّاس* ﴾ يريد الشيطان على قلب ابن آدم له خرطوم مثل خرطوم الخنزير، يوسوس ابن آدم إذا أقبل على الدنيا وما لا يحبّ الله، فإذا ذكر الله عزّ وجلّ انخنس، يريد: رجع، قال الله تعالى: ﴿ *الذي يوسوس في صدور الناس* ﴾ ثم أخبر أنّه من الجنّ والإنس، فقال عزّ وجلّ: ﴿ *من الجنّة والناس* ﴾ يريد من الجنّ والإنس[1].

وفي هذه الرواية وصف لحالة من الغيبيّات تشرح كيفية التصاق الشيطان بقلب ابن آدم ،وهو طبعاً ربما لا يكون هذا القلب ،وربّما يكون هو،ولكنه القلب الذي بواسطته يتحرك الإنسان نحو الأفعال يدفعه بدءاً للتفكير باللذائذ وتحريك حبه للدنيا بمعناها الواسع ،أي كافة أنواع اشباع الرغبات ،فإن استجاب لها أخذ من هناك من شهوات الحلال إلى شهوات الحرام ،غير أن

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٦.

ذكر الله يدفعه إلى السكوت لأنّ ذكر الله له أثر إما على حصر الرغبة في الحلال ،أو أنه يطفئ لهب الرغبات منذ البدء وهذا يعني أن الوسوسة تتعطل ما دام الإنسان في حال ذكر،ولذلك فإن أفضل سبل قطع سيطرة الشيطان على قلب الإنسان هو الذكر.

جاء عن هشام بن الحكم قال: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: أفمن حكمته أن جعل لنفسه عدواً وقد كان ولا عدوّ له، فخلق كما زعمت إبليس فسلّطه على عبيده يدعوهم إلى خلاف طاعته ويأمرهم بمعصيته وجعل له من القوّة كما زعمت يصل بلطف الحيلة إلى قلوبهم فيوسوس إليهم فيشكّكهم في ربّهم ويلبس عليهم دينهم فيزيلهم عن معرفته حتّى أنكر قوم لمّا وسوس إليهم ربوبيّته وعبدوا سواه فَلِمَ سلّط عدوّه على عبيده وجعل له السبيل إلى إغوائهم؟ قال: إنّ هذا العدو الذي ذكرت لا يضرّه عداوته ولا ينفعه ولايته، وعداوته لا تنقص من ملكه شيئاً، وولايته لا تزيد فيه شيئاً، وإنّما يتّقى العدوّ إذا كان في قوّة يضرّ وينفع، إن همّ بملك أخذه أو بسلطان قهره، فأمّا إبليس فعبد خلقه ليعبده ويوحّده وقد علم حين خلقه ما هو وإلى ما يصير إليه، فلم يزل يعبده مع ملائكته حتّى امتحنه بسجود آدم فامتنع من ذلك حسداً وشقاوة غلبت عليه، فلعنه عند ذلك وأخرجه عن صفوف الملائكة وأنزله إلى الأرض ملعوناً مدحوراً، فصار عدوّ آدم وولده بذلك السبب، وما له من السلطنة على ولده إلاّ الوسوسة والدعاء إلى غير السبيل وقد أقرّ مع معصيته لربّه بربوبيّته[1].

ففي هذا النص تفسير لوجود إبليس وإنّه مخلوق مثل سواه ليعبد ،وقد عبد الله فعلاً وأنّه أضعف من أن يكون نداً لله، وأنّ ذريته فيهم العاصي والمطيع ولكن صلب وجودهم هو العصيان، فيقابل آدم الذي فيهم العاصي

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٥.

والمطيع وأن صلب وجودهم الطاعة ،وأن الشيطان يوسوس لبني آدم ليردى من هو أهل للردى والشقاء وأن لآدم سلطان على إبليس وذريته فيهدي من هو أهل للهداية ،فالتقابل بين آدم وإبليس، وليس بين الله وإبليس عبده كما هو شائع في الديانات القديمة.

## الخناس شيطان محدد

(( جاء عن الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: لّما نزلت هذه الآية: ﴿ *والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم* ﴾ [1] صعد إبليس جبلاً بمكّة يقال له: ثور، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه، فقالوا: يا سيّدنا لم دعوتنا؟ قال: نزلت هذه الآية، فمن لها؟ فقام عفريت من الشياطين فقال: أنا لها بكذا وكذا، قال: لست لها، فقام آخر: فقال: مثل ذلك، فقال: لست لها، فقال الوسواس الخنّاس: أنا لها، قال: بماذا؟ قال: أعدهم وأمنّيهم حتّى يواقعوا الخطيئة فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار، فقال: أنت لها، فوكّله بها إلى يوم القيامة.

بيان: في القاموس: رجل عفر وعفرية وعفريت بكسرهنّ ،خبيث منكر، والعفريت: النافذ في الأمر المبالغ فيه مع دهاء.

بإسناده ،عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الخنّاس، قال: إنّ إبليس يلتقم القلب ،فإذا ذكر الله خنس ،فلذلك سمّي الخنّاس[2])).

ففي الحديث الأول بيان لوجود أعوان للشيطان يختار منهم الرجل المناسب للمهمة المناسبة وأنّ بعضهم مبدع في اختيار الأساليب وبين كيف أنه يعمل على ايقاع المعصية ثم يعمل على تسويف التوبة ليقع الهلاك وفي

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٧.

الحديث التالي بين كيف أن إبليس يركز على القلب ليزرع النزاعات ويبذرها ثم ينتظر منها أن تكبر وتثمر ولكنه يتوقف عن ذلك عندما يذكر المرء الله وقد مر هذا المضمون فيما سبق.

أما عن كيفية الوسوسة التي مرّ أنها بمد خرطوم أو أنها بالتقام القلب فقد ورد أيضاً مايلي:

((الأوّل: كيف يعقل تمكّن الشيطان من النفوذ في داخل أعضاء الإنسان وإلقاء الوسوسة إليه؟.

والجواب: للنّاس في الملائكة والشياطين قولان:

الأوّل: ما سوى الله بحسب القسمة العقليّة على أقسام ثلاثة: المتحيّز، والحالّ في المتحيز، والذي لا يكون متحيّزاً ولا حالاً فيه.

وهذا القسم الثالث لم يقم الدليل البتّة على فساد القول به، بل الدلائل الكثيرة قامت على صحّة القول به، وهذا هو المسمّى بالأرواح فهذه الأرواح إن كانت طاهرة مقدّسة من عالم الروحانيّات المقدّسة فهم الملائكة، وإن كانت خبيثة داعيةإلى الشرور وعالم الأجساد ومنازل الظلمات فهم الشياطين.

إذا عرفت هذا فنقول: فعلى هذا التقدير الشيطان لا يكون جسماً يحتاج إلى الولوج في داخل البدن، بل هو جوهر روحانيّ خبيث الفعل مجبول على الشرّ، والنفس الإنسانيّة أيضاً كذلك، فلا يبعد على هذا التقدير أن يلقي شيء من تلك الأرواح أنواعاً من الوساوس والأباطيل إلى جوهر النفس الإنسانيّة.

وذكر بعض العلماء في هذا الباب احتمالاً ثانياً وهو أنّ النفس الناطقة البشريّة مختلفة بالنوع، فهي طوائف وكلّ طائفة منها في تدبير روح من الأرواح السماويّة بعينها، فنوع من النفوس البشرية تكون حسنة الأخلاق كريمة الأفعال موصوفة بالفرح والسرور، وسهولة الأمر، وهي تكون منتسبة إلى روح معيّن من الأرواح السماويّة وطائفة أخرى منها تكون موصوفة

بالحدّة والقسوة والغلظة وعدم المبالاة بأمر من الأمور وهي تكون منتسبة إلى روح أخرى من الأرواح السماوية، وهذه الأرواح البشريّة كالعون لتلك الروح السماويّ وكالنتائج الحاصلة وكالفروع المتفرّعة عليها، وتلك الروح السماوية هي التي تتولّى إرشادها إلى مصالحها وهي التي تخصّها بالالهامات في حالتي النوم واليقظة، والقدماء كانوا يسمّون تلك السماويّ بالطباع التّام ولا شكّ أنّ لتلك الروح السّماوية التي هي الأصل والينبوع شعب كثيرة ونتائج كثيرة، وهي بأسرها تكون من جنس روح هذا الإنسان، وهي لأجل مشاكلتها ومجانستها يعين بعضها بعضاً على الأعمال اللائقة بها والأفعال المناسبة لطبائعها.

ثمّ إنّها إن كانت خيرة طاهرة طيّبة كانت ملائكة وكانت تلك الاعانة مسمّاة بالإلهام، وإن كانت شريرة خبيثة قبيحة الأعمال كانت شياطين، وكانت تلك الإعانة مسمّاة بالوسوسة، وذكر بعض العلماء أيضاً فيه احتمالاً ثالثاً وهو أنّ النفوس البشرية والأرواح الإنسانية إذا فارقت أبدانها قويت في تلك الصفات التي اكتسبتها في تلك الأبدان وكملت فيها، فإذا حدثت نفس أخرى مشاكلة لتلك النفس المفارقة في بدن مشاكل لبدن تلك النفس المفارقة حدث بين تلك النفس المفارقة وبين هذا البدن نوع تعلّق بسبب المشاكلة الحاصلة بين هذا البدن وبين ما كان بدناً لتلك النفس المفارقة تعلّق شديد بهذا البدن وتصير تلك النفس المفارقة معاونة لهذه النفس المتعلّقة بهذا البدن ومعاضدة لها على أفعالها وأحوالها بسبب هذه المشاكلة.

ثمّ إن كان هذا المعنى في أبواب الخير والبرّ كان ذلك إلهاماً، وإن كان من باب الشر كان ذلك وسوسة، فهذه وجوه محتملة تفريعاً على القول بإثبات جواهر قدسيّة مبرأة من الحجميّة والتحيّز، والقول بالأرواح الطاهرة والخبيثة كلام مشهور عند قدماء الفلاسفة فليس لهم أن ينكروا إثباتها على رسول الله ﷺ.

وأما القول الثاني: وهو أنّ الملائكة والشياطين لا بدّ وأن تكون أجساماً، فنقول على هذا التقدير يمتنع أن يقال: إنّها أجسام كثيفة، بل لابدّ من القول بأنها أجسام لطيفة، والله سبحانه ركّبها تركيباً عجيباً، وهي أن تكون مع لطافتها لا يقبل التفرّق والتمزّق والفساد والبطلان، ونفوذ الأجرام اللطيفة في عمق الأجرام الكثيفة غير مستبعد، ألا ترى أنّ الروح الإنسانية جسم لطيف ثم إنّه نفذ في داخل عمق البدن، وإذا عقل ذلك فكيف يستبعد نفوذ أنواع كثيرة من الأجسام اللطيفة في داخل هذا البدن؟ أليس أنّ جرم النار سرى في جرم الفحم، وماء الورد سرى في ورق الورد، ودُهن السمسم سرى في جسم السمسم فكذا ههنا، فظهر بما قررنا أنّ القول بإثبات الجن والشياطين أمر لا تحيله العقول ولا تبطله الدلائل، وأنّ الإصرار على الانكار ليس إلاّ من نتيجة الجهل وقلّة الفطنة.

ولمّا ثبت أنّ القول بالشياطين ممكن في الجملة فنقول: الأخلق والأولى أن يقال: الملائكة على هذا القول مخلوقون من النور وأنّ الشياطين مخلوقون من الدخان واللهب كما قال تعالى: ﴿ **والجان خلقناه من قبل من نار السموم** ﴾[1] وهذا الكلام من المشهورات عند قدماء الفلاسفة فكيف يليق بالعاقل أن يستبعده من صاحب شريعتنا صلوات الله عليه؟ انتهى.

وقال البيضاويّ: ﴿ **فلا تلوموني** ﴾ بوسوستي فإنّ من صرّح العداوة لا يلام بأمثال ذلك ﴿ **ولوموا انفسكم** ﴾ حيث أطعتموني إذ دعوتكم، ولم تطيعوا ربّكم لمّا دعاكم ﴿ **ما انا بمصرخكم** ﴾ بمغيثكم من العذاب ﴿ **وما انتم بمصرخيّ** ﴾ بمغيثي ﴿ **إنّي كفرت بما أشركتمون من قبل** ﴾ إمّا مصدرية وهي متعلّقة بأشركتموني، أي كفرت اليوم باشراككم إيّاي من قبل هذا اليوم، أي في الدنيا بمعنى تبرأت منه

---

(١) سورة الحجر: ٢٧.

واستكبرته كقوله تعالى: ﴿ *ويوم القيامة يكفرون بشركم* ﴾ (١) أو موصولة بمعنى «من» ومن متعلّقة بكفرت أي كفرت بالذي أشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم إيأي فيما دعوتكم إليه من عبادة الأصنام وغيرها من قبل إشراككم حين رددت أمره بالسّجود لآدم.

وأشرك: منقول من شركت زيداً للتعدية إلى مفعول ثان «إنّ الظالمين» تتمّة كلامه أوابتداء كلام من الله))(٢).

وجاء حول جانب من آثار الوسوسة على وعي الإنسان مايلي:

((ذكروا أنّه يغوص في باطن الإنسان ويضع رأسه على حبّة قلبه ويلقي إليه الوسوسة، واحتجّوا عليه بما روي أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم ألاّ فضيّقوا مجاريه بالجوع.

وقال صلى الله عليه وآله: لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات والأرض.

ومن الناس من قال: هذه الأخبار لابدّ من تأويلها لأنّه يمتنع حملها على ظواهرها واحتجّ عليه بوجوه: الأوّل: أنّ نفوذ الشياطي في بواطن الناس محال لأنه يلزم إمّا اتّساع تلك المجاري أو تداخل تلك الأجسام.

والثاني: ما ذكرنا أنّ العداوة الشديدة حاصلة بينه وبين أهل الدين فلو قدر على هذا النفوذ فلم لم يخصّهم بمزيد الضرر؟.

الثالث: أنّ الشيطان مخلوق من النار، فلو دخل في داخل البدن لصار كأنّه نفذ النار في داخل البدن، ومعلوم أنّا لا نحسّ بذلك.

الرابع: أنّ الشياطين يحبّون المعاصي وأنواع الكفر والفسق، ثمّ إنّا نتضرّع بأعظم الوجوه إليهم ليظهروا أنواع الكفر والفسق فلا نجد منه أثراً ولا فائدة وبالجملة فلا نرى من عداوتهم ضرراً ولا نجد من صداقتهم نفعاً.

---

(١) سورة فاطر: ١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٦٤ - ١٦٧.

وأجاب مثبتو الشياطين عن السؤال الأول بأنّ على القول بأنّها نفوس مجرّدة فالسؤال زائل، وعلى القول بأنها أجسام لطيفة كالضوء والهواء فالسؤال أيضاً زائل.

وعن الثاني: لا يبعد أن يقال: إنّ الله والملائكة يمنعونهم من إيذاء علماء البشر.

وعن الثالث: أنّه لمّا جاز أن يقول الله تعالى لنار إبراهيم: ﴿ *يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم* ﴾[1] فلم لا يجوز مثله ههنا؟.

وعن الرابع: أنّ الشياطين مختارون ولعلّهم يفعلون بعض القبائح دون بعض))[2].

وهذا يدل على امتلاك الإنسان بالقوّة على قدرات معينة لو انتفع بها لصار كأنّه ينظر إلى ملكوت السماوات والأرض، ولكن الشياطين وبسبب من الملازمة للإنسان ولإشغاله عن طريق الوسوسة يؤدون به إلى تعطيل هذه الملكات واهدارها، فمعلوم أن هناك قدرة ذهنية عند الإنسان أنها وحدها بعيدة الفوز عظيمة الأثر. وتشير الدراسات بأنّه ورغم كل المنجزات العظيمة لم ينتفع إلا من جزء يسير من هذه القدرة، ولو انتفع بها كلها لربّما حصل على كشوفات ومعلومات عن الكون تسهل له النظر إلى ملكوت السموات في جزءها المادي المحسوس، ولعل هناك ملكات أخرى تبلغ من القوة أضعاف هذا العقل، ولو انتفع بها ايضاً لاستطاع النفوذ إلى أعماق بعيدة في الوجود. وهذه طبعاً فعّالة عند جزء يسير من أبناء البشر الذين يبلغون بها أعلى رتب العلم والمعرفة.

---

(١) سورة الأنوار: ٦٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣٢ - ٣٣٣.

ولقد استطاع العلم ادراك بعض هذه الملكات ولا تزال المساعي تتواصل من أجل بلوغ هذه الملكات والإفادة منها في تطوير معارف الإنسان وإذا كانت هذه المساعي محفزة بأسباب مادية ومصالح محدودة فإنّها في حال توفرها ستؤدي إلى معرفة العالم بدقة أكبر وهو ما يهدف إليه الدين.

ومن هنا فإن جزء رئيسي من آثار السيطرة هو حجب المعرفة التي بها يقوى التواصل مع العالم الغيبي ذلك أنّه يوجه نحو الاهتمام بالغرائز والمعاني الضيقة للعالم (اخلد إلى الأرض) وحصر وجود الإنسان بجانبه الحيواني والغاء البعد العظيم منه.

وفيما يخص الوسوسة جاء أيضاً مايلي:

## السيطرة

في تحقيق الكلام في الوسوسة على الوجه الذي قرّره الشيخ الغزاليَ في كتاب الأحياء قال: القلب مثل قبّة لها أبواب تنصبَ إليها الأحوال من كلَ باب، أو مثل هدف ترمى إليه السهام من كلّ جانب، أو مثل مرآة منصوبة يجتاز عليها الأشخاص فيتراءى فيها صورة بعد صورة، أو مثل حوض ينصبَ إليه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة، واعلم أنّ مداخل هذه الآثار المجددة في القلب ساعة فساعة إمّا من الظاهر كالحواس الخمس، وإمّا من الباطن كالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبّة في مزاج الإنسان فإنّه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب، وكذا إذا هاجت الشهوة أو الغضب حصل من تلك الأحوال آثار في القلب، وأمّا إذا منع الإنسان عن الإدراكات الظاهرة فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل الخيال من الشيء إلى الشيء وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال، فالقلب دائماً في التغيّر والتأثر من هذه الأسباب وأخصّ الآثار الحاصلة في

القلب هي الخواطر، وأعني بالخواطر ما يعرف فيه من الأفكار والأذكار، وأعني بهذا إدراكات وعلوماً إمّا على سبيل التجدّد وإمّا على سبيل التذكّر، فإنّما تسمّى خواطر من حيث أنّها تخطر بالخيال بعد أن كان القلب غافلاً عنها، فالخواطر هي المحرّكات للارادات، والإرادات محرّكة للأعضاء ثمّ إنّ هذه الخواطر المحرّكة لهذه الارادات تنقسم إلى ما يدعو إلى الشر، أعني إلى ما يضرّ في العاقبة وإلى الخير أعني ما ينفع في العاقبة، فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين، فالخاطر المحمود يسمى إلهاماً، والمذموم يسمّى وسواساً، ثمّ إنّك تعلم أنّ هذه الخواطر أحوال حادثة فلا بدّ لها من سبب، والتسلسل محال، فلابدّ من انتهاء الكلّ إلى واجب الوجود، هذا ملخص كلام الغزاليّ.

وفي تحقيق الكلام فيما ذكره الغزالي، واعلم أنّ هذا الرجل دار حول المقصود إلاّ أنّه لا يحصل الغرض إلاّ من بعد مزيد التنقيح فنقول: لابدّ قبل الخوض في المقصود من تقديم مقدّمات.

فالمقدّمة الأولى: لا شكّ أن ههنا مطلوباً ومهروباً وكل مطلوب فإما أن يكون مطلوباً لذاته أو لغيره، ولا يجوز أن يكون كلّ مطلوب مطلوباً لغيره وأن يكون كلّ مهروب مهروباً عنه لغيره وإلاّ لزم إما الدور وإمّا التسلسل، وهما محالان، فثبت أنّه لابدّ من الاعتراف بوجود شيء يكون مطلوباً لذاته ووجود شيء يكون مهروباً عنه لذاته.

المقدّمة الثانية: أنّ الاستقراء يدلّ على أنّ المطلوب بالذات هو اللّذة والسرور والمطلوب بالتبع ما يكون وسيلة إليهما، والمهروب عنه بالذات هو الألم والحزن، والمهروب عنه بالتبع ما يكون وسيلة إليهما.

المقدّمة الثالثة: أنّ اللذيذ عند كل قوّة من القوى النفسانية شيء آخر، فاللذيذ عند القوّة الباصرة شيء ،واللذيذ عند القوة السامعة شيء آخر،

واللذيذ عند القوّة الشهوانية شيء ثالث، واللّذيذ عند القوّة الغضبية شيء رابع، واللّذيذ عند القوّة العاقلة شيء خامس.

المقدّمة الرابعة: أنّ القوّة الباصرة إذا أدركت موجوداً في الخارج لزم من حصول ذلك الإدراك البصري وقوف الذهن على ما هيّة ذلك المرئي، وعند الوقوف عليه يحصل العلم بكونه لذيذاً أو مولماً أو خالياً عنهما فإن حصل العلم بكونه لذيذاً ترتب على حصول هذا العلم أو الاعتقاد حصول الميل إلى تحصيله، وإن حصل العلم بكونه مؤلماً يرتّب على هذا العلم أو الاعتقاد حصول الميل إلى البعد عنه والفرار منه وإن لم يحصل العلم بكونه مؤلماً ولا بكونه لذيذاً لم يحصل في القلب لا رغبة إلى الفرار عنه ولا رغبة إلى تحصيله.

المقدّمة الخامسة: أنّ العلم بكونه لذيذاً إنّما يوجب حصول الميل والرغبة في تحصيله إذا حصل ذلك العلم خالياً عن المعارض والمعاوق، فأمّا إذا حصل هذا المعارض لم يحصل ذلك الاقتضاء، مثاله: إذا رأينا طعاماً لذيذاً فعلمنا بكونه لذيذاً إنّما يؤثّر في الاقدام على تناوله إذا لم نعتقد أنّه حصل فيه ضرر زائد، أمّا إذا اعتقدنا أنّه حصل فيه ضرر زائد، فعندئذ يعتبر العقل كيفية المعارضة والترجيح فأيّهما غلب على ظنّه أنّه راجح عمل بمقتضى ذلك الرجحان، ومثال آخر لهذا المعنى أن الإنسان قد يقتل نفسه وقد يلقي نفسه من السطح العالي إلاّ أنّه إنّما يقدم على هذا العمل إذا اعتقد أنّه بسبب تحمّل ذلك العمل المؤلم يتخلّص عن مؤلم آخر أعظم منه أو يتوصّل به إلى تحصيل منفعة أعلى حالاً منها، فثبت بما ذكرنا أنّ اعتقاد كونه لذيذاً أو مؤلماً إنّما يوجب الرغبة والنفرة إذا خلا ذلك الاعتقاد عن المعارض.

المقدّمة السادسة: في بيان أن التقرير الذي بيّناه يدلّ على أنّ الأفعال الحيوانية لها مراتب مترتّبة ترتيباً ذاتياً لزومياً عقلياً، وذلك لأنّ هذه الأفعال مصدرها القريب هو القوى الموجودة في العضلات إلاّ أن هذه القوى صالحة

للفعل والترك فامتنع صيرورتها مصدراً للفعل بدلاً عن الترك وللترك بدلاً عن الفعل، إلاّ بضميمة تنضمّ إليها وهي الارادات، ثمّ إن تلك الارادات إنّما توجد وتحدث لأجل العلم بكونها لذيذة أو مؤلمة، ثم إن تلك العلوم إن حصلت بفعل إنسان عاد البحث الأول فيه ولزم إمّا الدور، وإما التسلسل وهما محالان، وإمّا الانتهاء إلى علوم وادراكات وتصوّرات تحصل في جوهر النفس من الأسباب الخارجة، وهي إمّا الاتصالات الفلكية على مذهب قوم أو السبب الحقيقي فهو أن الله تعالى يخلق تلك الاعتقادات والعلوم في القلب. فهذا تلخيص الكلام في أنّ الفعل كيف يصدر عن الحيوان، إذا عرفت هذا فاعلم أنّ نفاة الشياطين ونفاة الوسوسة قالوا: ثبت أنّ المصدر القريب للأفعال الحيوانيّة هو هذه القوى المركوزة في العضلات والأوتاد، وثبت أن تلك القوى لا تصير مصادر للفعل والترك إلاّ عند انضمام الميل والارادة إليها وثبت أنّ تلك الارادة من لوازم حصول الشعور بكون ذلك الشيء لذيذاً أو مؤلماً، وثبت أنّ حصول ذلك الشعور لابدّ وأن يكون بخلق الله تعالى ابتداء أو بواسطة مراتب شأن كلّ واحد منها في استلزام ما بعده على الوجه الذي قرّرناه، وثبت أنّ ترتّب كل واحد من هذه المراتب على ماقبله أمر لازم لزوماً ذاتياً واجباً، فإنّه إذا أحسّ بالشيء وعرف كونه ملائماً مال طبعه إليه، وإذا مال طبعه إليه تحرّكت القوّة إلى الطلب، وإذا حصلت هذه المراتب حصل الفعل لا محالة، فلو قدّرنا شيطاناً من الخارج وفرضنا أنّه حصلت له وسوسة كانت تلك الوسوسة عديمة الأثر، لأنّه إذا حصلت تلك المراتب المذكورة حصل الفعل سواء حصّل هذا الشيطان أو لم يحصّل وإن لم يحصل مجموع تلك المراتب امتنع حصول الفعل سواء حصّل هذا الشيطان أو لم يحصّل، فعلمنا أن القول بوجود الشيطان وبوجود الوسوسة قول باطل، بل الحق أن نقول: إن اتفق حصول هذه المراتب في الطرف النافع

سميناها بالإلهام، وإن اتّفق حصولها في الطرف الضّار سميناها بالوسوسة، هذا تمام الكلام في تقرير هذا الإشكال.

والجواب أنّ كل ما ذكرتموه حقّ وصدق إلاّ أنه لا يبعد أن يكون الإنسان غافلاً عن الشيء، فإذا ذكره الشيطان ذلك الشيء تذكّره ثمّ عند التذكر ترتّب عليه الميل إليه وترتّب الفعل على حصول ذلك الميل، فالذي أتى به الشيطان الخارجي ليس إلاّ ذلك التذكر، وإليه الإشارة بقوله تعالى حكاية عن إبليس أنّه قال: ﴿ *وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي* ﴾[(١)] إلاّ أنّه بقي لقائل أن يقول: فالإنسان إنّما أقدم على المعصية بتذكير الشيطان، فالشيطان إن كان إقدامه على المعصية بتذكير شيطان آخر لزم التسلسل وإن كان عمل ذلك الشيطان ليس لأجل شيطان آخر ثبت أن ذلك الشيطان الأوّل إنّما أقدم على ما أقدم عليه لحصول ذلك الاعتقاد في قلبه، ولابدّ لذلك الاعتقاد الحادث من محدث، وما ذاك إلاّ الله تعالى، وعند هذا يظهر أنّ الكلّ من عند الله تعالى، فهذا غاية الكلام في هذا البحث الدقيق العميق، وصار حاصل الكلام ما قاله سيّد الرسل عليه السلام وهو قوله: «وأعوذ بك منك» والله أعلم[(٢)].

وجاء أيضاً: اعلم أنّ الإنسان إذا جلس في الخلوة وتواترت الخواطر في قلبه فربّما صار بحيث كأنه يسمع في داخل قلبه ودماغه أصواتاً خفيّة وحروفاً خفيّة وكأنّ متكلماً يتكلم معه ومخاطباً يخاطبه، هذا أمر وجداني يجده كل أحد من نفسه ثمّ اختلف الناس في تلك الخواطر فقالت الفلاسفة: إنّ هذه الأشياء ليست حروفاً ولا أصواتاً، وإنّما هي تخيّلات الأصوات والحروف، وتخيّل الشيء عبارة عن حضور رسمه ومثاله في الخيال، وهذا كما أنّا إذا

---

(١) سورة ابراهيم: ٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣٣-٣٣٥.

تخيلنا صورة البحار والأشخاص، فأعيان تلك الأشياء غير موجودة في العقل والقلب، بل الموجود في العقل والقلب صورها وأمثلتها ورسومها، وهي على سبيل التمثيل جارية مجرى الصورة المرتسمة في المرآة، فإذا أحسسنا صورة الفلك والشمس والقمر في المرآة، فإن ذلك ليس بأنّه حضرت ذوات هذه الأشياء في المرآة فإن ذلك محال، وإنّما الحال في المرآة رسوم هذه الأشياء وصورها وأمثلتها فإذا عرفت هذا في تخيّل المبصرات فاعلم أنّ الحال في تخيّل الحروف والكلمات المسموعة كذلك، فهذا قول جمهور الفلاسفة، ولقائل أن يقول: هذا الذي سمّيته بتخيّل الحروف والكلمات هل هو مساو للحروف في الكلمة في الماهيّة أو لا؟ فإن حصلت المساواة فقد عاد الكلام إلى أنّ الحاصل في الخيال عند تخيّل البحر والسّماء حقيقة البحر والسّماء، وإن كان الحق هو الثاني وهو أنّ الحاصل في الخيال شيء آخر مخالف للمبصرات والمسموعات، فحينئذ يعود السؤال وهو أنّا كيف نجد من أنفسنا صور هذه المرئيّات؟ وكيف نجد من أنفسنا هذه الكلمات والعبارات وجدانا لا نشكّ أنها حروف متوالية على العقل متعاقبة على الذهن؟ فهذا منتهى الكلام في كلام الفلاسفة، وأمّا الجمهور الأعظم من أهل العلم فإنّهم سلّموا أنّ هذه الخواطر المتوالية المتعاقبة حروف وأصوات خفيّة.

واعلم أنّ القائلين بهذا القول قالوا: فاعل هذه الحروف والأصوات إمّا ذلك الإنسان أو إنسان آخر، وإمّا شيء روحاني مباين يمكنه إلقاء هذه الحروف والأصوات إلى هذا الإنسان، سواء قيل: إن ذلك المتكلّم هو الجنّ والشياطين أو الملك، وإمّا أن يقال: خالق تلك الحروف والأصوات هو الله تعالى، أما القسم الأوّل هو أنّ فاعل هذه الحروف والأصوات هو ذلك الإنسان فهذا قول باطل، لأنّ الذي يحصل باختيار الإنسان يكون قادراً على تركه، فلو كان حصول هذه الخواطر بفعل الإنسان لكان الإنسان إذا أراد

دفعها أو تركها لقدر عليه، ومعلوم أنّه لا يقدر على دفعها فإنّه سواء حاول فعلها أو حاول تركها فتلك الخواطر تتوارد على طبعه وتتعاقب على ذهنه بغير اختياره.

وأمّا القسم الثاني وهو أنها حصلت بفعل إنسان آخر فهو ظاهر الفساد، ولما بطل هذان القسمان بقي الثالث وهي أنها من فعل الجن أو الملك أو من فعل الله تعالى، وأمّا الذين قالوا: إنّ الله لا يجوز أن يفعل القبائح فاللائق بمذهبهم أن يقولوا: إن هذه الخواطر الخبيثة ليست من فعل الله تعالى، فبقي أنّها من أحاديث الجنّ والشياطين وأمّا الذين قالوا: إنّه لا يقبح من الله شيء فليس في مذهبهم مانع يمنعهم من نسبة إسناد هذه الخواطر إلى الله تعالى.

واعلم أنّ الثنوية يقولون: للعالم إلهان: أحدهما خير وعسكره الملائكة والثاني شر وعسكره الشياطين، وهما يتنازعان أبداً. وكل شيء في هذا العالم فلكل واحد منهما تعلّق به، فالخواطر الداعية إلى أعمال الخير إنّما حصلت من عساكر الله والخواطر الداعية إلى أعمال الشّر إنّما حصلت من عساكر الشيطان، واعلم أنّ القول باثبات إلهين قول باطل على ما ثبت فساده بالدلائل(١).

فالوسوسة هي أسلوب الشيطان في اصدار الأوامر إلى الإنسان وتبرز نتائجها الضارة في النهاية وكما تشير إليه هذه الآية.

ومحصّله أنّ الوسوسة هي الأداة الرئيسية لأعمال سلطة الشيطان على الإنسان ومن خلال ما سبق تبين أن الوسوسة هي عبارة عن القاءات في القلب يلقيها الشيطان في قلب الآدمي تدفعه للإستجابة. وقد أثبت العلم الحديث أن هذه الالقاءات ذات آثار كبيرة وأنها يمكن أن تؤدي إلى عزل

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٣٥-٣٣٩.

الإنسان عن عالمه الخارجي ونقله إلى عوالم خاصة، وهي طبعاً تحتاج إلى خبرة ومهارة وهي عرفت بإسم التنويم المغناطيسي إذ تنتج سلطة حقيقية للمنوم على النائم وتدفعه لمسايرة الايحاءات التي يلقيها المنوم بمجرد نطقها. والعملية هي عبارة عن سلب الارادة من يد النائم وتحويلها إلى يد المنوم، وإن هذا المنوم كلما كان ماهراً استطاع أن يطيل عمر هذه السيطرة وإلاّ فإن النائم يمكن أن يستعيد ارادته وينفلت من أسر تلك السيطرة، وهناك طبعاً شروط لاحكام هذه السيطرة منها: وجود الاستعداد لدى النائم لفقد الارادة، وهذه الحالة تنشأ في العادة عند وجود ظروف خاصة مؤذية ومتعبة، إلى جانب كون هذا الإنسان من الشخصيات ضعيفة الارادة إذ أن هناك أشخاص لن تحصل معهم هذه الظاهرة.

ومن خلال هذه الظاهرة العلمية يمكننا أن نفهم أسلوب إبليس في الإيحاء [الوسوسة] فهو وكما أشرنا أنّه يبحث في العادة من خلال عملية مسح عامة لكل فرد من أفراد البشر عن مستوى الاستعداد، وبالتالي فإنّه سيحصل على مجموعة من الأفراد الذين يمتلكون استعداد للوقوع في براثن الشيطان، وهؤلاء يعانون من متاعب خاصة أو عقد (كما يسميه علم النفس) وهناك آخرين يعانون من متاعب خارجية تساهم في تفجير الاستعدادات النفسية للانحراف، فيأتي الايحاء لنقل هذه الاستعدادات إلى طور العقلية من خلال امتلاك الشيطان لهذه الخبرة، ثم أنّه غير مرئي أي أن الطرف المستعد يعتقد أنه هو الذي يوحي لنفسه، وأهم ما يوجد هنا الاصرار والملازمة إذ أن الشيطان يلازم الإنسان ويظل يعيد عليه طرح الفكرة في كل فرصة يرى أنّه فيها قريب من الاستجابة حتى ينجح إمّا مؤقتاً أو بصورة دائمة في جر الإنسان إلى استجابة مرة أو مرات بحسب هذا الإنسان.

ولعل هذا العصر هو العصر الذي ثبت فيه وبالدليل العلمي أهمية الوسوسة ودورها في توجيه الإنسان وخصوصاً في ظرف الغفلة عن هذه الوسوسة [الخناس] .

## السيطرة من خلال الاستعدادات (والعقد)

يكاد يتطابق علم النفس تطابقاً شديداً مع الأسس التي جددها الإسلام بالنسبة لحالة الإنسان والاستعدادات الموجودة لديه، ذلك أن الإسلام ينطلق من فرضية تقول بأن جميع أبناء البشر هم على استعداد للوقوع في الخطأ. وعلم النفس من هذه الناحية يقرر أيضاً بأن النفس الإنسانية معقدة، وأن كل فرد إنساني يمثل حالة خاصة لا تشبه سواها في تفاصيل الميول والدوافع حتى لو أنّها بصورة عامة تتشابه مع بقية الناس، ويمكننا أن نضرب مثالاً باللون الذي يركب من لونين فكلما زدنا في درجة أحدهما انتج لوناً جديداً، وهكذا يمكن أن تتحرك بأي من الاتجاهين لتجد أنّك أمام حالة جديدة، فإذا افترضنا أن هذين اللونين هما الأحمر والأبيض فأي نسبة من الأحمر تضيفها إلى الأبيض فإنها تنتج لوناً جديداً حتى يمكننا اشتقاق أعداد هائلة من هذا المركب، وإذا كان الإنسان مركباً من دافعين فقط كان كذلك فإن كان مركباً من عدد كبير من هذه الدوافع التي يميل كل منها باتجاهين هما الشدة والضعف أدركنا وجود عدد هائل من الحالات التي تتراوح بين الشدة والضعف في كل دافع وغريزة. وفي العادة ينظر إلى الكمال بأنّه الحالة المتوازنة أو الوسط.

علم النفس لم يتجاوز هذه الرؤية حيث قرر أن «أعراض الأمراض النفسية بقسميها النفسي والجسمي متوفرة في معظم الناس ،فالأعراض النفسية من قلق ،وفكر تسلطي ،واضطراب في المزاج والشعور بالتعب متوفرة في جميع الناس بصورة طبيعية وبدرجات مختلفة، وكذلك الحال بالنسبة في

الأعراض الجسمية على اختلاف أنواعها ،فهي كثيرة الوقوع في تجربة معظم الناس ،ويمكن اعتبارها مظهراً طبيعياً لتفاعل الإمكانيات النفسية مع الامكانيات الجسمية للفرد ،وهي دليل على التكامل والارتباط الوثيق بينهما»[١].

ولهذا «اصطلح في علم النفس ،وفي علم الاجتماع ،على أن الشخصية الطبيعية هي التي يجمع صاحبها في نفسه معدلاً متوازن التركيب من الخصائص الإنسانية التي يتقبلها المجتمع بأنها في حدود الاعتدال»[٢].

وإذا كانت أعراض الأمراض النفسية متوفرة في معظم الناس، فإن الإنسان السوي هو الذي سيكون قادراً على ضبط أغلب هذه الأعراض بحيث تبدو غير مؤثرة رغم وجودها ذلك «أن معظم الناس في المجتمع يقعون في مجمل خصائصهم الشخصية ضمن الحدود المعروفة للشخصية الطبيعية، على أنّهم مع ذلك يختلفون من حيث بروز صفة أو أكثر من الصفات الكثيرة المكونة للشخصية وبروز هذه الصفات بدرجات متفاوتة وباتجاهات مختلفة ،هو الذي يعطي للشخصية علاماتها الاجتماعية الفارقة ،وليس هنالك من دلالة نفسية أو امكانية مرضية تنتج بالضرورة عن مثل هذا التنوع من صفات الشخصية ،وإلى جانب ذلك فهنالك نسبة ليست بالقليلة من مجموع الناس ممن تظهر فيهم بعض صفات الشخصية بشكل واضح بحيث تطغى هذه الصفات على غيرها من الصفات الطبيعية الأخرى»[٣].

كما «أن انحراف الشخصية في اتجاه لا يدل على أن صاحب الشخصية مصاب بمرض نفسي ،أو اضطراب عقلي ،وقد لا يزيد الأمر في دلالته على أن

---

(١) النفس ـ انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: ٣٣.

(٢) المصدر نفسه: ١/٧٩.

(٣) النفس ـ انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: ١/٨٠.

كيان الشخصية قد استقر على جانب واحد بدلاً من استقراره على الوسط»[١].

فهنا ما نريد الإشارة إليه أن عدم التوازن قد يوجد بصورة طبيعية عند البشر لكنّه يمكن أن يكون بلا أثر؛ لأن الإنسان يمكن أن يعادل تأثير هذا التوازن من خلال عوامل التربية، والاستفادة من الارادة ومن التجارب التي تكشف الآثار المضرة للاستجابة للدوافع غير الطبيعية الموجودة بصورة فطرية عند الكثير من البشر.

وتبعاً لهذا الاستعداد تم تقسيم الناس إلى عدد من الشخصيات منها: الشخصية الطبيعية وهي طبعاً شخصية نادرة الوجود ذلك «من السهل علينا أن نقرر من هو المريض بيننا من أن نقرر من هو الطبيعي أو السوي أو السليم. ولعل هذا القول يعكس ما يراه بعض الأخصائيين من أن جميع الناس مرضى بالأمراض النفسية، وأن الأمر لا يتعدى فرق الدرجة بين الفرد والآخر. ومثل هذا الرأي له ما يسنده ، وفيه غير القليل من الصحة»[٢].

ولذلك فإن هناك تقسيمات عديدة للشخصيات غير الطبيعية، وقد قام علماء النفس بوضع أسس مختلفة لهذه التقسيمات، ويمكن أن نذكر منها الشخصية الانطوائية (وهي أحد قطبي التقسيم الذي جاء به يونغ إلى شخصية انطوائية وانبساطية)[٣].

وهناك الشخصية الشيزية، (الشخصية الكئيبة) «الشخصية المتقلبة» «الشخصية القلقة» «الشخصية التسلطية الالزامية» «الشخصية الشكاكة»

---

(١) النفس ـ انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: ١/ ٨٠.

(٢) المصدر نفسه: ١/ ٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ١/ ٨٤.

«الشخصية السايكوباثية» «الشخصية الهستيرية» وهناك الكثير من هذه التقسيمات التي تخرج عن مناط اهتمامنا.

وهذا عدم الاتزان يوجد بشكل طبيعي، لكن هناك نوع آخر من عدم الاتزان الذي يعد حالة مرضية وخروج عن الوضع الطبيعي، وهو عادة ما يعرف بالأمراض النفسية التي تشمل «عدداً هائلاً من الأعراض المرضية، منها ما يقع ضمن حدوج الشعور والتحسس الداخلي للمريض ،ومنها ما يدركه على شكل اضطراب في وظيفة عضو أو آخر من أعضاء الجسم وأجهزته، ومنها ما ينعكس في سلوك الفرد وتعامله مع محيطه الحياتي»[١].

هذه الأمراض بعضها يجعل المريض آلة من آلات الانحراف، فالقسوة مثلاً في مرحلة الطفولة تجعل من الطفل عندما يكبر يشعر بحالة من الضغط النفسي أو الميل الشديد للعنف أو الجنوح رداً على ما تعرض له من انتهاك في فترة الطفولة، وهذه عقد الاضطهاد وغيرها من العقد تصيب الإنسان بحالة من العمى الذي يحجبه عن رؤية الحقيقة وخضوعه باستمرار لعاطفة الرغبة في الانتقام، فهذه المشاعر تصبح حجباً تعمى البصيرة وتولد لدى الآخرين آثار مشابهة لأنهم من سيقع عليهم رد الفعل، وبدورهم سيحاولون القيام بردود أفعال، وبذلك تتحول إلى سلسلة تصبح دائرة كبيرة من المجتمع. بعدما تبين لنا من البحوث السابقة بأن الوسوسة هي الأداة الرئيسية لسيطرة إبليس على الإنسان فإننا هنا نبحث في كيفية الافادة من هذه الوسوسة، وهي طبعاً تتجه اتجاهين الأول فردي والثاني اجتماعي، وبالطبع إن الاتجاه الفردي هو الأساس لأنّه هو الذي يكون أداة موظّفة في خلق الخروقات الاجتماعية، ولذلك فإننا لابد أن نلتفت إلى أهمية الاستفادة من الوسوسة على الصعيد الفردي، وكما قلنا أن الوسوسة تعتمد على الاستعدادات وهذه

---

(١) النفس ـ انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: ١/٥٦.

الاستعدادات، متنوعة والتي يمكن أن نطلق عليها [العقد] وهي الجزء الرئيسي من هذه الاستعدادات لكن هناك أيضاً ميول أخرى كالكسل أو الميل الشديد للاستمتاع فإنّها أيضاً من مداخل السيطرة وفي النهاية فإنّها جملة من الخصوصيات الأخلاقية والنفسية التي تسهل عملية السيطرة لأنّها تخلق أرضية القبول بالوسوسة، ومنها ينفتح الطريق تصاعدياً باتجاه المزيد من المعاصي ولهدف تأصليها عند الفرد، ثم الافادة منها وتحويلها إلى ظاهرة اجتماعية لا يمكن التصدي لها وايقافها إلاّ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلاّ فإنّها ترسخ وتحول المجتمع إلى مجتمع سلبي. وفي الأحاديث الآتية سنلاحظ عدد من الخصوصيات الأخلاقية والنفسية تمثل أرضية تقبل الخضوع لسلطة الشيطان، ومتى وجدت هذه الاستعدادات أو الخصوصيات كان الإنسان مؤهلاً في هذه الزاوية للخضوع لكنه ليس بالضرورة أن يخضع إذ قد يكون متمتعاً بإرادة قوية تمنع من تحويل هذه الاستعدادات إلى حالة فعلية. وأهم هذه العوامل هي المعرفة بوجود الاستعداد ووجود الارادة ووجود دوافع الامتناع أو رفض الخضوع.

وإن ما أشارت إليه الآيات أن تحولها إلى حالة الفعل أيضاً يحتاج إلى ظروف خارجية من قبيل وجود الخمر والميسر، فالخمر هو سائل يؤدي إلى ضعف الارادة لأنّه يضعف العقل، والميسر هو عملية صراع نفسي من أجل الربح حيث يصبح الإنسان في حالة من التوتر تسهل عليه الانزلاق والوقوع في الخطأ الذي يكون الشيطان حاضراً للايحاء به.

وقد أشارت السورة التالية إلى أن عموم أوامر الشيطان هي أوامر سلبية تتركز في ثلاث عناصر تأسيسية للكفر وهي: السوء وهو طبعاً العلاقات السيئة، والفحشاء الاشباع غير السليم للغرائز، والعنصر الثالث هو تخريب المعتقدات السليمة بالتقول على الله تأويلاً للنصوص أو بالكذب على الله أو ما شاكل من المدعيات.

ففي هذه الآية بيان للمداخل الرئيسية التي يصل بواسطتها إبليس إلى خلق الانقلاب السالب، فكل من هذه المداخل يمكن أن يفضي بذاته إلى حالة سلبية، فإذا سادت علاقات سيئة من قبيل الصراعات المذهبية والحزبية أو علاقات البيع والشراء أو الانقسامات الطبقية والعرقية فإنّها كافية لتأسيس حالة سلبية. وكذلك بالنسبة للعلاقات الفاحشة فإنّها يمكن أن تسوق المخاطر حتى إذا كانت ضمن مجتمعات سليمة من الجوانب الأخرى، أما التقول على الله فإنّه السلاح الرهيب الذي يتم من خلاله تخريب الأديان وهي الحالة التي أصابت جميع الديانات، كما هو حاصل فعلاً حيث تعمد الأمم إلى الكذب على الله وعلى الرسول ﷺ وقد أشار الإمام علي ﷺ في خطبه إلى هذه القضية عندما شرح نشوء الفتن ونشوء الشبهات، وهذه الفتن والشبهات تبدأ في مفصل واحد وهو غالباً ما يكون الزعامة ثم يمتد ليغير الدين كله. ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى لم يترك لكل من هبّ ودبّ تفسير الدين أو قيادته بل يختار الأمناء والعلماء لأنهم أقدر على منع التقول على الله.

وقد جاء في تفسير الآيات مايلي:

قوله تعالى: ﴿ ***ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنّه لكم عدوّ مبين * إنّما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون*** ﴾ [1].

تفسير: «ولا تتّبعوا خطوات الشيطان» قال البيضاوي: لا تقتدوا في اتّباع الهوى فتحرّموا الحلال وتحلّلوا الحرام « إنّه لكم عدوٌ مبين» ظاهر العداوة عند ذوي البصيرة وإن كان يظهر الموالاة لمن يغويه، ولذلك سمّاه وليّاً في قوله: «أولياؤهم الطاغوت».

قوله تعالى: « إنّما يأمركم بالسّوء والفحشاء» بيان لعداوته ووجوب التحرّز عن متابعته واستعير الأمر لتزيينه وبعثه لهم على الشرّ تسفيهاً لرأيهم

---

(١) سورة البقرة: ١٦٨-١٦٩.

وتحقيراً لشأنهم، والسّوء والفحشاء: ما أنكره العقل واستقبحه الشرع، والعطف لاختلاف الوصفين فإنّه سوء لاغتمام العاقل به، وفحشاء باستقباحه إيّاه.

وقيل: السّوء يعمّ القبائح، والفحشاء ما يجاوز الحدّ في القبح من الكبائر.

وقيل: الأوّل ما لا حدّ فيه، والثاني ما شرع فيه الحدّ، « وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» كاتّخاذ الأنداد وتحليل المحرّمات وتحريم الطيّبات.

وقال الرازي: اعلم أنّ أمر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر التي نجدها في أنفسنا، وقد اختلف الناس في هذه الخواطر من وجوه:

أحدها: اختلفوا في ماهيّاتها، فقال بعض: إنّها حروف وأصوات خفيّة، قالت الفلاسفة: إنّها تصوّرات الحروف والأصوات وأشباهها وتخيّلاتها على مثال الصور المنطبعة في المرايا فإنّ تلك الصور تشبه تلك الأشياء من بعض الوجوه وإن لم تكن مشابهة لها من كلّ الوجوه، ولقائل أن يقول: صور هذه الحروف وتخيّلاتها هل تشبه هذه الحروف في كونها حروفاً أولا تشبهها؟ فإن كان الأوّل فتصوّر الحروف حروف، فعاد القول إلى أن هذه الخواطر أصوات وحروف خفيّة، وإن كان الثاني لم يكن تصوّرات هذه الحروف حروفاً لكني أجد من نفسي هذه الحروف والأصوات مترتبة منتظمة على حسب انتظامها في الخارج والعربي لا يتكلّم في قلبه إلاّ بالعربيّة، وكذا الأعجمي. وتصوّرات هذه الحروف وتعاقبها وتواليها في الخارج، فثبت أنّها في أنفسها حروف وأصوات خفيّة.

وثانيها: أنّ فاعل هذه الخواطر من هو؟.

أمّا على أصلنا أنّ خالق الحوادث بأسرها هو الله تعالى فالأمر ظاهر.

وأمّا على أصل المعتزلة فهم لا يقولون بذلك.

وأيضاً فإن المتكلم عندهم من فعل الكلام، فلو كان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى وفيها ما يكون كذباً لزم كون الله تعالى موصوفاً بذلك تعالى الله عنه.

ولا يمكن أن يقال أنّ فاعلها هو العبد، لأنّ العبد قد يكره حصول تلك الخواطر ويحتال في دفعها عن نفسه، مع أنّها البتّة لا يندفع بل ينجرُ البعض إلى البعض على سبيل الاتّصال، فإذاً لابد ههنا من شيء آخر، وهو إما الملك وإمّا الشيطان، فلعلّهما متكلّمان بهذا الكلام في أقصى الدماغ، أو في أقصى القلب، حتّى أنّ الإنسان وإن كان في غاية الصمم فإنّه يسمع هذه الحروف والأصوات.

ثمّ إن قلنا: بأنّ الشيطان والملك ذوات قائمة بأنفسها غير متحيّزة البتّة لم يبعد كونها قادرة على مثل هذه الأفعال، وإن قلنا: بأنّها أجسام لطيفة لم يبعد أيضاً أن يقال: إنّها وإن كانت لا تتولّج بواطن البشر إلاّ أنهم يقدرون على إيصال هذا الكلام إلى بواطن البشر.

ولا يبعد أيضاً أن يقال: إنّها لغاية لطافتها تقدر على النفوذ في مضائق بواطن البشر ومخارق جسمه، وتوصل الكلام إلى قلبه ودماغه، ثم إنّها مع لطافتها تكون مستحكمة التركيب بحيث يكون اتّصال بعض أجزائه بالبعض اتّصالاً لا ينفصل، فلا جرم لا يقتضي نفوذها في هذه المضائق والمخارق انفصالها وتفرّق أجزائها، وكلّ هذه الاحتمالات ممّا لا دليل على فسادها، والأمر في معرفة حقائقها عند الله تعالى، وممّا يدلّ على إثبات إلهام الملائكة بالخير قوله تعالى: ﴿ *إذ يوحي ربّك إلى الملائكة أنّي معكم فثبّتوا الذين آمنوا* ﴾ [1] أي ألهموهم بالثبات، ويدلّ عليه من الأخبار قوله ﷺ: «للشيطان لمّة بابن آدم وللملك لمّة».

---

(١) سورة الأنفال: ١٢.

وفي الحديث أيضاً: «إذا ولد المولود لبني آدم قرن إبليس به شيطاناً وقرن الله به ملكاً، فالشيطان جاثم على أذن قلبه الأيسر، والملك قائم على أذن قلبه الأيمن فهما يدعوانه».

ومن الصوفيّة والفلاسفة من فسّر الملك الداعي إلى الخير بالقوّة العقليّة، وفسّر الشيطان الداعي إلى الشرّ بالقوّة الشهوانيّة والغضبيّة، ودلّت الآية على أنّ الشيطان لا يأمر إلاّ بالقبائح لأنّ الله تعالى ذكره بكلمة إنّما وهي للحصر، وقال بعض العارفين: إنّ الشيطان قد يدعو إلى الخير لكن لغرض أن يجرّه منه إلى الشرّ، وذلك أنواع: إمّا أن يجرّه من الأفضل إلى الفاضل السهل أو من السهل إلى الأفضل الأشق ليصير ازدياد المشقّة سبباً لحصول النفرة عن الطّاعة بالكليّة[1].

## أدوات السيطرة

أما بالنسبة للأدوات المادية فقد جاء مايلي:

قال تعالى: ﴿ *إنّما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصّلاة فهل أنتم منتهون* ﴾[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿ *إنّما يريد الشيطان* ﴾ الخ أمّا وجه العداوة في الخمر فإنّ الظاهر فيمن يشربها أنّه يشربها مع جماعة ويكون غرضه من ذلك الشرب أن يستأنس برفقائه ويفرح بمحادثتهم ومكالمتهم، وكان غرضه من ذلك الاجتماع تأكيد الألفة والمحبّة إلاّ أن ذلك ينقلب في الأغلب إلى الضدّ، لأنّ الخمر تزيل العقل وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٣٩ - ١٤٢.

(٢) سورة المائدة: ٩١.

مدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأحباب، وتلك المنازعة ربّما أدّت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش وذلك يوجب أشدّ العداوة والبغضاء.

وأمّا الميسر ففيه بإزاء التوسعة على المحتاجين الأجحاف بأرباب الأموال، لأنّ من صار مغلوباً في القمار مرّة دعاه ذلك إلى اللجاج فيه على رجاء أنّه ربما صار غالباً فيه، وقد يتّفق أن لا يحصل له ذلك إلى أن لا يبقى له شيء من المال وإلى أن يقامر على لحيته وأهله وولده، ولا شكّ أنّه يبقى بعد ذلك فقيراً مسكيناً ويصير من أعدى الأعداء لأولئك الذين كانوا غالبين له، فظهر أنّ الخمر والميسر سببان عظيمان في إثارة العداوة والبغضاء بين الناس، ولا شكّ أن شدّة العداوة والبغضاء تفضي إلى أحوال مذمومة من الهرج والمرج والفتن وكلّ ذلك مضارّ لمصالح العالم، وأشار إلى المفاسد الدينيّة بقوله تعالى: ﴿ ***ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة*** ﴾[1].

إذا كانت الخصومات والنزاعات هي عنصراً رئيسياً في إضعاف المجتمعات فإن الشيطان بما أنه يهدف إلى اضعافها لغرض السيطرة عليها، فلذلك فإنه يسعى إلى امتلاك عوامل النزاع مهما كانت بسيطة أو محدودة التأثير، وهذا الأمر لا يختلف بالنسبة لأوليائه الذين يتيحون للشيطان فرص أفضل للتسلط عليهم حينما لا يكونون متحدين ومتفاهمين، إذ يمكن له أن يضرب بعضهم ببعض لفرص الحصول على أفضل فرص السيطرة. ومن هذه الأدوات هي الخمر والميسر إذ غالباً ما تكون النزاعات بين الأفراد مقدمة لنزاعات أوسع وخصوصاً في المجتمعات القبلية الذي تؤدي النزاعات بين الأفراد إلى حرب طويلة، أو إلى نفس تقطيع الروابط الأسرية والاجتماعية أو صلات الأرحام حيث يعيش الإنسان نوع من الوحدة التي تمكن الشيطان منه، ولذلك فإن الله

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٨ - ١٤٩.

أمر بالتواصل وصلة الأرحام ونهي في نفس الوقت عن الوحدة والعزلة؛ لأنها أحد الظروف التي تمكن للشيطان من السيطرة على الإنسان كما ورد في بعض الروايات.

وهكذا نلاحظ وجود آثار في كل ما نبه إليه القرآن آثار بعيدة الغور تؤسس لسيطرة الشيطان، وأن العمل على منع هذه المداخل يؤدي إلى تجنب الآثار تمشياً مع طريقة القرآن في علاج المشكلات الاجتماعية وغير الاجتماعية وهي طريقة الوقاية قبل العلاج، فهو يؤسس لعدم بروز المشكلة وعدم السماح لها بالظهور وعندما تظهر فإنّه حينئذن قد أعد العلاج.

فهنا نلاحظ وجود آثار فردية وآثار جماعية لكل من هذه المداخل، فهي تؤسس مثلاً إلى الانشغالات الكاذبة وا لعزوف عن الكسب المنتج والسعي لجمع الثروات عن طريق الكسب السهل دون أن يحدث ذلك فعلاً، وهذا طبعاً له أثر اجتماعي وفردي وأيضاً له آثار عائلية أهمها تخريب الأسر والعلاقات الأسرية.

وقد لفت القرآن الأنظار إلى نقطة هامة في عملية الاغواء وهي عملية (النزغ) فجاء:

﴿ *إن الشيطان ينزغ بينهم* ﴾ أي يفسد بينهم ويغري بينهم ﴿ *إنّ الشيطان كان للإنسان عدوّاً مبيناً* ﴾ أي العداوة الحاصلة بين الشيطان وبين الإنسان عداوة قديمة.

﴿ *وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ* ﴾ أي نخس به شبّه وسوسته لأنّها بعث على ما لاينبغي كالدفع بما هو أسوأ، وجعل النزغ نازغاً على طريقة جدّ جدّه، أو أريد به نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر ﴿ *فاستعذ بالله إنّه هو السميع* ﴾ لاستعاذتك «العليم» بنيّتك أو بصلاحك ﴿ *ومن يعش عن ذكر الرحمن* ﴾ يتعامى ويعرض عنه لفرط اشتغاله بالمحسوسات أو انهماكه في الشهوات ﴿ *نقيّض* ﴾ نقدّر ونسبّب له ﴿ *شيطاناً فهو له قرين* ﴾ يوسوسه ويغويه دائماً.

وفي الخصال عن أمير المؤمنين ﷺ: من تصدّى بالإثم أعشى عن ذكر الله تعالى، ومن ترك الأخذ عمّن أمر الله بطاعته قيّض له شيطاناً فهو له قرين[1].

فالنزغ إذن هو لحظة اصدار الأمر من قبل الشيطان للإنسان بتحويل التصرف إلى فعل سواء كان عداوة، أي شحن النفس بعوامل الكراهية والمبالغة في تصوير الوقائع، أو أنواع النزغ الأخرى أي لحظات تحويل الكراهية إلى فعل ينطوي على الايذاء بأي شكل سواء القتل أو الضرب أو الانتقام أو السرقة. فهذه اللحظات هي اللحظات الأخطر لأنها هي الحصيلة المتوخاة من الوسوسة، وهي التي تترتب عليها آثار أشد خطورة إذ أنّها تتحول بالتكرار إلى جزء من الأخلاق، وبالتالي يضعف الوازع المضاد وربما ازداد الأمر وتحول إلى رغبة يتوق الإنسان للقيام بها.

وهذه النزاعات التي تتحول إلى سوابق ذات أثر خطير على حصول الرين أو العمى عن الحقيقة فيقع فريسة ولهذا ورد التحذير من ذلك .

قال تعالى: ﴿ ***وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغٌ فاستعذ بالله إنّه سميع عليم ❖ إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائفٌ من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ❖ وإخوانهم يمدّونهم في الغيّ ثمّ لا يقصرون*** ﴾[2].

قوله تعالى: «وإمّا ينزغنّك» قال الطبرسي قدّس سرّه: معناه يا محمّد إن نالك من الشيطان وسوسة في القلب.

والنزغ: الازعاج بالاغواء وأكثر ما يكون ذلك عند الغضب، وأصله الازعاج بالحركة.

وقيل: النزغ: الفساد، ومنه ﴿ ***نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي*** ﴾ أي أفسد قال الزجّاج: «النزغ» أدنى حركة تكون، ومن الشيطان أدنى وسوسة « فاستعذ

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠٠-٢٠٢.

(٢) سورة البقرة: ١٦٨-١٦٩.

بالله» أي سل الله عزّ اسمه أن يعيذك منه « إنّه سميع» للمسموعات « عليم» بالخفيّات.

وقيل: سميع لدعائك، عليم بما عرض لك، وقيل: النزغ: أوّل الوسوسة، والمسّ لا يكون إلاّ بعد التمكن، ولذلك فصّل الله سبحانه بين النبيّ وغيره فقال للنبي ﷺ: « وإمّا ينزغنّك» وقال للناس: «إذا مسّهم طائف» معناه إذا وسوس إليهم الشيطان وأغراهم بمعاصيه «تذكروا» ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبونه ويتركونه، قال الحسن: يعني إذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه، وقال ابن جبير: هو الرجل يغضب الغضبة فيتذكّر ويكظم غيظه، وقيل: طائف غضب وطيف جنون. وقيل: معناهما واحد « فإذا هم مبصرون» للرشد « وإخوانهم يمدّونهم في الغيّ» معناه وإخوان المشركين من شياطين الجنّ والإنس يمدّونهم في الضلال والمعاصي، أي يزيدونهم فيه ويزيّنون لهم ما هم فيه « ثم لا يقصرون» ثم لا يكفّون يعني الشياطين عن استغوائهم ولا يرحموتهم، وقيل: معناه وإخوان الشياطين من الكفّار يمدّهم الشياطين في الغيّ، ثم لا يقصرون هؤلاء كما يقصر الذين اتّقوا، وقيل: معناه ثمّ لا يقصر الشياطين عن إغوائهم ولا يقصّرونهم عن ارتكاب الفواحش[1].

وفي حال عدم الحذر فإن المحذور سيقع وتحصل حالة الاستيناس بالمعاصي التي ذكرتها الآية التي ورد في تفسيرها مايلي:

قال تعالى: ﴿ ***وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي جارٌ لكم فلمّا تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إنّي بريء منكم إني أرى ما لا ترون إنّي أخاف الله والله شديد العقاب*** ﴾[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٥٨-١٥٩.

(٢) سورة الأنفال: ٤٨.

وقال رحمه الله في قوله سبحانه: « وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم» أي واذكروا إذ زيّن الشيطان للمشركين أعمالهم، أي حسّنها في نفوسهم، وذلك أنّ إبليس حسّن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتل النبيّ صلى الله عليه وآله، «وقال لاغالب لكم اليوم من الناس» أي لا يغلبكم أحد من الناس لكثرة عددكم وقوّتكم «وإنّي» مع ذلك «جار لكم» أي ناصر لكم ودافع عنكم السوء، وإنّي عاقد لكم عقد الأمان من عدوّكم، « فلمّا تراءت الفئتان» أي التقت الفرقتان « نكص على عقبيه» أي رجع القهقري منهزماً وراءه « وقال إنّي بريء منكم إنّي أرى ما لاترون» أي رجعت عمّا ضمنت لكم من الأمان والسلامة لأنّي أرى من الملائكة الذين جاءوا النصر المسلمين « ما لاترون» وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه « إنّي أخاف الله» أي أخاف عذاب الله على أيدي من أراهم «والله شديد العقاب» لا يطاق عقابه.

وفي كلام الشيخ المفيد أبي عبد الله محمّد بن محمّد بن النعمان ـ ره ـ أنّه يجوز أن يقدر الله تعالى الجنّ ومن جرى مجراهم على أن يتجمّعوا ويعتمدوا ببعض جواهرهم على بعض حتّى يتمكّن الناس من رؤيتهم ويتشبّهوا بغيرهم من أنواع الحيوان، لأنّ أجسامهم من الرقّة على ما يمكن ذلك فيها، وقد وجدنا الإنسان يجمع الهوى ويفرّقه ويغيّر صور الأجسام الرخوة ضروباً من التغيير وأعيانها لم تزد ولم تنقص، وقد استفاض الخبر بأن إبليس تراءى الأهل دار الندوة في صورة شيخ من أهل نجد، وحضر يوم بدر في صورة سراقة، وأنّ جبرئيل عليه السلام ظهر لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبيّ، قال: وغير محال أيضاً أن يغيّر الله صورهم ويكثّفها في بعض الأحوال فيراهم النّاس لضرب من الامتحان .

وقال الرازيّ في قوله تعالى: ﴿وإذ زيّن لهم الشيطان أعمالهم﴾ في كيفيّة هذا التزيين وجهان:

الأوّل: أنّ الشيطان زيّن بوسوسته من غير أن يتحوّل في صورة إنسان، وهو قول الحسن والأصمّ. الثاني: أنّه ظهر في صورة إنسان، قالوا: إنّ المشركين حين أرادوا المسير إلى بدر خافوا من بني بكر بن كنانة لأنّهم كانوا قتلوا منهم واحداً فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم، فتصوّر لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك بن جعشم من بني بكر بن كنانة وكان من أشرافهم في جند من الشياطين ومعه راية وقال: لا غالب لكم اليوم من الناس وإنّي مجيركم من بني كنانة، ولمّا رأى إبليس الملائكة تنزل نكص. وقيل: كانت يده في يد الحارث بن هشام فلمّا نكص قال له الحارث: أتخذلنا في هذه الحال؟ ﴿فقال إني أرى ما لا ترون﴾ ودفع في صدر الحارث وانهزموا. وفي هذه القصّة أسئلة وهي :

الأوّل: ما الفائدة في تغيير صورة إبليس إلى صورة سراقة؟ والجواب: فيه معجزة عظيمة للرسول ﷺ ، وذلك لأنّ كفار قريش لما رجعوا إلى مكّة قالوا: هزم الناس سراقة، فقال: ما شعرت بمسيركم حتّى بلغتني هزيمتكم ،فعند ذلك تبيّن للقوم أن ذلك الشخص ما كان سراقة بل كان شيطان .

الثاني: أنّه تعالى لما غيّر صورته إلى صورة البشر فما بقي شيطاناً بل صار بشراً؟.

والجواب: لا نسلم فإنّ الإنسان إنّما كان إنساناً بجوهر نفسه الناطقة ونفوس الشياطين مخالفة لنفوس البشر، فلم يزل من تغيير الصورة تغيير الحقيقة، وهذا الباب أحد الدلائل السمعية على أن الإنسان ليس إنساناً بحسب بنيته الظاهرة وصورته المخصوصة إلى آخر كلامه في هذا المقام[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٥٩ ـ ١٦١.

وتبين الآية أن مجمل ما يسوغه الشيطان ويجمّله في عينه ينطوي على مقلب ومزلق خطير، يقود إلى وقوع الإنسان في خطر المعصية التي تكون باب من أبواب جهنم، وهو أشد الأخطار التي يمكن أن تهدد وجود الإنسان الفعلي والمستقبلي، فالدخول إلى النار يعني الحرمان من فرصة البقاء في النعيم. ذلك أن البقاء في النار أشد إيلاماً من التلاشي والفناء، ولذلك فإن أهل النار يتمنونه﴿ *يامالك ليقض علينا ربك*﴾ وهذا طبعاً بالنسبة للعاقبة النهائية. أما بالنسبة للعواقب والنتائج المباشرة فإن الوضع لا يقل خطورة كما في النموذج الذي ساقته الآية حيث تأتي الوعود بالنصر والدعم، وحين تقع المعركة فإن الوفاء بهذا الدعم يتبخر ويتحمل الكافر وولي الشيطان العواقب وحده.

ومن المعلوم أن الوعود الأخرى بالاستمتاع باللذات المحرمة يكون أيضاً كذلك، وقد سماها الله فواحش لأنّ كل منها متعة تجر وراءها ألماً وضرراً، فالشيطان يذكر الإنسان باللذة ولا يلفت نظره إلى الضرر والألم سواء كان ألماً فردياً أو جماعياً أو مضاعفات هذا الضرر. والألم الذي يؤول في النهاية إلى أشكال مضاعفة على الفرد من قبيل حالة الاعتداء على المال التي يفرح بها المعتدي أولاً؛ لأنّه الفاعل ولكنه سيبكي كثيراً عندما يكون هو المعتدى عليه وهذه هي الغفلة التي يقع فيها اتّباع الشيطان، عندما ينسون أن القبول بالاعتداء يعني تشريعه وجعله سنة للجميع ستصل إليهم في نهاية المطاف أضرارها.

ولكي يفعل ذلك فإنّه لا يترك سبيلاً مهماً بدى مغفولاً عنه وهو ما أشارت إليه الآية التالية:

قوله تعالى: ﴿ *لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم*﴾ [١]

أمّا بين أيديهم فهو من قبل الآخرة لأخبرنهّم أنّه لا جنّة ولا نار ولا نشور،

---

(١) سورة الأعراف: ١٧-١٨.

وأمّا خلفهم يقول: من قبل دنياهم آمرهم بجمع الأموال، وآمرهم أن لا يصلوا في أموالهم رحماً ولا يعطوا منه حقاً، وآمرهم أن لا ينفقوا على ذراريهم وأخوفهم على الضيعة وأمّا عن إيمانهم يقول: من قبل دينهم، فإن كانوا على ضلالة زيّنتها، وإن كانوا على الهدى جهدت عليهم حتّى أخرجهم منه، وأمّا عن شمائلهم يقول: من قبل اللّذات والشهوات، يقول الله تعالى: ﴿ *ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه* ﴾[1] وأمّا قوله: ﴿ *اخرج منها مذؤماً مدحوراً* ﴾ فالمذؤم المعيب، والمدحور المقصيّ أي ملقى في جهنّم[2].

فهنا تأكيد على ضرورة الانتباه إلى الشيطان من حيث عدم تركه أي فرصة يحتمل فيها إمكانية أيقاع توقع الإنسان في تراجع باتجاه السالب بدءاً من حط درجة ايمانه انتهاءاً بسوقه لارتكاب المعاصي، ثم دفعه للاستغراق فيها ففي هذه الدائرة الواسعة من الفاعلية لابدّ لنا من انتظار الشيطان وأن الأمن من المكر سيؤدي إلى الوقوع فيه، وعلينا أيضاً أن نتوقع اللجوء إلى كل وسائل التأثير الممكنة سوا ءكانت بسيطة أو كثيرة، لغرض سد هذه المداخل.

وقد أشارت الروايات إلى أحد المداخل المهمة وهو مدخل المال حيث جاء ما يلي:

## يكمن الشيطان في جميع الأشياء

جاء عن أبي عبد الله‌ﷺ قال: إنّ الشيطان يدبّر ابن آدم في كلّ شيء ،فإذا أعياه جثم له عند المال ،فأخذ برقبته.

بيان: جثم الإنسان والطائر: لزم مكانه ،فلم يبرح أو وقع على صدره[3].

---

(١) سورة سبأ: ٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٣.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٠.

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقول إبليس لعنه الله: ما أعياني في ابن آدم فلم يعيني منه واحدة من ثلاثة: أخذ مال من غير حلّه، أو منعه من حقّه، أو وضعه في غير وجهه .

بيان: أي أيّ شيء أعجزني في إضلال ابن آدم في أمر من الأمور ومعصية من المعاصي ،فلا أعجز عن إضلاله في أحد هذه الأمور الثلاثة ،فأغويه في واحدة منها أي غالباً. [1]

فهنا تأكيد على أن المال باب الانزلاق لأنّ الإنسان يحب المال حبّاً جمّاً كما ورد في الآية: ﴿ *وتحبّون المال حُبّاً جمّاً* ﴾ [2] ومن خلال هذا الحب والاصرار على الجمع والتملك يقع خطر ولوج الشيطان، لأننا قلنا أنّه يبحث عن الاستعدادات ليحولها إلى إطار الفعلية، فكيف إذا كان الاستعداد موجود وبشكل قوي لدى الإنسان، فإن الشيطان سيعمد إلى توظيفه بالطريقة السالبة وخصوصاً الحالات التي ذكرتها الرواية، لأنّها مما يقع الإنسان في غفلة عنها وخصوصاً طريقة الانفاق، فإن الإنسان إذا امتلك مالاً عن طريق حلال سوف لن يفكر كثيراً في طريقة الانفاق لأنّه أمن على مصدر المال.

ويشير في هذه الرواية إلى جانب خطير من دور العاطفة.

قال الإمام العسكري عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنّ من تعوّذ بالله أعاذه الله، وتعوّذوا بالله أعاذه الله، وتعوّذوا من همزاته ونفخاته ونفثاته، أتدرون ما هي؟ أمّا همزاته: فما يلقيه في قلوبكم من بغضنا أهل البيت، قالوا: يا رسول الله وكيف نبغضكم بعد ما عرفنا محلّكم من الله ومنزلتكم؟ قال: أن تبغضوا أولياءنا وتحبّوا أعداءنا.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٣.

(٢) سورة الفجر: ٢٠.

قيل: يا رسول الله وما نفخاتهم؟ قال: هي ما ينفخون به عند الغضب في الإنسان الذي يحملونه على هلاكه في دينه ودنياه، وقد ينفخون في غير حال الغضب بما يهلكون به، أتدرون ما أشدّ ما ينفخون؟ وهو ما ينفخون بأن يوهموا أنّ أحداً من هذه الأمّة فاضل علينا أو عدل لنا أهل البيت، وأمّا نفثاته: فإنّه يرى أحدكم أنّ شيئاً بعد القرآن أشفى له من ذكرنا أهل البيت ومن الصّلاة علينا[1].

فمعلوم أن الحب في الله والبغض في الله من أهم التوجيهات العاطفية التي صدر الأمر بأن توجه حبّاً لأولياء الله وبغضاً لأعداءه من أجل خلق الحاجز النفسي ازاء هذه الفئات الضالة لتجنب الاشتراك معها سواء في الأفكار والتصوّرات أو الأفعال والسلوكيات هذا بالنسبة لجانب البغض بينما يؤدي جانب الحب في الله إلى التقرب من أولياء الله واتّباعهم في الأفكار والتصورات وإذا جاء النهي ﴿ *ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسّكم النار*﴾ [2] أبعاداً عن القطب السالب، فإن التوجيهات الأخرى لا تدفع إلى الاقتراب من القطب الموجب للحصول على الهدى على شكل دفقات تنقل الإنسان نقلات في أعمال القطب الموجب، ولذلك لفت الأنظار رسول الله ﷺ إلى هذا الوهم الذي وقعت فيه الأمة والذي قاد إلى فساد كبير، وهو تصوّر أن بعض الناس مهما علا إيمانهم وصلاحهم فأنهم لا يزالون في معرض هذا الخطر، ولعل هذه الناحية هي التي أوقع فيها الشيطان أمّة محمد ﷺ وقادت البعض إلى أوطأ درجات الهلاك وهو الوقوع تحت سلطة الكافرين.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٥٩ ـ ١٦١.

## وسائل التسلّط

جاء عن الرضا ،عن آبائه قال: قال عليّ بن أبي طالب إن لإبليس كحلاً وسفوفاً ولعوقاً، فأما كحله: فالنوم وأمّا سفوفه: فالغضب وأمّا لعوقه: فالكذب.

بيان: مناسبة الكحل للنوم ظاهر، وأمّا السفوف للغضب فلأنّ أكثر السفوفات من المسهلات التي توجب خروج الأمور الرديّة، والغضب أيضاً يوجب صدور ما لا ينبغي من الإنسان وبروز الأخلاق الذميمة به ويكثر منه، وفي القاموس: سففت الدواء بالكسر سفّا واستففنه: قمحته أو أخذته غير ملتوت، وهو سفوف كصبور انتهى، وأمّا اللعوق فلأنّه غالباً ممّا يتلذّذ به ويكثر منه، والكذب كذلك، وفي النهاية: فيه إنّ للشيطان لعوقاً ودسوماً، اللعوق بالفتح: اسم لما يلعق به أي يؤكل بالملعقة، والدسام بالكسر: ما يسدّ به الأذن فلا تعي ذكراً ولا موعظة[1].

عن الإمام أبي جعفر قال: قال رسول الله: إنّ لإبليس كحلاً: لعوقاً وسعوطاً، فكحله: النعاس ولعوقه: الكذب وسعوطه: الكبر[2].

وفي هذا إشارة إلى جانبين هما جانب تسهيل المعصية وجانب التقاعس عن فعل الحسنات ،فالنوم يعني التقاعس والكسل، أما الكذب فهو رأس كل ذنب والغضب فهو يطفي نور العقل وقد جاء فيه أيضاً:

وعن أبي جعفر قال: إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل

---

(١) سورة هود: ١١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٢.

الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض ،فإنّ رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك[١].

فالغضب هنا وهو حالة هياج يرتكز فيها الإنسان إلى العاطفة والغريزة فإنّه يكون أرضية للإنزلاق، ولذلك فإن المطلوب من المؤمن أن لا يقع في الغفلة وأن يكون غضبه منطلقاً من الإرادة دائماً حتى في حالات انطلاق الغريزة، وهو الذي أشرنا إليه أي أن تكون الإرادة حاكمة على العقل والغريزة وليس كما عند الحيوان أن تكون الغريزة هي الحاكمة على العقل والإرادة.

## تأخير الصلاة يفسح مجال للشيطان للمزيد

بإسناده ،عن أبي حمزة ،قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: يا ثماليّ إنّ الصلاة إذا أُقيمت جاء الشيطان إلى قرين الإمام فيقول: هل ذكر ربّه؟ فإن قال: نعم ذهب، وإن قال: لا ، ركب على كتفيه فكان إمام القوم حتّى ينصرفوا، قال: فقلت: جعلت فداك ليس يقرأون القرآن؟ قال: بلى ليس حيث تذهب يا ثماليّ إنّما هو الجهر ببسم الله الرّحمن الرحيم.

بيان: قرين الإمام: الملك الذي يحفظ عمله، أو الشيطان الذي وكّل به[٢].

ولعل في هذا الحديث تأكيد لجانب جداً مهم وهو جانب رفع الموانع، فمن الواضح أن العبادات تخلق لدى الإنسان حالة من المقاومة وتهيئ النفس لفعل ما يضاد رغبات الشيطان، ومن هنا فإن الشيطان في البدء وقبل كل شيء يعمل على ابعاد الإنسان عن هذه الموانع ولو ابعاداً جزئياً، فهو مثلاً لا يطلب

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

ترك الصلاة وإنّما تأخيرها ولو فترة بسيطة ثم إذا حصلت من الإنسان الطاعة فإنّه يكون إلى حد ما دخل في دائرة الشيطان. وهذا بحد ذاته مفتاح لا يزال يتسع ويفتح الأفق لأشياء أخرى أكبر من طاعة الآدمي للشيطان وهو طبعاً أسلوب معروف أنّه يلجأ إلى التدرج مشيراً لانحراف الإنسان.

## الخوف أسلوب سيطرة الشيطان

قال تعالى: ﴿ *إنّما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين* ﴾[1].

قوله تعالى: «إنّما ذلكم الشيطان يخوّف» قال الرازيّ: قوله: «الشيطان» خبر «ذلكم» بمعنى إنّما ذلكم المثبّط هو الشيطان «يخوف أولياءه» جملة مستأنفة بيان لشيطنته أو الشيطان صفة لاسم الإشارة، ويخوّف الخبر، والمراد بالشيطان الركب، وقيل: نعيم بن مسعود وسمّي شيطاناً لعتوّه وتمرّده في الكفر، كقوله: «شياطين الإنس والجنّ» وقيل: هو الشيطان يخوّف أولياءه بالوسوسة[2].

ويعد الخوف أحد أنواع انفعالات الإنسان الهامّة في حياته والتي توجه أفعاله، فهناك دائرة من الخوف مهمة وضرورية لبقاء الإنسان ودوام حياته، وكلما زاد عن هذه الدائرة يتحول إلى تهديد للبقاء إما الفردي أو الجماعي وأصل علاقة الخوف تشكل أساس مهم لا غنى عنه، وهو إمّا أن يكون خوفاً من الله، وهو مساوق للفطرة ويؤدي إلى نتائج تصب في صالح الإنسان وردعه عن ايذاء نفسه أو الأخرى أو الخوف من الشيطان، وهو يؤدي إلى تحول الإنسان إلى سلعة بيد شياطين الإنس والجن، فإذا خوّف الشيطان

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ١٤٥/٦٠.

أولياءه دفعهم إلى طاعته و السير حسب ما يريد. أما إذا تحرروا من هذا الخوف فإنّهم حينئذ سيسيرون بحسب الواجب الإلهي ويتحررون به من جميع أشكال الخوف الأخرى وأهمها الخضوع لشياطين الإنس والجن.

فهنا يكون الخوف سلاح اقامة المجتمع القائم على علائق الشيطان وسيلة للتسلط ولا فرق بين جميع درجاته أو أشكاله، وليس هناك خوف حسن سوى الخوف للحفاظ على الذات بالحدود التي أمر بها الله بلا زيادة أو نقصان أو الخوف من الله الذي هو سبيل النجاة من جميع الشرور.

وقد جاء في تأكيد ماذهبنا إليه مايلي:

قال تعالى: ﴿ ***ولقد خلقناكم ثم صوّرناكم ثمّ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبليس لم يكن من الساجدين ❖ قال ما منعك أن لا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ❖ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنّك من الصاغرين ❖ قال أنظرني إلى يوم يبعثون ❖ قال إنّك من المنظرين ❖ قال فبما أغويتني لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم ❖ ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ❖ قال اخرج منها مذؤماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأنّ جهنّم منكم أجمعين*** ﴾ [1] إلى آخر ما مرّ في قصة آدم.

قوله: «فبما أغويتني» قيل: أي خيّبتني من رحمتك وجنّتك، وقيل: أي صرت سبباً لغوايتي بأن أمرتني بالسجود لآدم فغويت عنده، وقيل: أي أهلكتني بلعنك إيّاي، وقيل: هذا جري على اعتقاد إبليس فإنّه كان مجبّراً « لأقعدنّ لهم» أي أرصد لهم لأقطع سبيلهم « صراطك المستقيم» أي دين الحق أو الأعمّ، وهو منصوب على الظرفيّة، وقيل تقديره على صراطك، « ثمّ لآتينّهم من بين أيديهم» الخ أي من جميع الجهات، وبأي وجه أمكنه.

---

(١) سورة الأعراف: ١١-١٨.

وقيل: من جهة دنياهم وآخرتهم ومن جهة حسناتهم وسيئاتهم ،عن ابن عباس وغيره.

وحاصله: إنّي أزيّن لهم الدنيا وأخوّفهم بالفقر وأقول لهم: لا جنّة ولا نار ولا بعث ولا حساب وأثبّطهم عن الحسنات وأشغلهم عنها وأحبّب إليهم السيئات وأحثّهم عليها، قال ابن عبّاس: وإنّما لم يقل: ومن فوقهم، لأنّ فوقهم جهة نزول الرحمة من السّماء، فلا سبيل له إلى ذلك، ولم يقل: من تحت أرجلهم لأنّ الإتيان منه موحش.

وقيل: « من بين أيديهم وعن أيمانهم» من حيث يبصرون، « ومن خلفهم وعن شمائلهم» من حيث لا يبصرون، وروي عن أبي جعفر ﷺ قال: « ثم لآتينهم من بين أيديهم» معناه أهوّن عليهم أمر الآخرة « ومن خلفهم» آمرهم بجمع الأموال والبخل بها عن الحقوق لتبقى لورثتهم قوله تعالى: « وعن أيمانهم» أفسد عليهم أمر دينهم بتزيين الضلال وتحسين الشبهة « وعن شمائلهم» بتحبيب اللّذات إليهم وتغليب الشهوات على قلوبهم.

وقال البيضاوي: « من بين أيديهم» من حيث يعلمون ويقدرون على التحرّز عنه « ومن خلفهم» من حيث لا يعلمون ولا يقدرون « وعن أيمانهم وعن شمائلهم» من حيث يتيسّر لهم أن يعلموا أو يتحرّزوا، ولكن لم يفعلوا لعدم تيقّظهم واحتياطهم، وإنّما عدّى الفعل إلى الأوّلين بحرف الابتداء لأنّه منهما متوجّه إليهم وإلى الآخرين بحرف المجاوزة لأنّ الآتي منهما كالمنحرف عنهم المارّ على عرضهم، ونظيره قولهم: جلست عن يمينه « ولا تجد أكثرهم شاكرين» مطيعين، وإنّما قاله ظنّاً لقوله: « ولقد صدّق عليهم إبليس ظنّه» لّما رأى مبدأ الشرّ فيهم متعدداً ومبدأ الخير واحداً، وقيل: سمعه من الملائكة « مذؤماً» أي مذموماً « مدحوراً» مطروداً[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٥٢-١٥٣.

وقال الرازي بعد ذكر بعض هذه الوجوه: أمّا حكماء الإسلام فقد ذكروا فيها وجوهاً أخرى:

أوّلها: وهو الأشرف الأقوى أنّ في البدن قوى أربعاً هي الموجبة لقوات السعادات الروحانيّة:

فاحداها: القوّة الخياليّة التي تجمع فيها صور المحسوسات ومثلها، وهي موضوعة في البطن المقدّم من الدماغ، وصور المحسوسات إنّما ترد عليها من مقدّمها، وإليه الإشارة بقوله: « من بين أيديهم» والقوّة الثانية: القوّة الوهمية التي تحكم في غير المحسوسات بالأحكام المناسبة للمحسوسات، وهي موضوعة في البطن المؤخر من الدماغ وإليه الإشارة بقوله: « ومن خلفهم» والقوة الثالثة: الشهوة، وهي موضوعة في الكبد وهي يمين البدن، والقوّة الرابعة الغضب، وهي موضوعة في البطن الأيسر من القلب فهذه القوى الأربع هي التي تتولّد منها أحوال توجب زوال السعادة الروحانيّة، والشياطين الخارجيّة ما لم تستعن بشيء من هذه القوى الأربع لم يقدر على إلقاء الوسوسة، فهذا هو السبب في تعيين الجهات الأربع وهو وجه حقيقيّ شريف.

وثانيها: أنّ قوله « لآتينّهم من بين أيديهم» المراد منه الشبهات المبنية على التشبيه، إمّا في الذات والصفات مثل شبهة المجسمة، و إمّا في الأفعال مثل شبهة المعتزلة في التعديل والتخويف والتحسين والتقبيح، « ومن خلفهم» المراد منه الشبهات الناشئة من التعطيل.

أمّا الأوّل: فلأن الإنسان يشاهد هذه الجسمانيات وأحوالها وهي حاضرة بين يديه فيعتقد أنّ الغائب يجب أن يكون مساوياً لهذا الشاهد، وهذا يوجب أن يكون « من خلفهم» كناية عن التعطيل لأنّه خلافه، وأمّا قوله: « عن

أيمانهم» فالمراد به الترغيب في ترك المأمورات « وعن شمائلهم» الترغيب في ترك المنهيّات.

وثالثها: نقل عن شقيق أنّه قال: ما من صباح إلاّ ويأتيني الشيطان من الجهات الأربع، من بين يديَ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي:

أمّا بين يدي فيقول: لا تخف فإنّ الله غفور رحيم، فاقرأ: ﴿ *وإنّي لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً* ﴾ [١] وأمّا من خلفي فيخوّفني من وقوع أولادي في الفقر، فاقرأ: ﴿ *وما من دابّة في الأرض إلاّ على الله رزقها* ﴾ [٢] وأمّا من قِبَل يميني فيأتيني من قبل النساء ،فاقرأ ﴿ *والعاقبة للمتّقين* ﴾ [٣] وأمّا من قبل شمالي فيأتيني من قِبَل الشهوات فاقرأ ﴿ *وحيل بينهم وبين ما يشتهون* ﴾ [٤] ثم قال: فالغرض منه أنه يبالغ في إلقاء الوسوسة ولا يقصر في وجه من الوجوه الممكنة.

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الشيطان قعد لابن آدم بطريق الإسلام فقال له: تدع دين آبائك؟ فعصاه فأسلم. ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له: تدع ديارك وتتغرّب؟ فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له: تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك؟ فعصاه فقاتل.

فهذا الخبر يدلّ على أنّ الشيطان لا يترك جهة من جهات الوسوسة إلاّ ويلقيها في القلب.

فإن قيل: فلِمَ لم يذكر من فوقهم ومن تحتهم؟

قلنا: أمّا في التحقيق فقد ذكرنا أنّ القوى التي يتولّد منها ما يوجب تفوّت السعادات الروحانية فهي موضوعة في هذه الجوانب الأربعة.

---

(١) سورة طه: ٨٢.

(٢) سورة هود: ٦.

(٣) سورة القصص: ٨٣.

(٤) سورة سبأ: ٥٤.

وأمّا في الظاهر فيروى أنّ الشيطان لمّا قال هذا الكلام: رقّت قلوب الملائكة على البشر فقالوا: يا إلهنا كيف يتخلّص الإنسان من الشيطان مع كونه مستولياً عليه من هذه الجهات الأربع؟ فأوحى الله تعالى إليهم إنّه بقي للإنسان جهتان: الفوق والتحت، فإذا رفع يديه إلى فوق في الدعاء على سبيل الخضوع أو وضع جبهته على الأرض على سبيل الخشوع غفرت له ذنب سبعين سنة.

وقال في نكتة التعدية «بمن» في الأولين «بعن» في الآخرين: قد ذكرنا أنّ المراد من قوله: «من بين أيديهم ومن خلفهم» الخيال والوهم، والضرر الناشئ منهما هو حصول العقائد الباطلة وهو الكفر، ومن قوله: «عن أيمانهم وعن شمائلهم» الشهوة والغضب وذلك هو المعصية، و لاشكّ أن الضرر الحاصل من الكفر لازم لأنّ عقابه دائم، وأمّا الضرر الحاصل من المعصية فسهل لأنّ عقابه منقطع، فلهذا السبب خصّ هذين القسمين بكلمة «عن» تنبيهاً على أنّ هذين القسمين في اللزوم والاتّصال دون القسم الأوّل.

وقال في وجه معرفة إبليس كون أكثرهم غير شاكرين: إنّه جعل للنفس تسع عشر قوّة، وكلّها تدعو النفس إلى اللّذات الجسمانيّة والطيّبات الشهوانيّة، فعشرة منها الحواس الظاهرة والباطنة، واثنان: الشهوة والغضب، وسبعة هي القوى الكامنة وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولّدة؟ فمجموعها تسعة عشر، وهي بأسرها تدعو النفس إلى عالم الجسم، وترغّبها في طلب اللّذات البدنيّة وأمّا العقل فهو قوة واحدة وهي التي تدعو النفس إلى عبادة الله تعالى وطلب السعادة الروحانيّة، ولا شكّ أن استيلاء تسع عشر قوّة أكمل من استيلاء القوّة الواحدة[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٥٢ ـ ١٥٦

وهناك أحاديث تحدثت عن الأساليب العامة التي يمارسها الشيطان للإيقاع بالإنسان ومنها مايلي:

عن جعفر بن محمّد ،عن آبائه عليهم السلام أنّ إبليس كان يأتي الأنبياء عليهم السلام من لدن آدم عليه السلام إلى أن بعث الله المسيح عليه السلام يتّحدث عندهم ويسائلهم ولم يكن بأحد منهم أشد أنساً منه بيحيى بن زكريّا عليه السلام فقال له يحيى: يا أبا مرة إنّ لي إليك حاجة فقال له: أنت أعظم قدراً من أن أردّك بمسألة، فاسألني ما شئت فإنّي غير مخالفك في أمر تريده.

فقال يحيى: يا أبا مرّة أحب أن تعرض عليّ مصائدك وفخوخك التي تصطاد بها بني آدم، فقال له إبليس: حبّاً وكرامة، وواعده لغد فلمّا أصبح يحيى عليه السلام قعد في بيته ينتظر الموعد وأغلق عليه الباب اغلاقاً، فما شعر حتّى ساواه من خوخة كانت في بيته، فإذا وجهه صورة وجه القرد، وجسده على صورة الخنزير، وإذا عيناه مشقوقتان طولاً، وإذا أسنانه وفمه مشقوقاً طولاً عظماً واحداً بلا ذقن ولا لحية وله أربعة أيد: يدان في صدره، ويدان في منكبه، وإذا عراقيبه قوادمه، وأصابعه خلفه وعليه قباء قد شدّ وسطه بمنطقة فيها خيوط معلّقة بين أحمر وأصفر وأخضر وجميع الألوان، وإذا بيده جرس عظيم، وعلى رأسه بيضة، وإذا في البيضة حديدة معلّقة شبيهة بالكلاّب.

فلمّا تأمله يحيى عليه السلام قال له: ما هذه المنطقة التي في وسطك؟ فقال: هذه المجوسية أنا الذي سننتها وزينّتها لهم، فقال: ما هذه الخيوط الألوان قال له: هذه جميع أصناع النساء لا تزال المرأة تصنع الصنيع حتّى يقع مع لونها فأفتن الناس بها؟ فقال له: فما هذا الجرسَ الذي بيدك؟ قال: هذا مجمع كل لذّة من طنبور وبربط ومعزفة وطبل وناي وصرناي، وإن القوم ليجلسون على شرابهم فلا يستلذّونه فأحرّك الجرس فيما بينهم فإذا سمعوه استخفّهم الطرب فمن بين من يرقّص ومن بين من يفرقع أصابعه ومن بين من يشقّ ثيابه، فقال له: وأيّ

الأشياء أقرّ لعينك؟ قال: النساء هنّ فخوخي ومصائدي، فإنّي إذا اجتمعت عليّ دعوات الصّالحين ولعناتهم صرت إلى النساء فطابت نفسي بهنّ، فقال له يحيى‍‍: فما هذه البيضة التي على رأسك؟ قال: بها أتوقّى دعوة المؤمنين، قال: فما هذه الحديدة التي أرى فيها؟ قال: بهذه أقلب قلوب الصّالحين، قال يحيى‍‍: فهل ظفرت بي ساعة قطّ قال: لا ولكن فيك خصلة تعجبني، قال يحيى: فما هي؟ قال: أنت رجل أكول فإذا أفطرت أكلت وبشمت فيمنعك ذلك من بعض صلاتك وقيامك بالليل، قال يحيى‍‍: فإنّي أعطي الله عهداً أنّي لا أشبع من الطعام حتّى ألقاه، قال له إبليس: وأنا أعطي الله عهداً أنّي لا أنصح مسلماً حتى ألقاه، ثم خرج فما عاد إليه بعد ذلك.

بيان: قوله: وحبّا، الظاهر زيادة الواو أو هو عطف على مفعول له الآخر مثله أي أفعله طاعة وحبّاً، حتّى ساواه أي حاذاه محاذ، يقال: ساواه مساواة: ماثلة وعادله قدراً أو قيمة، وفي القاموس: الخوخة: كوّة تؤدي الضوء إلى البيت، ومخترق ما بين كل دارين ما عليه باب، والكلاّب كتفاح: ما يقال له بالفارسيّة: قلاّب قوله: أصناع النساء، في أكثر النسخ بالصّاد والعين المهملتين والنون، وفي بعضها بالصّاد والباء والغين المعجمة وبعده: «لا تزال المرأة تصنع الصنيع» على الأوّل، و«تصبغ الصبغ» على الثاني، ولعلّه أظهر، أي تتبّع الأصباغ والألوان في ثيابها وبدنها حتّى يوافق لونها، وعلى الأول أيضاً يؤل إليه، قال الفيروز آباديّ: صنع الشيء صنعاً: عمله، وما أحسن صنيع الله عندك وصنعة الفرس: حسن القيام عليه، صنعت فرسي صنعاً وصنعةً، والصنيع: ذلك الفرس، والإحسان، وهو صنيعي وصنيعتي أي اصطنعته وربيّته، وصنعت الجارية كعني: أحسن إليها حتّى سمنت، وصنّع الجارية أي أحسن إليها وسمنّها، ورجل صنيع اليدين: حاذق في الصنعة، من قوم أصناع الأيدي والصنع بالكسر: الثوب والعمامة، والجمع، أصناع، والتصنّع: التزيّن.

وقال: المعازف: الملاهي كالعود والطنبور، الواحد عزف أو معـزف كمنبر ومكنسة، وقال: البشم محركة: التخمة والسامّة، بشم كفـرح وأبشـمه الطعـام، وفي بعض النسخ: ونمت[1].

وفي هذه الرواية استعراض لعـدد كبير من الأساليب التي يقع الإنسان ضحيّة لها، وكان أولها الإيديولجيا وقد ضربها المجوسية نموذجاً لضـلالات الاعتقاد وهي طبعاً من أهم أنواع الضلال، لأنّها تلف في طياتها أعداد كبيرة من البشر وتضـع بأيديهم الكثير من المبررات التي تصاغ بصيغة الأدلّة، ثـم النموذج الثاني وهو أدوات اللهو والذي غالباً ما يقـترن باحتسـاء الخمـور والرقص، وأخيراً يصل إلى الافتتان بالمرأة وهكذا جمع بصورة مختصـرة جميع أشكال السيطرة التي ينتفع بها الشيطان.

### الخوف المثار من قبل إبليس :

قال تعالى: ﴿ *الشّيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء* ﴾[2].

قوله تعالى: « إنّ الشيطان يعدكم الفقر» اختلفـوا في الشـيطان فقيـل: إبليس، وقيل: سائر الشياطين، وقيـل: شياطين الجنّ والإنس، وقيـل: النفس الأمّارة بالسـوء، والوعـد يسـتعمل في الخير والشّـر، ويمكـن أن يكـون هـذا محمولاً على التهكّم وقد مرّ الكلام في حقيقة الوسوسة في تفسير الاستعاذة.

وروى ابن مسعود أنّ للشيطان لمّة وهي الايعاد بالشرّ، وللملك لمّة وهي الوعد بالخير، فمن وجـد ذلك فليعلـم أنّه من الله، ومـن وجـد الأوّل فليتعـوّذ بـالله مـن الشـيطان الرجيـم، وقـرأ هـذه الآيـة، وروى الحسـن قـال بعـض المهاجرين: من سرّه أن يعلـم مكان الشيطان منه فليتأمّل موضعه من المكان الذي منه يجد الرغبة في فعل المنكر.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٣ - ٢٢٦.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٨.

والفحشاء: البخل، والفاحش عند العرب: البخل[1].

ويأتي في هذا الإطار الخوف من الفقر وهو أحد أنواع الخوف الذي إما يوقع في البخل والشح والعزوف عن الانفاق أو يقود إلى الخضوع لمن بيدهم المال وطاعتهم دفعاً للفقر المتوهم وقوعه بارتكاب ما لا يرضى الله، والذين يصابون بهذا النوع من المخاوف فإنّهم يكون مطية لهوى العصيان.

## آثار الشهوات: (الشبع)

وفي رواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ظهر إبليس ليحيى بن زكريا عليه السلام وإذا عليه معاليق من كلّ شيء، فقال له يحيى: ما هذه المعاليق يا إبليس؟ فقال: هذه الشهوات التي أصبتها من ابن آدم، قال: فهل لي منها شيء؟ قال: ربما شبعت فثقّلتك عن الصلاة والذكر قال يحيى: لله عليّ أن لا أملأ بطني من طعام أبداً، فقال إبليس: لله عليّ أن لا أنصح مسلماً أبداً، ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: يا حفص ولله على جعفر وآل جعفر أن لا يملؤا بطونهم من طعام أبداً ولله على جعفر وآل جعفر أن لا يعملوا للدنيا أبداً.

بيان: ثقّلتك، على صيغة الغيبة أي الشبعة، ويحتمل الكلام بحذف العائد[2].

ولعل الأكثر الفات في النظر هو أنّ الشيطان لا يكتفي بالشهوات المحرمة بل أن الشهوات المحللة يحاول الشيطان أن يحولها إلىحالة سلبية إذ أنّه يجر الأكل إلى المبالغة، وبعد المبالغة يحصل الكسل فينتفع منه في تقليل اقبال الإنسان على الصلاة ومنه إلى سواه كما أسلفنا.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢١٦ - ٢١٧.

## الأمراض النفسيّة (العقد)

وبذلك يتوضح لنا أن الشيطان يلجأ إلى كل ما يمكن أن يشكل أرضية لنفاذ وسوسته وجعلها مورد قبول، والتي يمكن أن نعزوها جميعاً إلى حالة واحدة أصلية هي ارتخاء الارادة بفعل هياج العاطفة والغريزة، أو بفعل تناول المسكرات أو ارتخاءها بفعل الكسل والشبع أو النوم، أو بفعل الأفكار الظلامية كالخوف من الفقر، وفي هذه الناحية يستوي جميع البشر لكن هناك النوع الآخر من الاستعدادات وهي العيوب الخلقية الوراثية التي تكون ملازمة لبعض البشر والتي أشار إليها القرآن بقوله: ﴿ *في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً* ﴾[1] فهؤلاء يملكون إما أمراضاً وراثية للجنوح أو نتيجة للصدمات العاطفية والنفسية التي يتعرضون لها ويكونون أكثر قابلية لارتكاب الزلات أي أنهم أكثر تقبلاً لوسوسة الشيطان من بقية البشر. وقد أشارت الروايات إلى بعض هذه الأمراض من قبيل العجب الذي نصت عليه الرواية التالية:

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله بينما موسى عليه السلام جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس ذو ألوان، فلمّا دنا من موسى خلع البرنس وقام إلى موسى فسلّم عليه، فقال له موسى: من أنت؟ قال: أنا إبليس، قال: أنت؟ فلا قرّب الله دارك، قال: إنّي إنّما جئت لأسلّم عليك لمكانك من الله، قال: فقال له موسى: فما هذا البرنس؟ قال: به أختطف قلوب بني آدم، فقال له موسى: فأخبرني عن الذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في عينيه ذنبه[2].

فالعجب هنا حالة نفسية مستديمة إذا أصيب بها الإنسان فإنه يصاب بحالة تشبه العمى، ولذلك فإن استكثار العمل ينتج عنها إذ كل صغير من

---

(١) سورة البقرة: ١٠.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٩.

المعجب بنفسه كثير، وبنفس الطريقة فإن الذنب الذي يذنبه لا قيمة له مهما كانت النتيجة والاضرار المترتبة عليه، فهذا النمط من العمى يحول بين الإنسان وبين رؤية الحقيقة الموضوعية، ولهذا فإنه يقيم حساباته على أسس خاطئة ووصل إلى درجة اللاعودة إلاّ إذا انتبه إلى أسس البلاء ومنع الخطر وهو مرض العجب. وجاءت رواية أخرى أكدت على العجب ولكن مع جوانب أخر تسهل الوقوع في الخطأ وهي الرواية الآتية:

بالإسناد إلى الصَدوق عمَن ذكره عنهمﷺ قال: بينا موسى جالس إذ أقبل إبليس وعليه برنس فوضعه ودنا من موسى وسلّم، فقال له موسى: من أنت؟ قال: إبليس، قال: لا قرّب الله دارك، لماذا البرنس؟ قال: اختطف به قلوب بني آدم، فقال له موسىﷺ: أخبرني بالذنب الذي إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه، قال: ذلك إذا أعجبته نفسه واستكثر عمله وصغر في نفسه ذنبه، وقال: يا موسى لا تخل بامرأة لا تحلّ لك فإنَه لا يخلو رجل بامرأة لا تحل له إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي، وإيّاك أن تعاهد الله عهداً فإنّه ما عاهد الله أحد إلاّ كنت صاحبه دون أصحابي حتّى أحول بينه وبين الوفاء به،وإذا هممت بصدقة فامضها ،فإذا همّ العبد بصدقة كنت صاحبه دون اصحابي حتّى أحول بينه وبينها.

وعن أبي عبد اللهﷺ عن النبيّﷺ مثله، وزاد في آخره: ثمّ ولى إبليس وهو يقول: يا ويله يا عوله، علّمت موسى ما يعلمه بني آدم وقد أوردناه في باب جوامع المساوي[1].

فهنا تؤكد الرواية على العجب وفرعية استعظام العمل واستصغار الذنب، ثم المواضع التي يسهل معها انزلاق الإنسان وهي من قبيل الخلوة بالأجنبية، لأنّ الإنسان يكون عرضة لتحرك الشهوة واحتمال انفلاتها من

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥١ - ٢٥٢.

عقالها، لأنّ الشيطان في مثل هذه الحالات يكون حاضراً، وكذلك الاقدام على العمل الصالح فإن الشيطان يعمد إلى تعطيل الإنسان عن القيام به وصرفه عنه ولذلك فإنّه يحتاج إلى عزم، وكذلك العهد لأنّه من العناصر التي إذا لم يعني بها الإنسان ينقطع عن الله ويقع في دائرة الخطأ والسلب. وإن ما يترتب على استصغار الذنب هو تسويل الذنب.

وقال سبحانه: ﴿ *الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ* ﴾[1].

قوله: «سوّل لهم» قيل أي سهّل لهم اقتراف الكبائر، وقيل: حملهم على الشهوات «وأملى لهم» أي وأمدّ لهم في الآمال والأمانيّ أو أمهلهم الله ولم يعاجلهم بالعقوبة «استحوذ عليهم الشيطان» أي استولى عليهم وهو مما جاء على الأصل «فأنساهم ذكر الله» لا يذكرونه بقلوبهم ولا بألسنتهم «أولئك حزب الشيطان» جنوده وأتباعه «ألاّ إن حزب الشيطان هم الخاسرون» لأنّهم فوّتوا على أنفسهم النعيم المؤبد وعرضوها للعذاب المخلّد[2].

أي تهوين الذنب وجعله مقبولاً وهذه الحالة الخطرة جداً التي تعني التعمق في دائرة السلب، وهو من أهم ما يقيم عليه الشيطان حساباته لأنّه يوفر له الأفراد الطبيعين الذين يؤسسون القطب السالب في دائرة البشر، فينطلق بهم لتأسيس حزب الشيطان الذين يواجهون كل عمل فيه هداية ويعطلون الأحكام.

فاستسهال الذنب يعني الاستعداد لتكراره ثم لاقتراف ما هو أكبر منه حتى يصل إلى آخر حد، وهو الذنب الذي يراه صعباً ثم يتردد في ارتكابه

---

(١) سورة محمّد: ٢٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٢.

ولكنه مع ذلك قد يرتكبه، ولهذا فإنه ورد أن استصغار الصغيرة من الكبائر نظراً لأنَها تشكل أرضية الاستحواذ الشيطاني على المذنب، وبالتالي فإنّه يمنع التوبة، وهذه الحالة تختلف عن النمط الآخر الذي يرتكب الذنب فيتردد من أولئك ذوي النفس اللوامَة.

ويأتي في هذا السياق وبشكل مقارب استكبار الإنسان وتعاليه:

في أسئلة الزنديق المدّعي للتناقض في القرآن، قال أمير المؤمنين عليه السلام: الإيمان بالقلب هو التسليم للربّ، ومن سلّم الأمور لمالكها لم يستكبر عن أمره كما استكبر إبليس عن السّجود لآدم واستكبر أكثر الأمم عن طاعة أنبيائهم فلم ينفعهم التوحيد كما لم ينفع إبليس ذلك السّجود الطويل فإنه سجد سجدة واحدة أربعة آلاف عام لم يرد بها غير زخرف الدنيا والتمكين من النظرة، فكذلك لا تنفع الصّلاة والصدقة إلاّ مع الاهتداء إلى سبيل النجاة وطريق الحقّ. الخبر[١].

وعن أنس قال: إنّ نوحاً لما ركب السفينة أتاه إبليس فقال له نوح: من أنت؟ قال أنا إبليس، قال: فما جاء بك؟ قال: جئت تسأل لي ربّك هل لي من توبة؟ فأوحى الله إليه: أن توبته أن يأتي قبر آدم فيسجد له، قال: أما أنا لم أسجد له حيّاً أسجد له ميّتاً؟ قال فاستكبر وكان من الكافرين[٢].

والاستكبار يحتل موقعه بين هذه الأدوات التي ينفذ منها الشيطان، والاستكبار يعني الاعتماد على رأي الإنسان ورفض الهدى على أساسه، وهو له أشكال فردية واجتماعية. ولعل هذا المرض هو من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان سواء كان فرداً أو جماعة، وإن أفظع الجرائم التأريخية

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨١.

التي ارتكبت على صعيد وجود الإنسان هي التي وصفها الله بالاستكبار. ولهذا نجد أن القرآن أفرد له تأكيدات متكررة وكان أبرزها موقف الشيطان من آدم الذي مردّه إلى موقف من أمر ال،له ذلك أنه كما تقول الرواية أنه النقطة للإيمان، فالإيمان يعني التسليم والاستكبار هو العصيان.

وفي الروايات التالية اشارة إلى عدد من العقد وهي:

جاء عن أبي عبد الله قال: لمّا هبط نوح من السفينة أتاه إبليس فقال له: ما في الأرض رجل أعظم منّةً عليّ منك، دعوت الله على هؤلاء الفسّاق فأرحتني منهم، ألا أعلّمك خصلتين؟ إيّاك والحسد فهو الذي عمل بي ما عمل، وإيّاك والحرص فهو الذي عمل بآدم ما عمل[1].

وعن جنادة بن أبي أميّة ،قال: أوّل خطيئة كانت الحسد: حسد إبليس آدم أن يسجد له حين أمره فحمله الحسد على المعصية[2].

وعن أبي عبد الله قال: جاء نوح إلى الحمار ليدخله السفينة فامتنع عليه، وكان إبليس بين أرجل الحمار فقال: يا شيطان ادخل، فدخل الحمار ودخل الشيطان، فقال إبليس: أعلّمك خصلتين فقال نوح: لا حاجة لي في كلامك، فقال إبليس: إيّاك والحرص فإنّه أخرج أبويك من الجنّة، وإيّاك والحسد فإنّه أخرجني من الجنّة، فأوحى الله: اقبلهما وإن كان ملعوناً[3].

وعن أبي عبد الله قال: يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي فإنّهما يعدلان عند الله الشرك[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٠.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٠.

ويأتي الحرص والحسد في اطار الوسائل والسبل التي تجعل الشيطان قادراً على النفوذ إلى قلب الإنسان، فينجح في اثارته لكي تجد الوسوسة موقعها في قلبه، فهما أرضيتان لقبول الوسوسة وبالتالي الوقوع في طاعة الشيطان. وجاء أيضاً التأكيد على هذه الخصال في الروايات التالية:

((عن ابن عبّاس قال: قال إبليس لنوحعليه السلام: لك عندي يدٌ، سأعلمك خصالا، قال نوح: وما يدي عندك؟ قال: دعوتك على قومك حتّى أهلكهم الله جميعاً، فإيّاك والكبر، وإيّاك والحرص، وإيّاك والحسد، فإنّ الكبر هو الذي حملني على أن تركت السجود لآدم فأكفرني وجعلني شيطاناً رجيماً وإيّاك والحرص فإن آدم أبيح له الجنّة ونهى عن شجرة واحدة فحمله الحرص على أن أكل منها، وإيّاك والحسد فإنّ ابن آدم حسد أخاه فقتله، فقال نوحعليه السلام: فأخبرني متى تكون أقدر على ابن آدم؟ قال: عند الغضب.

وعن عليّ بن محمّد العسكريعليه السلام قال: جاء إبليس إلى نوحعليه السلام فقال: إنّ لك عندي يداً عظيمة فانتصحني فإنّي لا أخونك، فتأثّم نوح بكلامه ومساءلته، فأوحى الله إليه: أن كلّمه وسله فإني سأنطقه بحجّة عليه، فقال نوحعليه السلام: تكلّم، فقال إبليس: إذا وجدنا ابن آدم شحيحاً أو حريصاً أو حسوداً أو جبّاراً أو عجولاً تلقّفناه تلقّف الكرة، فإن اجتمعت لنا هذه الأخلاق سمّيناه شيطاناً مريداً، فقال نوحعليه السلام: ما اليد العظيمة التي صنعت؟ قال: إنّك دعوت الله على أهل الأرض فألحقتهم في ساعة بالنّار، فصرت فارغاً، ولولا دعوتك لشغلت بهم دهراً طويلاً.

الانتصاح: قبول النصيحة، والتأثّم: التحرّج، والامتناع: مخافة الإثم، والتلقّف: الأخذ بسرعة))[1].

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٠ - ٢٥١.

فالحسد هي حالة نفسية تنشأ عن عقدة الاحساس بالتفوق، وهي أيضاً تعني الافراط في الأنانية حتى لا يستطيع تحمل وجود أي شخص آخر أفضل سواء من ناحية الموقع الاجتماعي أو المواهب أو الحصول على هبات وعطيّات ولذلك فإن هذه العقدة تؤدي إلى تدفق مشاعر الحقد بمجرد مواجهة الإنسان الأفضل حتى لو كانت الأفضلية لا تعني سلب الحاسد فرصته، والحرص كذلك يؤدي إلى الوقوع تحت طائلة الشيطان لكنه لا يعني وجود عقدة بل نوع من أنواع الرغبة في التملك ولكنها أقوى من المعتاد.

جاء عن ابن عمر قال: لقي إبليس موسى ،فقال لموسى: أنت الذي اصطفاك الله برسالته وكلّمك تكليماً، أذنبت وأنا أريد أن أتوب فاشفع لي إلى ربّي أن يتوب عليّ، قال موسى: نعم، فدعا موسى ربّه فقيل: يا موسى قد قضيت حاجتك؛ فلقي موسى إبليس وقال: قد أمرت أن تسجد بقبر آدم ويتاب عليك، فاستكبر وغضب وقال: لم أسجد له حيّاً، أأسجد له ميّتاً؟ ثم قال إبليس: يا موسى إنّ لك عليّ حقاً بما شفعت لي إلى ربّك فاذكرني عند ثلاث لا أهلكك فيمن أهلك: اذكرني حين تغضب فإني أجري منك مجرى الدم، واذكرني حين تلقى الزحف فإني آتي ابن آدم حين يلقى الزحف فأذكره ولده وزوجته حتّى يولّي، وإيّاك أن تجالس امرأة ليست بذات محرم فإنّي رسولها إليك ورسولك إليها[1].

ففي هذا النص تأكيد لضرر عقدة الاستكبار والنظر إلى النفس نظرة مغالات في قدرها أي التقييم الذاتي للنفس وليس التقييم الموضوعي، وكذلك لضرر الخلوة بالأجنبية وهو ما مرّ في نصوص سابقة مع الإشارة إلى ان الخوف مصدره إبليس، لأنّه من خلال هذا الشعور السلبي يجر الإنسان إلى

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨٠- ٢٨١.

الخطأ فالجبن من العدو يؤدي إلى انتصار العدو، وغلبة الشر والخوف من الفقر يؤدي إلى البخل، وعدم الاتّزان في الانفاق على الأهل والعيال وربما قاد إلى انحرافهم، ولذلك فإنّ الإنسان عليه أن يزيل جميع أنواع الخوف ويبقى على الخوف من الله وما يشتق منه من خوف المعصية والخوف من تفشي الشرّ.

ويأتي في هذا السياق الحزن من الشيطان الذي ورد في الحديث التالي:

روي عن أبي عبد الرحمن ،قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: ربّما حزنت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد، وربّما فرحت فلا أعرف في أهل ولا مال ولا ولد فقال: إنّه ليس من أحد إلاّ ومعه ملك وشيطان فإذا كان فرحه كان دنوّ الملك منه وإذا كان حزنه كان دنوّ الشيطان منه، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **الشيطان يعدُكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم** ﴾[1].

بيان: كأنّ المراد أن هذا الهم لأجل وساوس الشيطان لكنه لا يتفطّن به الإنسان فيظنّ أنه بلا سبب.

أو المراد: أنّه لما كان شأن الشيطان ذلك يصير محض دنوه سبباً للهمّ، أو أراد السائل عدم كونه لفوت تلك الأمور في الماضي ويجري جميع الأمور في الملك أيضاً[2].

ويعد الحزن أيضاً من الأجواء الانفعالية التي تفسح للشيطان النفوذ إلى قلب الإنسان وبالتالي تقربه إلى اليأس الذي هو حالة كفر، فالحزن وسيطرة الكآبة على الإنسان تجعله في وضع عاطفي هياجي تماماً كالغضب وحركة

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٥.

الغريزة، ففي مثل هذه المواضع يضعف العقل والارادة وتكون العاطفة والغريزة في أشد حالاتها. ولهذا يحتمل أن تنطلق الأفعال بأمر منها وبالتالي فإنها تكون غير محكمة وغير محسوبة، وحتى إذا كانت صحيحة فإنها تكون غير دقيقة، ولهذا فإن الشعور الإيجابي أو الفرح يأتي من الملاك لأنّه يجعل الإنسان في حال من الهدوء وطبعاً ليس الفرح الانفعالي بل هو الارتياح.

بإسناده عن سليم بن قيس ،عن أمير المؤمنين قال: قال رسول الله: إنّ الله حرّم الجنّة على كلّ فحّاش بذيّ قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنّك إن فتشته لم تجده إلاّ لغيّة أو شرك شيطان، قيل: يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان؟ فقال: أما تقرأ قول الله عزّ وجلّ: ﴿ *وشاركهم في الأموال والأولاد* ﴾ الخبر.

بيان: في القاموس: ولد غيّة ويكسر: زنية[1].

يعد الإمام الفحاش إلى أن الشيطان شرك فيه فربما في أصل ولادته أو شرك في توجيهه والايحاء إليه ولكن التعليل أشار إلى أصل الولادة، وهذا دعم لشراكة الشيطان مع الإنسان في الذرية والنسل.

والفحاش يعني انسيابية اللسان وعدم سيطرة العقل عليه وبالتالي فإن حركته تكون مسخّرة بفعل الشيطان، كما أشارت الرواية فإذا لم يستجب الإنسان إلى توجيه الملك فإنه يقع تحت توجيه الشيطان، وإذا كان تحت توجيه الملك فإنه ينشغل بالذكر أو بالحديث الطيب، فإن كان اللسان ينطق بالفحش فإننا نقطع حينئذٍ أنه تحت تأثير الشيطان.

بإسناده عن جابر ،عن أبي جعفر قال: لمّا دعا نوح ربّه عزّ وجل على قومه أتاه إبليس لعنه الله فقال: يا نوح إنّ لك عندي يداً أريد أن أكافيك

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

عليها، فقال نوح ﷺ: إنّه ليبغض إليّ أن يكون لك عندي يد، فما هي؟ قال: بلى دعوت الله على قومك فأغرقتهم فلم يبق أحد أغويه فأنا مستريح حتّى ينشأ قرن آخر وأغويهم فقال له نوح ﷺ: ما الذي تريد أن تكافئني به؟ قال: اذكرني في ثلاث مواطن فإني أقرب ما أكون إلى العبد إذا كان في إحداهنَ: اذكرني إذا غضبت، واذكرني إذا حكمت بين اثنين، واذكرني إذا كنت مع امرأة خالياً ليس معكما أحد[1].

فهنا تأكيد على ضرر الخلوة والغضب والقضاء لأنّها من المواطن التي قد تجنح النفس بالإنسان بعيداً عن الحق عندما يميل مع الهوى في القضاء أو يستعجل بالحكم فيظلم من هو أولى بالإنصاف.

## الاستعدادات المتّصلة بالأشياء المادية

ومن خلال ما تقدم نرى أن هذه الاستعدادات سواء كانت طبيعية وموجودة لدى كل إنسان أو كانت عقداً وأمراض في النفس فإنها تكون مواطناً لسيطرة الشيطان، وهناك أيضاً عناصر أخرى خارج النفس الإنسانية من الأشياء المادية، التي مرّ ذكر بعض منها كالخمر والميسر. وجاءت الروايات التالية على ذكر أشياء أخرى لها دور في تكريس سلطة الشيطان وأولها ما يلي:

قال تعالى: ﴿ *إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً وإن يدعون إلاّ شيطاناً مريداً* ﴾[2].

وقال في قوله سبحانه: «إن يدعون من دونه إلاّ إناثاً» يعني اللاَت والعزى ومناة ونحوها، كان لكلّ حيّ صنم يعبدونه ويسمّونه أنثى بني فلان،

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٢) سورة النساء: ١١٧.

وذلك إمّا لتأنيث أسمائها، أو لأنها كانت جمادات، والجمادات تؤنّث من حيث أنّها ضاهت الإناث لانفعالها، ولعلّه تعالى ذكرها بهذا الاسم تنبيهاً على أنّهم يعبدون ما يسمّونه إناثاً لأنّه ينفعل ولا يفعل، ومن حقّ المعبود أن يكون فاعلاً غير منفعل، ليكون دليلاً على تناهي جهلهم وفرط حماقتهم.

وقيل: المراد الملائكة لقولهم: بنات الله «وإن يدعون» وإن يعبدون بعبادتها «إلاّ شيطاناً مريداً» لأنّه الذي أمرهم بعبادتها وأغراهم عليها، فكان طاعته في ذلك عبادة له، والمارد والمريد: الذي لا يعلق بخير، وأصل التركيب للملابس، ومنه صرح ممرّد، وغلام أمرد، وشجر مرداء للتي تناثر ورقها «لعنه الله» صفة ثانية للشيطان[1].

وهذه الآيات تؤكد على أن الأصنام إنما هي رمز للشيطان حتى لو كانت عبارة عن حجارة صماء، لأنّها رمز لفكرة الذي يذيعه في المجتمع ورمز تحكمه بعقل الإنسان وتفكيره بمصيره، فكم من الأصنام قد تم ذبح بني آدم قرابين لها أو من أجلها نشبت صراعات وأريقت الدماء، كما أنّها تؤكد على نجاح الشيطان في سلب عقل الإنسان وإلقاء تصورات إليه لا أساس لها، ولذلك فإن إبراهيم ﷺ وصف قومه بقلة العقل واستهزء بعقولهم وبآلهتهم الصماء.

أمّا الرواية التالية فإنها تحمل دلالة تحتاج إلى كثير من التأمل وخصوصاً ما يتعلق بمنديل اللحم.

بإسناده عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: لا تؤوا منديل اللحم في البيت فإنّه مربض الشيطان، ولا تؤوا التراب خلف الباب فإنّه مأوى الشيطان، فإذا بلغ أحدكم باب حجرته فليسّم فإنّه يفرّ الشيطان، وإذا سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير فتعوّذوا بالله من الشيطان الرجيم فإنّهم يرون ولا ترون فافعلوا ما تؤمرون. الخبر[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٩ - ٢٠٠.

ومنديل اللحم: ربما يكون النظر هنا إلى المكروبات أو أن الشيطان يعمل على جعل هذه المكروبات فعالة لايقاع الضرر بالإنسان، وبالتالي دوره في الإصابة بالأمراض إما مباشرة أو بتهيئة الأجواء، ونفس الشيء يحتمل أن يكون التراب ولعله مثلاً يطلق على المكروبات الضارة التي قد يكون أصلها من شياطين التراب، فإذا كان الشيطان ليس مقصوراً على الجان فإنّه يمكن أن يكون هناك شيطان تراب كما هو بالنسبة لعموم الجان، كما أنّه قد يشير إلى أن الشياطين بمعنى مخلوقات النار تتخذ من هذه الأشياء موضعاً للسكن غير أن الأولى أقوى، لأنّه ذكر بالنسبة للمنديل مربض أي أن يستقر عليه كما تستقر الربيضة على الحشيش، أما التراب فإنه مأوى أي أنها تأوى إليه كالبيوت وكذلك بالنسبة للنهيق والنباح التي عللها بأنها ترى الشياطين فتأخذ بالنباح والنهيق.

جاء عن أبي عبد الله ،عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن على ذروة كل بعير شيطاناً فامتهنوها لأنفسكم وذلّلوها، واذكروا اسم الله عليها كما أمركم الله[1].

وهناك أدوات مادية منها كذروة البعير، فهنا أيضاً يمكن أن تعلل بنفس الطريقة السابقة، فإنها مثلاً إذا تركت قد تكون موضعاً لنمو المكروبات أو أن نفس البعير يتحول إلى حالة من عدم التذلّل، وبالتالي لا يصلح للركوب فتخسر الناس منافعه. وهو أحد الأهداف التي يريد الشيطان تحقيقها، وأن ركوبها يمكن أن يحقق الفرضين معاً.

ويأتي في هذا السياق النهي عن بعض الألوان في الميراث التي ورد فيها الحديث التالي:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٦.

روي عن حنّان بن سدير ،قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: قال النبيّ ﷺ لعليّ ﷺ: إيّاك أن تركب ميثرة حمراء فإنها ميثرة إبليس.

بيان: في النهاية: فيه أنّه نهى عن ميثرة الأرجوان، الميثرة بالكسر مفعلة من الوثارة، يقال: وثر وثارة فهو وثير أي وطيئ لين، وهو من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج يحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته على الرحال[1].

وفي هذا الإطار يأتي أيضاً النهي عن بعض المأكل والملابس لأنّها تخلق حالة استعداد في نفس الإنسان لتقبل وسوسة الشيطان، ومنها هذه الميثرة لأنها كما يلوح تعبر عن المبالغة في الترف، وهو ليس من منهج الله الذي يحاول فرض ما يؤيد الغرض قدر الإمكان وترك الفضول وخصوصاً إذا كان من هذا النوع، وبالتالي فإن هذه الزيادة تقع خارج المندوب دائرة وربما في المكروه.

ويحتمل أيضاً أن النهي جاء عن خصوص اللون وذلك ربما لأن اللون الأحمر أو الأرجواني آثار خاصة على النفس، لأنّه يسبب حالة من الهياج الجنسي لاجتماع النعومة واللون الأحمر والخلوة التي عادة ما تكون عندما يسافر الإنسان مسافات بعيدة على ظهر البعير، فإن عوامل ثلاثة من عوامل الهياج الجنسي والنفسي تكون موجودة، ولذلك فإننا نتوقع صدور النهي وحتى لو كان هذا النهي يمس مثلاً طبقة الشباب فإن الامتناع العام عنه يكون أكمل.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٢.

## الشيطان والخيل

روي عن يعقوب بن جعفر ،قال: سمعت أبا الحسنعليه السلام يقول: الخيل على كلّ منخر منها شيطان، فإذا أراد أحدكم أن يلجمها فليسمّ الله[1].

و مناخر الخيل ربما أن يكون المنخر من مناطق الاثارة بالنسبة للخيل وعندما يعمد الإنسان إلى لجم الحصان أو الفرس ،فإنه يهيج ويرتكب ما يضر بالإنسان، وفي العادة إن كان هناك شيطان يهيج الحصان ،فإن القضية ستكون أوضح، وبالتالي فإن حصول الضرر يكون قريب الاحتمال ،وهذا طبعاً يتطابق مع طريقة الإسلام في العمل بالاحتياط عن الحوادث قبل وقوعها.

وفي الرواية القادمة جملة أحوال محتملة الاضرار وهي كالآتي:

## مواضع تسهّل للشيطان

عن محمّد بن مسلم ،عن أحدهماعليهما السلام أنّه قال: لا تشرب وأنت قائم ولا تبل في ماء نقيع، ولا تطف بقبر ولا تخل في بيت وحدك. ولا تمش بنعل واحدة. فإنّ الشيطان أسرع ما يكون إلى العبد إذا كان على بعض هذه الأحوال، وقال: إنّه ما أصاب أحداً شيء على هذه الحال فكاد أن يفارقه إلاّ أن يشاء الله عزّ وجلّ.

بيان: لا تطف بقبر، كأنّ المعنى لا تتغوّط عليه، قال في النهاية: الطوف: الحدث من الطعام، ومنه الحديث: نهى عن محدّثين علىطوفهما أي عند الغائط. وفي القاموس الطوف: الغائط، وطاف: ذهب ليتغوّط كأطاف على افتعل[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦١.

هذه المواضع وتبعاً للتحذير فإن الشيطان ينتفع منها في اصابة الإنسان بأضرار نفسية أو جسمية تتجاوز الاغواء والوسوسة، ولربّما هي أمراض يعمد الشيطان فيها ليكون واسطة بين المكروب وبين الإنسان ويساهم في تحقيق الإصابة بالمرض وهذه جميعاً ،فالقبور أماكن محترمة ولا يليق التغوط فيها ثم أنها من أماكن الخلوة التي قد تكون مسكونة بالشياطين، وأنّها ربما كانت أماكن لسكن المكروبات والجراثيم التي تعمل على تفسيخ الأجسام التي في معرض التفسخ، والاحوال الباقية شبيهة بهذه حتى لو كان الرابطة بين النهي وبين الفعل مجهولة إلاّ أن هذا التحذير كافي للتأكد من وجود الضرر.

## حضور الشياطين مجالس أهل الشر

عن أبي عبد الله قال: ما اجتمع ثلاثة من المؤمنين فصاعداً إلا حضر من الملائكة مثلهم فإن دعوا بخير أمّنوا، وإن استعاذوا من شرّ دعوا الله ليصرفه عنهم، وإن سألوا حاجة تشفّعوا إلى الله وسألوه قضاها، وما اجتمع ثلاثة من الجاحدين، إلاّ حضرهم عشرة أضعافهم من الشياطين، فإن تكلموا تكلّم الشياطين بنحو كلامهم وإذا ضحكوا ضحكوا معهم، وإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم، فمن ابتلى من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكن شرك شيطان ولا جليسه فإنّ غضب الله عزّ وجلّ لا يقوم له شيء ولعنته لا يردّها شيء، ثمّ قال: فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة.

بيان: الفواق كغراب: بين الحلبتين من الوقت، ويفتح، أو ما بين فتح يدك وقبضها على الضرع[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٨.

وفي هذه الرواية إشارة إلى حضور الشياطين في مجالس أهل الشر، وهي مجالس عدا عن كونها منبع للذنوب التي قد ينالها المشاركة لهم كالغيبة أو الكفر واللهو بغير الحلال، فإنهم يمكن أن يتنقلوا إلى حالة من الصدام وينال المؤمن ضرر إلى جانب ضرورة الانفصال عنهم ولو على صعيد الرفض القلبي الذي يحجب الإنسان عن التآلف مع ما يدور في دائرة السلب.

## حدود سلطة إبليس

كما أسلفنا أن الشيطان لا يقوم بصناعة السلب إنّما يعمل على الاستفادة من الاستعدادات الفعلية الموجودة في طبيعة الكائنات الحيّة، وهي طبعاً موجودة بصورتين: الأولى هي صورة الاستعداد التي ينطوي على بعض منها كل كائن حي بصورة اندفاعات وتعلقات في هذه القضية أو تلك فربّما مثلاً كان البعض يجد ميلاً للانحراف في الجانب الجنسي، وآخر يميل إلى العنف والايذاء، والآخر يميل إلى الخضوع والاستسلام للأقوياء، وثالث يفضّل السيطرة ورابع يميل إلى الجمع والادخار. فهذه الميول التي توجد على شكل رغبات قوية تهيئ الإنسان للانحراف في هذا الجانب دون ذاك، فالضعف والعجز مثلاً يجعل للإنسان ميلاً إلى الانحراف في جانب الغيبة والنميمة، والقوي قد يتجه لسلب الآخرين حقوقهم... الخ، وهذا الانحراف غالباً ما تكون على شكل فلتات قد يتراجع الإنسان عنها بعد الانزلاق مرّة أو مرّات أو يمكن أن لا ينزلق أصلاً إذا ما تم موازنة هذا الميل من خلال التربية والتوجيه الصحيح. لكنها أيضاً ممكن أن تتحول إلى حالة انحراف مستعصية إذا وجدت الظروف الملائمة للرسوخ والتأصل، وهي ما تكون تحت سيطرة إبليس وهي نوع من السيطرة التامة التي تتفاقم بالتكرار وهي حالة «سول لهم» «أملى لهم».

وهناك طبعاً النوع ا لآخر من الانحرافات التي نسميها بالعقد وتكون منذ البدء متقدمة وتخرج عن حالات السيطرة، وبذلك يعطي لإبليس فرصة الهيمنة السريعة والدائمية على الأفراد من هذا النوع، لكن حتى هذا النوع قابل لأن يكون الحامل له في وضع سوي إذا ما تم ايقاض ارادة هذا الإنسان وتغير بيئته إلاّ أنّها في كل الأحوال تعد صعبة بصورة واضحة.

وعلى هذا الأساس فإن ارادة الإنسان هي من أهم القوى التي تقضي على سلطة إبليس وتحدّها بشكل يوصلها إلى أضعف درجاتها. فهذه الأمراض الوراثية أو الاستعدادات والميول تصبح في أضيق حالاتها، فيبلغ الإنسان كماله من خلال منح الإرادة فرصتها لتجاوز نقاط الضعف الطبيعية والوراثية.

ولهذا فإن النص القرآني أشار إلى ضعف الشيطان ولدى التأمل فإننا نجد أنه لا يملك أية قوة فعلية، ذلك أن أول نقاط ضعفه أنَه لا يوجد الضعف وهو لا يستطيع أن يزيد في كميته، وحينما يقرر الإنسان أو الجان التمرد على سلطة إبليس فإنَه يستطيع ذلك بسهولة، لأن القرار قراره لوحده ولايشترك فيه إبليس، فإبليس يستطيع أن يضع العراقيل عن طريق تخويف الإنسان من عواقب العودة عن الضعف من فقدان اللذة أو غضب الطواغيت، فإن استجاب لهذه المخاوف ركن إلى ضعفه وأن تجاوزها انطلق قوياً، وقد جاءت التأكيدات في القرآن بصورة متكررة لتلفت النظر إلى أصل حرية قرار الإنسان من قبيل ما يلي:

## ضعف الشيطان في تسلطه

قال تعالى: ﴿ *فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً* ﴾ [1].

وقال في قوله سبحانه: ﴿ *إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً* ﴾ لأنّ الله ينصر أولياءه والشيطان ينصر أولياءه، ولا شكّ أن نصرة الشيطان لأوليائه أضعف من نصرة الله لأوليائه، ألا ترى أنّ أهل الخير والدين يبقى ذكرهم الحميد على وجه الدهر وإن كانوا حال حياتهم في غاية الفقر والذلّة، وأما الملوك والجبابرة فإذا ماتوا انقرضوا ولا يبقى في الدنيا رسمهم ولا ظلمهم، « والكيد»: السعي في

---

(١) سورة النساء: ٧٦.

فساد الحال على جهة الحيلة، وفائدة إدخال «كان» للتأكيد لضعف كيده، يعني أنّه منذ كان موصوفاً بالضعف والذلّة[١].

إن ضعف الشيطان متجسد في قدرة الإنسان على الافلات من أسره في أية لحظة، ومهماكانت قوة البناء الذي بناه وحتى لو كان قد استغرق في بناءه قرون، غير أن اكمال الإرادة يحتاج إلى تضحيات تقل كثيراً أو تزيد في أحيان كثيرة، إذ ربما اقتضى التضحية بلذة من قبيل عدم الشبع لنقض غزل الشيطان ونسف أسسة ولكن ربما اقتضت التضحية بالمال والنفس أو الولد إذا كان الشيطان قد أحكم بناءه، ولكن في النهاية سرعان ما ينهار بمجرد استيقاض الإرادة التي هي موجودة دائماً فيعمل الشيطان على تخديرها وحجزها عن الفاعلية، وهذا في العادة ما يفعله الأنبياء عليهم السلام وأهل الصلاح، ولعل النموذج الأبرز في تأريخ الإسلام هو ثورة الحسين عليه السلام التي انطلقت لايقاض ارادة المسلمين بعد أن خلق يزيد هالة من الخوف على المال والنفس عند عموم الأمة، فجاءت تضحية الإمام الحسين عليه السلام بماله من مقام سيلاً لتحطيم هالة الخوف هذه .

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا أعطى الله تبارك وتعالى إبليس ما أعطاه من القوّة قال آدم: يا ربّ سلطت إبليس على ولدي وأجريته فيهم مجرى الدم في العروق، وأعطيته ما أعطيته فمالي ولولدي؟ فقال: لك ولولدك السيّئة بواحدة والحسنة بعشرة أمثالها، قال: يا ربّ زدني، قال: التوبة مبسوطة إلى حين تبلغ النفس الحلقوم، قال: يا ربّ زدني قال: اغفر ولا أبالي، قال: حسبي، قال: قلت: جعلت فداك بماذا استوجب إبليس من الله أن أعطاه ما أعطاه؟ قال: بشيء كان منه شكره الله عليه، قلت: وما كان منه جعلت فداك؟ قال: ركعتان ركعهما في السماء أربعة آلاف سنة[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٥.

ولما كانت الارادة هي العنصر الرئيسي في التحرر من سلطة الشيطان، فلهذا جعل الله التوبة مقبولة إلى آخر لحظات العمر، والتوبة هي ليست سوى عملية يقظة للإرادة، وهذا يعني قدرة الإنسان على تقويض سلطة الشيطان والتحرر من قيوده في أية لحظة يشاء. وهكذا جاء تشريع التوبة ذلك مراعاةً لوضع الكائن البشري العاجز في أحيان كثيرة عن فرز وساوس الشيطان إلى جانب وجود الضعف الطبيعي عنده متمثلاً بدوافع الغريزة، فكانت المراعاة عبارة عن افساح الله له كامل الفرصة للعودة في أية لحظة وزيادة الحسنات على السيئات وكل ذلك تطبيقاً لمبدأ العدالة والرحمة.

وهكذا فإن التوبة التي تبدأ بقرار نفسي تكون مقبولة حتى لو لم يستتبعها فعل لأسباب قاهرة، لأنَ أصل الفعل مهما كان هو فعل النفس وصدور القرار بالانتقال من دائرة السلب إلى دائرة الإيجاب، صحيح أن القرار النفسي لا يكون صادقاً إلاّ إذا استتبعته أفعال لكنه يمكن أن يكون صادقاً إذا حالت ظروف معينة دون هذا الاستتباع.

ويدلّ على ضعف سلطة إبليس الحديث التالي:

عن أبي بصير ،عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: ﴿ ***فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون*** ﴾[1] فقال: يا أبا محمّد يسلّط والله من المؤمن على بدنه ولا يسلّط على دينه، قد سلّط على أيّوب عليه السلام فشوّه خلقه ولم يسلّط على دينه، وقد يسلّط من المؤمنين على أبدانهم ولا يسلّط على دينهم ،قلت له: قول الله عزّ وجلّ: ﴿ ***إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون*** ﴾ قال: الذين هم بالله مشركون يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم.

---

(١) سورة النحل: ٩٨-١٠٠.

تبيين: قد مرّ الكلام في تفسير الآية، ولمّا كانت الاستعاذة الكاملة ملزومة للإيمان الكامل بالله وقدرته وعلمه وكماله والاقرار بعجز نفسه وافتقاره في جميع أموره إلى معونته تعالى وتوكّله في كلّ أحواله عليه، فلذا ذكر بعد الاستعاذة أنّه ليس له سلطنة واستيلاء على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلّون، فالمستيعذ به تعالى في أمانه وحفظه إذا راعى شرائط الاستعاذة.

وقوله عليه السلام: ولا يسلّط على دينه، أي في أصول عقائده أو الأعمّ منها ومن الأعمال فإنّه إذا كان على حقيقة الإيمان وارتكب باغوائه بعض المعاصي فالله يوفّقه للتوبة والانابة، ويصير ذلك سبباً لمزيد رفعته في الإيمان وبعده عن وساوس الشيطان، ويدلّ الخبر على أن ضمير «به» راجع إلى الربّ كما هو الأظهر لا إلى الشيطان[1].

ويؤيد أيضاً مايلي:

عن أبي بصير ،عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿ ***فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم * إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون * إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون*** ﴾ قال: فقال: يا أبا محمّد يسلّط والله من المؤمنين على أبدانهم ولا يسلّط على أديانهم، وقد سلّط على أيوب فشوّه خلقه ولم يسلّط على دينه، قلت له: قوله: ﴿ ***إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون*** ﴾ قال: الذين هم بالله مشركون يسلّط على أبدانهم وعلى أديانهم[2].

في هذه الرواية بيان لحدود سلطة الشيطان على المؤمن فهو ربما يتسلط على بدن المؤمن لكنه لا يتسلط على دينه، وهذا يعني أن ارادة المؤمن تبقى دائماً خارج سلطة الشيطان؛ لأنّ الدين قرار يصدر ويأتي للإتساق مع الفطرة

(١) بحار الأنوار: ٦ / ٢٦٤ ـ ٢٦٥.
(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٧٥.

وهي حرية الاختيار لدى الإنسان، هذه الحرية تعني رفض لأي سلطة مهما كانت عدا سلطة الله سبحانه وتعالى.

بينما كانت له سلطة على المشرك قلباً وقالباً، والشرك هنا طبعاً هو الشرك الأصلي؛ لأن أصل جميع أنواع الشرك سواء كان شركاً في الهوى أو شركاً في صنم فهو يقف وراءها جميعاً، ولذلك فإنه من الطبيعي أن تكون له كامل السلطة على الفرد والجماعة التي هي من هذا النوع، ولهذا فإن القرآن أشار إلى الجماعة فقارن بين ﴿ *الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون* ﴾ وبين ﴿ *الذين يتولّونه والذين هم به مشركون* ﴾ فإذا كانت العبودية لله هي الحرية لأنَّ الله الكامل فإن سلطته خالية من جميع أنواع الضعف والعقد التي تبرز من خلال الأشكال السيئة للتسلط، بينما تقوم سلطة الشيطان الذي هو بالأصل موجود ضعيف معقد يقاتل من أجل خلافة ميؤس منها، يعني أنّه في أحسن حالاته سوف لن يحقق هدفه بل يثبت عدم صلاحية بعض الناس للخلافة، وهذا لا يعود عليه بأية فائدة بل أنه يعود عليه بالضرر وتحقق مصيره بدخول إبليس للنار.

وهذه جملة روايات تفيد تأكيد المضمون السابق.

عن حمّاد بن عيسى ،رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن قول الله: ﴿ *إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون* ﴾ قال: ليس له أن يزيلهم عن الولاية، فأمّا الذنوب وأشباه ذلك فإنّه ينال منهم كما ينال من غيرهم[١].

وعن جابر ،عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت: أرأيت قول الله: ﴿ *إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان* ﴾ [٢] ما تفسير هذا؟ قال: قال الله تعالى: إنّك لا تملك أن تدخلهم جنّة ولا ناراً.

بيان: كأنّ المعنى لا تقدر على إجبارهم على ما يوجب الجنّة أو النار[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٥.

(٢) سورة الحجر: ٤٢، سورة الإسراء: ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٤.

وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ *إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان* ﴾ قال: ليس له على هذه العصابة خاصّة سلطان، قال، قلت: فكيف جعلت فداك وفيهم ما فيهم؟ قال: ليس حيث تذهب. إنّما قوله: ﴿ *ليس لك عليهم سلطان* ﴾ أن يحبّب إليهم الكفر ويبغّض إليهم الإيمان(١).

وفي هذه النصوص جميعاً تأكيد لحقيقة كون القبول بسلطة الشيطان اختيارية، وتعبر عن التجاوب مع الوسوسة والاغراء الذي يحاول الشيطان اقناع الإنسان بواسطته بارتكاب الذنب، وهو الشكل العملي لقبول سلطة الشيطان.

وهي جميعاً تشير إلى الفارق بين سلطة الشيطان على المؤمنين وسلطته على أولياءه من المشركين، فهنا سلطة ضعيف على ضعفاء يسومهم أنواع الخسف والذل لأنّها السبل الوحيدة التي يمكن له بها البقاء كسلطان، فهي تصبح سلطة كليّة لأنّ الفرد يقبل بالضعف وبعوامل تعميق الضعف مثلاً إن كان للإنسان مطمع في أي جانب من جوانب الحياة، فإن الشيطان يمنح لوليه هذا المطمح في مقابل سلب وجوده بالكامل، والبداية طبعاً تنشأ من الوسوسة ولذلك فإن الإسلام يعالجها بعلاج من جنس المرض، فالوسوسة عمل قلبي يهدف إلى اثارة الرغبات والشهوات ويتم ردمه من خلال الاستعاذة.

ويظهر من هذا أن الاستعاذة إنّما تفيد إذا خطر في قلب الإنسان كونه ضعيفاً وأنّه لا يمكنه التحفّظ عن وسوسة الشيطان إلاّ بعصمة الله.

قوله تعالى: ﴿ *إنّما سلطانه على الذين يتولّونه* ﴾ قال ابن عبّاس: يطيعونه، يقال: تولّيته أي أطعته، وتولّيت عنه أي أعرضت عنه.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٣.

قوله تعالى: ﴿ *والذين هم به مشركون* ﴾ الضمير راجع إلى ربّهم أو إلى الشيطان، أي بسببه مشركون بالله، ﴿ *كانوا إخوان الشياطين* ﴾ المراد من هذه الأخوّة التشبّه بهم في هذا الفعل القبيح، وذلك لأنّ العرب يسمّون الملازم للشّي أخاً له فيقول: فلان أخو الكرم والجود وأخو الشعر، إذا كان مواظباً على هذه الأفعال.

وقيل: أي قرناءهم في الدنيا والآخرة ﴿ *وكان الشيطان لربّه كفوراً* ﴾ معنى كون الشيطان كفوراً لربّه هو أن يستعمل بدنه في المعاصي والافساد في الأرض والاضلال للنّاس، وكذلك من رزقه الله مالاً أو جاهاً فصرفه إلى غير مرضات الله كان كفوراً لنعمة الله، و المقصود أنّ المبذّرين موافقون للشياطين في الصفة والفعل، ثمّ الشيطان كفور بربّه فلزم كون المبذّر كفوراً بربّه[1].

فالإنسان بمجرد رفضه للوسوسة فإنه يقع خارج دائرة سلطة الشيطان وكلما قبلها منه فإنه يدخل تحت سلطته، ولهذا فإنه شبه سلطة الشيطان على البعض بحبال غليظة يجر بها المؤمن، بينما يحتاج إلى خيوط رفيعة لجر سواه بينما لا يحتاج إلى أي حبال للذين هم يجرون وراءه، ولذلك فإن للإنسان بمقدار ما يضيع إبليس يكون عبداً له ويبقى حراً من الباقي.

جاء عن عبد الرحمن بن سالم في قول الله تعالى: ﴿ *إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربّك وكيلاً* ﴾ قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ونحن نرجو أن يجري لمن أحب الله من عباده المسلمين[2].

فالإمام علي عليه السلام هو المصداق الأجلى للعبودية بعد الرسول صلى الله عليه وآله وهو ككل البشر له شيطان لكنه كالرسول صلى الله عليه وآله لا يتمكن منه، وبالتالي فإن الإمام عليه السلام يبقى محتفظاً بحريته الفطرية التي تحفظها له عبوديته لله عزّ وجلّ،

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٧٣ - ١٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٧.

ذلك أن العبودية هي القطب الموجب كما أسلفنا فلا يوجد في الكون سوى قطب مطيع أي عابد لله أو قطب عاصي وهو مكون من مردة الجن والإنس، وكما أسلفنا فإنها حالة مؤقتة، وكما أخبرنا القرآن وخاصة بالكائنات المختارة كالجن والإنس فالكون برمته كون مطيع خاضع لله وأن خضوعه لله هو سر بقاءه واستمراره وتكامله. وقد سمح الله تعالى لهذه المخلوقات وخلال الأجل الذي ضربه لها بالعصيان، لأنّه سمح لها بالاختيار فإذا اختار بعض العبيد العصيان فإن الله لا يقاضيه حتى ينتهي الأجل المضروب له. ومن هنا فإن العبودية تعني تلقائياً الامتناع عن سلطان الشيطان والتضاد معه لأنّ الطاعة معناها ايقاض عناصر الوجود الإيجابية وهو يعني نفي وابعاد للسلب، وهذا يعني تقوض سلطة الشيطان بنفس الدرجة التي يتم فيها ايقاض هذه الايجابيات، ولذلك فإن حالة الإمام علي عليه السلام تعني النفي الكامل للسلب والتجسيد الكامل للايجاب فهو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وصنوه واخوه وخليفته وأفضل الخلق بعده صلى الله عليه وآله.

## عدم التسلّط الفعلي

أما بالنسبة للآية التالية فقد جاء حولها مايلي:

قوله تعالى: « قال رب بما أغويتني»[1] الباء للقسم وما مصدرية وجوابه « لأزيننّ لهم في الأرض» والمعنى أقسم باغوائك إياي لأزينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور لقوله: «اخلد إلى الأرض» وقيل: للسببية، والمعتزلة أوّلوا الاغواء إلى الغي أو التسبب له بأمره إياه بالسجود لآدم عليه السلام أو بإضلاله عن طريق الجنة[2].

---

(١) سورة الحجر: ٣٩.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٦٩.

وقال الرازيّ: اعلم أنّ أصحابنا قد احتجوا بهذه الآية على أنّه تعالى قد يريد خلق الكفر في الكافر ويضلّه عن الدين ويغويه عن الحقّ من وجوه:
الأوّل: أن إبليس استمهل وطلب البقاء إلى يوم القيامة، مع أنّه صرّح بأنّه إنما يطلب هذا لاغواء بني آدم وإضلالهم، وأنّه تعالى أمهله وأجابه إلى هذا المطلوب، ولو كان تعالى يراعي صلاح المكلّفين في الدنيا لما أمهله هذا الزمان الطويل ولما أمكنه من الاغواء والاضلال والوسوسة.
والثاني: أنّ أكابر الأنبياء والأولياء مجدّون مجتهدون في إرشاد الخلق إلى الدين الحقّ، وإنّ إبليس ورهطه وشيعته مجدّون مجتهدون في الاغواء، فلو كان مراد الله هو الارشاد والبداية لكان من الواجب إبقاء المرشدين والمحقّين، وإهلاك المضلّين والمغوين وحيث فعل بالضدّ علمنا أنّه أراد بهم الخذلان والكفر.
ثمّ قال: أمّا الأشكال الأوّل فللمعتزلة فيه طريقان:
الأوّل: وهو طريقة الجبائي أنّه تعالى إنّما أمهل إبليس تلك المدّة الطويلة لأنّه تعالى علم أنّه لا تتفاوت أحوال الناس بسبب وسوسته في الكفر والمعصية البتّة، وعلم أنّ كل من كفر وعصى عند وسوسته فإنّه بتقدير أن لا يوجد إبليس ولا وسوسته، فإن ذلك الكافر والعاصي كان يأتي بذلك الكفر والمعصية، فلمّا كان الأمر كذلك لا جرم أمهله هذه المدّة الطويلة.
الثاني: وهو طريقة أبي هاشم أنّه لا يبعد أن يقال: إنّه تعالى علم أنّ أقواماً يقعون بسبب وسوسته في الكفر والمعاصي إلاّ أن وسوسته ما كانت موجبة لذلك الكفر وتلك المعاصي، غاية ما في هذا الباب أن يقال: الاحتراز عن القبائح حال عدم الوسوسة أسهل منه حال وجودها إلاّ أنّه على هذا التقدير تصير وسوسته سبباً لزيادة المشقّة في أداء الطاعات، وذلك لا يمنع

الحكيم من فعله كما أن إنزال المشاقّ سبب الشبهات، ومع ذلك فلم يمتنع فعله فكذا ههنا، وهذان الطريقان هما بعينهما الجواب عن السؤال الثاني.

قوله تعالى: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ استثناهم لأنّه علم أنّ كيده لا يعمل فيهم.

وقرأ ابن كثير وابن عامر بكسر اللام والباقون بالفتح، فعلى الأوّل أي الذين أخلصوا دينهم وعبادتهم من كلّ شائب يناقض الإيمان والتوحيد، وعلى الثاني معناه الذين أخلصهم الله بالهداية والإيمان.

قوله: ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ فيه وجوه:

الأوّل: أنّ إبليس لمّا قال: « إلاّ عبادك منهم المخلصين» فلفظ «المخلصين» يدلّ على الاخلاص فقوله « هذا» عائد إليه، والمعنى أنّ الإخلاص طريق عني وإلي أي يؤدي إلى كرامتي، وقال الحسن: معناه هذا صراط إليّ مستقيم، وقال آخرون: هذا صراط من مرّ عليه، فكأنّه مر على رضواني وكرامتي، وهو كما يقال: طريقك عليّ.

الثاني: أنّ الإخلاص طريق العبوديّة، فقوله: « هذا صراط عليّ مستقيم» أي هذا الطريق في العبودية طريق عليٌ مستقيم قال بعضهم: لماّ ذكر أن إبليس يغوي بني آدم إلاّ من عصمه الله بتوفيقه تضمن هذا الكلام تفويض الأمور إلى الله تعالى وإلى إرادته، فقال تعالى « هذا صراط علي» أي تفويض الأمور إلى إرادتي « طريق مستقيم».

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ اعلم أنّ إبليس لما قال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصُونَ﴾ أوهم هذا الكلام أنّ له سلطاناً على عباد الله الذين لا يكونون من المخلصين، فبيّن الله تعالى أنّه ليس له سلطان على أحدمن عبيد الله سواء كانوا مخلصين أو لم يكونوا مخلصين بل من اتّبع منهم إبليس باختياره صار تبعاً له، ولكن حصول تلك المتابعة أيضاً

ليس لأجل أن إبليس أوهم أنّ له على بعض عباد الله سلطاناً فبيّن تعالى كذبه وذكر أنّه ليس له على أحد منهم سلطان ولا قدرة أصلاً، ونظير هذه الآية قوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿ *وما كان لي عليكم من سلطان* ﴾ الآية، وقوله: ﴿ *ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون ❖ إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون* ﴾ [1] وقال الجبائي: هذه الآية تدلّ على بطلان قول من زعم أنّ الشيطان والجنّ يمكنهم صرع الناس وإزالة عقولهم كما تقول العامّة، وربّما نسبوا ذلك إلى السّحرة، وقال: ذلك خلاف نصّ القرآن، وفي الآية قول آخر: وهو أنّ إبليس لمّا قال: « إلاّ عبادك منهم المخلصين» فذكر أنّه لا يقدر على إغواء المخلصين صدّقه الله، وقال: « إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» فلهذا قال الكلبيّ: المذكورون في هذه الآية هم الذين استثناهم إبليس.

واعلم أنّه على القول الأوّل يمكن أن يكون قوله: «إلاّ من اتّبعك» استثناء لأنّ المعنى أنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان إلاّ من اتّبعك من الغاوين، فإنّ لك عليهم سلطاناً بسبب كونهم منقادين لك في الأمر والنهي، وأمّا على القول الثاني فيمتنع أن يكون استثناء بل يكون إلاّ بمعنى لكن «وإن جهنم لموعدهم أجمعين» قال ابن عبّاس: يريد إبليس وأشياعه ومن اتّبعه من الغاوين « فزيّن لهم الشيطان أعمالهم» قالت المعتزلة: الآية تدلّ على فساد قول المجبّرة من وجوه شتّى.

قوله تعالى: ﴿ *فهو وليّهم اليوم* ﴾ فيه احتمالات:

الأوّل: أنّ المراد منه كفّار مكّة، يقول: الشيطان وليّهم اليوم يتولّى إغواءهم وصرفهم عنك كما فعل بكفّار الأمم قبلك.

---

(١) سورة النحل: ٩٩-١٠٠.

الثاني: أنّه أراد «باليوم» يوم القيامة يقول: فهو وليّ أولئك الذين زيّن لهم أعمالهم يومِ القيامة فلا وليَ لهم ذلك اليوم ولا ناصر[١].

وهذا طبعاً يؤيد ما ذهبنا إليه في أن الله سبحانه وتعالى عرض الأمانة علىالإنسان فقبل بها، والأمانة هي قبول الخضوع لله اختياراً بينما أن بقية الكائنات قبلت أن تكون مطيعة اجباراً ولذلك ضمنت عدم العصيان، بينما يحتاج الإنسان إلى جهد وعناء لكي يحفظ نفسه داخل دائرة الطاعة وخارج سلطة الشيطان.

وتشير الرواية التالية إلى حد من حدود سلطة الشيطان وهي كمايلي:

عن أبي عبد الله ﷺ قال: إنّ الله عزّ وجلّ يبتلي المؤمن بكل بليّة ويميته بكلّ ميتة ولا يبتليه بذهاب عقله، أما ترى أيّوب كيف سلّط إبليس على ماله وعلى ولده وعلى أهله، وعلى كلّ شيء منه ولم يسلّط على عقله؟ ترك له يوحد الله به[٢].

فالمؤمن لا يمكن أن يتسلط عليه الشيطان إلى الدرجة التي تؤدي إلى ذهاب عقله، وهذا طبعاً في اشارة إلى أن سلطة إبليس تتوقّف دون ذهاب عقل المؤمن، كما أنّه يشير في مفهومه إلى امكان تسلط إبليس على بعض الناس من غير المؤمنين إلى الدرجة التي تؤدي إلى ذهاب عقولهم، وهذا طبعاً قابل للتصور بناءً على معطيات منها: أن هدف الشيطان هو الوصول إلى حالة من التسلط الكامل على الإنسان، ثم أن سلطته تتجه منذ البدء إلى الناس ضعفاء الإرادة وذوي القابلية لتقبل الوسوسة، ثم أنّ هذه السلطة تقوى كلما كان الإنسان منحرفاً نفسياً أي من ذوي العقد. ولذلك يمكن لنا تصور حصول الحالة القصوى وهي حالة الهيمنة الكاملة على العقل حيث يتم نقل الإنسان من العيش داخل الموضوع إلى العيش مع الذات مع تجاهل

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٧٠ - ١٧٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠١.

بدرجات محددة للعالم. وطبعاً هذا أيضاً يعتمد على العوامل الوارثية والظروف المحيطة بالإنسان بحيث تحصل أقصى حالات الخضوع، ولذلك فإن الجنون يكون تبعاً للصفات النفسية للمجنون فربما كان عنيفاً أو حالماً أو منعزلاً أي أن الشيطان يتسلط كذلك من خلال الممكنات العقلية والنفسية. ويلتقي مع ما مرّ في تفسير الآية التالية:

وقال سبحانه: ﴿ ***الذين يأكلون الرّبا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ*** ﴾[1].

وقال في قوله تعالى: «إلاّ كما يقوم الذي يتخبّطه الشيطان من المسّ» التخبط معناه التصرّف على غير استواء وتخبّطه الشيطان: إذا مسّه بخبل أو جنون، وتسمّى إصابة الشيطان بالجنون، والخبل: خبطة، والمسّ: الجنون، يقال: مسّ الرجل فهو ممسوس وبه مسّ، وأصله من المسّ باليد، كأنّ الشيطان يمسّ الإنسان فيجنّنه، ثمّ سمّي الجنون مسّاً كما أنّ الشيطان يتخبّطه ويطأه برجله فيخبّله، فسمّي الجنون خبطة، فالتخبّط بالرجل والمسّ باليد.

وقال الجبائي: والناس يقولون: المصروع إنّما حدثت به تلك الحالة لأنّ الشيطان يمسّه ويصرعه، وهذا باطل لأنّ قدرة الشيطان ضعيفة لا يقدر على صرع الناس وقتلهم، ويدلّ عليه وجوه:

أحدها: قوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿ ***وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي*** ﴾[2] وهذا صريح في أنّه ليس للشيطان قدرة على الصرع والقتل والايذاء.

والثاني: أنّ الشيطان إمّا أن يقال: إنّه كثيف الجسم أو يقال: إنّه من الأجسام اللطيفة، فإن كان الأوّل وجب أن يرى ويشاهد، إذ لو جاز فيه أن

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٢) سورة ابراهيم: ٢٢.

يكون كثيفاً ويحضر ثمَ لا يرى لجاز أن يكون بحضرتنا شموس ورعود وبروق وجبال ونحن لا نراها، وذلك جهالة عظيمة، ولأنّه لو كان جسماً كثيفاً فكيف يمكنه أن يدخل في باطن بدن الإنسان، وأمّا إن كان جسماً لطيفاً كالهواء فمثل هذا يمتنع أن تكون فيه صلابة وقوّة فيمتنع أن يكون قادراً على أن يصرع الإنسان ويقتله.

الثالث: لو كان الشيطان يقدر على أن يصرع الإنسان فيقتله لصحَ أن يفعل مثل معجزات الأنبياء وذلك يجرّ الطعن في النبوّة.

الرابع: أنّ الشيطان لو قدر على ذلك فلم لا يصرع جميع المؤمنين ولا يخبطهم من شدّة عداوته مع أهل الإيمان؟ ولِمَ لا يغصب أموالهم ويفسد أحوالهم ويفشي أسرارهم ويزيل عقولهم؟ وكلّ ذلك ظاهر الفساد.

واحتجّ القائلون بأنّ الشيطان يقدر على هذه الأشياء بوجهين:

الأوّل: ما روي أنّ الشياطين في زمان سليمان عليه السلام كانوا يعملون الأعمال الشاقة على ما حكى الله عنهم: إنّهم كانوا ﴿ ***يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات*** ﴾ [1] والجواب عنه أنّه تعالى كثّف أجسامهم في زمان سليمان عليه السلام.

والثاني: أنّ هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿ ***يتخبطه الشيطان من المسّ*** ﴾ [2] صريح في أن تخبطه كان من الشيطان ومسّه مسبّباً عنه[3].

والجواب عنه: أنّ الشيطان يمسّه بالوسوسة المؤذية التي يحدث عندها الصرع وهو كقول أيوب: ﴿ ***إنّي مسني الشيطان بنصب وعذاب*** ﴾ [4] وإنّما يحدث

---

(١) سورة سبأ: ١٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠١.

(٤) سورة ص: ٤١.

الصرع عند تلك الوسوسة، فلا جرم فيصرع عند تلك الوسوسة كما يفزع الجبان من الموضع الخالي وبهذا المعنى لا يوجد هذا الخبط من الفضلاء الكاملين وأهل الحزم والعقل، وإنّما يوجد فيمن به نقص في المزاج وخلل في الدماغ، وهذا جملة كلام الجبائي في هذا الباب.

وذكر القفّال وجهاً آخر فيه، وهو أنّ الناس يضيفون الصّرع إلى الشيطان وإلى الجنّ فخوطبوا على ما تعارفوه من هذا.

وأيضاً من عادة الناس أنّهم إذا أرادوا تقبيح شيء يضيفوه إلى الشيطان كما في قوله تعالى: ﴿ طلعها كأنّه رؤوس الشياطين ﴾[1].

وقال الطبرسيّ قدّس سرّه: قيل: إنّ هذا على وجه التشبيه، لأنّ الشيطان لا يصرع الإنسان على الحقيقة، ولكن من غلب عليه المرّة السوداء وضعف ربما يخيّل إليه الشيطان أموراً هائلة ويوسوس إليه، فيقع الصرع عند ذلك من فعل الله تعالى، ونسب ذلك إلى الشيطان مجازاً لما كان ذلك عند وسوسته، عن الجبائي.

وقيل: يجوز أن يكون الصرع من فعل الشيطان في بعض الناس دون بعض، عن أبي الهذيل وابن الأخشيد، قالا: لأنّ الظاهر من القرآن يشهد به وليس في العقل ما يمنع منه ولا يمنع الله سبحانه الشيطان عنه امتحاناً لبعض الناس وعقوبة لبعض على ذنب ألمّ به ولم يتب منه كما يسلّط بعض الناس على بعض فيظلمه ويأخذ ماله ولا يمنعه الله منه[2].

فإن حالة التخبط التام قد تنشأ عن تسلط الشيطان ولكن لا يمكن الجزم بأن جميع حالات الجنون ناشئة عن تسلط الشيطان لأنّ، الآية لا تدل على

---

(١) سورة الصافات: ٦٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٢ ـ ١٤٤.

هذا الأمر بينما تفيد الدراسات الطبية على وجود أكثر من منشأ للجنون يكون تسلط الشيطان أحد أشكالها.

## التسلّط على النائم

ويدل الحديث التالي :

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: ليس من عبد إلاّ ويوقظ في كل ليلة مرّة أو مرتين أو مراراً، فإن قام كان ذلك، وإلاّ فحج الشيطان ،فبال في أذنه، أو لا يرى أحدكم أنّه إذا قام ولم يكن ذلك منه قام وهو متخثر ثقيل كسلان؟.

توضيح: كأنّ بول الشيطان كناية عن قوّة استيلائه وغلبته عليه، وإن احتمل الحقيقة أيضاً، قال في النهاية: فيه «أنّه بال قائماً ففحّج رجليه» أي فرّقهما وباعد ما بينهما، والفحج: تباعد ما بين الفخذين، وقال فيه: «من نام حتّى أصبح فقد بال الشيطان في أذنه» قيل: معناه سخر منه وظهر عليه حتّى نام عن طاعة الله، كقول الشاعر: ((بال سهيل في الفضيح ففسد)). أي لما كان الفضيح يفسد بطلوع سهيل كان ظهوره عليه مفسداً له، وفي حديث آخر ،عن الحسن مرسلاً أنّ النبيّ ﷺ قال: فإذا نام شعر الشيطان برجله فبال في أذنه، وحديث ابن مسعود: «كفى بالرجل شراً أن يبول الشيطان في أذنه» وكلّ هذا على سبيل المجاز والتمثيل. انتهى.

وقال الطيبي: فيه تمثيل لتثاقل نومه وعدم تنبهه بصوت المؤذّن بحال من بول في أذنه وفسد حسّه.

وقال النوويّ: قال القاضي: لا يبعد حمله على ظاهره وخصّ الأذن لأنّها حاسّة الانتباه[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٣.

على أن النوم وهو يعني أحد أهم الحالات التي تضعف فيه الإرادة على تأكيد حقيقي، اعتماد الشيطان على عنصر رئيسي هو ضعف الإرادة الذي يشكل أساس قوة الشيطان، وفي المواقع التي لا تكون ضعيفة أو ليست ضعيفة كفاية فإنّه يلجأ إلى الوسوسة إلى ايصالها إلى درجة الضعف المطلوبة (العصيان) أو ترك (المستحبات) ولذلك فإن من دوائر نفوذ الشيطان، ولكنه أيضاً يحتاج إلى ممارسة الوسوسة لاقناع النائم بعد أن يستيقظ بالعودة إلى النوم لايصاله إلى الأوقات التي يكون الاستيقاظ فيه ثقيل.

وهذه الرواية تؤيد ما مرّ أيضاً ولكن بصورة اجمالية:

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّما كانت بليّة أيّوب التي ابتلي بها في الدنيا لنعمة أنعم الله بها عليه فأدى شكرها، وكان إبليس في ذلك الزمان لا يحجب دون العرش، فلمّا صعد عمل أيّوب بأداء شكر النعمة حسده إبليس، فقال: يا ربّ إنّ أيّوب لم يؤدّ شكر هذه النعمة إلاّ بما أعطيته من الدنيا، فلو حلت بينه وبين دنياه ما أدّى إليك شكر نعمة، فسلّطني على دنياه تعلم أنّه لا يؤدي شكر نعمة فقال: قد سلّطتك على دنياه، فلم يدع له دنياً ولا ولداً إلاّ أهلك ذلك وهو يحمد الله عزّ وجل.

ثم رجع إليه فقال: يا ربّ إنّ أيّوب يعلم أنّك ستردّ عليه دنياه التي أخذتها منه فسلّطني على بدنه حتّى تعلم أنّه لا يؤدي شكر نعمة، قال عزّ وجلّ: قد سلّطتك على بدنه ما عدا عينيه وقلبه ولسانه وسمعه، فقال أبو بصير: قال أبو عبد الله عليه السلام: فانقضّ مبادراً خشية أن تدركه رحمة الله عزّ وجلّ فيحول بينه وبينه فنفخ في منخريه من نار السّموم فصار جسده نقطاً نقطاً[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/٢٦٢.

فهنا تأكيد بأن إبليس لا يمكن من شيء وبصورة أكيدة أن الله يبتلي عباده المؤمنين ليزيد في درجاتهم، ولذلك فإن الله قد يسلط على مال المؤمن ولكن يلفت النظر تناقض الرواية مع روايات الرجم، وأن إبليس لم يعد قادراً على الوصول إلى السماوات لأنه رجم بعد خلق آدم ولعن، ويمكن أن يكون قد خلى الله بينه وبين مال أيوب لغرض امتحان واثبات لخطأ ظنون إبليس التي يعلمها الله دون الحاجة إلى وصوله إلى العرش.

وهذه الروايات تتحدث أيضاً عن أثر النفوذ من الشيطان في بدن الإنسان.

بإسناده، عن عبد العظيم الحسنيّ ،قال: كتبت إلى أبي جعفر عليه السلام أسأله عن علّة الغائط ونتنه، قال: إنّ الله تعالى خلق آدم وكان جسده طيّباً وبقي اربعين سنة ملقى تمرّ به الملائكة فتقول: لأمر ما خلقت، وكان إبليس يدخل في فيه ويخرج من دبره فلذلك صار ما في جوف آدم منتناً خبيثاً غير طيّب[1].

وفيها دلالة على أن الشيطان له أثر في نتانة الغائط ومعلوم أن هذه النتانة كانت بسبب وجود البكتريا التي تساعد على الهضم، وربّما كان الشيطان كما في التعليل السابق سبباً في دخول البكتريا إلى جوف آدم لكن هذا معارض بكون إبليس في تلك الفترة من العابدين ومثله مثل الملائكة، ثم أن الأمر بالسجود لم يصدر بعد والرواية لا تعلل سلوك إبليس والأسباب التي تدفعه إلى الدخول والخروج وهو في النهاية لا ينسجم مع مجمل ما مرّ.

أما معنى هذه الرواية فهو مايلي:

بإسناده ،عن المفضّل بن عمر ،في خبر طويل في الرجعة وأحوال القائم عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٠.

قال المفضّل: قلت يا سيّدي: فمن يخاطبه؟ قال: الملائكة والمؤمنون من الجنّ، وساق إلى قوله: قال المفضل: يا سيّدي وتظهر الملائكة والجنّ للناس؟ قال: إي والله يا مفضل، ويخاطبونهم كما يكتمون الرجل مع حاشيته وأهله.

قلت: يا سيّدي ويسيرون معه؟ قال: إي والله يا مفضّل، ولينزلن أرض الهجرة ما بين الكوفة والنجف، وعدد أصحابه ﷺ ستّة وأربعون ألفاً من الملائكة، وستّة آلاف من الجنّ، والنقباء ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، الحديث[1].

فهي تدل على أن هناك طور تتسع فيه دائرة الإيجاب حتى يمكن أن تشمل عدد كبير من عالم الجن وبغض النظر عن ظهور الجن أو عدم ظهورهم، فإن الرواية تؤكدعلى أن هذا الطور سيؤدي إلى اضعاف سلطة إبليس، وهو يدل على أن مدى هذه الرواية زمنياً محدود كما أنه محدود كيفياً.

## العوامل التي تعيق سيطرة الشيطان

لقد مرّ في الصفحات السابقة وجود عوامل تمكن الشيطان من السيطرة والنفاذ، فإن النصوص التالية تؤكد على وجود عوامل تعيق هذه السيطرة وتعطلها لأسباب بعضها تتعلق بالمغيبات وبعضها يمكن تعليلها بعلل معينة، ولكن لابدّ من اعتبار ما جاء في هذه النصوص وقبوله من التعبديات التي يمكن العمل بها حتى لو لم يتم ادراك عللها من قبيل ما سيرد ذكره كالاستعاذة التي هي عبارة عن ترديد ألفاظ فيها ذكر الله ،فهل هذه الألفاظ

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٥ ـ ٧٦.

تكون مؤثرة ؟ لأنّها بهذه الصيغة أو لأن المضمون نفسه له الأثر؟ هذه الأبعاد طبعاً غير معلومة مثل الكثير من العلاقات غير المدركة بين بعض الألفاظ وبين بعض النواتج ،فهل أن ذلك متعلق بطاقات الروحية التي كشف عنها علم الباراسايكولوجي؟ أمّ أنها متعلق بطبيعة الفضاء الذي يوجد فيه الإنسان وفيه أنواع القوى التي لا تزال مجهولة ؟هذه الأسئلة تحتاج إلى المزيد من التأمل والبحث قبل الإجابة .

## الاستعاذة بالله

قال تعالى: ﴿ *وإنّي أعيذها بك وذريّتها من الشيطان الرجيم* ﴾ [١].

قوله: « وإني أعيذها بك» قال البيضاوي: أجيرها بحفظك « الرجيم»: المطرود، و أصل الرجم: الرمي بالحجارة، وعن النبيّ ﷺ: «ما من مولود يولد إلاّ والشيطان يمسّه حين يولد فيستهلّ من مسّه إلاّ مريم وابنها» ومعناه أن الشيطان يطمع في إغواء كلّ مولود بحيث يتأثر منه إلاّ مريم وابنها، فإنّ الله تعالى عصمها ببركة هذه الاستعاذة[٢].

لقد مرّ أن الاستعاذة هي عمل قلبي يعني التمرد على سلطة الشيطان لكننا لا نستطيع الجزم بأن هذه الاستعاذة ليست لها آثار تكوينية إما من باب كونها دعاء، أو لأن أصل ذكر الله طارد بطبيعته للشيطان، أو أنه يولد نوع من الحواجز التي تحول بين فاعلية إبليس وبين الدائرة المذكورة، أو أن القضية تحول إلى الملائكة المكلفون بحفظ الإنسان ويمنحهم نوع من التفويض بطرد الشيطان، ولذلك فإن أي من هذه المحتملات لو صدق لكان له أثر في دفع سيطرة الشيطان ومع الأضرار المتوقعة إن كانت دنيوية أو أخروية.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٥.

أما بالنسبة للروايات التالية والتي تخص أثر الدواجن فقد جاء التعليل في ذيل الرواية وكما يأتي:

## دور الطير في دفع الضرر:

جاء عن جعفر ،عن أبيهﷺ قال: كانوا يحبّون أن يكون في البيت الشيء الداجن مثل الحمام، أو الدّجاج، أو العناق، ليعبث به صبيان الجنّ ولا يعبثون بصبيانهم[١].

وعن أبي عبد اللهﷺ قال: ليس من بيت نبيّ إلاّ وفيه حمامان لأنّ سفهاء الجن يعبثون بصبيان البيت فإذا كان فيه حمام عبثوا بالحمام وتركوا النّاس[٢].

وعن أبي عبداللهﷺ قال: ليس من بيت فيه حمام إلاّ لم يصب أهل ذلك البيت آفة من الجنّ، إنّ سفهاء الجنّ يعبثون في البيت فيعبثون بالحمام ويدعون الإنسان[٣].

بإسناده ،عن إبراهيم بن أبي يحيى ،قال: قال رسول اللهﷺ من رمى أو رمته الجنّ فليأخذ الحجر الذي رمي به فليرم من حيث رمي وليقل: «حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى» وقالﷺ: أكثروا من الدواجن في بيوتكم تتشاغل بها عن صبيانكم.

بيان: في الصّحاح: دجن بالمكان: أقام، تقول: شاة داجن: إذا ألفت البيوت[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٩٣.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٤.

قال رسول الله ﷺ: أكثروا من الدّواجن في بيوتكم تتشاغل بها الشياطين عن صبيانكم(١).

ففي جميع هذه النصوص ورد أن صبيان الجن يمكن أن توقع الضرر بصبيان الإنس، وهذا يعني أنّه يصدر عن كائنات غير قاصدة ولكنها بحكم كونها غير مرئية وذات طاقات عالية فإنّها توقع الضرر، ولذلك فإن وجود الطيور الذي يكون محبوباً من قبل صبية الجن تماماً مثل صبية الإنس يدفع إلى اللهو بها، ونفس الأمر بالنسبة للسفهاء وبالنسبة لرمي الحجر فكما يبدو أنه صادر عن بعض سفهاء الجن وأن رده إليهم ربما يمنع تكرار رميه وليس في الرواية تعليل.

**الصوم:**

بإسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: في أوّل يوم من شهر رمضان تغلّ مردة الشياطين(٢).

وورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إذا طلع هلال شهر رمضان غلّت مردة الشياطين(٣).

وعن أبي عبد الله ،عن آبائه عليهم السلام أنّ النبيّ ﷺ قال لأصحابه: ألاّ أخبركم بشيء إن أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم كما تباعد المشرق من المغرب؟ قالوا: بلى، قال: الصوم يسودّ وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله والموازرة على العمل الصال يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٥.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦١.

بيان: في النهاية: يقطع دابرهم أي جميعهم حتّى لايبقى منهم أحد، ودابر القوم: آخر من يبقى منهم، ويجيء في آخرهم، وقال: الوتين: عرق في القلب إذا قطع مات صاحبه[١].

بإسناده ،عن موسى بن جعفر ،عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله ما الذي يباعد الشيطان منّا؟ قال: الصوم لله يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحبّ في الله تعالى والمواظبة على العمل يقطع دابره، والاستغفار يقطع وتينه[٢].

ففي هذه الروايات بيان لأثر الصوم مع اختلاف إذ أن صوم رمضان كمناسبة تؤدي إلى حبس الشياطين بأمر إلهي اضعافاً لسيطرتهم واطلاق لحرية البشر في العبادة، لكن الصوم أيضاً له أثره الخاص على الشياطين سواء كان في رمضان أو سواه، وكما يبدو أن لكل عمل من أعمال الطاعة أثر في ابعاد الشيطان وطرده بعيداً عن الإنسان، وهكذا فإن هذه الأعمال الصالحة مع صغرها فإن لها الأثر الكبير، ذلك كما قلنا لأن لها نتائج ايجابية تماماً كالسلبيات التي تقويه فإن الايجابيات والطاعات تضعفه. وهنا أيضاً تأتي اشارة إلى أن الشيطان سلبي وذلك كمايلي:

بإسناده ،عن جابر الأنصاري ،قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اغلقوا أبوابكم وخمّروا آنيتكم وأوكئوا أسقيتكم، فإن الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحلّ وكاء[٣].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٤.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٤.

وروي عن سماعة ،قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن إغلاق الأبواب وإيكاء الأواني وإطفاء السراج، فقال: أغلق بابك فإنّ الشيطان لا يكشف مخمَراً يعني مغطّى[1].

فهنا حتى لو كان له غرض في الايذاء فإنّه لا يمارس الأذى إلا عندما تتوفر الامكانيات، ولذلك فإن اغلاق الباب يصرف الأذى الذي يمكن أن يمارسه الشيطان، وهذا لا توجد اشارة إلى أن المعنى بهذه القضايا هو شيطان الجان أم شيطان الإنس، وهل الأذى المقصود منه هو تضامني كأن يدفع الشيطان بأحد السفهاء لممارسة الأذى حين يرى باباً مفتوحاً فيلجه للسرقة أو لما شابه من قبيل السوانح لايقاع الأذى؟.

قال تعالى: ﴿ *ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتّبعتم الشيطان إلاّ قليلا* ﴾ [2].

وقال البيضاويّ: « ولولا فضل الله عليكم ورحمته» بإرسال الرّسول وإنزال الكتاب « لاتّبعتم الشيطان» بالكفر والضلال « إلاّ قليلا» إلاّ قليلاً منكم تفضّل الله عليه بعقل راجح اهتدى به إلى الحقّ والصواب وعصمه عن متابعة الشيطان، كزيد بن نفيل ، وورقة بن نوفل، أو إلاّ اتّباعاً قليلاً على الندور[3].

في تفسير هذه الآية على أن الله سبحانه وتعالى وبواسطة ارساله للرسل وما أودعه في الإنسان من امكانات، هو الذي وضع بيد الناس كامل الفرص لتقليص سيطرة إبليس وما عليهم إلاّ الإفادة منها والذين مارسوا هذا العمل خرجوا عن سيطرته، وأهم هذه الأدوات هو ارساله الرسالات التي توجه الناس نحو نجاتهم وخلاصهم؛ لأنّ سيطرة الشيطان كما مرّ لا تفرز إلى

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٠.

(٢) سورة النساء: ٨٣.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٤٥ - ١٤٦.

السلب ولربّما كان القليل الذين هم ناجون هو أيضاً يمنحهم من قبل الله العقل الراجح الذي يعينهم على اكتشاف الحق من الباطل وهؤلاء طبعاً قليل في بني الإنسان، ومثلما سبق يأتي هنا دور الآذان في منع سيطرة الجن:

جاء عن محمّد بن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا تغوّلت بكم الغيلان فأذّنوا بآذان الصّلاة[1].

بيان: قال الشهيد رحمه الله في الذكرى: في الجعفريّات: عن النبيّ صلى الله عليه وآله إذا تغوّلت بكم الغيلان فأذّنوا بأذان الصلاة.

ورواه العامّة وفسّره الهرويّ بأنّ العرب تقول: إنّ الغيلان في الفلوات تراءى للناس، تتغوّل تغولاً أي تتلّون تلوّناً، فتضلّهم عن الطريق وتهلكهم، وروي في الحديث: «لا غول» وفيه إبطال لكلام العرب فيمكن أن يكون الآذان لدفع الخيال الذي يحصل في الفلوات وإن لم تكن له حقيقة، وفي مضمر سليمان الجعفريّ سمعته يقول: «أذن في بيتك فإنّه يطرد الشيطان، ويستحبّ من أجل الصبيان» وهذا يمكن حمله على آذان الصلاة.

وفي النهاية: فيه «لاغول ولا صفر» الغول: أحد الغيلان، وهي جنس من الجنّ والشياطين وكانت العرب تزعم أنّ الغول تتراءى للناس، فتتغوّل تغوّلاً أي تتلوّن تلوّناً في صور شتّى، وتغوّلهم أي تضلّهم عن الطريق وتهلكهم، فنهى النبي صلى الله عليه وآله وأبطله، وقيل: قوله: [لا غول] ليس نفياً لعين الغول ووجوده، وإنّما فيه إيطال مزعم العرب وتلوّنه بالصور المختلفة واغتياله: فيكون المعنيّ بقوله: «ولا غول» إنّها لا تستطيع أن تضلّ أحداً ويشهد له الحديث الآخر: «لا غول ولكنّ السعالي» السعالي: سحرة الجنّ أي ولكن في الجنّ سحرة لهم

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٧.

تلبيس وتخييل، و منه الحديث: «إذا تغوّلت الغيلان فبادروا بالأذان» أي ادفعوا شرّها بذكر الله تعالى، وهذا يدلّ على أنّه لم يرد بنفيها عدمها[1].

وفي الرواية التالية قال الصادق عليه السلام: إذا تغوّلت بكم الغول فأذّنوا[2].

فهنا للآذان أثر مشابه لأثر العوذات وهو أيضاً مجهول كيفية الفعل ولذلك يجب العمل به دون الالتفات إلى أسلوب تأثيره، ومن الواضح أن للأذان موضع للاستفادة من آثاره المانعة وهو كما يبدو خاص للغول وللسير بالبرية، بينما كانت العواذة أعم لكن وكما يبدو أن العوذات متنوعة أيضاً وبحسب الحالات فمثلاً الحالة التالية ورد فيها مايلي:

وهذه العواذة خاصة بعبور الجسور وهي طبعاً ذكر اسم الله سبحانه.

بإسناده ،عن حفص بن القاسم ،قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ على ذروة كلّ جسر شيطاناً، فإذا انتهيت إليه فقل: «بسم الله» يرحل عنك[3].

أما الثانية فهي خاصة بالوضوء والأكل واللبس:

قال أبو عبد الله عليه السلام: في خبر آخر إذا توضأ أحدكم ولم يسمّ كان للشيطان في وضوئه شرك، وإن أكل أو شرب أو لبس لباساً ينبغي أن يسمّي عليه، فإن لم يفعل كان للشيطان فيه شرك[4].

وهذه تهدف إلى منع شرك الشيطان الذي يكون حتماً مضراً لصاحب المأكل والملبس، وهكذا يثبت أن نفس ذكر الله يبعد ضرر الشيطان الذي يمكن أن يكون نوع من الطاقة التي تشبه ما يقوم به الحاسد حيث تنطلق شحنة تصيب المحسود. كما ورد في بعض التفسيرات العلمية المعاصرة لهذه الظواهر

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٧.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٢.

(٤) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٣.

وبما أن الشيطان نفس وهي حاسدة وسلبية بصورة عامة فإن وقوع الضرر سيكون أوكد.

قال: رجل لعبد الرّحمن بن خنيش: كيف صنع رسول الله ﷺ كادته الشياطين؟ قال: نعم تحدّرت الشياطين من الجبال والأودية يريدون رسول الله ﷺ فيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرق بها رسول الله ﷺ فلمّا رآهم رسول الله ﷺ فزع منهم وجاءه جبرئيل فقال: يا محمّد قل ما أقول: «أعوذ بكلمات الله التّامات اللاتي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شرّ ما خلق وبرأ وذرأ ومن شرّ ما ينزل من السّماء ومن شرّ ما يعرج فيها، ومن شرّ ما ذرأ في الأرض ومن شرّ ما يخرج منها ومن شرّ فتن الليل والنهار، ومن شرّ كل طارق إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن» قال: فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله عزّ وجل[1].

وهذه عواذة أيضاً تنفع العاملين بها وهي منقولة عن الرسول ﷺ ويبدو أنها غير خاصة بالحالة التي وردت فيها بل أنها كما يبدو تفيد في دفع الضرر المفاجئ والكبر التي تصفه الحادثة.

ومثلها العواذات الآتية:

فهذه خاصة بقراءة القرآن:

قال تعالى: ﴿ ***فزيّن لهم الشيطان أعمالهم فهو وليّهم اليوم*** ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ ***فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ❖ إنّه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون ❖ إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون*** ﴾[3].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨٢.

(٢) سورة النمل: ٦٣.

(٣) سورة النمل: ٩٨-١٠٠.

قوله تعالى: « فإذا قرأت القرآن» ذهب جماعة من الصّحابة والتابعين إلى أنّ الاستعاذة بعد القراءة، وأمّا الأكثرون فقد اتّفقوا على أنّ الاستعاذة متقدّمة.

فالمعنى: إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعذ، والمراد بالشيطان في هذه الآية قيل: إبليس، والأقرب أنّه للجنس لأنّ لجميع المردة من الشياطين حظّاً من الوسوسة ولّما أمر الله رسوله بالاستعاذة من الشيطان وكان ذلك يوهم أنّ للشيطان قدرة على التصرّف في أبدان الناس، فأزال الله تعالى هذا الوهم وبيّن أنّه لا قدرة له البتّة إلاّ على الوسوسة، فقال: « إنّه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون»[1].

وهذه أيضاً عواذة عن ضرر الجن مثل ما مرّ:

عن ابن مسعود قال: لّما كان ليلة الجنّ أقبل عفريت من الجنّ في يده شعلة من نار فجعل النبيّ يقرأ القرآن فلا يزداد إلاّ قربا، فقال له جبرئيل: ألا أعلمك كلمات تقولهن ينكبّ منها لفيه وتطفئ شعلته؟ قل (أعوذ بوجه الله الكريم وكلمات الله التّامات التي لا يجاوزهن برّ ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء ومن شرّ ما يعرج فيها ومن شر ما ذرأ في الأرض ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنّهار ومن شرّ طوارق الليل ومن شرّ كلّ طارق إلاّ طارقاً يطرق بخير يا رحمن) فقالها فانكبّ لفيه وطفيت شعلته[2].

أمّا بالنسبة لمايلي:

روى عن عبد العظيم الحسني ،أن أبا جعفر محمّد بن عليّ كتب هذه العوذة لابنه أبي الحسن ، وساق الدعاء الطويل إلى قوله: امتنع من

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٧٣.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٨٣.

شياطين الإنس والجنّ ومن رجلهم وخيلهم، وركضهم وعطفهم ورجعتهم وكيدهم وشرّهم وشرّ ما يأتون به تحت الليل وتحت النهار من البعد والقرب ومن شرّ الغائب والحاضر ـ إلى قوله: ـ ومن شرّ الدناهش والحسّ واللمس واللبس ومن عين الجنّ والإنس ومن شرّ كلّ صورة وخيال أو بياض أو سواد أو مثال أو معاهد أو غير معاهد ممّن يسكن الهواء والسحاب والظلمات والنور والظلّ والحرور والبرّ والبحور والسّهل والوعور والخراب والعمران والاكام والآجام، والمغائض والكنائس والنواويس والفلوات والجبانات من الصّادرين والواردين ممّن يبدو بالليل وينتشر بالنهار وبالعشي والأبكار والغدو والآصال والمريبين والأسامرة والأفاترة وابن فطرة، والفراعنة والأبالسة ومن جنودهم وأزواجهم وعشائرهم وقبائلهم، ومن همزهم ولمزهم ونفثهم ووقاعهم وأخذهم وسحرهم وضربهم وعينهم ولمحهم واحتيالهم واحلافهم، ومن شرّ كل ذي شرّ من السحرة والغيلان وأمّ الصبيان وما ولدوا وما وردوا إلى آخر الدعاء.

توضيح: قال الكفعمي رحمه الله: الدناهش: جنس من أجناس الجنّ، والحسّ: الصوت الخفيّ، وبرد يحرق الكلأ والقتل، والتمثال: الصورة والمعاهد: الذي حصل منها لأمان، والآكام جمع أكمة وهي الرابية، والآجام جمع أجمة وهي منبت الشجر والقصب الملتف والمغائض جمع مغيضة وهي الأجمة، وكنايس اليهود معروفة. والنواويس: مقابر النصارى، والمريبين: الذين يأتون بالريبة والتهمة. والأسامرة: الذين يتحدّثون بالليل، والأفاترة: الأبالسة، وابن فطرة: حيّة خبيثة. والفراعنة: العتاة. والأبالسة: هم الشياطين وهم ذكور وأناث يتوالدون ولا يموتون ويخلدون في الدنيا كما خلد إبليس وإبليس هو أبو الجنّ، والجنّ ذكوراً وإناث ويتوالدون ويموتون، وأمّا الجانّ

فهو أبو الجن، وقيل: هو إبليس، وقيل: إنّه مسخ الجن كما أن القردة والخنازير مسخ الإنس، والكل خلقوا قبل آدم ﷺ، والعرب تنزل الجنّ مراتب، فإذا ذكروا الجنس قالوا: جنّ، فإن أرادوا أنّه يسكن مع الناس قالوا: عامر والجمع عمّار، فإن كانوا ممن يتعرّض للصبيان قالوا: أرواح، فإن خبث فهو شيطان فإن زاد على ذلك قالوا: مارد، فإن زاد على القوة قالوا: عفريت، وروي أنّ النبي ﷺ قال: خلق الله الجنّ خمسة أصناف: صنف كالريح في الهواء، وصنف حيّات، وصنف عقارب، وصنف حشرات الأرض، وصنف كبني آدم عليهم الحساب والعقاب، والغيلان: سحرة الجن، وأمّ الصبيان: ريح تعرض لهم[1].

فإنه كما يبدو لدفع جميع أنواع الضرر سواء الاغواء أو الاضرار المباشرة.

وفي الرواية التالية مايلي:

قال أبو جعفر ﷺ: إذا انكشف أحدكم لبول أو لغير ذلك فليقل:(بسم الله) فإنّ الشيطان يغضّ بصره عنه حتّى يفرغ[2].

وهي تدل أولاً على أن هناك مواضع يحتاج فيها الإنسان، الاستعاذة لقرب الشيطان من الإنسان من قبيل انكشاف عورته، فهي حينئذ ربما تؤدي إلى اقتراب فسقة الجن اناثاً أو ذكوراً من الإنسان أو تعلقهم به، وبالتالي فسيكون عرضة بسبب هذه العلقة إلى الاغواء أو الأضرار البدنية. وهذا يدل عليه التعليل لأنّ غض البصر يعني عدم التطلع إلى العورة وهو ما يمكن أن يكون مدخل لهذا الضرر.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٦٦-٢٦٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠١.

## أثر الآيات في دفع الشيطان

وهناك عدد من الآيات له آثار في دفع الشياطين ومنها آية الكرسي التي ورد فيها النص التالي:

عن ابن مسعود، قال: خرج رجل من الإنس فلقيه رجل من الجن، فقال: هل لك أن تصارعني؟ فإن صرعتني علّمتك آية إذا قرأتها حين تدخل بيتك لم يدخله شيطان، فصارعه فصرعه الإنسي، فقال: تقرأ آية الكرسي، فإنّه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلاّ خرج الشيطان له خبج كخبج الحمار[1].

فهذه الآية الكريمة وآيات أخرى سواها لها آثار معروفة وذائعة عند المسلمين بناءً على الأحاديث الصادرة عن أهل البيتﷺ وكما يبدو أن الناس قد انتفعوا منها فأقاموا عليها.

ولمنع سرقة الطعام جاء مايلي:

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا أكلت الطعام فقل: بسم الله في اوّله وفي آخره، فإنّ العبد إذا سمّى في طعامه قبل أن يأكل لم يأكل معه الشيطان وإذا سمّى بعد ما يأكل وأكل الشيطان منه تقيأ ما كان أكل[2].

وعن محمّد بن مروان ،عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا وضع الغداء والعشاء فقل: «بسم الله» فإنّ الشيطان يقول لأصحابه: اخرجوا فليس هنا عشاء ولا مبيت، وإن هو نسي أن يسمّي ،قال لأصحابه: تعالوا فإنّ لكم هنا عشاء ومبيتاً[3].

فهنا يأتي المنع ربما لوجود أضرار من نفس الشيطان لأنّه ذا نفس أو أنّه يأكل من طعام الإنس باعتباره غير منتج وأن هذه المشاركة تؤدي إلى فساد

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٣.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠٣.

الطعام، وبالتالي فإن طرد الشيطان بالعواذة يؤدي إلى إبعاد هذا الضرر ولدفع ضرر الشياطين في المواضع المفزعة جاءت هذه الرواية:

عن أبي الحسن العسكري ،عن آبائه ﷺ قال: دخل أشجع السلميّ على الصادق ﷺ فقال: يا سيّدي أنا أحصل في المواضع المفزعة فعلّمني شيئاً ما آمن به على نفسي، قال: فإذا خفت أمراً فاترك يمينك على أمّ رأسك واقرأ برفيع صوتك ﴿ *افغير دين الله يبغون* ﴾ الآية.

قال أشجع: فحصلت في واد فيه الجنّ فسمعت قائلاً يقول: خذوه، فقرأتها فقال قائل: كيف نأخذه وقد احتجز بآية طيّبة[1].

وهذه طبعاً تأتي في سياق خصائص الآيات وهنا عدد آخر منها. وهناك أيضاً أدعية منها ما أشار إليه النص التالي:

روي عن زيد الزراد قال: سألت أبا عبد الله ﷺ فقلت: الجنّ يخطفون الإنسان؟ فقال: ما لهم إلى ذلك سبيل، لمن تكلّم بهذه الكلمات وذكر الدعاء[2].

وكما يبدو أن بعض العوذات خاصة بمنع الاغواء والوسوسة، ومنها ما تشير إليه الآية الكريمة التالية:

قال تعالى: ﴿ *وقل ربّ اعوذ بك من همزات الشياطين* ❖ *واعوذ بك ربّ أن يحضرون* ﴾[3].

قوله تعالى: « من همزات الشياطين» أي وساوسهم « أن يحضرون» أن يحوموا حولي في شيء من الأحوال « فكبكبوا فيها هم والغاوون» أي الآلهة وعبدتهم، والكبكبة تكرير الكبّ، معناه أنّه ألقي في النار ينكبّ مرّة بعد

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٧٥.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١١.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٧-٩٨.

أخرى حتّى يستقرّ في قعرها « وجنود إبليس» متّبعوه من عصاة الثقلين أو شياطينه « وما تنزّلت به الشياطين» كما زعمت المشركون أنّه من قبيل ما يلقي الشيطان إلى الكهنة «وما ينبغي لهم» وما يصلح لهم أن ينزلوا به «وما يستطيعون» ومايقدرون «إنّهم عن السمع» لكلام الملائكة «لمعزولون» أي مصروفون عن استماع القرآن من السّماء قد حيل بينهم وبين السّمع بالملائكة والشهب.

قيل: وذلك لأنّه مشروط بمشاركة في صفات الذات وقبول فيضان الحقّ ونفوسهم حينئذ ظلمانيّة شريرة(١).

## العوذات

قال تعالى: ﴿ *من شرّ الوسواس الخناس ❁ الذي يوسوس في صدور الناس ❁ من الجنّة والناس* ﴾ (٢).

قوله تعالى: « من شرّ الوسواس الخنّاس» قال الطبرسي رحمه الله فيه أقوال:

أحدها: أنّ معناه من شرّ الوسوسة الواقعة من الجنّة التي يوسوسها في صدور الناس، فيكون فاعل يوسوس ضمير الجنّة، وإنّما ذكر لأنّ الجنة والجنّ واحد وجازت الكناية عنه وإن كان متأخّراً لأنّه في نيّة التقدّم.

وثانيها: أنّ معناه من شرّ ذي الوسواس وهو الشيطان، كما جاء في الأثر «أنّه يوسوس فإذا ذكر ربّه خنس».

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) بحار الأنوار: سورة الناس: ٤-٦.

ثمّ وصفه الله تعالى بقوله: « الـذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس» أي بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه إلى قلوبهم من غير سماع، ثمّ ذكر أنّ هذا الشيطان الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة وهـم الشياطين كما قال سبحانه: « إلا إبليس كان من الجنّ» ثم عطف بقوله: « والناس» على الوسواس، والمعنى من شرّ الوسواس، ومن شرّ الناس كأنّه أمر أن يستعيذ من شرّ الجنّ والإنس.

وثالثها: أنّ معناه من شرّ ذي الوسواس الخنّاس، ثـمّ فسّره بقوله:« من الجنّة والناس» كما تقول نعوذ بالله من شرّ كلّ مارد من الجنّ والإنـس، وعلى هذا فيكون وسواس الجنّة هو وسواس الشيطان، وفي وسواس الإنس وجهان:

أحدهما: أنّه وسوسة الإنسان نفسه.

والثاني: إغواء من يغويه من الناس، ويدلّ عليه قوله: « شياطين الإنس والجن» فشيطان الجنّ يوسوس، وشيطان الإنس يأتي علانيـة ويرى أنّه ينصح وقصده الشّر، قال مجاهد: الخنّـاس: الشيطان إذا ذكـر الله سبحانه خنس وانقبض، وإذا لم يذكر الله انبسط على القلب، ويؤيّده ما روي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله سبحانه خنس، وإن نسي التقم قلبه، فذلك الوسواس الخنّاس.

وقيل: الخنّاس معناه الكثير الاختفاء بعد الظهور وهو المستتر المختفي عن أعين الناس لأنّه يوسوس من حيث لا يـرى بالعين، وروى العيّاشي باسناده، عن أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: ما من مؤمن إلاّ ولقلبه في صدره أذنـان: أذن ينفـث فيـها الملـك، وأذن ينفـث فيـها الوسواس الخناس، فيؤيد الله المؤمن بالملك، وهو قوله سبحانه: ﴿ *وأيدهم بروح منه* ﴾[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٣ ـ ١٩٤.

وبالنسبة للأفراد التي ربّما تكون جسدية هذه مجموعة من العوذات منها:

جاء عن حمزة الزيّات قال: خرجت ذات ليلة أريد الكوفة فآواني الليل إلى خرابة فدخلتها فبينما أنا فيها إذ دخل عليَّ عفريتان من الجنّ فقال أحدهما لصاحبه: هذا حمزة بن حبيب الزيّات الذي يقرئ الناس بالكوفة، قال: نعم والله لأقتلنّه، قال: دعه المسكين يعيش، قال: لأقتلنّه، فلما أزمع على قتلي قلت: ﴿ *بسم الله الرّحمن الرحيم شهد الله أنّه لا إله إلاّ هو والملائكة* ﴾ إلى قوله: ﴿ *العزيز الحكيم وأنا على ذلك من الشاهدين* ﴾ فقال له صاحبه: دونك الآن فاحفظه راغماً إلى الصّباح[1].

وهنا يجبر الجني على حراسة الإنسي وكذلك مايلي:

## عواذة

بإسناده ،عن عليّ بن أسباط، عن الرضا‏ قال: قال لي: إذا خرجت من منزلك في سفر أو حضر فقل: بسم الله آمنت بالله توكلت على الله ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، فتلقّاه الشياطين فتضرب الملائكة وجوهها وتقول: ماسبيلكم عليه وقد سمّى الله وآمن به وتوكّل على الله، وقال: ما شاء الله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله[2]؟.

وهي تدل على أن سلطة الشيطان تنفعل بالكامل.

وكذلك هذه الرواية تشير إلى نفس ما مرّ:

عن زيد الزراد قال: حججنا سنة فلمّا صرنا في خرابات المدينة بين الحيطان افتقدنا رفيقاً لنا من أخواننا، فطلبناه فلم نجده، فقال لنا الناس بالمدينة:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١١٣ - ١١٤.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٠١ - ٢٠٢.

إن صاحبكم اختطفته الجنّ، فدخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأخبرته بحاله وبقول أهل المدينة، فقال: اخرج إلى المكان الذي اختطف، أو قال: افتقد، فقل بأعلى صوتك يا صالح بن عليّ، إنّ جعفر بن محمّد يقول لك: أهكذا عاهدت وعاقدت الجنّ عليّ ابن أبي طالب؟ اطلب فلاناً حتّى تؤديه إلى رفقائه، ثم قل: يا معشر الجن عزمت عليكم بما عزم عليكم عليّ بن أبي طالب عليه السلام لمّا خليتم عن صاحبي وأرشدتموه إلى الطريق.

قال: ففعلت ذلك فلم ألبث إذا بصاحبي قد خرج عليّ من بعض الخرابات فقال: إنّ شخصاً تراءى لي ما رأيت صورة إلاّ وهو أحسن منها، فقال: يافتى أظنّك تتولّى آل محمد صلى الله عليه وآله؟ فقلت: نعم فقال: إنّ هيهنا رجل من آل محمّد صلى الله عليه وآله هل لك أن تؤجر وتسلّم عليه؟ فقلت: بلى، فأدخلني من هذه الحيطان وهو يمشي أمامي.

فلمّا أن سار غير بعيد نظرت فلم أر شيئاً وغشي عليّ فبقيت مغشياً عليّ لا أدري أين أنا من أرض الله حتّى كان الآن، فإذا قد أتاني آتٍ وحملني حتّى أخرجني إلى الطريق، فأخبرت أبا عبد الله عليه السلام بذلك فقال: ذلك الغوال، أو الغول نوع من الجنّ يغتال الإنسان، فإذا رأيت الشخص الواحد فلا تسترشده وإن أرشدكم فخالفوه وإذا رأيته في خراب وقد خرج عليك أو في فلاة من الأرض فأذن في وجهه وارفع صوتك وقل: «سبحان الذي جعل في السماء نجوماً رجوماً للشياطين، عزمت عليك يا خبيث بعزيمة الله التي عزم بها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ورميت بسهم الله المصيب الذي لا يخطئ، وجعلت سمع الله على سمعك وبصرك، وذلّلتك بعزّة الله، وقهرت سلطانك بسلطان الله، يا خبيث لا سبيل لك» فإنك تقهره إن شاء الله وتصرفه عنك.

فإذا ضللت الطريق فأذّن بأعلى صوتك وقل: «يا سيّارة الله دلونا على الطريق يرحمكم الله أرشدونا يرشدكم الله» فإن أصبت وإلا فناد: «يا عتاة

الجنّ ويا مردة الشياطين أرشدوني ودلّوني على الطريق وإلاّ أشرعت لكم بسهم الله المصيب إيّاكم عزيمة عليّ بن أبي طالب، يا مردة الشياطين إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السّموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلاّ بسلطان مبين، الله غالبكم بجنده الغالب، وقاهركم بسلطانه القاهر، ومذلّلكم بعزّته المتين، فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم» وارفع صوتك بالآذان ترشد وتصيب الطريق إن شاء الله[1].

وتؤيدها هذه الرواية أيضاً:

روى البيهقي في دلائل النبوّة ،عن أبي دجانة ـ واسمه سمّاك بن خرشة ـ قال: شكوت إلى النبيّ ﷺ أنّي نمت في فراشي فسمعت صريراً كصرير الرحا، ودوياً كدوي النحل، ولمعاناً كلمع البرق، فرفعت رأسي فإذا أنا بظلّ أسود يعلو ويطول بصحن داري، فمسست جلده فإذا هو كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النار، فقال ﷺ: عامر دارك يا أبا دجانة، ثمّ طلب دواة وقرطاساً، وأمر علياً عليه السلام أن يكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا كتاب من رسول ربّ العالمين إلى من طرق الدار من العمّار والزوّار إلاّ طارقاً يطرق بخير، أمّا بعد: فإنّ لنا ولكم في الحقّ سعة فإن يكن عاشقاً مولعاً أو فاجراً مقتحماً فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ماكنتم تعملون، إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام، وإلى من يزعم أنّ مع الله إلهاً آخر لا إله إلاّ هو ،كل شيء هالك إلاّ وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، حم لا يبصرون، حمعسق، تفرّق أعداء الله، وبلغت حجّة الله، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم».

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٠٩ ـ ١١١.

قال أبو دجانة: فأخذت الكتاب وأدرجته وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي فبتّ ليلتي فما انتبهت إلاّ من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة أحرقتنا بهذه الكلمات فبحقّ صاحبك إلاّ ما رفعت عنا هذا الكتاب، فلا عود لنا في دارك ولا في جوارك ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب، قال أبو دجانة: لا أرفعه حتى أستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو دجانة: ولقد طالت عليّ ليلتي ممّا سمعت من أنين الجنّ وصراخهم وبكائهم حتّى أصبحت، فغدوت فصلّيت الصّبح مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبرته بما سمعت من الجنّ ليلتي وما قلت لهم، فقال: يا أبا دجانة ارفع عن القوم، فو الذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة، ورواه الوابليّ الحافظ في كتاب الإبانة والقرطبي في كتاب التذكرة[1].

## ما يعطّل كيد الشيطان

عن صفوان بن يحيى ،رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: قال إبليس: خمسة أشياء ليس لي فيهنّ حيلة، وسائر الناس في قبضتي: من اعتصم بالله عن نيّة صادقة واتّكل عليه في جميع أموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حين تصيبه، ومن رضي بما قسم الله ولم يهتم لرزقه[2].

فهذه الأشياء تعطل كيد الشيطان إما كمكافئه من قبل الله أم كأثار تكوينيه لها والمهم هو النتيجة. وورد أيضاً أن بعض الأشياء له مثل هذه الآثار ما يشير إليه الحديث التالي:

وهناك أيضاً عوذات عمليّة كالآتي:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٤٨.

روي عن أبي المغرا ،قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: ليس شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الاخوان في الله بعضهم لبعض، وقال: «إن المؤمنين يلتقيان فيذكران الله ثم يذكران فضلنا أهل البيت فلا يبقى على وجه ابليس مضغة إلا تخدد حتّى أن روحه لتستغيث من شدّة ما تجد من الألم فتحس ملائكة السماء وخزان الجنان فيلعنونه حتّى لا يبقى ملك مقرّب إلاّ لعنه فيقع خاسئاً حسيراً مدحوراً».

بيان: في القاموس: نكى العدوّ فيه نكاية: قتل وجرح، والقرحة نكاها أي قشرها قبل أن تبرأ فنديت. وقال: خدّد لحمه وتخدّد: هزل ونقص، وقال: خسأ الكلب طرده، والحسير: الكالّ والمتلهّف والمعيي، والدحر: الطرد والأبعاد والدفع[1].

فالتزاور كما يدو عمل له آثار في تقليص سلطة إبليس وهو من قبيل ما مرّ ذكره للأعمال الصالحة التي أشار إلى خمسة منها الحديث التالي:

## الختم وحب الشياطين

قوله تعالى: ﴿ *والشياطين كلّ بنّاء وغوّاص* ﴾ [2] أي في البحر ﴿ *وآخرين مقرّنين في الأصفاد* ﴾ يعني مقيّدين قد شدّ بعضهم إلى بعض، وهم الذين عصوا سليمان عليه السلام حين سلبه الله ملكه، قال الصادق عليه السلام: جعل الله عزّ وجلّ ملك سليمان في خاتمه، فكان إذا لبسه حضرته الجنّ والإنس والشياطين وجميع الطير والوحش وأطاعوه ويبعث الله رياحاً تحمل الكرسيّ بجميع ماعليه من الشياطين والطير والإنس والدوابّ والخيل، فتمرّ بها في الهواء إلى موضع

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٥٨ ـ ٢٥٩.

(٢) بحار الأنوار: سورة ص: ٣٧.

يريده سليمان، وكان يصلّي الغداة بالشام والظهر بفارس، وكان يأمر الشياطين أن يحملوا الحجارة من فارس يبيعونها بالشّام فلما مسح أعناق الخيل وسوّقها بالسيف سلبه الله ملكه فجاء شيطان فأخذ من خادمه خاتمه حيث دخل الخلاء ـ وساق الحديث إلى قوله ـ: فلما ردّ عليه الخاتم ولبسه حوت عليه الشياطين والجن والإنس والطير والوحوش ورجع إلى ما كان، فطلب ذلك بالشيطان وجنوده الذين كانوا معه، فقيّدهم وحبس بعضهم في جوف الماء وبعضهم في جوف الصخر بأسامي الله، فهم محبوسون معذّبون إلى يوم القيامة[1].

فالخاتم هنا جاء أن له أثر في السيطرة على الشياطين وهذا طبعاً لا تعرف خصائصه، وهو يدخل ضمن الحالات الخاصة المجهولة لأنّها مفردة وغير قابلة للتكرار ويشبه عصا موسى ﷺ.

أما بالنسبة لذكر الله فإن أغلب ما مرّ هو عبارة عن ذكر الله بأشكال مختلفة، وبالتالي فإن الرواية التالية تأكيد لما مرّ.

في تفسير علي بن ابراهيم في قوله تعالى: ﴿ ***إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ*** ﴾[2] قال: إذا ذكرهم الشيطان المعاصي وحملهم عليها يذكرون اسم الله فإذا هم مبصرون[3].

وقد وردت أكثر من رواية تدلّ على أن ظهور الإمام المهدي ﷺ هو اليوم الذي منحت لإبليس فيه المهلة، ويؤكده أيضاً ما يلي:

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠ / ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٣) بحار الأنوار: ٦٠ / ٢٣٦.

جاء عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿ ***فانظرني إلى يوم يبعثون*** ❖ ***قال فإنك من المنظرين*** ❖ ***إلى يوم الوقت المعلوم***﴾ [١] قال: يوم الوقت المعلوم يوم يذبحه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على الصخرة التي في بيت المقدس[٢].

وإذا صح هذا الأمر فإننا نفترض نهاية إبليس وهو طبعاً قطب الكفر وبالتالي فإن الذي يستمر على الاغواء هم بقية الشياطين ممن هم دونه في الشأن، ولذلك فإن القطب السالب سيصل إلى أضعف حالاته وهو طبعاً ما دلّت عليه أدلّة أخرى إلاّ أننا لا نستطيع افتراض نهاية القطب السالب، لأنّ معنى ذاك تحول الحياة إلى قطب موجب مع أن هناك أدلّة تقول ،لا تقوم الساعة إلاّ على قوم ليس فيهم مؤمن، وهذا يعني عودة الكفر وبالتالي فإن عودة الكفر تعني أن السلب في النهاية هو الذي يسود فتقوم الساعة، ولعلنا نستطيع أن نقول أن قيام الساعة على قوم كفروا بدون غواية الشيطان، وأنَهم كفروا لكثرة النعمة وهو كفر مختلف، لكن الأنسب أن نفترض أن القتل يأتي لإبليس الزمان وهو نواة الغواية، وبالتالي فإن عودة الكفر ستكون بفعل حالة من التهري والهرم الذي تبلغه الحياة العاقلة بعد أن يزول منها نواة القطب السالب ونواة القطب الموجب فلا نبوة، وإن أخر حجج الله على خلقه يستشهد. وعندما تصبح الحياة هرج ومرج فلا القطب السالب يستمر كما هو ولا القطب الموجب، ويسود نوع من الاختلاط الذي يوجب انهاء الحياة العاقلة برمتها وهذا هو الذي يوافق الأدلة التي تؤكد شهادة الإمام (عليه السلام) وذبح إبليس.

---

(١) سورة ص: ٧٩ ـ ٨١.

(٢) بحار الأنوار: ٦٠ / ٣٢٤.

# المصادر

١ ـ بحار الأنوار للشيخ العلاّمة المجلسي جزء ٦٠ ـ طبعة بيروت.
٢ ـ تفسير الميزان للسيّد الطباطبائي ـ مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان.
٣ ـ نهج البلاغة ـ شرح محمد عبده ـ دار كرم بدمشق ـ الطبعة الثانية.
٤ ـ لسان العرب لابن منظور ـ إيران ـ دار نشر الحوزة ـ ١٤٠٥هـ. (جنن)
٥ ـ تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.
٦ ـ ديانات الأرواح الوثنية في أفريقيا السوداء: تأليف ج ـ س فرويليش ـ ترجمة يوسف شلب الشام ـ الطبعة الأولى ١٩٨٨ ـ دار المنارة للدراسات والترجمة ـ سوريا.
٧ ـ سيكولوجية الإنسان المقهور ـ تأليف د.مصطفى مجازي ـ معهد الإنماء العربي فرع لبنان ـ الطبعة الرابعة ١٩٨٦.
٨ ـ الإسلام في عصر العلم ـ تأليف د. محمد فريد وجدي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت الطبعة الثالثة.
٩ ـ آراء الذريين حول الذرة والحركة ـ تأليف السيد أبو الحسن الفاضل الحسيني البهسودي ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الأولى ١٩٨٢.
١٠ ـ خلق الكون بين العلم والإيمان ـ تأليف د.محمد باسل الطائي ـ بيروت ـ لبنان ـ دار النفائس ـ الطبعة الأولى ١٩٩٩.

١١ ـ العالم الصغير ـ تأليف بيير تويلبية ـ ترجمة لطيفة ديب عرقسوسي ـ منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ١٩٩٥.
١٢ ـ الداروني‍ّة ـ عرض وتحليل ـ تأليف يحيى محمد ـ دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان ١٩٧٩.
١٣ ـ الساحر المتدرب ـ تأليف مارت أوريزون ـ ترجمة علي باشا ـ منشورات دارالثقافة ـ سورية ـ ١٩٨٥.
١٤ ـ الشخصية ـ تأليف رتشارد ـ س. لازاروس ـ ترجمة د. سيد محمد غنيم ـ مراجعة الدكتور محمد عثمان نجاتي ـ دار الشروق ـ ط١ ـ ١٩٨١.
١٥ ـ الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني ـ تأليف جون ديوي ـ ترجمة الدكتور محمد لبيب النجيحي ـ مؤسّسة الخانجي بالقاهرة ١٩٦٣.
١٦ ـ غرائب وعجائب الجن كما يصورها القرآن والسنة للعلامة المحدّث القاضي بدر الدين بن عبد الله الشلبي ـ تحقيق وتعليق إبراهيم محمد الجمل ـ منشورات مكتبة التحرير ١٩٨٨.
١٧ ـ تاريخ العرقية ـ تأليف جان بوارييه ـ ترجمة نسيم نصر ـ منشورات عويدات بيروت ـ باريس ط٢.
١٨ ـ الجماعة واللاوعي ـ تأليف ديدية انزو ـ ترجمة سعاد حرب ـ المؤسّسةالجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ط١ ـ ١٩٩٠.
١٩ ـ عجائب الملكوت ـ تأليف عبد الله بن محمد بن عباس الزاهد ـ دار المحجة البيضاء ـ دار الرسول الأكرم ط١ ـ ١٩٩٨.
٢٠ ـ مبادئ علم الوراثة ـ تأليف الدكتور أحمد مصطفى عثمان ـ مطبعة رياض ـ دمشق ١٩٨٣.

٢١ ـ التطبيقات العملية في علم الحياة الحيوانية ـ تأليف د. محمد أيوب حرب ـ د. نجاح بيرقدار ـ منشورات جامعة دمشق ١٩٩٣.
٢٢ ـ حركة التاريخ ـ رؤية قرآنية ـ تأليف عبد الله الفريجي.
٢٣ ـ الرحمن والشيطان ـ الثنويّة الكونيّة ولاهوت التاريخ في الديانات المشرقيّة ـ تأليف فراس سواح ـ منشورات دار علاء الدين ـ دمشق ط١ ـ ٢٠٠٠.
٢٤ ـ خلق لا تطور: عرّبه بتصرف الدكتور إحسان حنفي ـ دار النفائس بيروت ط١ ـ ١٩٨٢.
٢٥ ـ التداعيات النفسية والاجتماعية لظاهرة التعصب (التطرف): د. أسعد الامارة ـ مجلة النبأ ـ العدد ٥٦ ـ ٢٠٠١ ـ لبنان.
٢٦ ـ التبادل اللامتكافئ بين الثقافتين الغربية والعربية ـ نظام محمود بركات ـ مجلة المستقبل العربي ـ مركز دراسات الوحدة العربية ـ ١٩٩٩ ـ العدد٢٤١.
٢٧ ـ جذور الاستبداد، قراءة في أدب قديم: تأليف عبد الجبار مكاوي ـ سلسلة عالم المعرفة ـ العدد ١٩٣.
٢٨ ـ الانحراف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع والواقع الاجتماعي: تأليف الدكتورة سامية محمد جابر ـ دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية ١٩٨١.
٢٩ ـ لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟ الثقافة البشرية نشأتها وتنوعها: تأليف مايكل كاريذرس ـ ترجمة شوقي جلال ـ سلسلة عالم المعرفة. الكويت ١٩٩٨.

٣٠ ـ القضايا الاجتماعية الكبرى في العالم العربي ـ تأليف د. عبد الرحمن الشهبندر ـ منشورات وزارة الثقافة والإعلام ـ دمشق ـ ط٢ ـ ١٩٩٣.

٣١ ـ الطاغية: تأليف د. إمام عبد الفتاح إمام ـ مكتبة مدبولي ـ الطبعةالثالثة١٩٩٧.

٣٢ ـ لغة السياسة: تأليف جورج كلاوس ـ ترجمة ميشل كيلو ـ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ١٩٧٧.

٣٣ ـ بحوث في الفكر القومي العربي ـ إشكاليات نظرية: تأليف د. فهمية شرف الدين ـ د. حليم اليازجي ـ د. سعيد مراد. حسن نور الدين. المجلد الثاني ـ معهد الإنماء العربي ـ بيروت الطبعة الأولى.

٣٤ ـ التغيير الاجتماعي ـ الجزء الأول ـ مصادرة ـ نماذجه ـ نتائجه: تأليف اميتاي اتزيوني وايغا اتزيوني ـ ترجمة محمد أحمد حنونة ـ مراجعة عبدالكريم ناصيف ـ وزارة الثقافة ـ دمشق ١٩٨٢.

٣٥ ـ الضوابط الاجتماعية وسلوك الأفراد في النظريات الاجتماعية: طلال عبد المعطي مصطفى / مجلة المعرفة ـ العدد ٢٧٧ ـ ١٩٩٥ الصادرة عن وزارة الثقافة في سورية.

٣٦ ـ التنويم المغناطيسي:عرض وتقديم الدكتور مصطفى غالب ـ منشورات مكتبة الهلال ـ بيروت.

٣٧ ـ النفس، انفعالاتها وأمراضها وعلاجها: تأليف الدكتور علي كمال ـ الجزء الأول ـ الطبعة الرابعة ـ دار واسط.

# المحتويات

## الفصل الثاني

## معالم وأسس علاقة التعادل ـ الثقلين ـ

## الفصل الثالث

### العلاقات